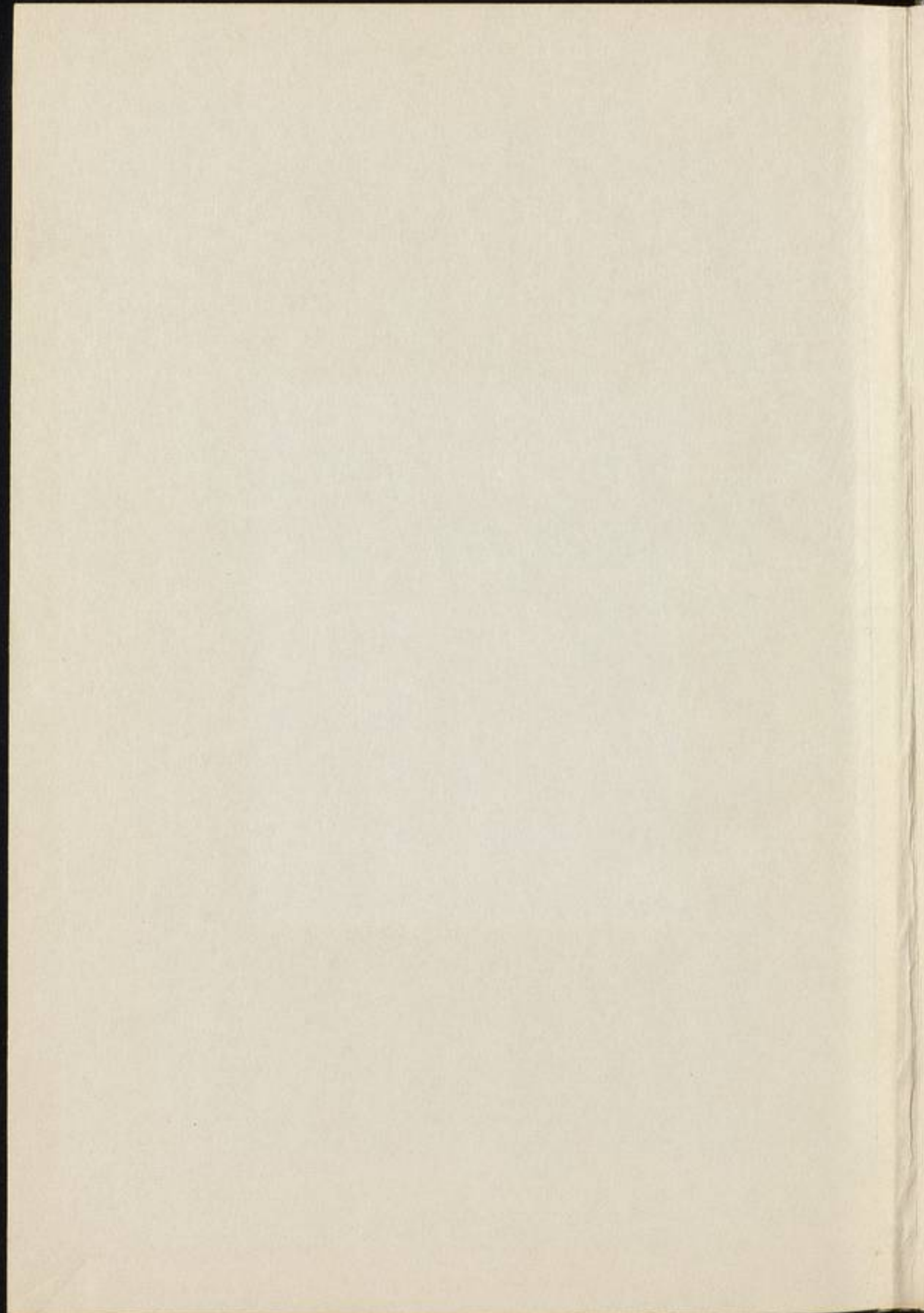
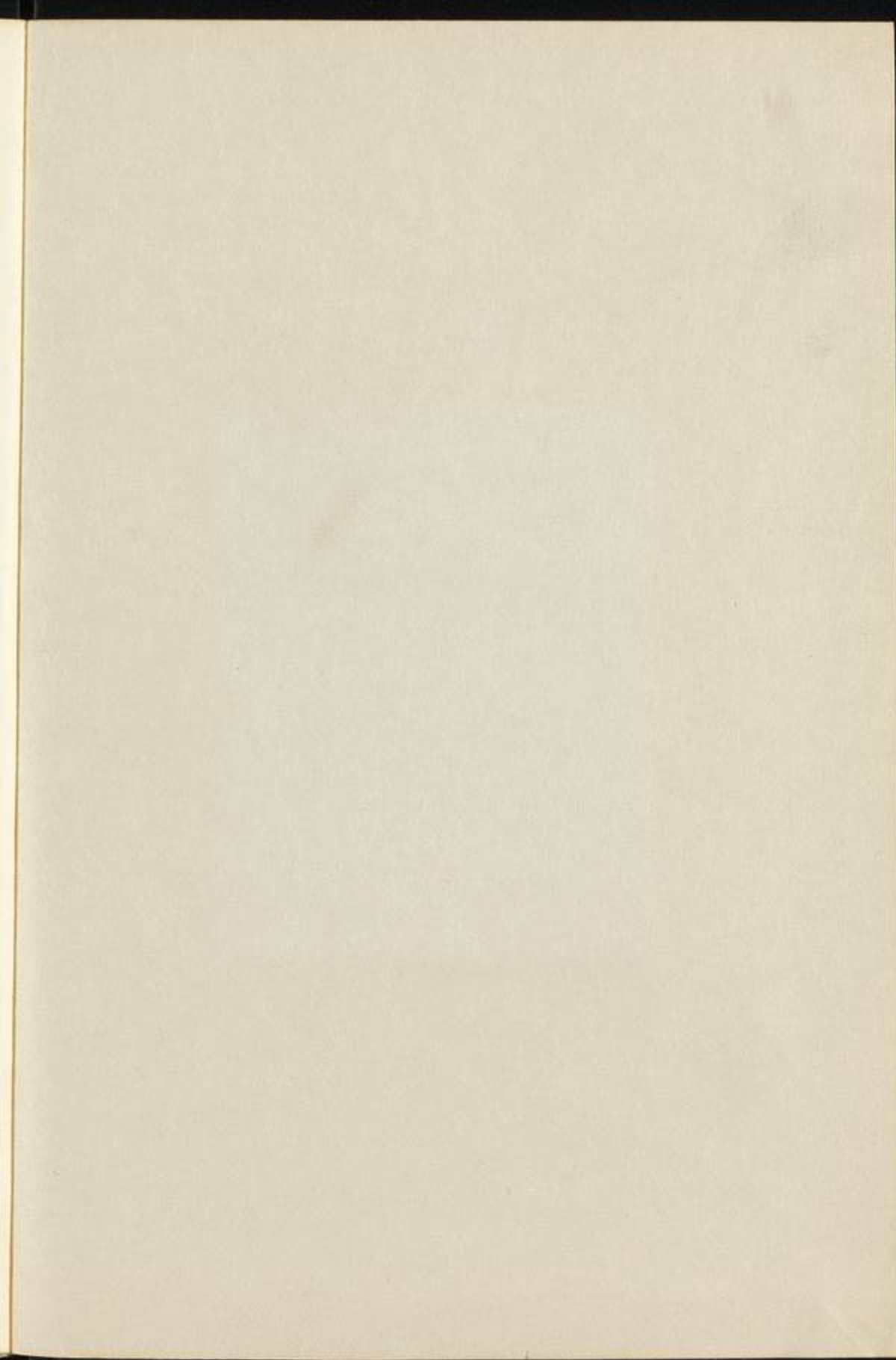


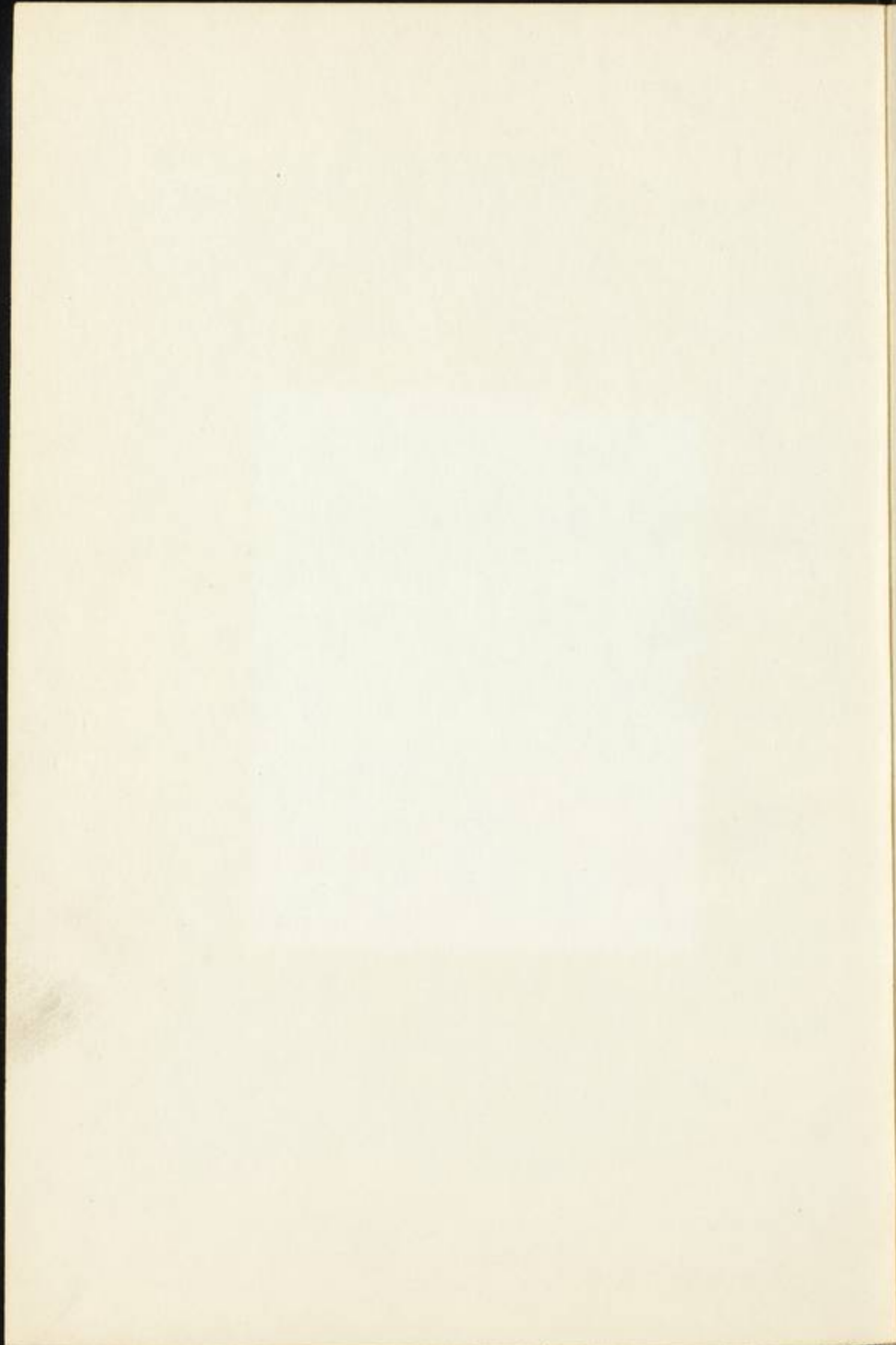


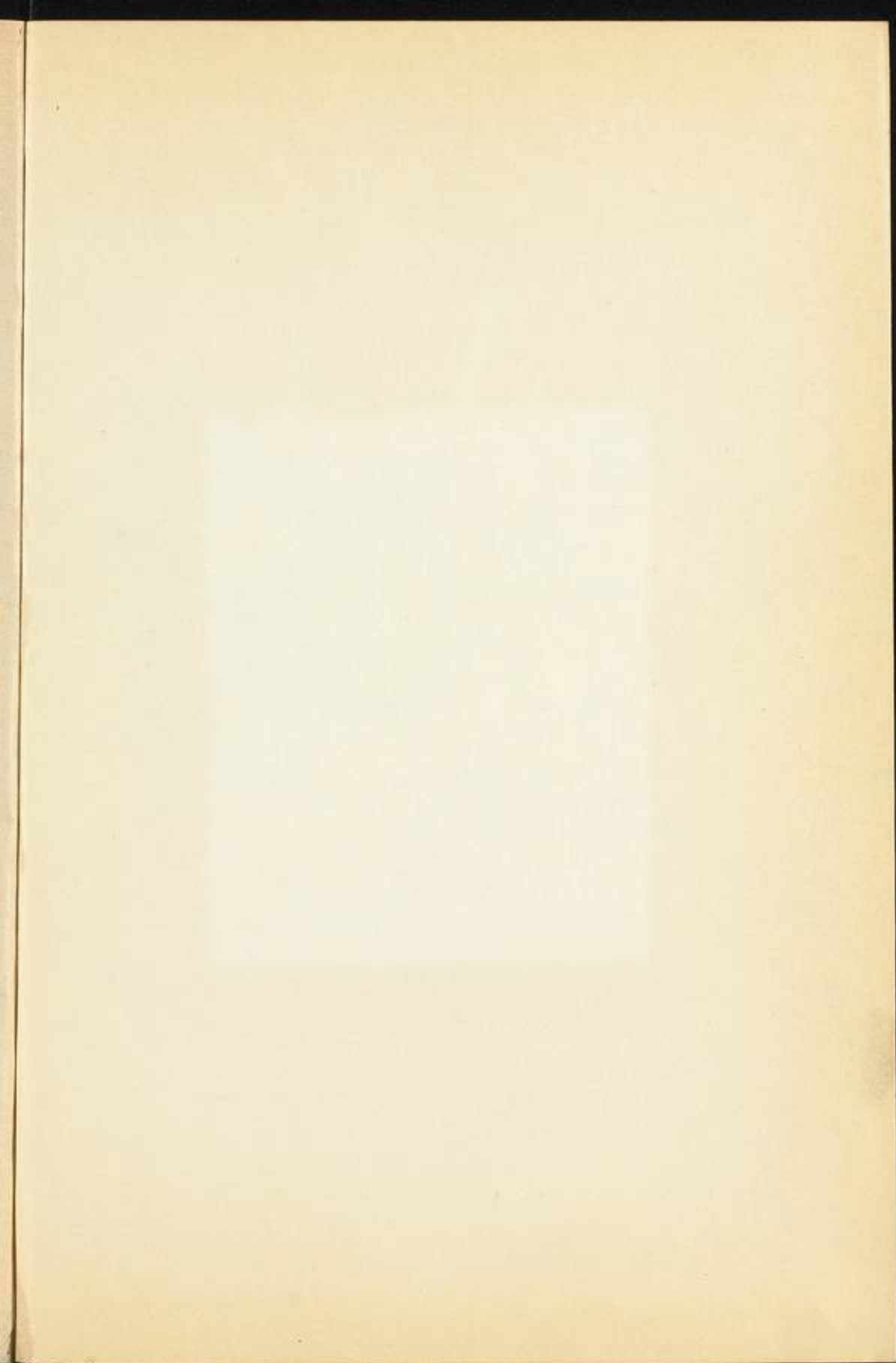
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

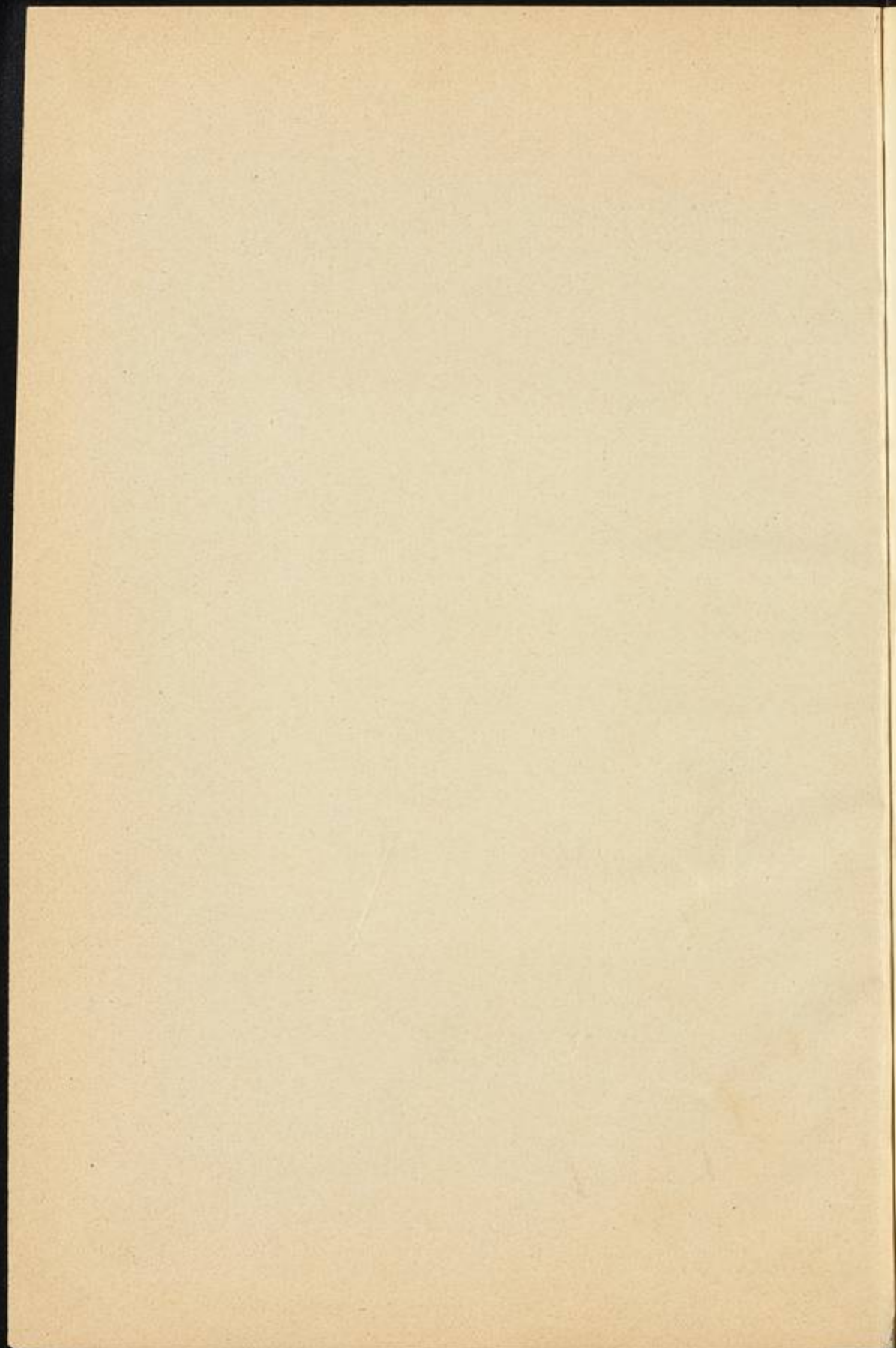


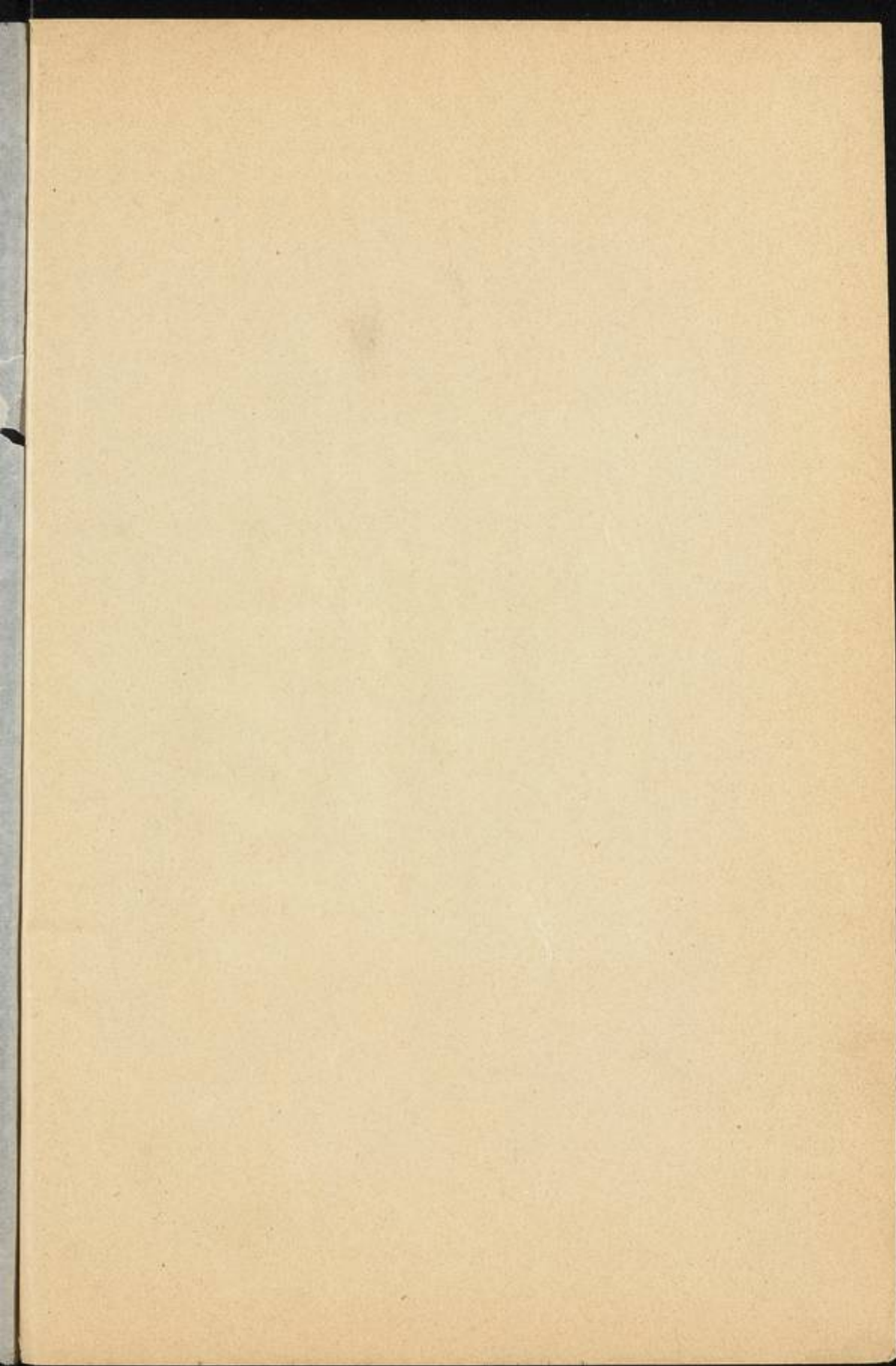


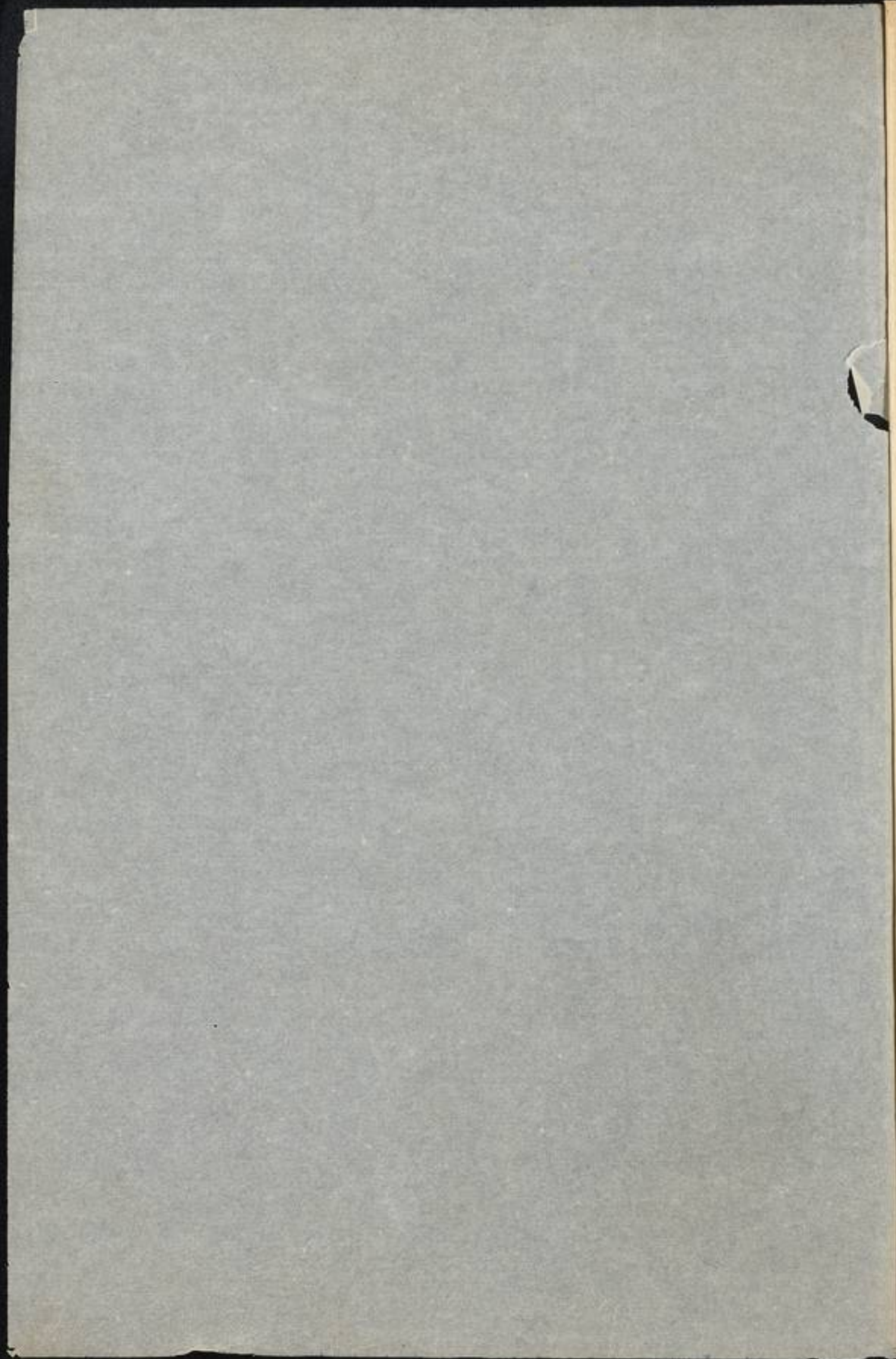


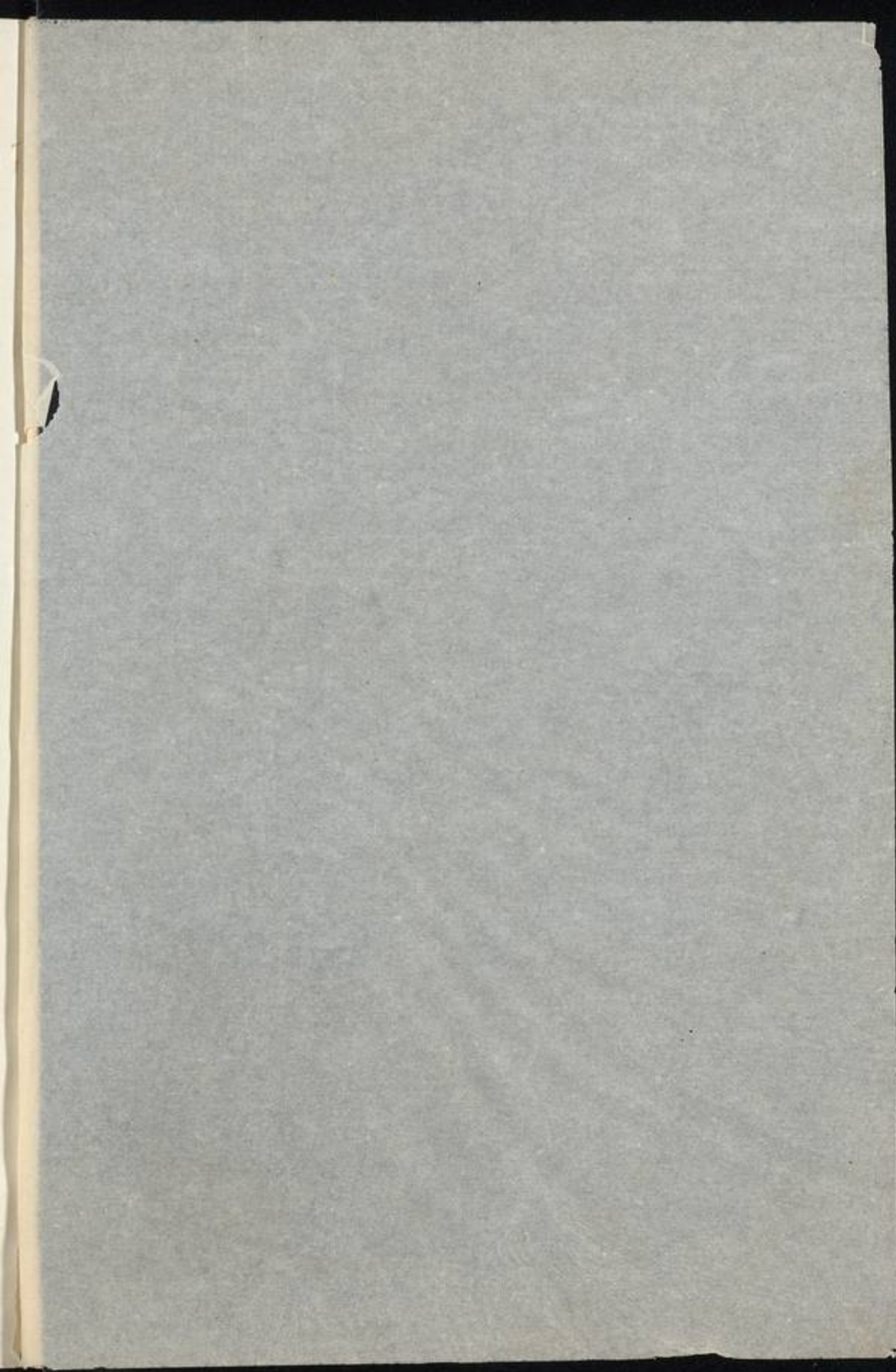




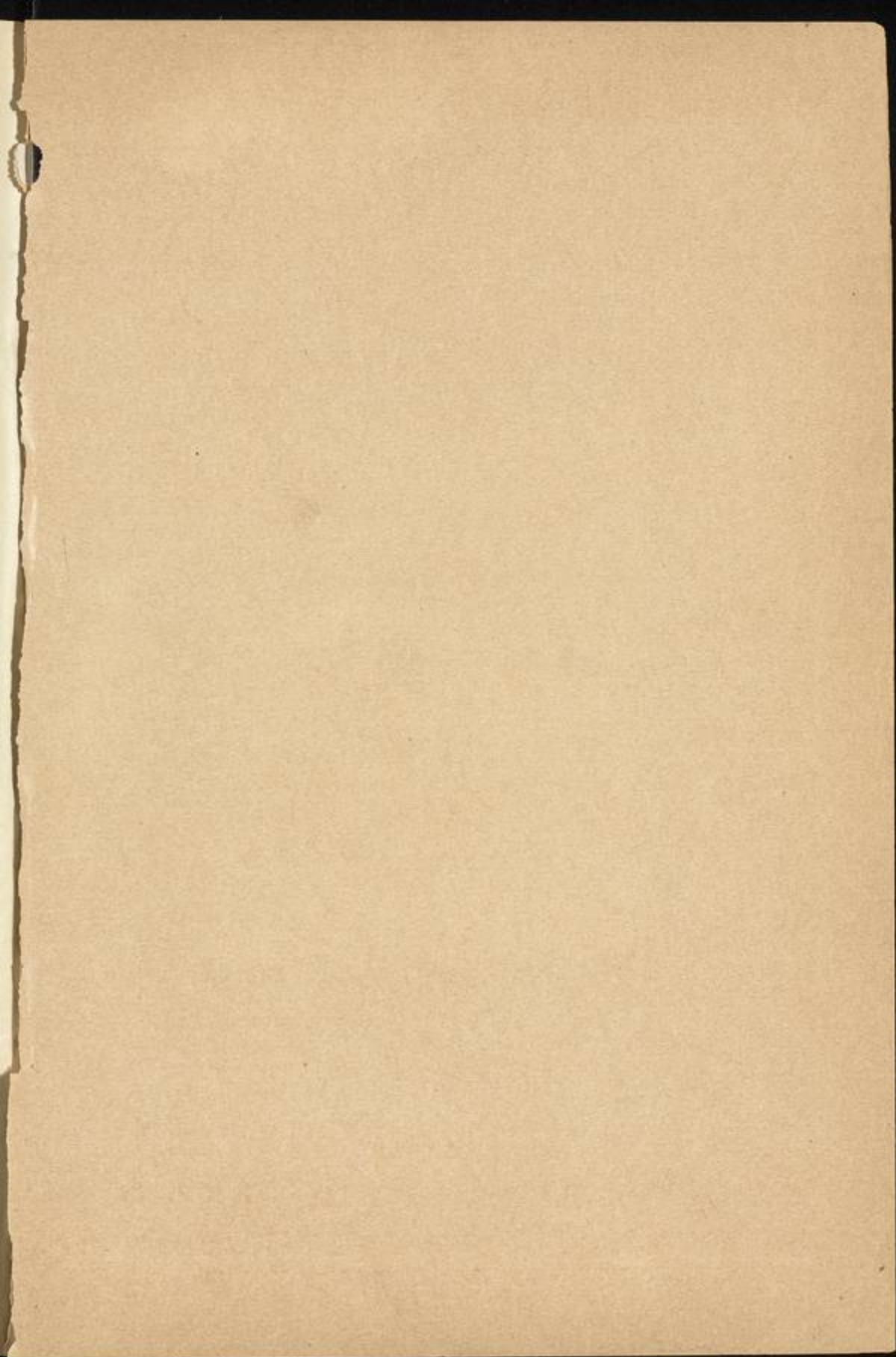












بشارة تفتلا بابشا

١٨٥٣ - ١٩٠١

اقوال الجرائد - مرآة الشعراء

مختارات

من اقوال الفقيه المنشورة في الاهرام

طبع بمطبعة الاهرام بمصر سنة - ١٩٠٢

مجله علمی و ادبی

۱۰۳۱ - ۱۰۳۲

مجله علمی و ادبی - مقاله‌ها و اخبار

تاریخ

مجله علمی و ادبی - مقاله‌ها و اخبار

۱۰۳۱ - ۱۰۳۲ - مقاله‌ها و اخبار

تقدمة الكتاب

يعزّ على قلبي الحزين ان يكون اول ما أخطه رثاء لابي وتأيناً لتلك النفس الطاهرة والاخلاق العالية التي سأبكيها مدى العمر . ولكنني اذكر مع ذلك ان عليّ واجباً ترتاح الى قضائه تلك الروح الشريفة وهو ان أتم عملهُ بما يصل اليه جهدي على ضعفه وأرجو ان اقوم به حين يقوى عليه ساعدي ويتم له تأهبي واستعدادي

وقد رأيت ان البر بفضلهِ والتحدث بنعمته يقتضيان مني ان اجعل بين يدي محبيه ومريديه أثراً حسيّاً يذكرهم ما طالما اعجبوا به من آيات عقله الكبير وعمله الخطير فسألت الصديق المخلص خليل افندي مطران ان ينوب عني باداء هذا القرض وجمع كتاب يخص قدما منه باقوال الصحف ومراثي الادباء والشعراء وقدما بنقل مختارات من مقالات ذلك العزيز منذ بدأ بالتوقيع على مكثوباته في الاهرام فأجابني الى طلبي ونظم هذا الكتاب بحيث يكون وافياً بالقرض على قدر ما يسهه ضيق المقام من تلك المطالب الواسعة واني أجمله هدية برسم قراء الاهرام الكرام وأسديهم اعظم الثناء لمشاركتهم إيانا في الاسف على فقيدنا الجليل واشكر خليل افندي مطران هذا الصنيع الذي هو برهان مجدد على صدق الاخاء وكرم الولاء والله اسأل ان يجعل ما اذكاه في قلبي من جمره الحزن على والدي الحبيب برداً وسلاماً عليه في دار السكينة والنعم

جبريل بشاره تقلا

القاهرة في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٢

962

T169

بشارة تهلل بابشا

اكتب هذا الفصل ويكاد الحول يحول عليه منذ أودعناه في ذلك
 البلد البقع . الذي يمر به الشجاع فيفزع .
 ولقد زرته في تلك الدار الموحشة ووقفت تجاه ذلك الباب الموحد وقلت
 يا بقية من تراب سحيق وعظم بال أعيدي عليّ ذكر تلك الخلائق والخلال
 وحديث تلك الهمم والاعمال فقد كنت أيتها البقية هيكلًا وثابًا للمجد ولسانًا
 داعيًا الى الخير ناهيًا عن الشر وقلبا خافقًا بالآمال الكبيرة بعيداً عن اليأس
 الذي هو مقتلة الافراد والامم وفكرًا مائلاً مسمع الشرق ونظره اما الآن
 فانك قطعة من جمود . متحيرة الاجزاء بين سلب العدم وجذب الوجود .

تمهيد

اني أحاول بهذه المقدمة ان أصف فقيده الصحافة الشرقية في اعماله
 واخلاقه من بدء امره الى نهاية عمره اذكر جلها اقتضاباً واقلها إسهاباً ولو
 اردت استيفاء البيان لوجب عليّ ان انقل من اقواله اضعاف هذا الذي
 نقلته مما يكاد يكون تحصيل قطرة عطر من حديقة زهر ولي في ذلك عذر
 فان ترجمة مثل فقيدنا العزيز لاتستوفى في صفحات معدودة ولعل الله يقبض
 نشر مذكراته يوماً من الايام فيتسع لوصفه ووصف عمله العظيم مجال الكلام

طفولته

كان مولده في قرية كفرشيا من قرى لبنان وهي بلدة مجاورة لبيروت مظلة عليها من سفح الجبل قائمة بيوتاً منضودة من صمد الى صيب على جانبي واد خصيب نقي الهواء عذب الماء زاهي الخضرة ينسل فيه الآباء الأذكاء الأشداء أبناء أذكاء أشداء اكتسبهم وعورة الصخر بأساً وأنبت في قلوبهم جمال الطبيعة فطرة شعرية ودمت اخلاقهم مجاورة المدينة وموالاته المعاملة بينهم وبين اهلها وربما علمهم ذلك الاناة والحيلة فهم عند الاقتضاء يرقون كملس الحرير الذي يصطنعونه وعند المنافسة يصابون صلابة الجبال التي يعيشون بينها

وكان في طفولته جريئاً متفحماً متقد المزاج إلا انه لم يشب عن الطوق حتى حدثته نفسه بأن يكون رجلاً مذكوراً بين قومه كما كان قبله افراد من بيت اليازجي ومن بيت الشميل سمع ما كان يتناقله اهلهم من سيرهم ومناه الضمير بمجاراتهم فلماذا غلب قصده على طبعه فأكب على الكتب يحبس فيها نظره الطامح الى الغايات البعيدة وضيق نطاق حركته على وسع المدرسة وهون عليه تحمل استبداد المعلم ومشاكسة الأتارب وكانت تلك اول اماره من امارات مستقبله الحسن

صباه ودخوله في الصحافة

فلما فرغ من تلقي الدروس الاولى لم يجد مالا متوفراً بين يديه لامرٍ يقوم به في بلاده او رحلة يرحلها عنها فيأتي فيها مائياً عظيماً فاتهمز اول

فرصة سنحت ودخل في مدرسة عين طوره يعلم ويتعلم وهناك اخذ من
المادة ما وافق مشربه بمعنى انه اتقن الادب وشارك من العلوم فيه ما يكون
لهُ معاوناً على السلوك في مسالك الحياة .

وكان اذ ذاك عزمه يُحقق فيه وهو مقيد كما يُحقق البخار بالقاطرة المهيأة
للسير فما دعاه اخوه المرحوم سليم وكان قد سبقه الى القطر المصري إلا وهو
بجانبه لم يبطل اغضاءه جنن فاصدرا الاهرام معاً وقد حدثني المترجم عن
شأنه يومئذ قال « كنت اطوف على الناس صباحاً أتعرفهم واعرض عليهم
الجريدة وقل من كان يرضى بالاشتراك فيها إلا نفرًا من الذين نصبوا انفسهم
في منصب المحسنين اليانثم اقصد احد منتديات القهوة فأول ما اطلبه جريدة
اوربية أطلعها واعرب اهم اخبارها ومقالاتها اذ لم يكن في وسعنا ان نشترك
في جرائد غربية توفيراً فاذا فرغت من الترجمة أتيت الادارة ونظرت في
حسابها من دخل وخرج واشتغلت بالتصحيح وكتابة بعض الحوادث ثم
جلست أعاون النقلة على طي الاعداد وتهيئتها للتوزيع وكنت اتناول غدائي
في الغالب وانا بين صحيفة اطويها ولقمة ازدردها . على انني كنت اشارك من
وراء هذا العناء الجمل اقبالاً ونجاحاً »

ومفاد هذه العبارة الاخيرة انه كان يرى في نفسه من العزم والحزم
ما يوصله الى يوم تستبدل فيه تلك المطبعة المزبل البطيئة باثنتي عشرة مطبعة
مختلفة الحجم متناسقة في قاعة رحبية بقصر شاهق يدار اكثرها بنفس الغاز
المحترق وتعمل فيها ادق المطبوعات وأجملها ويكون الصناعات فيها نحو الستين
من ذوى العيال الذين يرتزقون وتستبدل تلك الصحيفة الاسبوعية الصغيرة
بجريدة يومية تكون عدة محرريها ومراسليها ووكلائها وحاسبيها مالا يقل عما

تقدم ويكون صاحب المقالة فيها خفياً على منبر يسميه الاكابر والاصاغر
في داني البلاد وقاصيها ويجد المستصرخ فيها صدى لصراخه والظالم عقوبة
لظلمه بالافشاء والتشهير

انشاؤه اول صحيفة يومية عربية

كان اذا رام غاية وشقت عليه وبهدت تلى منال سواه سعى اليها وتدبر
وجوه ادراكها وسهر واستشار واستخدم كل ذي يد فيها ولم يتكذب الا
وقد فاز بها . مثال ذلك انه اراد تحويل الجريدة من اسبوعية الى يومية فظن
اصداقائه ذلك منه ضرباً من التهور وعدد اقرب الناس اليه محالاً وابوا
ان يساعده فيه فأصر على عزمه ولما جاء الموعد اخرج الاهرام يومية وكانت
صغيرة الحجم جامعة من المباحث والاخبار ما تكاد تبسم استخفافاً له اذا قابلناه
بما نعهده اليوم ولكن ترتيب الجريدة كان بجماته اساساً للوضع الحسن الذي
انتهت اليه الاهرام بعد ذلك بزمن يسير ثم جرت عليه جميع صحف الشرق
بعدها . قال لي رحمه الله يوماً ونحن نتذاكر في هذا المني « وزعت الجريدة
وتوزعت وراءها في كل مكان اسمي واقتضي وألح فكانت ثمرة ذلك العناء .
ان زاد عدد مشتركينا خمسة فقط فلما رأى ذلك ابر الناس بنا جزعوا
وقالوا هذا اول الافلاس والسقوط غير اني لم احفل بالحاضر وانطلقت اتقل
بين مصر والارياض واعرض بضاعتي بين ايدي الناس من كل طبقة وكنت
كمن اتاهم ببدنة عجيبة فلم ارجع الا وقد ضمنت للجريدة اليومية البقاء ولم
أبال السهر والجوع والعطش والسهر والحر والبرد »

جدد

إذا اقترن الجدد بالجدد فتلك سعادة الحياة الدنيا وهذا كان شأنه فإنه كان لا يجد سعادة الا في العمل وكان عمله مقروناً بالتوفيق وقد سمعته مراراً يقول « اني فلما نلت امنية لم اسع اليها سعياً حثيثاً ومع ذلك لم استبشر قط بشيء اصابته بلا عناء » فكانه كان لا يريد ادراك وطر الآجزاء عمل ليم به سروره ولعله كان مبالغاً في جده الى حد انه هو الذي اودى به في النهاية فإنه على اعتداله في معيشته اراحة للجسم وتقوية له على تحمل المتاعب كان لا يعمل ساعة او دقيقة من التدبير والتكبير والحسابات حتى في اوقات الرياضة والتنزه وقد كان زمام طبيعه بيده إلا في هذا الامر فان طبيعه ظل متغلباً عليه الى النهاية ومن اعظم ادلة جده بل من غريب تنبهاته انه عند صاحبا صحوة الاحتضار في نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان اول ما قاله « أبدأوا بطبع الجريدة » مع انه كان منذ عشرين يوماً ذاهلاً لا يعلم الزمن ولا يفتح عينيه لشيء . ولا جرم انه كان بهذا الجدد منفرداً عن سائر الشرقيين ولو اقتدى به جمهور منهم بعض الاقلاء في فنون مختلفة لادركنا غاية النجاح

تدبير

من اقواله الماثورة « ان سوء التدبير ادعى الى الافلاس وتخريب البيوت العاصرة من السرف المتجاوز حده بل هذا السرف انما هو نتيجة سوء التدبير »

وليس في الحقائق أثبت من هذه الكلمة ولكن الشرقي لا يفطر على التدمير ولا يربى عليه فهو فاقده خلقاً واكتساباً ولهذا لا يحسن القيام على المال ولا يجيد ادارة الاعمال إلا افراد شدوا عن القاعدة كالمترجم فانه كان لاتفوته شاردة ولا واردة من امره وامر بيته وامر عمله وكان ينظر في كل دقيق وجليل ويسير وكثير ويكره الخلط وتشويش النظام وتأخير الشيء من يوم الى يوم حتى اتى لم اره قط ارجا عملاً عن الوقت الذي هو فيه الا ان يستحيل عليه في ذلك الوقت ولهذا كانت ادارته لا تضارع بنظامها واتقانها وكانت ثروته في نمو مستمر ودخل جريده ومطبعته يربو على دخل مثلها بسبب التدقيق في المراقبة وانفاذ كل عمل في حينه

نظمه ونثره

قلما نظم ولكنه اجاد سبك القريض حين اراده وكان كلامه فيه حسن الاسلوب يشف عن مزاوله قديمة ومن امثلة نظمه مرثيته لاختيه فن راجعها رأى فيها من قوة التصور وشدة التأثير ما يراد في ترسله . اما نثره فانه خطف برق وتدفق سيل من حيث السرعة ولكن قد تلثقي فيه الكلمة الجامعة باللمنظة العامية وتحل البلاغة العبارة المرسله على علاقتها فتصاحبها وتحليها وتحشر الحكمة العالية في اشارة موجزة تكاد احياناً تخفيها . وذلك لانه كان ينكر على اللفظ شأنه العظيم في العبارة ويقول كبعضهم ان كل ما ابلغ المراد الى الاذهان في الصحف اليومية فهو مقبول بل لانه كان ذا دالة على قرانه واكثرهم من عارفي قدره واصدقائه فكان يكتبني لديهم بعظم عمله عن عظم قوله ويستغنى بجلال معناه تن جمال مبناه ومع ذلك فن يطالع ما آثرنا

٩
نقله من مقالاته في هذا الكتاب يرى انه كلما تأنق في الكتابة اجادها من كل وجه . على ان الناس لا يزالون يتناقلون الكثير من كلماته المأثورة التي كان يقولها في ختام بعض الحوادث الكبيرة فيلخصها بها تلخيصاً عجيباً .

معارفه

كان يعرف من اللغات العربية والفرنسوية مع مشاركة في الانكليزية وقد نعلم هذه اللغة مكتملاً وتوصل في زمن يسير الى ادراك كل ما يقرؤه فيها وفهم الحديث وابلغ مقصده عند الحاجة . وكانت له من العلوم أساسيات مشتركة اهمها حقوق الدول وحقوق الافراد والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والحسابة بفنونها وانما كان تضله من هذه العلوم ليستعين بها على خدمته وقد احسن لانه بالتخصيص اتقن

مقدرته الصحافية

شهد العدو قبل الصديق انه كان صحافياً لا يشق له غبار في هذا المضمار ولم يبلغ هذه المرتبة يوم عظم مقامه وفتحت له جميع الابواب واصبح سمير الامير وصاحب الوزير وأليف الساسة الاجانب ولا يوم قابل السلاطين والملوك وعرف اساطين الدول في الغرب ولا يوم كثر مزاحموه ومناظروه ومناضلوه والناقون عليه لفوزه مع انه اشتراه حلالاً باعز ما ينفقه الانسان من عمره ويوجد به من نفسه وتفيسه بل قبل ذلك بسنين يوم كان في مبدأ امره وكان سير الحوادث يدعوه الى تعرف الناس واحداً بعد الآخر وتسم انباء كل واقعة من جماعة يجهلهم فكان يملأ بما ياتي به اكبر قسم

من الجريدة ويتابعه ويفصله ويسابق به اكبر جرائد اوروبا حتى اني عند
 ماراجعت مجموعات الاهرام منذ سنه الاولى لاختار منها المقالات التي في
 هذا الكتاب دهشت لما رأيت فيها من مقدمات احوال هذه الايام
 واسرارها ووقائع العاملين فيها فكأنني عشت هذه السنين الخمس والعشرين
 وأنا مجاور كل كبير في الحكومة أو في التجارة من كبار مصر جاعل أذني
 في موضع سره ونظري في دائرة مسغاه ومطلبه وكنت استقري كل حادثة
 من بدئها الى نهايتها كأنني أقرأ قصة لذيدة وعندني ان المترجم بما اورده
 من الانباء المتسلسلة التي لم يقطع موردها عن القراء يوماً واحداً في ربع
 قرن لا يضارعه اخباري في الغرب فضلاً عن الشرق واذا كنت لا ارى
 راحاً او غادياً في مصر من شرقي او غربي وأسأله عنه إلا يوافيني بحديثه
 من مولده الى يومه الذي هو فيه وربما افاض في الشرح فذكر لي أناساً
 من أسرته وشيئاً مما امتازوا به في الخير او الشر. أفلم يكن جديراً بسبق
 كل مجار وهذا مبلغ علمه بالناس وأحوالهم

سياسته الداخلية

كانت سياسته الداخلية مصرية عثمانية وقد اراد في وصيته ان تستمر
 الجريدة على هذه الخطاة وستلبث عليها عملاً بإشارته الى ماشاء الله . ومعنى هاتين
 الكلمتين على ما عرفه القراء من جماع كتاباته ان ينادى ابداً بان مصر يجب
 ان تكون للمصريين تحت سيادة الدولة العثمانية التي تكون لها بمثابة سياج
 مصر للمصريين - ذلك نداء طاعته في مقالاته ما ينيف على مئات من
 المرار وكان يجهر به ويعيده بلا ملل ويعيده كلما اشتدت الازمات وتكالبت

الحوادث على اضافة هذه البلاد ثم يكرره كلما رأى من الامة غفلة او
تغافلاً او استماتة وفي كل آن يرجع اليه بارادة اصدق وتقيده اتم وسريرة
اكثر اخلاصاً لانه كان لا يتصور كيف يقتل قوم في اعز شيء لدهم واكرمه
عليهم ثم يرضون صاغرين صابرين

وغير خاف ما في هذه السياسة من الحكمة وصدق النظر فان مصر لا تقوى
بغير الدولة العثمانية على مقاومة المطامع المحدثة بها بالنظر الى مركزها والدولة العلية بلا
مصر لا ترجع ابدأ الى ما كانت عليه من العزة والمنعة في البحر من حيث
هي دولة بحرية متسة الاطراف ولا تكون في امن على بلادها الشاسعة بأفريقيا
من حيث هي دولة اقرب الى ان تكون استعمارية من كل مملكة سواها
ولا تستتب لها سلطة الخلافة اذ ان المحتل في مصر مجاور للحرمين وادنى
الى امتلاك زمامها واضاعة امكن قوة بيد الخلافة

ولا ينكر احد ان اعظم عامل لتقريب مصر الى الدولة العلية وتوثيق
العرى بينهما وتوطيد احدهما بالآخرى انما كان هو وكان بذلك منفرداً
ايام استحكام الجفاء بين الاستانة والقاهرة بسبب العيث الذي عبثه بعض كبار
السلطنة بمصر في خلال الفتنة العراقية حيث كانوا آناً مع السلطة الشرعية
المخوفة بالخطر وآناً مع السلطة المتعدية الناصبة وحيناً يدون بارسال الجنود لاختاد
الفتنة وحيناً يدلون عنه الى ان تمكن في خلال ذلك الاجنبي من الدخول
الى القطر والسريان مع دمه في عروقه. كل ذلك احدث موجدة بين التابع
والمتبوع ولكن المترجم مع انه طالب كل المطالبة بانفاذ المساكر العثمانية الى
مصر وندد ماندد في تردد السياسة العثمانيين لبث في موقف الرجاء لعل
الحاضر او الآتي يصلح الماضي

وكان ابداً يعود الى ذكر الدولة العلية ويتقاضى لها حقوقها ويحضرها
مرة على ارسال جيش الى السودان ومرة على مخالفة دولة او دولتين في
سبيل استرجاع مصر حتى اذا اعيتهُ الوسائل لم يجد الا الرابطة الاسلامية
وسيلة للتقرب وقد ادرك ذلك سمو الامير الحالي فجرى عليه

وغير خافٍ ما تحمله من صنوف الملام في دفاعه عن تركيا من
المصريين ومن سوائم فلم يخجل بكل ما عساه بل كان نصب عينيه ان لاصلاح
يرجى الا ومصر والدولة العلية على اتحاد ووافق

ولا يسعني في هذه الاسطر القليلة ان آتي على عشر معشار ما فعله وما
كتبه في هذا السيل وان من ذلك في مجموعات الاهرام كلها وخصوصاً
من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٥ لمجلدات ضخمة اذ ان مدار الكتابة اليومية
في اعظم قسم من الجريدة كان على هذا المحور سواء كان المترجم في مصر
يسمى ويقابل ويناضل ويكتب او في باريس ولندره وبرلين وفيينا والاستانة
حتى وفي العواصم الاوروبية الصغرى يسمى ويقابل ويناضل ويكتب

ولقد خصصت آنفاً بالذكر ثلاث سنين ارى ان ملخصها كان في سنة
١٨٨٤ وهي السنة التي عقد فيها مؤتمر لندره فسافر اليها ليحضره ودعا جمهور
اعيان مصر وكبارها ونوابها لانها هذه الفرصة وحمل حجبتهم على الاحتلال
الى ذلك المؤتمر فلم يجبه أحد. ومن طالع اعداد تلك السنة من الاهرام
قضى عجباً مما يراه من آثار تلك المساعي الجسام بين ذهاب واياب ومناقشات
وخطب وكتب ومقارعات في الجرائد الاوروبية الى آخر ما هناك مما اوردنا
شيئاً قليلاً منه في هذا الكتاب اكتفاءً به للدلالة على الباقي

على ان تلك السنة كانت السنة الذهبية للاهرام وهي التي فيها اهديت الى

صاحبها الساعتان المرصعتان من وجوه الامة ومعمديها وهي التي حاربت فيها الحكومة المصرية الاهرام محاربة الخصيم للخصيم ثم انجحت الموقعة عن حضور نفس المأمورين الذين اقلوا المطبعة الى الباب الذي اوصدوه وختموه وفتحهم اياه باليد بعد الاعتذار والترضية الرسمية لفنصلية فرنسا من قبل رئيس الحكومة المصرية بالذات وكان يومئذ نوبار باشا الذي لا يخفى دهاؤه وهي التي جلست فيها الاهرام على قاعدتها الثابتة التي لا تززعها الايام وأصبحت بعدها عن ثقة لسان الضعيف والمظلوم سواء كان الامة بخدافيرها او اي فرد من افرادها وهي التي بلغت فيها شهرة الفقيده اوجها الذي استقرت فيه بعد ذلك بلا نزاع ولا مناظرة

سياستهُ الخارجية

اوردنا في عرض هذا الكتاب شيئاً يسيراً جداً من اقواله في السياسة العامة وكان له فيها اوسع باع واصدق نظر بدليل ما تراه في بعض منقولات هذا السفر من الامور التي اشار اليها فوقت والتي شرحها على حقائقها فلم تزد الايام تلك الحقائق الا ثبوتاً ووضوحاً. وانك تنتظر فيما نقلناه من اقواله ما يشير قبل الاوان بزمن طويل الى التحالف الفرنسي الروسي والى التقرب الفرنسي الايطالي والى الاتفاق الانكليزي الياباني والى كثير من امثال هذه الحوادث الجسيمة التي دله على ضرورة وقوعها صفاء ذهنه وتوقد ذكائه وتتبعه سير السياسة بعين يقظان وفكر فطن

وكان في سياسته الخارجية يميل خاصة الى فرنسا وذلك لعدة اسباب جوهرية ذاتية وعامة فأما الاسباب الذاتية فهي ان فرنسا حتمت من اسمعيل باشا ايام سجنه وكان على وشك ان يأمر بقتله في خبر مشهور وانه كان عارفاً

بلغتها مطالعاً نكتب أدبائها وخطبائها وعليلها ذا صلة مع اكبرها من الرئيس
الى ادنى ذي منصب مرهوق بباريس . وأما الاسباب العامة فهي انه وجد
الخطة التي جرت عليها فرنسا من قديم الازل وفق مرامه من حيث
صداقتها التاريخية للاستانة وانه رآها المناظرة الحلي للدولة الانكليزية في مصر
لا بالنظر الى مصالحها فيها فقط بل فيما وراء التربة وهي مصالح جسيمة
لايهون عليها التخلي عنها

على اننا قد رأينا بالفعل ان فرنسا اهتمت بمصر كل الاهتمام الى ان
كان ما كان من مسألة فشوده وفشلها فيها ولكن نشلها لايتني انها طالبت بحقنا
عنا اكثر مما طالبنا به نحن عن انفسنا وانها بذلت جهدها وبثت فينا روح
التقاضي لحقنا المهرضوم وهو ما سيدرك قيمته ابناؤنا ان لم ندركه اليوم وفي
الجملة فانها فمات ما استطاتت اليه سيلاً حتى اوشكت الحرب ان تشب
بينها وبين انكثرا فأحجمت وصانت بذلك اساطيلها وقوتها الى ان يأتي يوم
يكون فيه الدهر مصافياً لها اكثر مما كان مصافياً في ذلك الوقت ففرنسا
من اجل هذا جديرة بشكرنا لابشمانتنا وصدافتنا لها قد لا تحلو من فائدة
كبيرة في المستقبل كما لم تحل منها في الماضي وهذا فيما أظن رأي جمهور
العقلاء وكان رأي المترجم

نقد

كان مذهبه في النقد مذهب التريق الذي يجمله مؤلماً غير مؤذٍ ولم
يحمل جملة شعواء الا على الذين استنزوه وأخرجوه اخراجاً ذاتياً وله على
هؤلاء حملات لا ينساها معاصروه ولا مراجعو الاهرام من بعدهم . على انه

كان لا يمضي عليه يوم بلا انتقاد عمل غير مستحسن لحاكم او محكوم وكان
يوجه اكثر كلامه الى الجماعات فاذا وجهه الى فرد فلانه يكون في مقام جمع
وربما طيب نقده بباح مستلطفة كما فعل يوماً في رسالة برقية اورد بها خبر
ناظر لجأ الى جريدة النيل ليدافع بها عن نفسه من انتقاد الاهرام فقال
ان ذلك الناظر لما يش ان يبرأ لدى الناس من الوصمة التي وصم بها دفعته
الحمية فألقى بنفسه في النيل... واذكر ان الناس ضحكتم من ذلك اياماً وليس
في الاسلحة امضى من هذا السلاح لاذلال خصم عنيد قدير اذا احسن
الكاتب اعماله

اخلاقه

كان بشهادة عارفيه وتزكية آثاره
جريئاً يتقدم ولا يتهمج
فصيحاً اذا اجتمع القوم فهو الذي يتصدر ويتكلم
صريحاً لا يخفي رأيه ولو كدر سامعه
حراً يأبى الضيم والذل
حليماً يرضى على اثر الغضب ويعفو حين يتقدر
رقيق القلب يستمال ويستبكي ويستفز للاعانة
كريمياً ينزل الاحسان في محله ويبدله خفياً حتى عن اهله ولا يفضن
بسعيه وجهده على قاصد
باراً بقرينته الفاضلة الكاملة وبابنه النجيب الحبيب برأ لا يجاريه فيه احد
ولهذا كان من اسعد الناس في بيته

وكان مع ذلك دمث الطبع حسن العشرة كارهاً للزهو والخيلاء شديد
النقّة بمن يصطفيه لطيفاً بماله محسناً اليهم مضافاً لهم في الشدائد مستقيم
المعاملة عدو الماطلة

خطبُ الأمتين فيه

لهذا عظم فيه خطبُ الامتين المصرية والسورية وكتبناه ووفناه حقه
من التأين بالسنة فصحاتهما وأقلام أدبتهما واشتركتنا في مناخته اشتراكاً لم
يسبق له مثيل . لانهما كما قال الاخ شوقي قد فقدتا رجلاً والرجال قليل

وداعُ الصديق

فيا أيها الحبيب الذي تبدد جسمه عن روحه . كما يتفتق الطيب عن
ريحه . وانحلت هيولاه عن فكره كما تتحل الظلمة عن النور . والخفاء عن الظهور .
اما الآن وقد ذكرت من شأنك على كبره مقدار ما سمح به تقصيري .
ووضحت دون وفائه معاذيري . فاني استودعك الله متسلياً بأترك عن العين .
متاسياً برسماك في الفكر عن رسماك في العين . حريصاً ابدأ على ودك .
أميناً الى آخر النسمات على عهدك

(خليل مطران)

أقوال الجرائد

لعشيرة

قالت جريدة الاهرام تحت عنوان

فتينا

وهول المصاب بفقده

ليست الصاعقة تنقض على الرؤوس فتطير منها النفوس شعاعاً ولا السهام
تمزق الاكباد وترسلها ففاضاً . ولا الكوارث تفتقر القلوب وتذيب المهيج .
ولا النوائب تفتت الاكباد وتشق الصدور . باعظم فتكاً واشد هولاً واقسى
يداً واصاب قلباً من خطب جليل حل بنا فارتعدت له اعصاب البلاد ومصاب
عظيم انقض علينا فاربده له وجه الشرق ورزء اليم رزئنا به فبكت له الاقلام
وقد اسود يومها وتلغفت الصحافة وقد عظم رزؤها ونجعت المرؤة وقد شككت
بعميدها وهلع لاجله قلب النشاط والهمة وقد دهمت بوحيدها شيخ الصحافة

علم الوطنية رب الاقدام والعزم وعنوان الفضل والحزم فقيدنا الكريم ورئيسنا العظيم منشىء الاهرام ومديرها وواضع اساس الصحافة في الشرق ومديرها رافع علم الوطنية بين احوال الجهاد ومحكم رباط الجامعة الامية بين زعازع الالهواء وشدائد الاضطهاد من نبيكه اليوم بعبرات ثقل ولو كانت دم القواد ومن تجف اقلامنا وتجف محارنا دون ايفائه حقه من التأيين والرثاء الذاهب الى ربه بجهة ناضرة وعين ناظرة وحسنات كثيرة ومبرات وفيرة . الخالد الاثر والفضل السابق الى كل غاية من المجد والنبيل

بشارة تهللنا بها

فاضت روحه الطيبة الى ربها في الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ بعد منتصف ليلة الجمعة

فاظلمت البلاد واورثتها مصيبته المجلة اغتلا لا

«وباتت مصر يرجف جانبها» لركن العز حين هوى فالأ

فان يعل البلاد به خشوع فقد كانت تطول به اخيلا

مضى الى ربه بعد ٢٤ يوماً من اغتلا له ولم تدفع عنه القدر المحنوم

عناية قرينة فاضلة ما عرف جفنها مع دائه الكرى ولا غمرارا تسهر عليه مع

النجوم الساهرات وتمطف وتحنو عليه حنو الجسد على الروح ولا تطيق مفارقة

فراشه وتحويل نظرها عن مضجعه بل لم تدفع عنه منيته حيل الاطباء وقد

حاروا في دائه ودوائه بل لم ترد عن قلوبنا هذا السهم النافذ ادعية الامة

الطائفة بسريره وامانيها الحاتمة فوق جسده وكان فقيدنا العزيز العظيم في دائه
 كما كان في صحته ثابت الجاش والعزم والقوة والجلد والصبر يغالب الآلام
 فلا يشكو الماء ويكافح السقام فلا يظهر مريضاً وكان اذا خفت وطأة الداء عن
 صدره ينظر الى من يحيط به نظرة الظافر بعدوه فيرسل اليه ابتسامة او كلمة
 تفرج عن صدورنا المتحرجة ونفوسنا المنقبضة فتزف بشرى راحته الى الامة
 فتشاطرنا المسرة بها كأن انبساطاً في وجهه وصدره ابتسامة في ثمر هذه الامة
 الكريمة التي تعرف فضله وصادق خدمته باعنائها به وبعرفاتها قدره وبدعائها
 له وبتنميتها شفاؤه من امراضها الى عامتها بل كأن تلك الابتسامة تنصب قطرة
 على قلوبنا المتحرقة ونفوسنا المتلذبة فتبرد تباريح القلق والاضطراب وكانت
 الرسائل والسؤال عن صحته وتقبلت مرضه في اطواره والاجواب عليها شغل
 الادارة باجمعها ولم تقدر على القيام بذلك حتى اضطررنا الى الاعتذار الى المحبين
 وهم الامة كلها . وما عرف اخواننا ارباب الصحافة والاقلام شدة الداء حتى
 اظهروا كل عناية واهتمام فكانوا وهم في ابان اعمالهم يرسلون السائين تبعاً وابان
 الفراغ يأنون عواداً فما كنا نرى وجنة في قلب فقيدنا الكريم إلا وهي وجنة في
 كل قلب

وقد كان والاوصاب تحمل جسده يشغله عنها شاغلان ولده الوحيد وتربيته
 والوقوف على اعماله وتقديمه في العلم والادب ثم الاهرام وسيرها وما تخدم به
 الامة من مبحث مفيد ورأي سديد الى ان استأنق صبيحة الخميس الماضي ورئيس
 تحرير الاهرام الى جانب فراشه فقال له « كيف الاهرام » فاجابه على ما
 تشتهي لاهم لها غير شفائك فقال - وهي ما نعهدا الى الابد وصيته للاهرام
 وارادته في حياتها - « تحروا المباحث المفيدة للامة ولا تحشوا في الخدمة

الصحيحة والحقيقة المفيدة احداً واجنبوا المثالب واسكتوا عن المطاعن ولو كانت علياً « ثم نظر الى ولده وقبلة وقال « لماذا انت هنا ولست في المدرسة » فاجابه « اني اليوم في عطلة الخميس » فقال « اذهب وادرس والله يحرسك » ثم نظر الى قريته الفاضلة وعيناها الساكبتان الآن الدمعة الحرى عليه تبرقان مسرة به وقال لها اتعبتك ايها العزيزة فجزاك الله خيراً اعني « وسأل الطبيب عن صحته فقال له « انك تتقدم الى الشفاء باذن الله » فقال « وهل نهض لاعمالي بعد اربعة ايام » ثم نظر الى اخيه وقال « انت هنا » والى والدته وسألها عن صحتها وهكذا كان يحدث الاقرباء والانساب الذين دخلوا حجرته فرقت قلوبنا فرحاً بشئائه وبشرنا الاطباء بالتحسن الكبير والشفاء القريب ولكن الحمى عاودته في المساء وفي صبيحة يوم الجمعة بدت على وجهه الشاحب دلائل التيب ثم اخذت الحمى بالارتفاع والاطباء الخمسة يكافحونها ولا يقوون على مدافعها بل لا يقوون على دفع المنوز المستكنة في طياتها فهلمت قلوبنا ووجنت وظلمنا بين مخالب اليأس وبارقة الرجاء الى ان فاضت روحه الطيبة ولم يبق لنا من الرجاء الا ان نقول

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي اسفاً عليه ويا دموع اجيبي

وقبل ان ينبليج وجه الصباح عن ذلك اليوم المشؤوم الطالع طار نعيه في العاصمة فاصطكت المسامع وشقت الاضالع وسحت المدامع واعنقت الالسنه وذكت القلوب وذابت الاكباد وتمحرت الضلوع وهلمت النفوس لموت من كان يتقدحمية ويتفرق حياءً وتفويض أخلاقه كرمًا وأقلامه حكمة وحكمًا ويداه مبرات وراحته حسنات لا يعرف الراحة الا في العمل ولا اللذة الا في الخدمة ولا خدمة الا بفائدة الوطن فلم يشغل ساعة من عمره الا في هذا السبيل وفي كل اثر جليل حتى خلد في الاهرام أثرًا يبقى ما بقيت الاهرام ويظل غرة في جبين الايام واذا

سئل عن حسناته عدّ منها ولا تعدّ وإذا سئل عن سيئاته اعجب الحبيب الا قوله
 حياة فضل ومجد ونفع وفضيلة ومبرات وحسنات وجد
 فكان الثامنة والاربعين وهي عمره كله مئات بجمعها من آثار فضله ما لا
 تجمعه المئون من مآثر غيره وكان تاريخ حياته مدرسة لنا - كما قال وقوله الحكمة
 البهجة « ان حياة السلف مدرسة للخلف » وقوله في اول فصل كتبه في الاهرام
 بتوقيعه « ان نقطة الدائرة في كل عمل ان يعرف الانسان ماذا يريد وما عليه وما
 يستطيع » فكان ذلك عنوان حياته حتى مماته

بل كيف نسطر في قليل من السطور مآثره في ستة وعشرين عاماً ومنها على
 صفحات الاهرام وحدها كل يوم آثار فلسنا اذا نفية حقه اذا طمعنا في عد مناقبه
 ولكننا نخفف بهذه الكلمات ما وقر على القلب من هول المصاب به اذ بالماثنا
 الى اعماله الخالدة ومناقبه الشريفة نبرد شيئاً من حرّ الاحزان وان ما نراه في
 الامة من استعظام المصاب به يعلمنا ان المرء ولو ميتاً يعيش بآثاره وعمله فكل
 منا يقول لفقيدنا العزيز

وكانت في حيوتك لي عظاتٌ وانت اليوم ابوعظ منك حياً
 فيا ايها الراحل عنا وقد كنت فينا الركن الركين لقد ثلمت بوفاتك حدّ الهمة
 والانشاط ودككت برحيتك طود المسكارم والتفضل واخرست ببيتك اصوات الحق
 ويا راحلاً عنا مودعاً بالافئدة والقلوب لقد خلفت لنا مع فضلك الباهر وادبك
 الزاهر شجناً مدمياً وحرزناً مضنياً فلئن غاب بدرك عنا افلاً فما زال سنا نورك
 بيننا كاملاً شاملاً فانت تيب عنا كما ييب والد الصنير فينا وأخ الكبير منا
 ومنيت ضيئنا ومسدد خطواتنا وانما نحن نصبر النفس بما نستدير به من سابق
 ارائك وكريم صفاتك نستعين بذلك على مواصلة العمل وخدمة اهرامك بالحق

والصدق فبمثل هذا نرضيك وانت في جو الآخرة ترقبنا عينك ويرمقنا ناظرالك
فسامحنا على التصغير عن ايفانك حقاك على صدر اهرامك المصدوعة القواد فانما
فضلك ظاهر بعد رحيلك ومبسوط بعد وفاتك في جو البلاد وعلى صدور العباد
تحرير الاهرام

مشهد القيد

ما ازف اصيل السبت و دنت الساعة الرابعة بعد الظهر حتى غصت الدار
بعيون القوم و صدور البلاد و خفت القلوب و انجست الانفاس و سكنت اللسنة
و ساد الخشوع بين الجموع ثم اقبل على القيد الآل و الاقرباء و هم يحترقون حزناً
و يذوبون دمعاً و اكبوا عليه و قبلوه القبلات الاخيرة و فيها من اللف و الحرارة ما
يعيد الحياة و يرد الارواح الى الاجسام الهامدة لو كانت الحياة تعاد و الارواح
ترد . ثم دخل المحررون و الكتاب و عمال الادارة فتودعوا بنفارة من ذلك الرجل الذي
كان لهم في المقام رئيساً كبيراً و في الحقيقة أباً غيوراً . ثم افسحوا لساير
الاصدقاء و الاحباء و لما انتوا عن ذلك الموقف المهيب و المشهد المؤلم علت النغمات
الدينية بما فيها من الهيبة و الوقار مؤذنة بنقل القيد من المرقد الزمني الى المرقد
الابدي فرفع النعش و في النعش الهمة و الجد و النشاط و الاقدام و و وضع على مركبة
فاخرة تجرها ستة من الجياد و وضعت عليه الملابس الرسمية لرتبة روملي بكار بك
ثم سارت المركبة بالنعش تحيط به الانظار الخاشعة و تحوم حوله القلوب الجازعة

ويتقدمه بساطان الرحمة بين ايدي ثمانية من علية القوم وهم اصحاب السعادة محمود باشا شكري رئيس القلم التركي الخديوي سابقاً وقليني باشا فحيمي مدير الاموال غير المقررة والمسيو جورج عيد قنصل البلجيك والمسيو قصيري كانشير قنصلية فرنسا في العاصمة والدكتور يعقوب افندي صروف احد اصحاب المقطم والمحاميات الشهيران نقولا بك توما والمسيو بريفا وعزتلو طوييا بك كامل مراقب الاموال المقررة في نظارة المالية فكان اجتماع هؤلاء الامثال على اختلاف المهن والاجناس كاشارة الى اشتراك جميع المال والنحل في الاسف والكتابة على فقيدنا الكريم وبلي البساطين نياشين الفقيه ثم سيادة المطران اثناسيوس ناصر الذي قدم خصيصاً من الاسكندرية للصلوة على الفقيه واتيف من كهنة جميع الطوائف الكاثوليكية وبيات الراهبات اليوسفيات وشرذمة من مشاة البوليس وكوكبة من الفرسان

ثم مشى وراء النعش نجل الفقيه صاحب امتياز هذه الجريدة فكان يجذب القلوب ويسترق العواطف لان المحبين كانوا يؤملون ان يروه ماشياً في الخلة الاولى الى جانب ابيه في الاعمال العظيمة لا في تشييع جنازته . ومشى ايضاً الى جانبه حضرة شقيق الفقيه عزتلو حبيب بك نقلا وسائر ذويه من الآل والمحربين

وكان في صدر الجموع المشيعة حضرة صاحب العزة علي بك كامل الموفد خصيصاً من قبل اميرنا ومولانا الخديوي العظيم - حفظه الله - فاضاف حضوره الى الموكب هبة على هبة بما نقل من عواطف الامير السامية وما حمل من دلائل تعطفه العالي . اما ارباب المراتب العالية وعديد الوجهاء والاعيان الذين شهدوا خروج النعش فكثير ما هم والذاكرة تخوننا في تعدادهم كلهم على اننا نذكر

منهم جناب المسيو لكونت متولي اعمال الوكالة الفرنسية والمسيو برتران فنصل
فرنسا في العاصمة والمسيو جورج عيد فنصل البلجيك والمسيو لويس الضو
الفرنسوي في صندوق الدين وغيرهم من القناصل وموظفي القنصليات . وسعادة
اسماعيل باشا صبري وكيل نفاذ الحقاية وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيل نفاذ
المعارف وكثيرين من الباشوات وارباب المقامات واصحاب جميع الجرائد اليومية
والاسبوعية ونخبة من كبار المحامين والاطباء والمالين والتجار من وطنيين واجانب
في ذلك الموكب زابل فقيدنا داره للرة الاخيرة تاركاً قرينة فاضلة لم يفارقها
من قبل الا ليود اليها بزيد الجاه ورفيع القدر وبميد الذكر . ونائباً ابد الدهر
عن أم ثكلى لم تكن تصبر على فرقة شهر . ومحللاً جريدتين لم تبرح خاطره طرانة
عين بل ظلتا موضع عنايته حتى لفظ الانفاس الاخيرة وفارق الدنيا

ومرّ موكب الجنازة على الترتيب الآنف الذكر في شارع عابدين فيدان
الاورا فشارع كامل فشارع وجه البركة والنظام تام والجموع الجمية محتشدة الى
اليمين والشمال والكل سكوت لا تتفتح افواههم الا لذكر منقبة من مناقب
الفقيد والارض كأنها تلين تحت النعش حتى لا تفلق راحلاً كريماً بذل دماء
القلب وسواد العين في خدمة هذه الديار ولما وصل الموكب الى الكنيسة الرضوانية
في قنطرة الدكة صلى على الفقيد سيادة المطران اثناسيوس ناصر ولقيف الكهنة
ثم سير بالنعش الى مدفن الروم الكاثوليك بمصر العتيقة يشيخه عدد عديد في
نحو مئة مركبة من بيتية ومأجورة فصلت عليه الصلاة الاخيرة في حضرة
الجمع . ثم وقف حضرة يوسف افندي البستاني المحرر في جريدتنا يسكب دمة
الوداع ويقول الكلمة الاخيرة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن اخوانه المحررين
وموظفي الاهرام فقال ما خلاصته

أيها النقيد الكريم والراحل العزيز . لا أريد الآن ان أبسط تاريخ حياتك الذي ملأته بالآثر والمفاخر ولا ان اعدد اعمالك الجليلة واياديك الجزيلة وانما اريد ان اقول كلمة وداع بالاصالة عن نفسي والنيابة عن اخواني وزملائي الذين يلتفتون حولك الآن وانت جثة باردة هادمة كما كانوا يلتفتون حولك وانت ممتلئ من الحياة . أريد ان أودع النشاط الذي كان يبث باشعته الى كل صوب ويستنهض فينا الهمم ويشدد الزنائم . أريد أن أودع المهمة التي كانت مصر تضيق عنها . بل أنبي ان أودع همماً تسري عن يده انوار اديبة منذ بضعة وعشرين عاماً ورجلاً عصامياً ارتقى الى اسمى المراتب وليس له تضد ولا سند سوى جده وكده وركناً أديباً ربى الصحابة طفلة حتى شبت وترعرعت . لا بل أود ان اودع اباً غيوراً ووضيئاً كبيراً

ثم أود ان أقول كلمة حق فوق رأسك وانت لا تحبني ولا تجامل ولا يمكن التزلف اليك وهي انك لم تطالب الينا ان نكتب كلمة او نخط حرفاً سبحانه المدة التي كنا فيها مهبط آرائك ومستودع امكارك الا اذا كنت معتقداً ان قولك حق وصدق - وحسب المرء الاعتقاد السليم - ولقد عرفت الامة مقامك ودلتنا على معرفتها جميلك بما اظهرته من الميل اليك والاهتمام بك ابان مرضك وبما شملها من الاسف عليك بهد ان نجتمعنا الدهر بفقده

فتقبل منا وداعاً أخيراً يا من كنت لنا اباً غيوراً فاننا لا نرى بعد اليوم عينيك البراقتين ولا نترك البسام ولا وجعك الطلق الصبوح ولن نراك ذاهباً ايماً تحمل الينا من الاخبار كل ما فيه خير للصحة العامة التي مت وأنت تجاهد في سبيلها

فانا نودعك الآن باسم الاهرام التي سألتنا عنها وأنت في حالة النزع
والاحضار . نودعك باسم المروءة التي كنت تظهرها لنا . نودعك باسم الحزم
والعزم والنشاط والهمة التي تمثلها لنفوسنا عبرة وتبصرة وقدوة
أما أنتم ايها الاخوان فتودعوا بنظرة اخيرة من هذا الطود الذي اندك
والركن الذي انهدم والمصباح الذي انطفأ ثم واروا في قيد ذراع الرجل الذي
لم تكن البلاد تسع نشاطه . الرجل الذي كنا نلقبه بالحركة الدائمة فاصبح الآن
جثة هامدة

ثم تلاه المسيو بول مانس رئيس تحرير اليراميد فودع الفقيه بالاصالة
عن نفسه والنيابة عن محرري اليراميد وعمله

ثم تكلم العالم الفاضل نقولا بك توما وكانت علائم الحزن الشديد بادية
على وجهه وكان صوته الرنان يتهدج من الجزع والالم فارتجل تأبيناً مسبباً
وقع اشد الوقع في النفوس لما تضمنه من الحقائق الباهرة في وصف الفقيه
وهذا محصل خطابه
ايها السادة

آل الي ان افف هذا الموقف بينكم والاسف ملء فوءادي فان الرجل
الذي اجتمعنا اليوم لوداعه كان مقدامنا في جلائل الامور ومقدمنا الذي نفاخر
ببنه وفضله وكان لي خاصة صديقاً حميماً فانا الآن ابكي منه الصفي الكريم
واؤبن العميد العظيم

ولد هذا الفقيه سنة ١٨٥٢ في قرية كفرشيا من ابوين كريمين فلما شب
وتأدب ورأى مجال الشرق ضيقاً على مطمح نظره حدثه نفسه الكبيرة
بالرحيل الى بلد يرحب بعزمه فجاء هو واخوه المرحوم سليم الى القطر المصري

واسسا فيه جريدة الاهرام وعانيا ما عاياه من المشاق في سبيل انجاحها
فادركا الغاية ولكن بعد مكافحة تقصر دونها همم الرجال وتمجز عنها عزائم
الابطال في ميادين النزال

وكان جديراً بالفقيد ان يختار هذا الاسم لجريدته وقد قلب نظره فلم
يجد شيئاً ادل على ارادته الثابتة مع تداول الايام وعزمه الراسخ على تناوب
العوادي من هذه الجبال المصنوعة التي تحار العقول في متانتها وجلالها
ولا يسعني المقام ايها السادة ان اذكر لكم ترجمة الفقيد تفصيلاً على انكم
تلمونها جميعاً ولكنني اخص من نتيجة حياته تاريخين يصحان قدوة للمقتدي
وعبرة للمعتبر

التاريخ الاول وهو الصنير ان سليم وبشاره نقلا لما افلح عملهما واجتمع
لديهما من المال ما يربو على حاجة الجريدة كان اول ما فكرا به ان ييرا بايها
في شرفه وسمعته وهو احسن ما يظهر به بر الابناء الطاهري الاعراق
بالاباء الذين نكبهم الدهر في اموالهم وذلك ان اباهما كان يتجر فربح وخسر
كما هو شأن المتجرين ثم تغلبت عوادي الايام على نزاهة مقاصده فخرج من
تجارته وقد خسر وبقي عليه مال لم تكن له حيلة في وفائه فرأى ابناه المشار
اليهما وهما غير مدعويين ولا مكلفين ان يفيا ذلك المال وان يظهر بالفعل ما
كان في ضمير ايهما بالنية

هذا هو التاريخ الصنير الذي يدل على ما كانت الفقيد عليه من خلق
الاستقامة

واما التاريخ الكبير فهو تاريخ جده وكفاحه وناهيك بهما من جد وكفاح
لم يجاره بهما احد

فقد كان الفقيه حين دخوله في معان الحياة وذلك منذ ربع قرن في زمن متأصلة فيه التقاليد مشيدة فيه البيوتات ثابت فيه اعتقاد الناس بان النبي واجاه هبة من الله خست بها اسر تتوارثها وانه لا مطمع لاحد من اهل طبقة دون هذه الطبقة ان يصل اليها

ولكن بشارة نقلا بما فطر عليه من صحة النظر في الامور الاجتماعية ادرك خطأ هذا الرأي وعمل على تقويضه في طب المعالي فبعد ان كان لا يجلس في مجلس شيخ القرية الا وهو محتشم توصل الى مواجهة اكابر السلاطين والملوك ومحاذة الامراء واتخاذ اصدقاء من الوزراء والسراء وفتح بتقدمه هذا باب التلاح رحيباً لطالبيه فتبعه جمهور من ذوي الهمم والاراء والعلم وان لم يلبثوا شأوه فقد جروا شوطاً بعيداً في ميدان الارتقاء وكان الفضل في ذلك عائداً اليه

هذا هو الركن الاول من ركني عمله الاجتماعي اما الركن الثاني فهو انه اول من أقدم في الشرح على بث فكره . وبقطع النظر عما كان ذلك الفكر فان اذاعة ما في الضمير كان أمراً كبيراً في ذلك الوقت الذي لم يكن اكابر الناس فيه يتسامحون بغير التحدث همساً بما يدور في خلدكم ولا سيما في مؤاخذه الحكام والشكوى من المنارم والمظالم

اما الآن فقد أصبح بث الفكر شيئاً مألوفاً وتمددت الصحف وكثر مذيعو الآراء ومقررو المبادئ المختلفة ومنتقدو الاحكام والحكام وطلاب الحقائق آلمت من آلمت والمدافعون عن المهضوم والمطالبون بحق الضعيف ولا يكاد الانسان يتفطن لما كان يحول دون ذلك منذ خمس وعشرين سنة من

المشاق والمخاوف فالفضل في هذه الخطوة الواسعة التي خطونهاها الى الامام
انما مرجعه الى هذا الفقيه

وفي اعتقادي ان ذكره سيكون خالداً وستردهه الالسنه والقلوب كلما ذكر
الجد واربابه وكلما ذكرت حرية الضمير ورافعوا لوائها في اطراف الارض
واعظم به جزاء للفقيه ونخراً واعظم بسيرته قدوة لكل مجتهد ماضي الهمة
طالب للمعالي بالسعي الحق والاستقامة

وعندما وصل الخطيب الى ختام موضوعه هذا التنت الى نجل الفقيه
وشقيقه الاسمين وعزاهما بارق عبارة والطف اشارة وعزى قرينته ووالدته
الثاكتين بما يلطف الشجن ويخفف الحزن

ثم اتجه نحو النش وخاطب لآخر مرة صديقه الراحل فودعه وداع الاخاء
الصادق والحب الشديد والاحترام الاكيد وكانت لكلمته الاخيرة رنة اسف
رددت صداها القلوب بين الضلوع وجرت على اترها سيول من الدموع
وعلمنا انه كان في نية بعض الافاضل الآخرين ان يؤبنوا الفقيه فقال
ضيق الوقت دون مرادهم

ولما انقضت تلك الساعة المشهودة وأودع الفقيه مرقدہ الاخير آب الجمهور
الغفير الى منزله يلهجون بذكر مآثره ومفاخره ويزنون آله الذين يقول كل
منهم بلسان الشاعر

تموت ولا اموت عليك حزناً وحق هواك خنتك في هواكا

ترجمته

هو المرحوم بشاره نقلا { باشا } ابن المرحوم خليل نقلا وندي نقلا ولد في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ في قرية كهرشيا من اعمال جبل لبنان اي بعد ولادة شقيقه المرحوم سليم نقلا { بك } بكر والديه بثلاث سنوات وكانت مخايل النشاط والذكاء والنجابة تلوح عليه وكان وهو طفل صغير يجمع صبيان قريته ويتولى رئاستهم ويذكرون من اخباره في حداثة سنه شيئا كثيرا يدل على نجابته ونشاطه وهو طفل لم تحل عنه التأمم ولما ترعرع ارسله ابواه الى مدرسة القرية يتلقى الدروس الابتدائية فلما اتمها أرسل وهو في العاشرة من عمره الى المدرسة الوطنية للمرحوم المعلم بطرس البستاني الشهير فامتاز على اقرانه بحدة الذهن وتوقده وبالنشاط والاقدام على حداثة وبشبات الجأش على صغر سنه ثم ارسله ابواه الى المدرسة البطريركية فأتم علومه وبعد اتمامها وكل اليه امر التدريس مدة لانهم كانوا يرون في ذلك العهد ان كل دارس يصير مدرسا فلم يكن التقيد — رحمه الله — يميل الى التدريس ولكن ابواب الاعمال كانت مقفلة في وجه شاب لم يدرك العشرين فترك المدرسة البطريركية في بيروت وتولى التدريس في مدرسة عينطورة مدة سنتين كاملتين وهو يرى ان ذاك البناء المحدود اضيق من ان يسع همته العالية ونفسه الكبيرة فترك التدريس وأراد الاتجار فلم يوفق به وكان المرحوم سليم بك نقلا شقيقه قد قدم هذه الديار سنة ١٨٧٤ وتقرّب الى رجال الفضل والنبل فاجلوه وكرموه وعرفوا ما في صدره من

مستكن الفضل والعلم فاخذ يسعى لنيل الامتياز بانشاء الاهرام من المرحوم اسمعيل باشا الخديوي فلاقى عقبات كؤودة لم ترد عزيمته ولم تصد همته الى ان فاز بامنيته وظهر بنغيته فكتب الى اخيه بشارة - فقيدنا - يستقدمه للاستعانة به على العمل فجاء الفقيه هذه الديار سنة ١٨٧٥ فاخذ يعاون اخاه ويعضده ويشجعه واذا حدثت ملة او امر جلال او مناهضة حتى اخاه بصدره وعرض نفسه لكل اضطهاد وركوب كل مركب خشن حتى ضربت الامثال بشجاعته واقدامه وكان اول عدد اصدره من جريدة الاهرام في ٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ فلقيا ما لقا من كساد هذه التجارة فلم يحجا . وفي ٢ ستمبر من تلك السنة عزم الفقيه على اصدار جريدة يومية باسم صدى الاهرام وفي ٩ منه صدر صدى الاهرام فكان موضوع اهتمام صاحب الترجمة لانه كان فيه متسع لبث افكاره يوماً فيوماً وفي ٩ يناير اجتمعت عمدة بورصة الاسكندرية وقررت الاشتراك بالاهرام وصدى الاهرام « لانها باكورة الصحف العربية » وكان الفقيه ينزع في كتاباته الى الحرية وطالب الاصلاح فتتف الحكومة في وجهه وتمنعه تارة باقتال جريدته وطوراً بتهديده حتى اكرهته ايماً على ان لا ينشر الا ما تسمح له بنشره واشدة وله بتقديم الحرفة التي اتخذها صناعة له أخذ منذ ٥ يناير من عام ٧٧ يترجم التلغرافات ويوزعها على المشتركين في الصباح وفي المساء فكانت المطبعة تشتغل ليل نهار وكان المشتركون يتلقون الاخبار سادة فساة ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية والروس وضاق نطاق صدى الاهرام اليومية والاهرام الاسبوعية عن وسع التلغرافات اصدر جريدة على شكل مجلة سماها « حقيقة الاخبار » كان يجمع فيها التلغرافات الواردة عن الحرب وخصص نصف دخل تلك المجلة بمساعدة الجنود العثمانية

وفي سنة ٧٩ حدث ما حدث في مسألة المالية المصرية ورأى التقيد الظلم المحيط بالصلاح المصري فانتفض قلمه في دوائه فكتب فصلاً بعنوان « ظلم الصلاح » لا يزال صدها يدوي في البلاد حتى الآن فبث اسماعيل باشا ببض الجنود للقبض على اخيه سليم فلما درى بذلك صاحب الترجمة ارسل اخاه الى الوكالة الروسية وذهب هو مع الجنود الى سراي عابدين وارضاها تنتفض جزءاً من غضب اسماعيل باشا فدخل غير وجل ولا خائف والخطر محقق به فامر الخديوي بسجنه فسجن ثلاثة ايام لم يقابل فيها احداً ولم يسمع من فم كلمة سوى صديق بذل للوقوف على احواله في سجنه كل وسيلة وعند خروجه من السجن وجد الصدى مقللاً فأصدر جريدة جديدة باسم الوقت وصدرها بمقالة لا يزال الكثيرون يذكرونها حتى اليوم

و اول فصل كتبه في الاهرام بتوقيه كان في ٢٠ نوفمبر سنة ٧٩ تكلم فيه عن سياسة ألمانيا وفي اواسط سنة ٧٨ توفي المرحوم والده وهو في الخامسة والستين فكان جزه عليه شديداً وكان والده مديناً لبض الناس في سوريا لانه خسر بالتجارة ولم يكف ما يملكه لدفع ما عليه فاتق مع اصحاب الديون ولكن التقيد ابى الا ان يفي ما تنازل عنه اصحاب الديون فسافر في سنة ٨٠ الى سوريا واخذ يبحث عن اصحاب الديون فدفع لهم ما لهم على ذمة والده مع الزوائد وكان قد مضى على دينهم ٣٠ سنة وكانوا قد اتفقوا مع والده على التصفية وهو امر لم يسمع بمثله حتى ان الدائنين سألوه ان يدفع رأس المال دون الزوائد فأبى الا دفع رأس المال وفوائده

اما اول رحلاته الى الاستانة فأوروبا فانها كانت في ٢١ اغسطس سنة ٨١ اذ برح الاسكندرية ماراً بأثينا فاذمير فقابل الوزراء والعطاء لان المسألة

المصرية كانت في إبان اشتدادها فراح يستطلع طلع حالها من المقامات العالية ولما رأى أنها انتقلت من الاستانة الى باريز وندرا ام تينك المديتين وله منها عن المسألة المصرية رسائل لا تزال الحقيقة الثابتة وتعد شيئاً من معرفة المستقبل

وفي سنة ٨٢ عاد الى مصر فاجله سمو الخديوي واعترف بجليل خدمته فانعم عليه بالرتبة الثانية

وبعد حدوث مذبحه الاسكندرية في تلك السنة هاجر الفقيه الى سوريا وما استقر به المقام حتى عاد الى الاسكندرية والدمار مخيم فوقها والثأرون قد أحرقوا مطبعته وداره فاصدر الاهرام وحده في احدى المطابع وكان رحمه الله يحدثنا عن نفسه انه كان يكتب الجريدة ويقابل سمو الخديوي يومياً ويصنع طعامه بيده لان الاسكندرية كانت خالية وليس فيها ساكن وكان العراقيون يناهضون الاهرام لانها كانت مخصصة لسمو الامير ومادية لهم اذ عرفهم يهدمون الوطن ويمدون للانكيز هذا الاخلال الذي نراه فظل يتحمل هذه المشاق وحده شهراً ونصف شهر ثم دخلت الجنود الانكليزية العاصمة وسكنت البلاد وعاد شقيقه من سوريا فابتاعا مطبعة واستأنفا العمل

وفي سنة ٨٤ سافر الى لندرا لحضور المؤتمر الذي عقد فيها لحل المسألة المصرية فجاهد هناك بين الوزراء والسفراء والمندوبين حق الجهاد وكانت تفرغاته اليومية للاهram تملأ عموداً من اعمدها ولما رأى اعيان البلاد خدمته هذه تألف منهم وفد من ذوات الاقاليم المصرية ونوابها في مجلس شورى القوانين والمجالس الوطنية العمومية فزار ادارة الاهرام واهدى الفقيه سائة

مكتوباً عليها | اهرام — شائر وطنية سنة ١٣٠١ — بشاره بك نقلا | وقدم
له هذه الرسالة وهي بنصها

جناب الاكرمين الفاضلين صاحبي العزة سليم بك نقلا صاحب ومحرر
جريدة الاهرام البهية وبشاره بك نقلا مديرها اطال الله بقاها

بعد التحية والاکرام . انا ما برحنا نطالع جريدتكم الوطنية عما يتعلق
بالمسألة المصرية وتوابعها وان الخطة التي سلكتها في سبيل الدافعة عن
حقوق مصر والمصريين هي خطة حميدة تدعو كل وطني الى ابداء الشناء
الجميل وان جريدتكما اظهرت حقيقة حالة هذه الديار واتت بجميل بيانها على
ابداء وسائل الاصلاح بما يبق لكما الذكر الطيب الذي لا يبرح مقروناً بالاعتبار
لسعيكما المشكور ومحافظتكما على عهد الاخلاص والصدائة والوطن الهمننا الله
جميعاً الى ما فيه التوفيق وحسن العاقبة والسلام

وتألف وفد آخر من الاسكندرانيين من ذواتهم ونوابهم في مجلس الشورى
وزار ادارة الاهرام وقدم للفقيد ساعة مع الرسالة الاتية
سعادة سليم بك نقلا صاحب امتياز جريدة الاهرام وبشاره بك مديرها
المكرمين

« خير الناس من ينفع الناس . وخير الشرف ما تولاه صاحبه عن اخلاص
وحرية في سبيل الذود عن الحقوق الوطنية والمصاحبة العمومية . ذلك ما تيناه كل
التبين في اسلوب جريدتكم الفراء الاهرام وقد سلكتما فيها مسلك الجد والثبات
بدفاعكما عن الوطن وخدمتكما البلاد بالاخلاص والصدق وحسن الرأي مما طبع
على افئدتنا حسن ذكره . فكانت بما اثبتته في محاماتها عن الوطن ناطقة بلسان
ابناء القطر وذويه الصادقين . واذ لم يكن لهم بد من مقابلتهم اياديكما بالشكر

رأينا ان نرسل اليكما كتابنا هذا شاهداً عدلاً على امتناننا من جريدتكما مشفوعاً
بتذكركم لانظر فيه الى حقارة قيمته بل الى حسن الغاية التي استمدت اليه حيث
قد سطر عليه هذه العبارة [اهرام - شعائر وطنية - سنة ١٣٠١] فاقبل ايها
العزيران ذلك وتأكدنا اننا حافظون لكم الذكر الجميل الذي يخلد في بطون
التاريخ الجليل وعلى المنتقد ان يراجع ما سطر باهرامكما والله ولي التوفيق »

فاستاءت الحكومة من ذلك شديد الاسياء واقفات جريدة الاهرام في
٢٠ ستمبر سنة ٨٤ بحجة ان مديرها فقيدنا كتب فصلاً قال فيه ان الحكومة
المصرية لا تخدم مصر بل انكثرت الخ

وتفصيل ذلك ان الحكومة تأملت جداً من عمل مجلس شورى ونواب
الامة فارادت مناهضة الاهرام لتخيفه وتسكته عن الدفاع فاجتمع النظار
برئاسة نوبار باشا واصدروا القرار الاتي الذي لا يخلو ذكره من فائدة وعبرة
وهو بنصه

« نظراً لان جريدة الاهرام نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش
سلطة واعتبار الحكومة الخديوية

ونظراً لان العدد الصادر من هذه الجريدة بتاريخ ١١ اغسطس سنة ٨٤
نشر فيه مراسلة من لندن من هذا القبيل أشد طعنًا مما سبق نشره فيها الخ
تقرر ان يصير تعطيل الاهرام مدة شهر الخ »

ومن قرأ هذا القرار ظن ان في رسالة ١١ اغسطس شيئاً كبيراً ولكن
في رسالة فقيدنا لا يوجد غير هذه العبارة وهي بنصها

استلقت انظار حضرات القراء الى ملاحظة ما يأتي . ذلك ان المستر هيلي
النائب الارلندي قد سأل الحكومة في جلسة امس هذه الاسئلة

« أصبح ان المستر لويد نشر قانون البوليس بمصر قبل ان يعرضه على مجلس شورى القوانين واذا لم يكن ذلك صحيحاً فلماذا اقام المجلس المذكور الحجة على اجراءات المستر لويد ونشر نص حجته في الجريدة الرسمية أصبح ان المستر لويد كان حجر عثرة للمجالس الاهلية على حين يدعي الانكليز انهم لم يخلوا مصر الا لتعظيم ابناء الوطن أصبح ايضاً ان المستر المذكور اهتم في حالة وصوله الى مصر باقتال ابواب مجلس الشورى »

فالمحلون ظنوا ان فقيدنا هو المدير لهذه الحركة في مجلس نوابهم وانه هو الذي يكشف القناع عن اعمالهم فأوعزوا الى الحكومة باضطراده ففعلت مستندة على سبب ليس بالسبب

ولما اتصل الخبر بالفقيد وهو في لندن قصد باريس وفاوض نظارة الخارجية بالامر وشدد عزيمتها لتعضده وتؤيد مطالب شقيقه لانها كانا في حماية فرنسا ففعلت ونال الترضية التامة بعد اصرار نوبار باشا على عدم الاعتذار الى قنصل فرنسا

وفي سنة ٨٧ سافر الفقيد الى الاستانة للوقوف على مسألة قبرس وبعض شؤون المسألة المصرية فمر ببلاد اليونان فأجله كبارها واحترمه وزراؤها ثم سافر الى ازمير ومنها الى الاستانة فاطلع على اسرار مسألة قبرس كما بسط ذلك في رسائله يومئذ ثم قابل نخامة الصدر الاعظم والتمس مقابلة الحضرة السلطانية فقاز بامنيتها وقبل ان يمثل امام جلالته امر جلالته بان يهدى النشان المجيدي الثاني . ولما مثل بحضرة سأله رايه في المسائل الافريقية فابداه فقيدنا بكل صراحة فسر جلالته السلطان به سروراً كبيراً وقال له « اني لا أشك

بصداقتكم لدواتي العلية ولي على ذلك اكبر شاهد جريدتكم التي اقرأها كل يوم فتابروا على خطتكم هذه واعلموا اني اكفيء عبيدي المخلصين «
ثم أمره بارسال جريدة الاهرام باسم الحضرة الفخيمة السلطانية فصعد بالامر وهي لا تزال الى اليوم تتشرف باعجاب مولانا السلطان باسم جلالاته الخاص

وبرح فقيدنا الاستانة الى اوروبا فزار عواصمها حتى وصل الى عاصمة الروس وكان سفير الدولة العلية هناك دولتو شاكر باشا قدمه لمستشار الامبراطورية الذي لبث عنده ساعة ونصف ساعة فحدثه عن مسائل الشرق وعن المسألة المصرية فأعجب المستشار بآرائه وبسمة اطلاعه فأمر بان تفتح له دار التحف والمكاتب القيصرية ليشارك ما فيها ووعد بان يقدمه للقيصر ولما احتفل بانزال بعض الدوارع الى البحر دعاه مستشار الامبراطورية الى هذه الخلة فحضرها مع السفير العثماني فاهدى اليه المستشار رسوم تلك الدوارع تذكراً له واعجاباً به واستعرض القيصير الجنود فاغتم مستشار الامبراطورية الفرصة وقدم فقيدنا للقيصر واثني عليه بحضرة جلالاته

ثم غادر بطرسبرج الى مدريد وكان سفير الدولة العلية هناك وقتئذ طرخان بك فقدمه للوزراء والعطاء وفي شهر ديسمبر من تلك السنة عاد الى الاستانة وطلب الانعام على شقيقه سليم بك بالنشان المجيدي الثاني اسوة به لانه لا يشاء ان يكون اكبر رتبة من شقيقه فأجيب طلبه وعاد الى الاسكندرية ليكافح ويجاهد في خدمة مصر والمصريين كما تشهد اعداد الوقت والاهرام ولم ينس فقيدنا البلدة التي ولد فيها وهي بلدة كفرشما بل انه زارها فألف فيها جمعية خيرية وجعل لهذه الجمعية راتباً سنوياً يدفعه لها وانشأ هناك معبداً

اعطاه للرعيانة البلدية وذهب منذ سنوات لافتتاح المعبد فقرر انشاء مدرسة الى جانبه لتعليم النقرء مجاناً

ومن عوائده انه يوزع الصدقات في بلده كل سنة مرة اما خدمته لكل محتاج وغيرته على كل انسان يلجأ اليه فانها لاشهر من ان تذكر ولربما ذكر ذلك عند تلاوة هذه السطور الوف في مصر ومما فعله قبل مرضه بايام قليلة انه كان يجالسه محرر هذه السطور فدخل عليه رجل كهل فسأله عن حاجته فقال اني رجل اطب عملاً لاني بلا عمل واعرف الفرنسية والانكليزية والعربية وعيلتي بحاجة الى النفقة فاجابه ان محلي ليس بحاجة الى عامل ثم اطرق قليلاً ونهض من على كرسية فاخذ عصاه وخرج وخرجت معه والشمس تصهر الاجساد فما رأته في جميع الدوائر والادارات التي دخلها إلا طالباً عملاً لهذا الرجل الذي لا يعرفه فما نال يومه ذلك غير الوعود فلم ترضه وبات ليلته كلها منكراً ضجراً اذا حدثناه يكاد لا يصغي الينا واذا تكلم فعن الرجل الذي جاءه يطالب عملاً وعيلته بهوز واحتياج فما جاء ظهر اليوم الثاني حتى كان الرجل في عنقه يأخذ راتباً كبيراً ويحبل كثيراً ولا نذكر هذا الا دليلاً على ما كان في صدره من الغيرة على قاصديه وطالبي مساعدته

وفي شهر اكتوبر من سنة ٨٨ زار فقيدنا الاستانة فنال حظوة كبيرة في عيون الوزراء وتشرف بمقابلة الحضرة السلطانية وتلقى منها هذا النطق السامي ونصه .
« اني عارف بصدق ووطنيتكم واخلاصكم وجريدتكم التي اقرأها في اوقاتها
اكبر شاهد على ذلك لاطرادها طريق الاخلاص في الخدمة الوطنية واني
ساهر ابداً على حقوق الامة والوطن ومهم في اصلاح الشؤون والاحوال
فتباروا اتم على خطتكم هذه الوطنية فليس يفوتكم التفاني لاني اكثري الصادقين

بما يستحقونه» وبعد هذا النطق الشاهاني امره بالاقامة في الاستانة الى ان يحضر حفلة السلامك فصعد بالامر وقبل ان يحضر تلك الحفلة انعم عليه جلالة السلطان بالرتبة الاولى من الصنف الاول وبعد حفلة السلامك زار فقيدنا الماين مودعاً فصدر الامر السلطاني بان يرفق باحد الياوران الكرام ليريه دار الخزانة العثمانية وتحف آل عثمان وعروش السلاطين وما في الكنوز من الجواهر وهي حظوة لم ينلها واحد قبله من الرعايا العثمانيين

وفي سنة ٨٩٠ هـ برح النقيب مصر الى اوروبا فلما حل بمرسيليا هداه الحظ الحسن الى عقد خطبته على قرينته القاضة دون سابق عزم او عقدة نية على الزواج لان النقيب كان - كما حدثنا عن نفسه - لا يفكر في ان يتزوج ولا عجب فان قواه وافكاره ودقائق حياته كانت كلها منصرفة الى الشغل والكمد والجد والاهتمام بالاهرام وخدمة الاوطان فكان من توفيقه عقد تلك الخطبة في يوم هو الان تذكرا نعيمه ١٢ سنة كاملة يوماً فيوماً وتذكرا اشجاننا ومصائبنا به لان خطبته عقدت في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٩ وتوفي في ١٥ يونيو سنة ١٩٠١ وبعد عقد الخطبة تزوج وسافر مع عروسه الى جهات ايطاليا وسويسرا وباريس وعند حلوله بباريس وصل جلالة ناصر الدين شاه العجم فتتبرف النقيب بوزيره الاكبر ثم قابل الشاه مقابلة دامت طويلاً فحدثه عن سياسة اوروبا والشرق وافكار السياسيين وما عرفه وما وقف عليه فسر الشاه كثيراً وعجب به كل الاعجاب وانعم عليه بنشان شير خورشيد وقال له « اذا كانت اقوالك هذه ردد صداها الاهرام بقانا اشرك بخمسين نسخة من جريدتك لانها عمارة السياسة الصحيحة الصادقة »

وفي ١٠ ستمبر من تلك السنة وصل دولة ولي عهد الاريكة المصرية

(سمو الخديوي عباس الحلي) الى باريس ليزور الممرض زيارة رسمية فاحتفت به وبأخيه
الحكومة الفرنسية كل احتفاء وأعدت أكراماً له مأدبة شائعة كان الفقيد في
اول المدعوين اليها ولم يحضرها من ارباب الصحف الا هو ومدير جريدة الطان
وفي سنة ١٨٩٢ زار الاستانة وهو يقصد اوروبا للاصطياف فتشرف
بمقابلة الحضرة السلطانية مقابلة خصوصية وقبل ان يدخل على ذاتها الكريمة
انعمت عليه بالنشان المجيدي الاول فتقلده ودخل القاعة التي يقيم فيها جلالاته
وكان يتلقى النطق السلطاني بواسطة السيد ابي الهدى فسأل جلالة السلطان
ان يفضل بسماع كلامه دون وسيط فاجاب ملتصقاً وعهد ذلك امراً فوق
المادة تحدثت به الصحف الاوروبية ومكث التقييد بحضرة الذات الشاهانية
نحواً من ساعة فبسط لها كل آرائه في الاصلاح وما يظن ان فيه خير الدولة
والوطن وكتب الكلام الذي القاه عن الاصلاح ومن جملة انشاء السكة الحديدية
الى الحرمين كما هو مسطور في الازهار

وقبل خروجه من الحضرة السلطانية انعم جلالاته بالرتبة الاولى من الصنف
الاول على المرحوم سليم بك نقلا شقيق الفقيد وبشأن الشفقة على قرينة الفقيد
وبالرتبة الثانية على عزتو رشيد بك شميل مكاتب الازهار في القاهرة وبالمجدي
الرابع على المسيو كرسنت مكاتبها في باريس

اما النياشين التي نالها من الملوك والسلاطين فهي النيشان المجيدي الاول والثاني
والثالث من جلالة السلطان ونشان اوفيسيه دي لاجيون دونور من حكومة فرنسا ونشان
الاكاديمي من جمعية العلوم ونشان استنلاس من دولة روسيا ونشان المخلص من
دولة اليونان ونشان ايزابل من دولة اسبانيا ونشان شير خورشيد من دولة العجم
ونشان الافتخار من باي تونس الخ الخ

ونال من جلاله مولانا السلطان غير الرتبة الاولى من الصنف الاول
رتبة روملي بيكاركي وكفى بما ذكرناه دليلاً على ما كان عليه فقيدنا من
رفعة المقام والحظوة عند السلاطين والملوك والامراء والوزراء فلم يباره صحافي
في مضماره ولم يصل شرقي الى ما وصل اليه بجده ونشاطه وفضله وفقيدنا
مذكرات عن ربع قرن تعد تاريخ السياسة في الشرق والغرب وبنوع اخص
في مصر لا تصل اليها ايدينا الآن فنحن نكتفي بأخذ ما اخذناه من الاهرام
فاذا تسنى لنا في المستقبل استخراج ذلك المكون تخمنا ببعضه القراء في مجموعة
ستطبع على حدة كما قلنا في عدد امس

ولقد انصفه حضرة اللوذعي العالم الفضال عزتو نقولاً بك توما اذ ابنه فقال
« ان فقيدنا على رفعة قدره وعلو مكانته في ذروة اعظام الرجال وعلى حلمه
ولطفه ورقة طباعه واتضاعه في معاشره العامة والخاصة لم يداخله الكبر ولا
عرفته الخيلاء ولا فارقه الاتضاع ولا رفع نفسه بنير فضله وفضائله وشمائله عن
سائر الناس »

اما اخلاقه التي عرفناها ونحن اقرب الناس اليه فهي الاتضاع والمجاملة والرافة
والحنان وسلامة النية وطيب السريرة وحب التفضيلة فكان باتضاعه ينكر علينا
تلقينه اذا خاطبناه وبمجاملته كواحد منا في العمل ومشاطرة كل امر وبرأفته كواحد
من عملة كل عامل ومشتغل بادارته يهيمه امر كل واحد ويعتني بكل شخص
وبحنانه كالام او كالكاب فاذا مرض عامل او أصيب بمصاب جعل تأسيته
وتخفيف مصابه شغله الشاغل واهمل كل عمل وامر إلا مساعدهه وكان بسلامة
نيته وطيب سريرته لا يصدق عن عامل اذا خانته او مستخدم اذا قصر ويدهش
لمثل هذا اذا بيناه له باوضح برهان وقد يرى من واحد ضرراً باعماله فيفيض

طرفه لثلا يرى ومما نذكر في ايامه الاخيرة ان مستخدماً اخل بالامانة فلم يشأ ان يخرج من الادارة فلما ارتكب هذا المستخدم جريرته ثانية ولم يبقَ للادارة صبر على ابقائه سلم معنا بطرده على شرط ان يعطى راتب شهر يستعين به على معيشته الى ان يجد عملاً واشترط ايضاً ان يخرج ذلك العامل وهو غائب في الاسكندرية لانه يعز عليه ان يراه خارجاً من عمله

وكان التقيد متقد الذهن فكان اذا وصل البريد الاوروبي يأخذ الجريدة والقلم بيده فيضع علامة على ما يريد نشره وهكذا يقرأ الاعداد الكثيرة من جرائد مختلفة ويدفعها للترجمين فاذا عرضت عليه الترجمة عرف مواضع الخلل ولو في كلمة الامر الذي كنا ندهش له ويستغربه الكتاب والمترجمون وما رأيناه يوماً خط سطرًا او اشار على واحد منا بكلمة الا وهو معتقد تمام الاعتقاد انها الحقيقية وما اراد يوماً خط سطر الا واقلام التحرير متفقة على انه الصواب وكانت الاستشارة عنده ركن كل عمل وكان يأنف كل طعن في الافراد فكنا اذا تولت الحدة اقلامنا الرد على معتد نختلس لذلك فرصة غيابه او غفلة منه فنكتب ما نكتب ونحن نتوقع منه توبيخنا ولما انتظم كاتب هذه السطور في خدمة الاهرام كانت اول وصاياه له « اذا رأيت ان كلمة نقولها يخسر معها شخص قرشاً وتربح الاهرام آفاقاً فلا نقلها ولو خسرت الاهرام فوق الريح المنتظر اضعافاً واعلم ان الشرق هو وطننا وفي الشرق محصورة خدمتنا وخدمة الوطن هي ضالتنا نشدها في كل آن ولا محابة ولا مراعاة فالاهرام وقف على ذلك من يوم وجدت ولا تبدل خطها »

هذا ما نقوله للقراء الكرام ياناً لحن فقيدنا وفقيدهم ودرسا لسطوره على صفحات الاهرام بايدينا لانفسنا فيكون نصب عيوننا منهج الاهرام في كل حال

فاللهم ايدينا بروحه بروح من عندك وأعضنا عن فقدته الثبات في الخدمة التي
وقف عليها نفسه حتى آخر نفس تصاعد من صدره واسكنه فسيح جناتك جزاء
حسناته ومبراته فانت العوث المحيب وعليك وحدك الاتكال

جناز التاسع

أقيمت في الساعة التاسعة من صبيحة اليوم صلاة الجناز عن نفس فقيدنا العزيز
فتولى الصلاة سيادة الخبر النبيل اثناسيوس ناصر يعاونه حضرات الاباء الاجلاء
وتوافد الى المعبد الاهل والاصدقاء والكبار وبعض القناصل والاعيان وارباب
الصحف والاقلام وكان المعبد مجللاً بالسواد وفي وسطه النعش تحيط به الشموع
المسرجة والى جانب النعش نجل فقيدنا وصاحب امتياز الاهرام ترمقه العيون
ويعوذه الدعاء ويحيط به التمني والامل ثم شقيق فقيدنا فالآل والموقف مهيب
وذكر الخسارة يدمي القلوب ويرسل الدموع عندما والقلوب والابصار خاشعة
والنفوس ضارعة الى الملجأ الوحيد والمبدئ المعيد من تأبى احكامه جلت حكمه
إلا التسليم لما يشاء ويريد فدامت الصلاة نحواً من ساعة والضراعة ترفع الى
العرش الالهي بان يسكن فقيدنا جنات خلدته ويجزل ثوابه عداد حسناته
وبعد ختام الصلاة وقف حضرة خليل افندي المطران صاحب
المجلة المصرية بل صديق فقيدنا الشاهد مدة ثماني سنوات صرفها في معاونته
في عمله على جليل اثاره فالتى الخطاب الآتي يقطع صوته شديد

التأثر من هية الموقف وهول المصاب ولوعة التفجع وتباريح الحزب فقال
أيها السادة

دفعناه مبكياً نضير شبابه ومبكية آدابه وفضائله
كأننا نواريه الثرى كل ساعة أسي وكأنا كل آن نزائله
هوى بين ايدينا وقد ودت المنى لو ان لفضل ساعداً فهو ناشله
كما سقطت في البحر درة باخل احاق به يم من اليأس شامله
فراح يعيد الطرف لاهو صابر ولا هو يدري أي امر يحاوله
يزيد مياه البحر سائل دمه ولا يدرك الشيء الذي هو سائله

اللهم لا اعتراض على احكامك ولكننا حيارى جزعون

قد اذهلنا هذا المصاب حتى عي اللسان وعصى القلم وجد الذكر . أفيما بين
مساء وصباح عميد وطن يهوي ومنار أمتين يُطفأ وبيت مجد يتداعى وصحيفة
عمر حافل بجليل الاعمال تطوى وتاريخ خمس وعشرين سنة يختم
أفيما بين صباح ومساء يصبح الطفل يتيماً والمرأة أيتماً والأُم تكولاً ويصبح
الرأي الذي كان عملاً والعمل الذي كان رجلاً والرجل الذي كان فرداً في ملائ
شيئاً من الهوى الجامدة في رسم ساكن

نعم أيها السادة والريب كاذب مات بشارة نقلا باشا - مات مؤسس
الصحيفة في هذا الشرق الاسيف . مات العامل غير التعب . الجواد غير المنان .
الصادق غير المدهن . الصديق غير المداجي . مات نصير المظلوم وعدو الظالم
مات قدوة الابناء والآباء ومثال البعولة الاوفياء

ولولا ان الجزع عليه يقبض صدري ويشد وثاق فكري لحدثكم طويلاً
عما علمه من فضائله ولم آت على شيء يذكر منها

ان قسماً من حياة هذا القعيد تاريخ مكتوب يوماً يوماً في الاهرام
منذ خمس وعشرين سنة وهو القسم الشامل لعمله السياسي والاجتماعي وقسماً
آخر لم يسجل له في صحيفه ولكنه مكتوب فقراً في قلوب جميع الذين عاشوه
ووادّوه وعرفوه بمرؤته وفضله وهو القسم الشامل لاعماله الخاصة به وبالافراد
الذين كانت لهم به صلة

كان رحمه الله واسع العلم والخبرة بالسياسة عارفاً بفنونها واساليبها متضلماً
من تواريخها بصيراً بأسرارها وقلماً اخطأ له رأي فيها وكان يتفق لي اثناء معاونتي
له في تحرير الجريدة ان اقرأ في اكبر صحف اوروبا فصولاً بتواقيع اشهر
رجال السياسة فاذا هي عين ما يكتبه في المواضيع الحادثة وذلك لصحة حاكمته
وتسلسل الحوادث غير منقطعة في ذهنه ولشدة ذكائه النادر الذي كان
يتناول به كليات الامور من جزئياتها وخواتمها من فوائدها وكان مشهوراً
بشأته على مبادئه لا يحول عنها وان ندعها قليلاً لامر نقضي به حكمة فلا
يلبث ان يعود اليها . ومعلوم ما عاناه دونها من المشاق وما تعرض له من
الايثار فكانت لا تزيد الا تشبهاً بها وجرأة في الذود عنها

وكان يجب مصر جاً خاصاً ويحاول ان يجعل سفره كل عام الى اوروبا
ضرباً من السفارة لخدمتها فيتكافى مقابلة الملوك والزعماء الاعاظم في كل
بلد ويباحثهم عن مصر ويصف لهم ما خفي عليهم من احوالها ويستمد مودتهم
لها ولا اذكر منذ ثمان سنين اني خلوت به مرة او رأيته مع صديق له
ذي شأن ايا كان مكان اجتماعهما الا كان حديثه عن مصر او عن امر
ترجع منه فائدة اليها ولهذا كان عمله مبنياً على الاعتقاد والاعتقاد اساس
الحب والحب اعظم باعث للهمة وافضل مؤثر في البلاغ

وليس في الحوادث اصدق شاهداً على ما اقدمه من الحادثة التي جرت
 للاهرام اخيراً في مسألة البورصة فان التقيد بجزائره التي لا مثيل لها خاض
 منها غمراً وركب بحراً وهو لا ينظر الى ما حوله من الجموع النافقة بل
 ينظر الى غاية واحدة وهي انقاذ البلاد من موبقات المضاربات وقد افلح
 بعد الجهد وفاز فوزاً باهراً بما روي اليه من القصد اذ عرفت محكمة الاستئناف
 الخلطة اصابة فكره واصالة رأيه فايدته بحكم جاء حاسماً للنزاع قاطعاً لقول
 كل خطيب ومكذبا نجا القطر من مصيبة فادحة وكارثة فاضحة

ومن نتائج سياسته هذه الحياة الجديدة التي نراها في الامة المصرية
 فلما كانت قبل صدور الاهرام بعيدة عن هذا العهد بعد مئات من السنين
 فلما تولى ارشادها وجهر بصوته لايقاظ المهمل النائمة فيها وعودها ان تقرأ
 حوادث كل يوم وتباليها مبالاة المستبصر المستفيد واشربها حب الحرية وافهمها
 معناها ووضح لها بعمله وبقلمه طرق استخدامها نهضت نهضتها التي تحسدها
 عليها الان سائر امم الشرق وكان اول علامة تلك النهضة شعور المتقدمين
 في الامة من اعضاء شوارها وجمعيتها العمومية بواجب يتعين عليهم مكافأة
 لخادمي الوطن الامينين سليم وبشاره ثقلاً واهدائهم اليهما تينك الساعنين
 الذهبيتين المكتوب عليهما بحروف من الالاس « شعائر وطنية »

ومن نتائج سياسته ايضاً تعدد الصحف حتى انافت على المئة الان
 بعد ان مهد لها السبيل وغير خاف ما للصحف من العمل الجليل في ازالة
 الافكار ودفع المظالم وتقرير الحقائق

ومن نتائج سياسته وهو الامر الاجل ادراك الجماعة المحكومة انها
 ليست بقطيع انعام يملكه الحاكم وان كل من لم يتعد القانون منها ملك في

بيته وفي دائرتي عمله وفكره يستبد في شؤونه كما يشاء. وانه فضلاً عن ذلك
 مسيطر على الحاكم يطالبه بحقه كما يطالبه ذلك بمقتضيات القانون المسنون له
 واذا كان هذا شأنه في السياسة وهذه بعض النتائج الكلية التي تولدت
 منه فان عمله الاجتماعي لم يكن اضيق نطاقاً ولا اضعف ثماراً فان بشاره نقلاً كان
 منذ ربع قرن على ما ذكره صديقي العالم نقولا بك توما اول من نبذ
 التقاليد ظهرياً وأول من رأى ان الدنيا مجال واسع للمجتهد وأول من حمل
 الراية بين قومه في طلب المعالي فاخذ البر نهياً والبحر وثباً وسار في طريقه
 الوعرة حتى ادرك سلم الارتقاء فصعد جاهداً غير وان والراية لا تزال في
 يده يراها الجميع تملو وكلما علت ورف ظلها واتسع لمن ينضم تحتها من طلاب
 الجهد وذوي العلم والاقدام والجد. وهكذا سما التقيد فمن بشارة نقلاً بلا
 لقب الى بشاره نقلاً باشا بكركي ومن الرداء الساذج الى الرداء المحلى باربعة
 عشر وساماً ومن الاحتشام في مجلس شيخ القرية الى الانطلاق في مجلس
 اعظم السلاطين والملوك

ولم يكتف بان يكون قدوة للناس اذ ان كبار الرجال تزن همها وتترف
 مقاديرها ولا تقيس بها همم الاخرين فاراد ان يكون للمقتنين اثاره والمخندين
 على مثاله عوناً ونصيراً ولا اذكر في خلال المدة الطويلة التي عاملته فيها
 انه خيب املاً او رد قاصداً عظم مطلبه ما عظم وعز املة ما عز على
 انه كان مثلاً بالبروءة والاقدام فلا ارى حاجة الى المزيد من البيان
 وكانت له في المجتمع آراء لم يتطرف فيها الى ما يجاوز منة الاهلين
 وصبر الحكومة في مثل هذه البلاد القديمة العهد بالخير والاستبداد ومحصل
 تلك الآراء ان الفلاح مظلوم في ماله وتربته وينبغي عليه ان يعرف هذا

الداء ويعرف ان له دواء هو في يده لا في يد قاده فان كان هو صابراً
 ذليلاً جباناً دون حقه كان الموتى عليه مطعماً طلاباً جريئاً عليه بالمغارم والا
 كان الامر على العكس ولهذا كان ابداً ينبه الفلاح ويناضل عن الفلاح ولا
 يدخر وسعاً في اصلاح حال الفلاح ومن أجل الفلاح أو شك السيف ان
 يدق عنقه باشارة من المغفور له اسمعيل لو لم ينذره بقوله وهو نهاية الشجاعة
 « ايها الامير ان دون رأسي عرشاً يثله الظلم على نفسه » . وكان يقول ان
 الفلاح من حيث هو اساس الامة فهو الذي يرجى لترقيتها دون السراة
 الذين لا يشعرون بوطأة الجور كما يشعر هو بها ولا يعرضون الكثير الذي
 لديهم بمثل ما يسهل عليه ان يعرض يسير ما لديه في احداث حدث عام
 نافع وكان شديد الرغبة في تعميم العلم بين العامة ولكن على الطريقة المثلى
 وهي التي لا تبعد عن مزاولة الحرف والقيامه على الارض الا التابعين
 الذين كان اكثرهم في كل زمن من ابناء هذه الطبقة بين الناس . وكان
 لا يميل من الدعوة الى العناية بالصناعة وتوفير اسبابها وتكثير معاملها وتدريب
 الكثيرين عليها وهذا كله نقرأه في الاهرام بقلمه منذ البدء كما نقرأه في
 مکتوباته الى ايامه الاخيرة . وكثيراً ما كان يكرره ويؤيده في احاديثه مع
 أولياء الامر من اسماهم مقاماً الى ادنامهم اقتداراً وقد حصل من امانيه هذه
 على نتائج عظيمة كلنا شاهدها ولا جرم ان له القدح المملى من الفضل فيها
 اما من حيث اخلاقه الذاتية فقد كان رجل جد وكد لا يبارى فيهما
 حتى كأن عمره كان معدوداً عليه باللحظات وكان شجاعاً بلا دعوى كريماً بلا
 سرف عزيز النفس عزة الامارة وديعاً دعة التاجر صديقاً لا يدهن ولا
 يلاطف ولكنه لا يتخلف عن اسداء معروف ودفع اذى مناظراً شديد

العارضة صادق النظر جامع الفكر بلا مكابرة عدواً لا ييادى بشر فاذا
بودى به فهو مكافح جلد اشوس حتى ترتد عنه يد العدوان فهو ناس حلیم
وكان لا يزدهي ولا يعجب بشيء ملكه او بمجد ادركه ولم اعلم عدة ما
عنده من الاوسمة على طول عهدي به الا يوم دفنه

وكان متلفاً في معاشرة زوجته حتى انها لا تذكر له سيئة لفظ او
اشارة وكان حسن الاسلوب في تربية نجله وتأديبه بحيث تحسن ظواهره
وسرائره وينمو العلم فيه مع نمو عقله

وكان محباً للقائمين بعمله شكوراً للمحسن منهم صبوراً على المسيء
يعتد بهم ابناء لبيت ويعاملهم معاملة الاب المتيقظ وشيمة الاب الرافة الواسعة
قبل القسوة النافعة وشاهدي على ذلك غير بعيد وهو ان المتكلمين
يديكم انما هو غراس نعماء الفقيد واثر من اثار فضله

هذه اشارة موجزة الى ما كان عليه فقيدنا الذي نبكيه اليوم واثن جل
مصائبنا به حتى لا مضاب بعده فمن لنا بالقاظ مسلية معزية تلطف من نار
امراته الفاضلة الحزينة التي عايشته اثني عشرة سنة مرت كيوم العرس بل
كساعة الاكليل في الصفاء والهناء

ومن لنا بصيب الندى يبل صدى امه الجليلة التي يتلهب فؤادها حسرة على
ولديها العظيمين وشوقاً اليهما

ومن لنا بما يسكن من روع الشقيقين الجزعين ابراهيم وحييب بك
اللهم اياك نسأل ان تمن بالصبر الجميل على هؤلاء الاعزاء المحزونين
جميعاً وان تخفف اشجانهم وان ترعى الحبيب جبريل وتجعله خلفاً صالحاً لايه
وان ترحم كثيراً هذا الفقيد العزيز فقيد العلم والامة والوطن

وقالت تحت عنوان

المصيبة الكبرى

بمكاتبا الاسكندري

ما ذرف الدموع وما شق الضلوع . ما التأين والرثاء وما التنجع والبكاء . ما
الحزن والاسف والتلهف والاسى الا قليل في جنب الخطب الجسيم والرزء الاليم
الذي نقله الينا البرق . اجل لقد فقدنا ركننا من الاركان الوطنية ودعامة من الدعائم
الادبية ومصباحاً من المصابيح الشرقية
اذا عدت رجال العصر يوماً فان « فقيدنا » بمقام الف

مات بشارة باشا نقلا وسبحان الحي الذي لا يموت — فمحن نبي اليوم صاحب
الاهرام والبيراميد وصدى الاهرام فاي المصريين لا يعرف الرجل الذي نبكيه
وزريه ونستعظم الخطب فيه . واي المصريين لم يعرف خدمه الجليلة الجزيلة .
بل ايهم لم يسمع بنشاطه وهمته وعزيمته وفواضله وعوارفه . فاتبكه الاقلام انه كان
من اربابها ولتبكه الآداب انه كان من جوهرها ولبابها وليبكه العصاميون انه كان في
طليعتهم وليبكه الصحفيون انه كان في مقدمتهم وليبكه الوطنيون انه كان متفانياً في
خدمتهم . وليبكه المجتهدون انه كان مثالمهم وقودتهم . وليبكه السياسيون فقد كان
سياًياً ينفذ رأيه حجاب الغيب ولا يخاف في الحقيقة لومة لائم . تلك رسائله من

لندرا وباريس والاستانة وغيرها من العواصم وتلك الاحاديث التي رواها عن
اعاظم السياسيين اعظم شاهد واكبر دليل على ارائه الصائبة وعلو منزلته عند كبار
الاوروبيين والوطنيين . وذلك تاريخ حياته فان كل حرف منه يدل على همة لم يخامرها
كلال ولم ينلها ملال بل كانت تتعالى وتعاظم كلما كانت المصائب تترام وتعاظم
في سبيلها

واذا اردت ان افصل كل ما اعرفه - وهو قليل من كثير - لم تكفي
رسائل عديدة لا رسالة وحيدة . فحسب الفقيد اعماله فهي تشير الى فضله بغير
لسان ولا مادح مثل الاعمال فهي ادل الدلائل على فضل الانسان
اما هول المصائب فقد كان عظيماً في ثغر الاسكندرية كما كان في سائر البلاد
فان شمس السبب لم تشر اشعتها على الثغر حتى انتشر منعي الفقيد فشمع الاسف
كل من عرفه - ومن لا يعرفه - فكنت لا تسمع الا السنة لاهجة بتعداد اعماله او
بذكر همته العالية واجتهاده العجيب ومشاريعه المفيدة . ولقد رأيت اناساً من الذين
لم يكونوا من اصدقائه يوفونه حقه ويذكرونه ذكراً جميلاً وينطقون بما يجب ان
ان ينطق به اهل الضمائر الشريفة ومحبو الحق والصدق ويحق للاسكندريين ان
يأسفوا على فقيدنا ويستعظموا المصائب به لانهم اول من عرف مآثره واعماله واذا
اتبع قول القائل « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فان الاسكندريين في مقدمة
الذين جنوا من فوائد الاهرام واستنادوا من اخبارها ومباحثها فعرفوا فضلها
وكان اسطع الادلة على معرفة الاسكندريين لقدرة الفقيد ما ظهر في ثمرنا من الاسف
وما انتهى اليكم من الرسائل البرقية والبريدية التي تعد بالملئات
فاقدم واجب العزاء الى الامة والى المروءة والشهامة والى اسرة فقيدنا العظيم
واسال الله ان يبتي نجله وشقيقه الوجيهم وسائر آله الكرام ولا سيما قدوة

الزوجات والكرائم الفاضلات . واسأله جلّ وعلا ان يعزي قلوبهم وقلوبنا عن
هذا المصاب الجلل

وقالت تحت عنوان

وداع

من حي فانّ الى ميت باقٍ
وكلمة

عن فقيدنا العظيم

لا اكاد اصدق ما بلغ المسامع وشق الاضالع واجرى المدامع وأذاب
المهيج واشعل في القلوب الوهيج واسال النفوس واطار الرشد من الرؤوس . الا
وهو النبا العظيم والرزء الاليم والمصيبة الكبرى والكارثة الجلى وفاة رجل الشرق
علماً وحكماً وذكاءً وحلماً وشهامة واقداماً وجداً واجتهاداً واخلاصاً وولاءً وصدقاً
في القول والعمل وسعيّاً في تأييد الوطن بهمة لا تترف الكلال والملل . رئيسنا
وعميدنا استاذ الصحافة ومدرس الفضيلة ورب النشاط والهمة المرحوم بشارة
باشا تقلا

احقاً قد انتقل هذا الرجل العظيم من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهل وسعه
القبر بعد ان لم تكن تسعه الدنيا باسرها وضائق رحباتها عن عزيمته وهمته . بل
كيف غلبته المنية وهو ذو العزم الشديد والبأس الاكيد والنفس الالية والقوة

الهرقلية وهو الذي ذلت له الصعاب فكانت مطية ذلولاً وانذكت امامه العقبات
فكانت سلاً مكيناً ونفذت اشعة قلبه في السرائر فكشفتها وفي الضمائر فاستجلتها
وفي الخفيات فاستوضحتها وفي الرموز ففسرتها . وكيف يقال ان القبر بيت وحشة
وظلام وبين اطباقه مصباح الدجى ومنار الهدى بل في ثنياه من كان يفكر في
خير البشر واساد البرية والناس حوله نوم والاعين مغضية

لقد كان لنا أمل في السادة والراحة فانقطع هذا الامل وخاب ذلك الرجاء
وأيقنا الان ان السعادة من موضوعات الشعراء وبنات التخيلات وان ليس لها
في الحقيقة وجود . بل ايقنا ان الطبيعة والانسان خصمان متضادان وعدوان
لدودان فهي ان رأته يسر بامر ساءته وننصته وان رأته ساعياً الى مجد قاطعته
وثبطته . فان كان ذا عزم قوي وبطش فتي عاجلته بشيء خفي لم تدركه عقول
البشر لان لتوقاه وتدفعه

نعم لقد كان لنا أمل في السادة وهي غاية ما تنتهي اليه مجهودات النفس
ومراتي النكر . ولم يكن ليمنع هذا الامل في القاب عجز الفلاسفة الاقدمين
والمتأخرين عن كشف السعادة وهداية البشر اليها لاننا كنا نرى في المرحوم
ثقلا باشا همة فوق المهمة وعزماً لا يثنيه ملل عن اي عمل واردة
يضعف امامها كل جبار في الارض . فليس من الغريب ان يهتدي الى ما لم
يهتد اليه احد في العالمين

كنا وثقلا باشا في الوجود نخل الطبيعة احدى توأميه والثاني جده
وعزمه والتوأمين صنوان خاضان لامره اذا اراد شيئاً كان . لذلك نستغرب
من الطبيعة ان تمكر به على غرة منه وننكر على العزم والحزم والقوة
والشدة ان تغادره وقت الكريهة وفي مقام الطعان . وليت شعري هل انحلت

تلك الصنات العالية وغدت هباً كما انحل الجسد الشريف الذي كان يعيها
 ام هي خارجة عن حكم الماديات قد طارت مع روحه الشريفة ولا تبرح
 مقيمة على عهدده حتى يشاء ان يخلها بنجله الكريم ويملاً بها صدره ليتم في
 هذا الوجود ما ابتدأ به ابوه

سلام عليك يا روح التقيد والرف سلام . سلام على تلك الهمة العالية
 والنفس السامية . وعلى المرؤة والوفاء . وعلى الاجتهاد والنشاط . سلام يهديك
 اياه فان في الحب وفان في البقاء . سلام يرفعه اليك رجل قدمه في الفناء
 وقلبه ناظر اليك في سماء علاك وجنة خلودك . سلام يودعك به محب كان
 أهون عليه ان يودع روحه قبل ان يودعك وان يفتديك بنفسه قبل ان
 يقضي عليه الشقاء بتشيع جثتك

ان من الخطوب ما لا ينفع معه العزاء ولا يخفف منه الصبر ولا يهون
 من لوعته مر الزمان بل هو كلما تقادم له عهد ونفدت فيه عبارات السلوان
 ازداد تعمقاً في القلوب فانسجت على اثره المهبج واشتدت بذكرة الاحزان
 واحتترقت من ناره الصدور ويكون للمرء منه ذكرى اسي وحرقة حزن
 ولوعة مشتاق وأنة اسف في كل خطوة يخطوها في الحياة ومرأى يراه في
 الوجود فيذكر فقيدده بما ينظره من حسن وفضل ومرؤة وشهامة وجد ونشاط
 ويذكره كذلك اذا رأى عكس تلك الصنات فيقول ما كان ابعده فقيدنا عنها
 اجل نحن في مقام من الحزن وموضع من الاسى اعظم من ان تطاوله
 كلمة عزاء . بل ان الكآبة من هذا القبيل تهيج فينا الاشجان وتحرك في
 قلوبنا الاحزان . وما نحن الا جسوم كانت تشرق علينا روح فقيدنا
 وتهدينا فانطفأت تلك الروح فما نحن بعدها

نحن اليوم حيارى كما كان بنو اسرائيل في التيه ولكننا نود ان لا يطول
 علينا الزمن كما طال عليهم في نيل بنيتهم فانهم جبنوا عن ملاقاته الاهوال
 فموقبوا اما نحن فلا تزال فينا بقية مما عودنا عليه رئيسنا المرحوم من العزم
 في جلائل الامور . لذلك نرجو من الله ان لا يطيل علينا زمن الوصول الى
 بغيتنا وهي اللحاق بعميدنا وبطلنا اذ لو كان في هذا الوجود من خير يرجى
 وسعادة تؤمل لما مات رجل هو الوحيد الذي كان يمكن ان ينال بيده السماء ويسخر
 في خدمته الجوزاء فأني طمع بعده لانسان في نيل مجد واكتساب ذكر
 ولقد وددت اني ما عرفت هذا الرجل ولا نظرت رشاقته وهمته حتى
 لا تقع في قلبي من وفاته حسرة تأكل حشاي وتضني جسمي وتفزعني في
 نومي . فاني ما وليت وجهي الى الشرق او الغرب او الجنوب او الشمال حتى
 تمثل امامي بجده ونشاطه وابتسامه الجميل بل ما نقلت قدمي الى مكان حتى
 تذكرت لطف شانه بل ما اغورني عناء او ألم حتى تصوره امامي وهو
 مريض تساوره الحمى ولم يبق فيه سوى حشاشة نفس يلو بها الصدر ويهبط
 فلم ير مرة شاكياً او متألماً

فالوداع الوداع يا نقلا باشا . امدد يدك من اعماق القبر لاقبلها . ولم لا
 تمدها الآن وقد مددتها الى ما وراء أسوار الملوك والظالمين لتفسد عليهم ما
 دبروه من كيد وما هياؤه من ظلم . الوداع الوداع ايها القلب الرحيم
 والنفس الطاهرة الزكية . الوداع الى الملقى في دار النعيم واعلم ان ارواحنا لم
 تكن لتقيم في الدنيا بعدك اذا لم يكن لها امل في نجلك الكريم ان يحدو
 حذوك في صنالك المالية واخلاقك الفاضلة فاللهم اجعله خلقاً صالحاً لاكرم

توفيق فرغلي

سلف

وقالت تحت عنوان

لوعة الاسف

ما اصبحت مصر في شؤم وبؤس ولا مرّ بها يوم نحس مستمر اشد
سواداً واسوأ وقعاً من صباح اليوم الخامس عشر من هذا الشهر وهو تاريخ
لوعة وأسى شديد شاع فيه بين الناس نبأ نفرت الآذان من سماعه وتردد
الناس في تصديقه وهو نبأ مصاب الامة بفقيدها والادب باخص رجاله
والصحافة بزعيمها ومدبرها ومديرها وغرّها فالمصاب عميم والاسى شامل
مات الاب البرّ بنا والرئيس المشفق علينا وفارق دينا مبيكي الشمائل
مأسوفاً على ما اودعه الله فيه من خلال كريمة وآداب سامية وذلك نادراً
وهمة عالية فبكاه الوطن ورجاله والفضل وذووه والمجد واهلوه . اما الافلام التي
كانت تستمد من نفثات قلمه فهي تبكي الآن على فراقه وتود لو ملأت الارض
بمدادها حداداً واما حملتها فقد قضاوا بعض ما فرضته عليهم حقوق التقيد من
تأبين ورتاء وتعديد وبكاء وبقيت لهذا العاجز كلمة وداع لهذا الفقيه العظيم الذي
كان لي وابعليتي والداً كريماً في مدة هي ربع قرن لم ار منه فيها الا تفضلاً
ومحبة وعوناً على الضراء ورحمة ونوراً في غياهب المشكلات وشياً كلها فضل
وكرم وشرف مبدئاً وحنان

فيا ايها الفقيه العظيم لقد قضيت عمرك القصير وكأنه اعمار بما اودعت
فيه من عظام الاعمال وعزائم الاقدام وانصرفت فيه الى توخي الاعمال الوطنية
والمنافع العامة غير ملتفت الى شيء من ملاهي الحياة وغير منثن عن طلب المعالي
بما في سبيلها من العقبات . كنت القريب من الضعيف والرفيق الرفيق والجواد

المتفضل المحب لخير البلاد فلنم سيرتك المستقيمة وسيرتك الطيبة واخلاقك
 الكريمة وروحك الطاهرة وما ترك الكثيره التي لا يقوى الدهر على محو اثر
 منها كما غدر بك وانت في ذروة المجد والفضل . لست انسى لك ايها المحسن
 احسانك الشامل ورعايتك الكافله واراك السيدة . لست انسى ذلك الزاد
 الاخير القليل الذي تزودته من نور طلعتك في ساعه رهيبه سمات فيها
 الاملاك روحك الزكية وسطا فيها الموت على هيكلك اللطيف وهي ذكرى
 تصدع قلبي ولا تبرح من ذهني ابد الدهر اذكر لك بيتاً شدته والمصائب
 محيطة بك وثباتاً عرفت به والمخاطر حولك فما زلت ترقى حتى ظن انك
 تبغي معارج السماء وما زالت الرتب والوسامات تتوالى عليك حتى كادت تملأ
 صدرك الرحب . ان الملة التي تمدك ركناً لها تبكيك وتأسف عليك والامة
 المصرية التي احببتها تذكر ايديك البيضاء ومحببتك المجردة ودفاعك عن حقوقها
 دفاع الابطال يوم لم يكن يدافع عنها الا المخاطر بروحه المستهدف للنفي
 والشتات تبكيك سوريا لانها شككت ابناً برّاً بها كلسياً رأسها تاج نخر ولاء
 اما لبنان فهو من قته الى سفحه الى قرية كفرشما التي هي مسقط رأسك
 يحسد مصر على ضمها رفاتك واشتمالها على ما ترك . انك لم تمت وكيف يحسب
 ميتاً من يلاً ذكره مشارق الارض ومغاربها ولكن عندنا لوعة واسفاً على
 فراقك فلا بد لهذا القلم ان ينطق بها حتى تضيق بها الصحف كما ضاقت
 عنها الصدور

واما انت ايها القرينة الكريمة فاذا كان اساك يقبل عزاء وان كان
 فؤادك يخمل سلوة فانظري الى مشاركة الامة لك في هذا المصاب والى
 مشاركة الوطن واهله والمشرق والمغرب واستبقي ما بقي لك من ذاهب الصبر

وراحل الجلد لآحياء ذكر فقيد البلاد بنجله العزيز الذي نسال الله له قوة
وعمراً هنيئاً وهو المسؤول ايضاً ان يبرد لوعة تلك الام الحزينة وذنيك
الاخوين العزيزين ويحمل صبركم جميعاً على فقيدكم العظيم . رحمه الله عداد حسنة
وكفى بها رحمة ان الله غفور رحيم
رشيد سعادة

وقال وكيل الاهرام في الوجه القبلي

المصيبة

اي كبد لا توجع واي فؤاد لا يتصدع واي عين لا تدمع واي قلب
لا يتقطع من الرزء الجسيم والمصاب العظيم فقد سطا الدهر واقتطف زهرة
زاهرة ودوحة ناضرة

الدهر خصمي والحكم فهو المسيء اذا حكمكم
فقدت البلاد رجلاً كانت ترتجي ان يعيش بين بنينا دهوراً عاملاً في
مصلحتهم مهتماً بامرهم قائلاً القول النصل السيد فقدت المارف عالماً متضلماً
كانت تفتخر به وتستمد منه فقدت الاقلام يراعاً كان اذا ما خط حرفاً
اصاب قلب الحوادث فكشفها للعيان واطلع الجمهور على غوامض الامور
فقدت الصحافة بطلاً وقف والصروف في ميدان خصام خاربه وحاربها
وتغلب عليها بعزمه فقام يخدم الصحافة حتى الخدمة ربع قرن لم تأخذه في
نشر الحق والدفاع عن الوطن لومة لائم . فما بالك يا موت رميتنا بسهام

اصابت الآؤاد وانتشلت من بيننا من تبكيه وتندبه البلاد والمعارف والاقلام
والصحافة فما تطاير خبر تليته امر به حتى كنت ترى دموعاً تتساقط وقلوباً
تصعد الزفرات

فاسح له اللهم في جلال خلدك وامطر على ضريحه سحاب رحمتك
ورضوانك وانزل على قلوب آله جميل الصبر وعلى الوطن والصحافة احسن
العزاء انك اكرم من يسأل

وقال مكاتبها في كوم حماده

صاعقة انقضت على مصر فاخذت منها عميداً كنا نجتني خيراً من
مشوراته في ملاتنا ومصائبنا ونكبة زماننا بها الدهر اخوون فاقتلعت من
بيننا شجرة العلم والنضيلة وخطب جسيم حل بنا فانأى عنا من لو طالب
منا ان نفتديه لبذلنا نفوسنا في سبيل فدائه . ابي الين الا ان يكون نصيبه
ذاك الشهم الجليل المرحوم { بشاره باشا نقلا } فقيد النضل والمرؤة ووحيد الشهامة
والاعمال المبرورة سبحانه البلاغة الذي يقصر عن وصف سجايه ابلغ الكتاب
فلتبكه العيون ما شاءت ولترثه الاقلام ما استطاعت ولولا اننا نقرأ من
وقت الى آخر عن وفاة الكبير والصغير والغني والفقير لحق لنا ان نغفر وجوهنا
بالتراب اسفاً على ذلك الهيكل الذي فقدناه ولكن قدر الله فكان وانا لله
وانا اليه راجعون

وقال مكاتبا السمالوطي

كان نخبير مصاب الوطنية والعالم الادبي بوفاة صاحب السعادة الطيب
الذكر بشاره باشا ثقلا رنة حزن واسف تردد صداها في كل الاقئدة والقلوب.
واني لي ان اظهر ما استولى على قلوب افاضل مديرية المنيا واكابرها من الحزن
والاسف وانا قاصر ولا بدع ان كان البكاء عليه شاملاً فقد عرفناه رجلاً قام بين
ظهر انينا باجل الاعمال وقاوم في وسطنا اعظم المصاعب حتى فاز بامنيته وهي
ايجاد صحينة تدافع عن الصالح العام وتخدم الجمهور خدمة يحسد ابناء المشرق
سكان النيل عليها فاقبل القوم على مطالعتها اقبال الظمان على الماء القراح وظل
التقيد مداوماً على خطته مثابراً على تنشيط اهل الوطن باذلاً جهده في
بث الافكار الصحيحة والمبادئ الحرة فيهم حتى دعاه ربه اليه فلباه وما شاع
نعيه حتى شمل الحزن والاسف العموم فاطلب عظيم والرزق جسيم نسأل الله
ان يلهم الجميع على فقده صبراً

وقال مكاتبا في اتايي البارود

صاعقة انقضت على رجال الادب بل حلت بالشرق كله بوفاة شيخ
الصحافة وسراجها الرهاج ومصباحها الرقاد
ولقد كان لوفاة هذا النبيل رنة حزن بارض مصر يسمع لها دوي مع

اصوات المتأسفين الصاعدة من اعماق القلوب كلما ذكرت مناقبه ومحامده وشيمه
وصدق وطنيته

فرحم الله من تلك صفاته ورحم الله الوطني النيور الصادق المرحوم
بشاره باشا نقلا وامطر على ضريحه سحائب الرحمة والرضوان
وحق علينا وعلى الجمهور ان نرفع هذه التذرية الى الاهرام الزراء
والى اسرة النقيب الكريم اجمل الله صبرها وأجزل اجرها

وجاء فيها تحت عنوان

المصاب العظيم

والموت نقاداً على كنهه جواهرٌ يختار منها الجياد
مات الشهم الهمام والبطل المقدم صاحب الآثار العديدة والمآثر المفيدة
الحميدة بل مات الرجل الجليل العالم الناضل النبيل الموثل الذي تركز اليه
البشر في دفع الخطوب وكشف كل ملة قيا له من مصاب اليم وخطب
جسيم . لقد فقدت مصر والمصريون . بل واهل الشرق اجمعين اعظم
مرشد لهم ومعين . ذلك البطل الذي كان ينفار على مصالحهم والذي وقف
نفسه وقلمه لخدمتهم ونفهم فيحقق بل ويجب علينا ان نبكيه وبهداد الحزن
والاسف نرثيه . كيف لا وهو الذي قام رحمه الله في اخر ايامه بتلك الخدمة
الجليلة بل ذلك الجهاد المحمود الذي عرفه انخاص العام . وذلك انه رحمه الله
لما رأى تلاعب الاجانب باموالنا ومصالحنا ورأى اننا لا نميز بين النافع والضار

شمر عن ساعد الجد بما فطر عليه من الهمة الشماء وقام يحارب اهل البغوي
والعادين على اموال المصريين بهمة لا يدانيه بمثلا احد في الانام فاظهر لنا
حقيقة عملهم ونصح لنا ان لا نخدعنا غشهم او ان نفرنا اباطيلهم وتلك بعض
خدمه الجلياة المشهورة واعماله المدوحه المبرورة فتمكنت محبته في قلوبنا
وعظمت قيمته في نفوسنا. ولكن وآسفاه لقد وافته المنية بهذا الداء الذي لم
ينفع فيه طب ولا دواء فليكنه اذا اللم والعلماء وليكنه الصحافيون والخطباء
وليكنه الشعراء. لقد مات عماد الصحافة الشهم العظيم رب السياسة ذو الاصل
الكريم. فارحمه اللهم رحمة واسعة واسكنه فسيح جناتك انك السميع الحبيب
والهمنا اللهم جميل الصبر على فقدته وعزّ قلب والدته الحزينة وحضرة قرينته
الفاضلة وبارك اللهم نجله واعطه العمر المديد فيكون مثلاً صالحاً وشهماً عاملاً
لخدمة وطنه كما كان والده المرحوم انك السميع الحبيب وعلى كل شيء قدير
القاهرة
نقولا بوتاري

وورد فيها تحت عنوان

وواع وسلام

هذا بريد مصر فعسى ان يكون فيه نبأ عن أحد من الذين نحبهم
نم فيه النبأ الصاعد وانخبر التاجع مات صاحب الاهرام فاسعفيني
يا دموع العين
ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي اسفاً عليه ويا دموع أجبي

مات الذي كان في الصحافة استاذي وفي ظلاله ربيت وقضى الذي قضيت
 في قربه اثني عشر عاماً كاملاً فلا بكينه ما حيت مات الذي اتكأت على ذراعه
 اثني عشرة سنة بلا انقطاع مات الذي كنت في خدمة الوطن استمد منه
 حركة الافكار ومن انفاسه يستمد حركته اليراع مات الذي اتخذني اثني عشر
 عاماً عوناً له في خدمة البلاد واتخذني صديقاً ودعاني له اخاً وسماني ابنه
 وعاونني على صروف الحدثن مات واحسرتاه وانا بعيد عن مصر لا اسمع
 انه مريض ولا اسعى الى عيادته ولا آخذ عنه خبراً ولا أسهر الليل عليه
 جزاء ذلك الاحسان مات وانا بعيد عنه حيث فاضت انفاسه فواحر أنفاسي
 اذ لم ازود منه نظرة الوداع ولم ألم له يداً وأذرف على جثته الهامدة دمة
 فيا لحرقة فؤاد الخليل

ايها الراحل العزيز والفقيد المبكي هذه أمك قد جدد لها مصابها بك
 احزان السليم السابق وهذه قرينتك التي احببتها واحبتك لا تصدق لهول
 المصاب انك قد هجرتها وهذا جبرائيل وحيدك الذي كنت تبده من
 بعد الله يبكي وينتحب فحنن كحزنهم نحزن عليك وكبكائهم نبكيك ونحن مثلهم
 نستعظم المصيبة فيك

أودعك يا سيدي واستاذي وكنت على رجاء أن القاك نخب الرجاء أودعك
 والدمع يتساقط من عيني وقد صغرت لدي الحياة وهان البقاء . أودعك
 وأبكيتك وليتني كنت كاتباً بليغاً فاعدد صفاتك وأرثيك لكنك علمتني صوغ
 المعاني في خدمة الاوطان لانظم القوافي في رثاء الاخلاق والاخوان . فانا أودعك
 بسط وداع ذاكراً اياك كينما كنت باكياً فقدك حافظاً عهدك مستمداً لك
 الرحمة والرضوان حيثما كنت

وعهد عليّ إذا ما رجعت وكان الى مصر ذلك الرجوع
 أزور الضريح الذي قد حواك واسكب فوق الضريح الدموع
 والآن فالسلام ايها الهلال البزغ والشبل الناهض السلام يا جبرائيل
 الذي رأته طفلاً على ذراعي أمه وفتى يتلقى العلم الى جانب ابيه . اننا نرى
 مخايل النجابة تلوح على جبينك ونور الهمة يضيء في عينيك فكأن كما تتوسم
 واكبر باراً بأمك الكريمة واخلف في الاقدام والنشاط والجد من كان لنا في
 الجد والنشاط والاقدام مثلاً لنقهر بك الايام وننشد الاقوام
 اذ مات منا سيدٌ قام سيدٌ قوول لما قال الكرام فعولٌ
 باريس في ٢٦ يونيو سنة ١٩٠١ خليل زينه

قالت جريدة المؤيد

انا لله وانا اليه راجعون

أصبحنا اليوم واسلاك التليفون تتساءل من كل جهة ومكان في القاهرة
 عن فقيد الصحافة العظيم القديم العهد بها ونعني به الطيب الذكر الماسوف
 عليه المبكي من المحابر والاقلام { بشاره باشا نقلا } صاحب جريدتي
 الاهرام والبيramid

أصيب هذا الفقيد منذ عشرين يوماً بمرض اخلف الاطباء في تشخيصه
 فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه احتقان في الدماغ ومن ذاهب انه
 حمى تيفوسية كما اختلفوا في الدواء واستعملوه على ضروب شتى ولكن عين

المنون لم تضل وسهم المنية لم يخطئه فوافاه الاجل المحتوم في الساعة الثانية بعد نصف الليل الماضي عن نحو خمسين سنة من عمره وما هي بالعمر الطويل حتى يقال

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذاءً محمولاً
ولقد أثر نعيه في نفس كل سامع بمقدار ما كان يحفظ للفقيد من
المكانة والاحترام

ذلك لانه كان ركناً عظيماً للصحافة في مصر خدمها نحو ٢٦ سنة بجرائده العربية والافرنجية وفي مقدمتها [الاهرام] التي ثبتت بين زلازل الحوادث في ربع قرن ثبات تلك الاهرام الشاخنة في اربعين قرناً

ولسنا الآن في مقام ترجمة حياة الفقيد حتى نوفيه اوصاف المؤرخ ولكننا في مقام النعاة نبكي رصيفاً قديماً عرفناه مكداً مجداً نشيطاً في ترقية صناعه ونشر صحفه بهمة لا تعرف الكلل وعزيمة كان يعبطه عليها كل صحافي في مصر اذ الكل لم يدركوا له شأواً في هذا المجال حتى اشتهر عنه انه كان يطوف الدواوين والقنصلات وكثيراً من منازل الامراء في ساعة واحدة ليعود بملء الصحيفة من الاخبار وكانت له مهارة في استقراء الحوادث لا يدانيه فيها صحافي هذه قصارى فخاره من مهنته . وقد اضاف الى ذلك جاهاً حازه وثروة طائلة احرزها ورتباً وألقاباً لم تكن من نصيب غيره بين الرصفاء . احرز من رتب الدولة العلية الى (روم ايلي بكاربكي) وهي أعلى رتبة ملكية دون رتبة الوزراء ومن نياشينها المجيدي الاول وهي أعلى النياشين من صنفه لا يفوقه غير المرصعات كما انه حاز نيشان اللجيون دونور الفرنساوي من الدرجة الثالثة ونيشان سان استانس لاس الروسي ونيشان المخلص اليوناني من الدرجة الثانية

ونيشان الافتخار التونسي وكثيراً غير هذه من وسامات الدول وكلها من درجات عالية وكلها برهان صادق على ما امتاز به في صناعة الصحافة وما كان له فيها من جد ونشاط في سبيل ترقيتها . صفات ومزايا يجب ان يتترف لها بها كل صحافي في مصر اتفق معه في السياسة والوجوه او اخلف كما هو واجب الانصاف وحق كل عامل بدله

ولكن اضعاف ما رزئت الصحافة اليوم بفقد هذا العظيم رزئت تلك السيدة المحترمة والقرينة التي كانت قرّة عين قرينها كمالاً وادباً وتهذيباً ومكارم اخلاق من كل قبيل . بل كانت اصدق امرأة لبلمها كما كان هو اسعد الازواج حظاً بها . بقدر ذلك كان رزؤها عظيماً ومصائبها أليماً . فكانت هي وولدها الذي لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره قضاها في زهو حنو أبيه عليه كما تحنو الرضيع على ولدها أحق بالبكاء والعزاء

وبمثل ذلك رزئت والدة الفقيد الالسيمة وحضرات اخوته وبقية آله الكرام الذين نسأل لهم جميعاً الصبر والسلوان
هذا وستشيع جنازة الفقيد الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم من منزله بباب اللوق الى الكنيسة الرضوانية فيشيعه اليها كل مصاب بفقدته او مشارك لآله معزّ لهم . ومن اين للمصابين في مثله عزاء . جعل الله لهم جميل الصبر جميل الجزاء

وقال في عدد آخر يصف المشهد

احزنل في الساعة الخامسة بعد ظهر امس بتشيع جنازة الطيب الذكر فقيد الصحافة المصرية (بشاره باشا ثقلا) من منزله بباب اللوق الى كنيسة

الرضوانية بالازبكية وقد مشى في حفلة الجنازة جميع اصحاب الجرائد والعدد
الجم من الباشوات وفي مقدمتهم اصحاب السعادة يعقوب ارتين باشا وكيل
نظارة المعارف العمومية واسماعيل صبري باشا وكيل الحفانية ومحمود شكري
باشا رئيس الديوان التركي الخديوي سابقاً ورجال قنصلاتو فرنسا وكثيرون من
كبار الاعيان وطينين واجانب ومن الحمامين وغيرهم وقد سار موكب الجنازة
يتقدمه الرؤساء الروحانيون وبجانب سرير الفقيد بساط الرحمة يحمله كبراء
الذوات وخلفه المشيعون من كل قبيل وحوله رجال البوليس فرساناً ومشاة
وهكذا سار المحفل في نظام ووقار وعظيم عظة واعتبار الى الكنيسة حيث
أديت شعائر الصلاة عليه ثم سار النعش يتلوه عربات المشيعين الى قرافة
الروم الكاثوليك في مصر العتيقة . وقبل ان يدفن الفقيد وضع في كنيسة
سعادة سكاكيني باشا هناك حيث زود الزاد الاخير من رجال الكهنوت ثم
ودع الوداع الاخير من خطيبين حزينين اولهما حضرة الاديب يوسف افندي
بستاني بلسان جميع موظفي جريدة الاهرام والثاني حضرة الفاضل نقولا بك
توما الذي كان من اصدق اخلاء الفقيد واعرف الناس بتاريخ حياته فذكر
الفقيد مثلاً حسناً للمجتهد كيف يكون صغيراً فيصبح كبيراً وللمجتهد كيف
يعمل فينجح وللمجتهد كيف يصبح غنياً بعدما كان فقيراً وللمجتهد كيف يقدر
ان ينشر فكره وقال ان هذه البلاد مدينة له من حيث كونه قدر ان ينشر
فكره يوم لم يكن يستطيع احد ان يقول ويكتب . وبعد ذلك غيب الفقيد
في لحده وتبادل المشيعون له العزاء فيه ورجعوا يسألون الله عز وجل ان
يلهم قرينته ووالدته الاسيفتين وبقية آله الكرام جميل الصبر والسلوان

وقال المقطم

خاب الرجاء وخابت بشارة الاطباء بعد ما بشرنا القراء بان سعادة رصيفنا
 المرحوم بشاره باشا ثقلاً جاوز الخطر وتمائل الى الشفاء
 ولكن اذا حل القدر فلا طب يفيد ولا علم بشر
 واذا رجوت المستحيل فانما تبني الرجاء على شفير هار
 فالعيش نومٌ والمنية يقظةٌ والمرء بينهما خيالٌ سار
 مرض القعيد اياماً طوالاً وكنا نسمع كل يوم ان الاطباء غيروا رأيهم
 في تشخيص علته الاولى وشخصوا مرضه بعلّة أخرى حتى قيل لنا ان احقان
 الدماغ قد زال والقلب قد عاد الى سابق حاله من النبضان وان القعيد جاوز
 الخطر وجعل يكلم الاهل والخلان ولكن صدق من قال ان من القلب
 لدليلاً فقد نقل الينا انه سأل الطيب عن حالته فقال له انك بخير والحمد لله
 فاستدعى اليه حضرة زوجته وولده وودعهما وداع من ايقن بدنو منيته واوصى
 ابنه بتعلم العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد والكمال ولما فرغ من وداعهم
 اصابته نوبة شديدة افقدته قوة النطق فجعل يلتفت الى من حوله ويودعهم
 بحركات عينية والحر الشديد يجهده لعسر التنفس عليه حتى انتصف الليل
 فابتدأ يحضّر وبعد نصف الليل بساعتين و٣٥ دقيقة فاضت روحه فقارق الديار
 الفانية ولبي دعوة ربه الى الديار الباقية

عليه سلام ربي كل حين يلاقيه الرضى فيما يلاقى
 واسقت لحدّه سحب النوادي اذا نهملت همت ذات انطباق

وزانت ريثه في كل يوم تحيات الى يوم التلاقي
 ولد الفقيه في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ بكنة رشيا من قرى لبنان وجاء
 هذه الديار سنة ١٨٧٦ حيث انشأ جريدة الاهرام مع المرحوم اخيه سليم
 بك نقلا فكانت له خير ميدان راض فيه ما أوتي من المواهب والمزايا
 كالاتجاه والثبات والمثابرة والعناية وانتهاز الفرص وقوة المداخلة فارتقى بين
 الاقران وبلغ شأوا رفيعاً في الوجاهة وعلو الشأن ونال الشيء الكثير من
 الرتب والنياشين

وله في تاريخ القطار الحديث شان لا ينكر وخلف لنجله بجمده وكده
 من الجاه والثروة ما يعز على ارباب الافلام ولا سيما في الشرق وفي هذه
 الايام

وقد ادرك التقيد تلك النيات كلها واتم ما أتم من الاعمال قبل ان
 يتم الثامنة والاربعين من عمره ولو فسح الله في اجله لرأى الناس منه جداً
 على جد واقداماً على اقدام

ولما بلغ نفيه سمو الخديوي المعظم بادر اعزّه الله فارسل حضرة علي
 بك كامل التشريفاتي للتعزية وامره ان يسير من قبل سموه في تشييع
 الجنازة . واستدعي نيافة المطران اثناسيوس ناصر من الاسكندرية لحضور
 الجنازة . وجعل المعزون من العطاء والوجهاء يتقاطرون افواجا الى منزله
 ويشاركون ذويه في الحزن عليه والتعازي ترد تباعاً بالتلغراف والبريد وأقفلت
 ادارة الاهرام اليوم ولا يصدر الاهرام والبيراميد حداداً على الفقيه . وستشيع
 الجنازة اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر من منزله الى كنيسة الرضوانية للروم
 الكاثوليك

نسأل الله ان يتعمد الفقيد برحمته ورضوانه ونطلب لحضرة والدته
الشكلى وحضرة قرينته التي كانت مثال الزوجة الفاضلة في حياتها معه وسررها
عليه مدة مرضه وحضرات نجله وشقيقه الوجهاء وسائر الانسباء والاقرباء
والمحررين عنده والاصدقاء الصبر الجميل لهم في مصابهم وان يكون حزنهم
عليه خاتمة احزانهم

وما نحن الأركب موت الى البلى تسيرنا ايامنا كالرواحل
قطعنا الى نحو القبور مراحلاً وما بقيت الا اقل المراحل
وهذا سبيل العالمين جميعهم فما الناس الا راحل بعد راحل

وقال في عدد آخر

احفل اول امس بتشيع جنازة المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي
الاهرام والبيراميد قام منزله جمور غنير من الكبراء والعطاء والاصدقاء
يتقدمهم جناب المسيو له كونت وكيل الوكالة الفرنسية والمسيو برتران
قنصل فرنسا في العاصمة وجناب المسيو لويس العضو الفرنسي في صندوق
الدين وجناب المسيو باروى العضو الفرنسي في السكة الحديدية وحضر من
رجال الحكومة وغيرهم سعادة يعقوب باشا ارتين وكيل المعارف العمومية
واسماعيل باشا صبري وكيل الحفانية ومحمود باشا شكري وقليني باشا فهدى
مراقب الاموال غير المقررة وهراري باشا مدير عموم الحسابات وعزت لو طوبيا
بك كامل وعزت لو الدكتور علوي بك وجميع ارباب الصحف اليومية العربية
وكثيرون من ارباب الصحف الاخرى وكل وجهاء السوربيين الذين حسبوا
ان المصاب مصابهم . ثم سارت الجنازة في موكب حافل من دار التقيد الى

الكنيسة الرضوانية تتقدمها رجال البوليس مشاة وفرساناً وقواصة القناصل
 بخدمة الدين وفي اولهم نيافة السيد اثناسيوس ناصر مطران الروم الكاثوليك
 في العاصمة ونياشين التقيد على وسادة من القظيفة فبساطا الرحمة يحملها حضرة
 محمود باشا شكري وعزتلو طوييا بك كامل مراقب املاك الميري الحرة
 والمسيو جورج عيد قنصل البلجيك في العاصمة ونقولا بك توما والمسيو نقولا
 قصيري ترجمان قنصاية فرنسا والمسيو بريفا واحدا الدكتور يعقوب صروف
 فتلامذة الراهبات بالملايس البيضاء فنعش التقيد ثقله مركبة يجرها ستة جياذ
 وعليه بدلة التقيد الرسمية وكثير من الاكاليل الناخرة ويتاوه حملة الاكاليل
 فالمشيمون وراهم المركبات العديدة وما زالوا سائرين على هذا النظام الى ان
 بلنوا الكنيسة حيث صلى عليه نيافة المطران وبقية الكهنة المحترمين

ثم ساروا به الى مدفن الروم الكاثوليك في مصر القديمة ووضعوا
 النعش في كنيسته حيث ابنه حضرات يوسف افندي البستاني بلسان محرري
 جريدة الاهرام وغيرهم من الاهل والاصدقاء وتلاه المسيو مانس محرر
 البيراميد فوفاه حقه من الرثاء والتأبين وعقبهما حضرة نقولا بك توما فأبنه
 ذا كراً فضله واجتهاده وقال انه كان قدوة لمعاصريه في الجد والاقدام لاحراز
 المعالي فنالها بسعيه فكان لكلامه وقع في النوس ثم أودعوا التقيد للحد
 وعادوا يستمطرون له سحب الرحمة والرضوان ويسألون لنجته وباقي آله الكرام
 الصبر والسلوان

وقال اللواء

كل من عليها فان

نمي الينا النعاة صباح اليوم المأسوف عليه بشارة باشا نقلا صاحب
جريدتي الاهرام والبيراميد . فخرنا غاية الحزن على فقده واسفنا أزيد الاسف
على موته

توفي ليلة البارحة في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد منتصف
الليل فبكاه الاهل والاصدقاء وندبته عائلة كان فيها مثال العمل والنشاط
والحنان عليها والانعطاف نحو الصغير والكبير فيها
واقته المنون بعد ان مرض اياماً قلائل عاد اليه في اواخرها شيء من
الصحة والقوة فامل أهله وأملنا خيراً . الا انها الاجال محددة لا تتأخر
لحظة ولا تتقدم أبداً

مات الفقيه في الثامنة والاربعين من عمره وهو في غاية من القوة
والصحة والعافية تضرب به الامثال في الجد والنشاط والاقدام وعدم القنوط
من غاية يسعى وراءها ومطلب يرمي اليه . فلم يكن يعرف الراحة في عمله .
ولم ير مرة لاهياً عن شيء يقدم جريدته أو يزيد في اقبال الناس عليهما
خدم الصحافة اعواماً طويلاً وذاق حلوها ومرها وساح الممالك وطاف
البلدان وارتبط بالكثيرين من كتاب الغرب وساسته . وقد نالت الاهرام في
كثير من الاوقات والحوادث شأناً رفيعاً وشهرة عالية بجده وعزمه
أقبلت الدنيا عليه فوفق الله له زوجة صالحة مهذبة كاملة قل ان يوجد

لها مثل في كمال الاخلاق وسمو الاداب وحدة الذهن ورقة الشعور فشاركته في اطوار حياته واحاطته بعناية فائقة وحنان لا مزيد عليه . ورزقه الله ولداً بالغ في الاعناء بتربيته ليكون رجلاً كاملاً قادراً على القيام بالمبء الذي تركه له والده

ارتبط بالدولة العلية فالتفت اليه جلالة مولانا السلطان الاعظم الفتاةً عظيماً فانعم عليه باسمى الرتب والنياشين حتى نال رتبة روملي بكاربكي والنيشان المجيدي الاول وتوالت عليه رعايته الملوكانية والتفاته السامي كان الفقيه ممن يخلصون لفرنسا ويمجبون بكتابها وادبائها فتعارف بالكثيرين منهم وارتبط بالحكومة الفرنسية فعرفت له اخلاصه وعاملته معاملتها لكرام ابنائها

لم تكن مع الفقيه مثقفين في كل رأي وفي كل مبدإ . ولكننا كنا نقدر صفاته وخلالله قدرها . ونعرف له نشاطه وجده وعزمه واهتمامه بشؤون محرري جريدته وعماله وعنايته براحتهم وسعادتهم وكل ما يؤدي الى نمو مداركهم وحسن معيشتهم وغير ذلك من الصفات المحمودة والاعمال المشكورة فوته اليوم في بهجة الحياة ونضارتها يحزننا ويحزن كل اصدقائه وعارفيه ويهدم ركناً من اركان الصحافة المصرية

فنقدم الى قرينته الاسيفة ونجله وشقيقه وسائر اعضاء عائلته عبارات التعزية الصادقة ونسأل الله ان لا يريهم مكروهاً بعد هذا ويلهمهم جميل الصبر والسلوان

وقال في عدد آخر

نشرنا بالامس خبر وفاة الطيب الذكر الباقي الاثر نقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد. ونقول اليوم انه لم يبلغ نعيه المسامع حتى صدع كثيراً من قلوب العارفين بشمائله وأدى سائر عيون محبيه وهرع الجم الغفير الى منزله يقاسمون اهله وذوي قرباه احزانهم ويشاركونهم في مصابهم ولم تأت الساعة الرابعة بعد ظهر الامس حتى خرجت جنازته وسارت الى كنيسة الرضوانية في مشهد حافل بالذوات والاعيان وارباب الصحافة وغيرهم من رجال الافلام على اخلاف نزعاتها. وكان الكل كأنما على رؤوسهم الطير تأثراً من الحزن وهيبة لجلال المقام. وان تحركت يد فلمسح العيون من مدامعها او تفقد القلوب في مواضعها وان فاه فم فبذكر محاسن التقيد وما أكثر محاسنه

وصل الجناز على هذا الحال الى كنيسة الرضوانية حيث أقيمت عليه الصلاة والرسوم الدينية ثم سار سريره محفوفاً بهذا الجمع الى مصر القديمة حيث ووري التراب مودعاً باسف القلوب وحسرات الصدور وقد قام الخطباء على رسمه معددين مناقب التقيد واعماله في امسه وما قبل امسه ومنهم حضرة يوسف افندي البستاني وجناب المسيو منس وعزتلو نقولا بك توما وقد اطال هذا الخطيب فيما ذكر من شمائله واعماله وهيمته التي كانت لا تعرف السكال فاطاب وأثر أشد تأثير. طيب الله ثرى التقيد وعزى آله واصدقاءه خير العزاء والهمهم جميل الصبر

وقال البصير

بشاره نقلا

رنت اليوم اسلاك البرق بخبر اشتد وقعه على الصحافة والاداب
وعظمت فيه رزية المشئين والكتاب فقد نعي الينا من القاهرة رصينا
القديم وصديقنا الفاضل الحميم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا منشيء الاهرام
وزعيم الصحافة العربية بالاطلاق وصاحب الشهرة الذائبة المائة الافاق الذي
انشأ معالم الصحافة في الشرق ورفع منارها واجل بحسن مساعيه اثارها
واخبارها بل الصحافي العظيم الذي لبث في خدمة الصحافة خمسا وعشرين
سنة ما كل له في خدمتها قلم ولا ونت له في حسن السعي لها يد او قدم
حتى نشر مبداهها في الشرق كله فلم يخل منه بلد وجبها بحسن ذوقه الى
نفوس القارئين بعد ان لم يكن يقبل عليها احد فاذا حزنت عليه الصحافة
فانما تحزن على واضع اساسها وحامل نبراسها والقيم على حبرها وقرطاسها واذا
بكاه كتاب الصحف العربية فانما يبكون شيخهم الافضل واستاذهم الاول اذ
اي كاتب من كتاب صحائفنا لم تكن الاهرام له مدرسة وأية جريدة نشأت
بعدها ولم تكن على طريقها مؤسسة ولقد كان من هم الصحائف في هذا الحين
ان نقيم اليوبيل الفضي لزميلها الاستاذ القديم فابي القدر الا استبدال حفلها بحفلة
الماتم الاليم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ولقد كانت وفاة فقيدنا رحمه الله في القاهرة عن نحو خمسين عاما اثر
علة شديدة لزمته اياما قليلة فاشتد الجزع والقلق عليه في جميع البلاد حتى

عاوده اول امس شيء من العافية فاستبشرت القلوب بانها مقدمة تمام شفائه ولكن ابى الله الا اصابتنا بفقدته فقضي تنفطر على اثره الاكباد والنفوس ومضى والصحافة نقول لا عطر بعد عروس رحمه الله عداد مبراته وحسناته وعزى والدته وارملته وسائر اسرته الحزينة على فقدته واسكنه في دار النعيم من جناته

وقالت جريدة مصر

نقلا باشا

فجئت الصحافة المصرية في الساعة الثانية ونصف من صباح هذا اليوم بفقد المرحوم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد توفاه الله عقب المرض الذي اشرنا اليه قبل الآن فكان خبر انتقاله وقع شديد في النفوس لانه كان رحمه الله اكبر اركان الصحافة العربية وجريدته اقدم الجرائد المصرية اليومية وقد نال الرتب العالية وآيات النخر والاكرام اكثر من اصحاب الجرائد الاخرى . انعمت عليه الدولة العلية برتبة روملي بكاربي وبالسامات العثمانية والمجيدية ومنحه دولة فرنسا وسام اللجيون دونور وجاءته الاوسمة من دول اخرى كثيرة حتى انها جاءت بطلب منه لكثير من اقاربه واعوانه لانه نال حظوة عليا في الاستانة وتشرف بمقابلة جلالة السلطان غير مرة وتعرف بالكبراء والامراء والوزراء في هذا القطر وغيره وكان يقابل العظماء من حين الى حين وينقل عنهم الافكار والابخار الى حد لم يرو عن غيره من اهل

الشرق . وقد كان الفقيه من اصحاب الهمة العالية والاقدام الكبير والنشاط
الغريب جمع ثروة بجمده وسعيه ووصل الى حيث لم يصل اصحاب الصحف
العربية بعد باقدامه وحسن تديره فلا غرو اذا قلنا ان الصحافة المصرية
خسرت بفقده اكبر رجالها او اذا عم الاسف على فقده بين المصريين والسوريين
والذين عرفوه من الاوروبيين . اللهم الله حضرة قرينته المكرمة ونجله الوحيد
وشقيقه ووالدته الشكلي جميل الصبر على هذا المصاب

وستشيع جثة الفقيه الساعة الرابعة بعد الظهر من منزله بشارع الساحة
الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك بمشهد حافل يتقدمه قناصل الدول وجمهور
كبير من كبراء الموظفين ووجهاء الوطنيين والاجانب
وقد اتانا من ادارة جريدتي الاهرام والبيراميد ان الجريدتين لا تصدران
في ايام المأتم الثلاثة حداً على فقيدهما ورئيس تحريرهما

وقالت في عدد آخر

وفت الصحف المصرية على اختلاف مشاربها وانواعها فقيدها الطيب الذكر
ثقلا باشا حق التأين والثناء يوم مماته واتفق كتابها على مدحه في تفننه واجتهاده
في اعلاء شأن الصحافة وكان كذلك طيب الله ثراه يمتنى ان ينظر الاتفاق في
خدمة الصحافة وكان رائده طول حياته فلم تبق جريدة إلا اعترفت له بالفضل
الاكبر في خدمة الصحافة والاداب في هذه الديار وبانه اول من أعلى شأن
القلم ومهد للمنشئين طرق الكتابة ونشر الافكار

ولم يكن بين الباكين عليه والذين شيعوا جنازته اول امس اشد تأثراً
على فقده من زملائه الذين لم يكونوا وياها على اتفاق في المباديء والآراء حال

حياته وهذا من أكبر الشواهد على سمو منزلة الفقيد حتى في نفوس الذين كانوا يخالفونه في المبدأ والرأي ولقد كان الاحتفال بجنائزته اول امس العصر مؤثراً مهيباً فتقدم مشهده كوكبة من البوليس فرساناً ومشاة ثم تلميذات مدرسة اليتامى حاملات الشموع ثم قواصة القناصل فاحد محرري الاهرام حاملاً الاوسمة التي نالها الفقيد في حياته من الدول فجمهور الكهنة فبسطا الرحمة يحملهما ثمانية من الكبراء نذكر منهم صاحبي السعادة محمود باشا شكري وقايني باشا فهمي والباقون من اصدقاء الفقيد الاوروبيين ثم النعش وعليه عشرات من الاكليل التي لم يبق في المركبة التي نقله موضع لها فحلت في مركبات أخرى ثم جمهور المشيعين من القناصل وكبراء الموظفين ورجال الصحافة وكتابها يتقدمهم نجله الصغير الوحيد مطرق الرأس حزناً واكتئاباً وقد تفضل سمو الخديوي المعظم فارسل تليفراف تعزية الى عائلته الحزينة وكان حضرة علي بك كامل ينوب عنه في تشييع الجنازة

وعلى هذا الترتيب سار مشهده من منزله في باب اللوق الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك في قنطرة الدكة والناس من ورائه يبكون ويذكرون محاسنه آسفين لماته وعظم المصاب على قرينته المكرمة وولده ووالدته الثكلى واقاربه . ثم صلي عليه الصلاة الاخيرة وحمل الى مدفن مصر التيقه وهناك وقف حضرة الكاتب الاديب يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام فودعه بلسانه ولسان زملائه في جريدة الاهرام ثم تلاه جناب المسيو مانس محرر البيراميد برثاء فرنساوي العبارة ووقف بعدهما حضرة الاصولي البارع نقولا بك توما فمدد مناقبه والهمة التي حواها في صدره فصيرته عظيماً والوفاء الذي كان احدى صفاته الحسناء في معاملة اخوانه واصدقائه الكثيرين بعبارة

أسالت العبرات وضاعفت الحسرات وكان التأثر شديداً في نفس الخطيب
 ظاهراً على كلماته ثم خنفته العبرات فاقتضبت الرثاء وحمل الفقيد الى لحده
 فوسعته حجرة ضيقة وقد كانت الدنيا تضيق بآماله ومطامح نفسه الكبيرة
 وتفرق المشيعون وهم يتطلبون ان يجعل الله الجنة مثواه ويحسن عزاء اهله ومجبيه
 وهكذا ذهب نقلاً باشا الى العالم الثاني ولكن ذكره سيدي حياً في
 النفوس والخواطر ما بقيت الصحافة والاقلام

وقال الوطن

المصاب العظيم

يحق اليوم لارباب الصحف ورجال الاقلام ان يحملوا شعار الحداد
 ويذرفوا العبرات ويصعدوا الزفرات على فقد اقدم زعمائهم واعظم رجالهم
 وهيئات ان ينفع البكاء او يفيد الرثاء امام هذا المصاب العظيم والخطب الاليم
 أجل فقد انتشر صباح اليوم خبر انتقال صاحب السعادة { نقلاً باشا } الى
 رحمة الله بعد داء عيأ لم تنجح فيه حيل الاطباء فهال هذا الامر كل اصدقائه
 وزملائه الذين كانوا يتغذرون له الشفاء ويطمئنون بقرب نقاهته وتمافيه
 جمهور القراء

قضى نقلاً باشا بعد ان خدم الصحافة العربية مع المرحوم شقيقه سليم
 بك نقلاً اجل خدمة وجاهدا في سبيل احيائها واعلاء منارها في بلاد لم

يكن لها فيها ادنى اعتبار او شأن يذكر وقد قدرت الامة بعد ذلك اتعاها
 حق قدرهما واعترفت لهما بالفضل والسبق فصادفا من كبار رجالها واعاظم
 قوادها مزيد التعزيد والتنشيط واحرز في سابق ايامهما من النجاح والفوز
 والفلاح او فر نصيب

اما نقلا باشا فقيد اليوم فقد اشتهر بين الملا بالجد والاجتهاد والمثابرة
 والنشاط مع حسن الطوية وهي صفات يعترف له بها كل من عاشره او كان له
 بسعاده سابق معرفة ولذلك شق نعيه على الجميع وحزن لفقده كل ذي احساس
 وشعور على اختلاف المذاهب والمشارب حتى كانه المقصود بقول الشاعر
 كأنك من كل النوس مركبٌ فانت الى كل الانام حبيبٌ

ومما زاد في طنبور الحزن نعمة ان زعيم الصحافة المرحوم كان لم يزل في
 سن الكهولة وامارات الصحة وكال العافية على محياه ولذلك الامة كانت تنتظر
 ان يعمر أكثر من ذلك ويخدم البلاد بقلمه السهال وافكاره السديدة عدة سنين
 أخرى ولكن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وستشيع جنازة الفقيد بعد ظهر اليوم باحفال يليق بأسرته الكريمة تغمده
 الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والهم آله وذويه وجميع زملائه من
 الصحافيين جميل الصبر وجزيل العزاء

وقال الرائد المصري

فجعت الصحافة العربية عامة والصحافة المصرية خاصة بوفاة اقدم رجالها
واكبر زعمائها المرحوم المأسوف عليه بشارة باشا ثقلاً وقد كان لمنعاه رنة اسف
وحزن في القطر المصري والبلاد العربية كلها وجاءت وفاته كارثة شديدة على
المحارب والاقلام

أصيب رحمه الله بمرض تخبط الاطباء في تشخيصه فلم يهتدوا الى علاجه
فكثر بينهم الحجاج واللجاج والمرض لا يعبأ باختلافهم ويعضل من يوم الى
يوم الى ان دنا الاجل المحتوم فامهل المريض يومين يودع بهما اهله ويقبل لآخر
مرة ولده الاسيف فحسب الاطباء ذلك تحسناً وبشرونا فبشرنا القراء وقبل
ان يتم انتعاش النفوس فاجأها نعيه فبكته العيون وشقت عليه المرائر

اخلاق الفقيد - امتاز المأسوف عليه بشارة ثقلاً عن جميع رجال الصحافة
العربية بالجرأة والاقدام والمزاولة والثبات وهذه الفضائل كانت اساس تقدمه
ودعامة نجاحه وكان في اخلاقه الشخصية وافر المرؤة لا يتأخر عن السعي
لخدمه كل من طلب مساعدته ولم يعد مرة الا وعد صادق منجز ولم يكن
يألف بطبعه الرياء والمداهنة فاذا غضب من امر او استاء من احد ظهرت
دلائل ذلك على وجهه وفي اعماله وكان غيوراً على عمال ادارته يتنى لهم الخير
ويحثهم على الكسب والاقتصاد واذا بلغه ان واحداً منهم اقتصد شيئاً من
ايراده كان يفرح ويحثه على استزادته

النقيد صحافياً - وقد امتاز من حيث الصحافة بانه كان لا يكل ولا يمل

في خدمة جرائده وكان يقضي معظم وقته في تلقف الاخبار من مصادرها ومبادلة الافكار في كل موضوع مع من تكون لهم علاقة به حتى اذا ملا وطابه كتب ما يكون قد تحصل عليه من الافكار والاخبار وعلق عليها اراءه الخصوصية ونشرها على صفحات جرائده ولم يكن يهجم في ما يخطر له نشره ان كان يرضي بذلك زيدا أو يعضب عمراً وآخر الادلة على ذلك قيامه ضد السامسة من عهد قريب فانه مع علمه باقتدار تلك الزمرة انتقد اعمال افرادها وتصرفاتهم بلا مبالاة بهم ونوادره من هذا القبيل كثيرة يد منها ولا تعد

جراًة الفقيد - وكان رحمه الله يقدر نفسه قدرها ولهذا كانت فيه جراًة يندر ان يكون بعضها عند غيره ممن وجدوا في ظروف كظروفه وبهذه الجراًة نهض بنفسه الى مقام الوجهاء الكبار فتشرف مراراً بمقابلة جلالة السلطان وكانت له دالة على الخديوين السابقين ومعاشرة ومباشرة مع كثير من الامراء والوزراء فاذا ضمه مجلس وعظيماً لم يكن يخطر بباله ان بينهما تفاوتاً في المقام

القابه ورتبه - وقد نال الفقيد كثيراً من الرتب والالقباء فتحصل على رتبة روم ابي بكر بكلي وعلى المجيدي الاول من الدولة العلية ونيشان سان استانس الروسي ونيشان لجيون دنور الفرنسي ونيشان المخلص اليوناني ونيشان الافتخار التونسي ونيشان اليصابات الاسباني وغير ذلك من علامات الشرف والنشانات التي تبلغ الاربعة عشر عدداً

ثروة الفقيد - لو سلمت جميع الاموال التي دخلت ادارة الاهرام من عايدات الايام لكان من اكبر الاغنياء في الشرق ولكن معظمها ضاع في

تجارات لم تكن للفقيد يد فيها فكان هو يجمع وغيره يفرق ومع ذلك فقد ترك ثروة لذويه من بعده

مآثر الفقيد - من مآثره رحمة الله عليه انه اول من استمال عقول الزلاحين الى الصحافة وعلمهم ان يرفعوا شكواهم على صفحاتها

امراة الفقيد وابنه - كان لهذا الرجل سعي مقرون بالتوفيق وقد اتم له الله ذلك التوفيق بالسيدة الفاضلة التي اقترن بها فانها فريدة في عقد النساء جامعة للعلم والعقل والفضيلة والنبل وقد عاشا معاً اثني عشرة سنة كانت عهد نعيم لهما ولم يرزقهما الله الا غلاماً هو في الحادية عشرة الان من عمره وعنده من مخائل النجاة والنشاط ما يدل على انه سيكون خير خلف لابه ان شاء الله تعالى

مشهده - أصبحت العاصمة يوم السبت الماضي كما تصبح المدن الكبيرة عقيب اصابتها بكارثة عامة ولم يكن للناس حديث الا ذكر الفقيد وذكر مآثره والترحم عليه ولما كانت الساعة ٤ بعد الظهر مشى مشهد الجنازة من منزله بشارع الساحة الى كنيسة الرضوانية وتقدم التابوت بساطان للرحمة حملها اصحاب السعادة محمود باشا شكري ويعقوب باشا ارتين وقليني باشا ونقولاً بك توما وطويا بك كامل والافوكاتو بريفا والمسيو قصيري من رجال قنصلاتو فرنسا

وبعد اقامة الصلاة سار الموكب الى مصر القديمة وقبل ان واروه التراب ابنه حضرة يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام والمسيو مانس محرر البيراميد بما يليق بالمقام ثم تلاهما حضرة الخطيب اللسن نقولا بك توما فاستدر الدموع من العيون والذي زاد في التأثير على سامعي كلامه

انه اجتمع في الخطيب حسن الالقاء والشعور الحقيقي لان دموعه لم تكف عن الانهمال مدة وقوفه مؤبناً وقبلها وبعدها وخلاصة ما قاله ان الفقيد وجد في وقت كانت فيه الناس طبقات يمتاز بعضها عن بعض من حيث المال والجاه ولم يكن احد من طبقة معلومة ليطمع في الوصول الى الطبقة التي فوقها ولكن الفقيد كان اول من رأى ان الدنيا مجال واسع للمجتهد وان التقير باجتهاده يصبح غنياً فاسافر وكافح حتى وصل الى اسمى ما تطمح اليه ابصار ذوي الجد وكان بذلك قدوة لكثيرين ممن هدوا هديه وجروا على اثاره وخرج منهم اناس تفاخر بهم الاوطان

ولما انشأ جريدته انتشرت في البلاد مع كثرة ما كان يحول دون ذلك من الموانع وكان اول رجل في الشرق اذاع فكراً وابدى رأياً في مهام الامور والسياسة ولم يكن الجري قبله يجسر على اكثر من الهمس فيما بين اهله واخصائه بشيء من هذا القبيل وقد عانى دون ذلك ما عانى ثم فاز واقتفى اثره بعض الفضلاء فأنشأوا الصحف المتعددة واصبح ما كان لا يجرأ اعظام الناس على المذاكرة فيه امراً عادياً يقوله من يشاء ويعيده من يشاء

وفي اختتام عزى الخطيب آل الفقيد بارق العبارات ثم نظر الى نعش صديقه والدموع جارية من عينيه فودعه بصوت متهدج تقاطعه الزفرات وداعاً تقطرت له القلوب

ثم حمل النعش الى المدفن وأودع التراب في مشهد متناه في الجلالة نسأل الله ان يتعمد هذا الراحل العزيز برحمته ويفسح له في جناته ويهب الصبر الجميل والعزاء الحسن لاراملته الفاضلة ونجله الاسيف ووالدته الجليلة واخوته المحزونين انه ارحم الراحمين

وقال الاخلاص

دمعة محرقة

ماكدنا نفرغ من رثاء كاتب حتى جاءنا نبي عظيم فآبنا النعي بالنعي
كما تتبع الدمعة الدمعة فبالامس انطفأت اول روح صحفية تفخت في مصر
واحترقت اول فمكرة طبعت فيها على ورق فالرحمة للروح المنطفئة والرحمة
للنكرة المحترقة

توفي بعد منتصف ليل السبت المنصرم المرحوم المأسوف عليه بشارة
تقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid الافرنسية الرجل الشرقي الفرد
الذي فهم الصحافة فقدمها وعرفت الصحافة رجلها فرفعت شأنه . فقد سكتت
غرفته بعدما كانت ممتلئة به حركة وعملاً وانقطع صدى صوته من ذلك
البناء النخيم فما عادت تستأنس الطاولة بيده الحديدية بعد ان اعتادت عليها
ربع قرن او أكثر كانت تجاهد فوقها جهاد الانبياء . ولا عاد يرجف السلم
تحت قدميه الفولاذيتين ولقد كان ينفق النهار نازلاً صاعداً عليه بين مكتبه
وادارة العمل كاتباً امراً ملاحظاً منهاً منشطاً عاملاً يتعب السلم من دوس
قدميه ولا تعب قدماه من دوس السلم فقد مات الرجل الذي يحق له ان
يقول اني عشت ولم انم فقد كانت كل حياتي نهراً لان كل حياتي كانت
عملاً

كان في صدر فقيد الصحافة العربية روح كأنها قطعة من نار تلهب العمل
الهاماً فقد اخبرني عارف به قال ان هذا الرجل آلة للعمل لا تبدأ ساعة

وليس انساناً فليس بعجيب بعد هذا ان يتعب دماغه فيحنتن فقد استسلم هذا
الدماغ للراحة بعد ان اشتغل ٢٥ عاماً

ما رأت الصحافة العربية منذ كان الشرق عهداً لها ومنذ ولدت اماً فيه
ولداً من اولادها العديدين عرف ان يخاطبها بلغتها وتخطبه بلغته وان يفهم
سرهما وتفهم سره مثل فقيدنا العزيز فقد حق لنا ان نقول انه ابن الصحافة
الوحيد فقد أحب امه واحبته هذه الام فارادت له كل ما تريده ام لولدها .
الجاه والثروة والمقام ووهبته كل ما تملكه من هذه النفائس

مرض التقييد منذ ايام وكان مرضه شديداً عليه مثل شدة دعاء محبيه
بشفائه فلبث يتقلب على فراش الداء اياماً يتراوح الموت بين دماغه وامعاءه
فيشتد عليه احياناً ويرفق به حيناً وهو بين هذا وذاك مستسلم للقضاء مسلم
للعناية متكلم على الله الى ان وافته دعوته فنعاه لنا الناعون بعد ان نعي مراراً
من قبل حتى حق له ان يقول

ان كان ما بلنت عني كاذباً ففداً سيصدق ليس حي باقيا

ومما لا يخلف فيه اثنان ان الرجل كان كبيراً في فكره كبيراً في علمه
كبيراً في ادبه كبيراً في كل مواهبه رأى ان كفرشيا وطنه الاول ومسقط
رأسه مرشحاً صغيراً له فنادرها يطاب مرشحاً اكبر ودائرة اكثر اتساعاً
نحط له اذ ذلك ان يجيء مصر فجاءها كاتباً رأس ماله علمه واجتهاده وليس
هذان بالرأس مال القليل فكتب مفكراً وعمل نشيطاً حتى لب دوراً كبيراً
في بلاد وادي النيل وكان تاريخه متصلاً بتاريخ حوادثها الاخيرة فكان المنبه
الموقظ والمرشد الحكيم والمحذر العاقل يبصر كل ما يمثل داخل الستار ويعرف
كل ما يدور في النكر من المشاريع وكان من وثوق ابن اسماعيل وولي

عهده به أنه وضع في صدره اعظم سر عنده وقد كانت الحرب سجلاً والمداومات مشتتة بين ابيه وقناصل الدول فعمل بما عهد اليه حتى كان من امره ما كان ومن حوادثه ما ليس من غرضنا بيانه الآن

ساح فقيد الصحافة عواصم النرب فقابل كبراءها وعظماؤها وساستها وكان له معهم كلمة ثقال وفكرة تسمع ورأي يجل وهو اول من صنع هذا الصنيع من رجال صحافة الشرق وآخر من يستطيع ان يصنع مثله منهم فقابل وخاطب وناقش وحدث وروى فكان الخادم لوطنه سرّاً وجهرّاً المخلص لمواطنيه عملاً وفكراً

اشتهر بحسن ادارته حتى انه كان يدير الاهرام وصدى الاهرام في الاسكندرية والبيراميد وهي ثلاث جرائد يومية يعجز عن ادارتها ثلاثة رجال من اعظم مديري الصحف في النرب ثم ينظر في المطبعة واطيانه واملاكه ويقابل مريديه ويسعى لسائليه ويجالس محبيه فكان اثني عشر رجلاً في رجل واحد . وعرف بثباته على العمل ونشاطه وكفى على هذين برهاناً انه كان يدور الريف يوم كان لا يقرأ احد صحيفة ولا يطالع امرؤ جريدة فيرجع من دورته كلها بمائة مشترك او اقل ومع كل هذا فلم تضعف قلة قراءه ثباته ونشاطه فهو اعظم رجل تستطيع ان تكرمه الصحف العربية في مصر لانه اعظم رجل سعى في خدمة الصحف العربية في مصر فلولاها لما رأينا هذه الحركة الصحفية الكبرى ولولاها لما قام للصحافة قائمة على ضفتي نهر النيل ومما زاده نشاطاً وعملاً وسعيّاً راحته الداخلية فهي اكبر عامل يريح الرجل او يتعبه فقد وهبه الله امرأة مثلت فيها كل مواهب النساء التفاضلات المرأة الناضلة زوجة الرجل والام الحنون مربية البنين والسيدة الكريمة ربة البيت

خملت عنه قسماً كبيراً من مشاق الحياة كانت راحته اذا تعب وعزاه اذا
 حزن وربحه اذا خسر وكانت كنزه الكبير في بيته فلها قسم كبير من عمله
 لانها فسحت له الوقت للعمل ولها قسم كبير من حياته لانها كانت كل حياته
 الكبيرة في حياته الصغيرة

بلغ الثامنة والاربعين من سنه فقضى في العمر الذي قضى به المرحوم
 اخوه او اكبر قليلاً فكأنهما اتفقا على ان يعملوا سوية وان يموتا في عمر واحد
 وكأنهما كانا على ميعاد

رحمه الله رحمة واسعة قدر جهاده وعزى قلب ارملة الخزينة وامه
 الثاكلة وابنه الوحيد الاسيف الذي عرف اليتيم قبل ان يكتمل بدره واخويه
 الكريمين وجميع مأموريه واجمل عزاء اصدقائه ومحبيه فيه انه اكرم مسئول
 وأقرب محب

(حفلة الجنائزة)

ما ازفت الساعة الرابعة من بعد ظهر اول امس حتى اجتمعت مئات
 من الخلق امام دار المرحوم المأسوف عليه بشارة نقلا باشا ليشيعوا الراكب
 عربته الاخيرة والذاهب الى مسكنه الاخير فنزلوا به من مسكنه ضمن
 نعش من النحاس الابيض الجميل واركبوه العربة تجرها ستة جياذ من الخيل
 وقد امتلأت باكلة الزهر واحاط بها اربعة من الفرسان ومشى امامها يسقجية
 قناصل الدول وجنود من الفرسان والمشاة ثم بنات الراهبات تتقدمهن راية الصليب
 المقدس يحمان الشموع فحضرة صاحب النياقة المطران اثناسيوس ناصر وقد
 حضر من الاسكندرية ولقيف الاكليروس الروم الكاثوليكي وباقي الاكليروس
 الكاثوليكي فامل وسادة من الحرير الجميل وضعت عليها اوسمة التقيد التي احرزها

باجتهاده ونشاطه فبساط الرحمة يسكده اربعة من اكابر الفضلاء ووراء العربة نجله
الاسيف وعزة اخيه حبيب بك ثقلا والاهل والانساء وارباب الصحف العربية
والاجنية واكابر الوطنيين والاجانب وفي مقدمة الجميع حضرة عزتو علي بك
كامل احد رجال التشريفات الخديوية نائباً عن سمو عزيز مصر فحضرة صاحب
السعادة والاقبال محمود باشا شكري رئيس ديوان تركي خديوي سابق فسعادة
قليني باشا مراقب الاموال النير المقررة فحضرة الكونت سكاكيني باشا فثبات
من الشعب وكلهم آسف مترحم عليه يذكر من مآثره ما يحمد ومن محامده
ما يذوع فساروا حتى بلغوا به الكنيسة حيث صلى عليه نيابة المطران
انثاسيوس وعموم الاكليروس الكاثوليكي ثم خرجوا بالنقيد في مثل المشهد الذي
جاءوا به ولما وصلوا المدفن في مصر العتيقة أبته حضرة الكاتب الاديب
يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام مودعاً من قبل ادارة الاهرام
فالمسيو بول مانس رئيس تحرير جريدة اليراميد الافرنسية فحضرة المحامي البارع
والخطيب اللسن تقولا بك توما فانزل الدموع واستنزف الدبرات فواروا منه في
اللحد بقية الفضل والمجد وعاد الجميع يسألون للثاوي في رحمة ربه صيب الرحمة
والرضوان ولاآله وذويه جميل العزاء والسلوان

وقال الصباح

رزة عظيم

يعزّ على قلم هذا الحزين ان يخط نبأ فاجعة ولا كالانباء . ويكتب نعي

رجل يعز في جنبه العزاء . ويجول في تأيين عظيم في مقدمة الكبراء والعظماء .
 عماد الصحافة في الشرق وكبيرها . ومقدمها الفرد ونحريها صاحب الايدي
 البيضاء والافكار الثاقبة والسياسي المحنك والمطلع الخبير بشارة باشا ثقل صاحب
 جريدتي الاهرام والبيراميد اليوميتين

وصل الينا هذا النعي والجريدة معدة للطبع فنزل على قلب هذا الحزين
 نزول الصاعقة فعين تدمع . وفؤاد يتقطع . ومهجة حرى . ومقلة شكرى . وانا
 لله وانا اليه راجعون

انتقل الى رحمة ربه في مصر القاهرة اثر داء عيائ قصرت عنده حيل
 الاطباء . ولم ينجح فيه دواء . ولا استجاب الله سبحانه وتعالى فيه دعاء . فلي
 دعوة ربه تاركاً دار الفناء والشقاء الى مقر النعيم في دار البقاء

اشدد عليه المرض رحمه الله في اوائل هذا الشهر فهلت له القلوب
 وانسبت الايدي بالدعاء لله بسلامته وحفظه وجعلت الاهرام تصدر فتطئن
 خواطر قرائها في كل يوم والناس متطلعون اليها مشفقون عليها والرسائل
 التلغرافية تترى في كل ساعة بالاستخبار عنه حتى صدرت الاهرام يوم الجمعة
 فتحافظتها الايدي وقشستها الانظار لتقف على ما يكون فيه الاطمئنان فلم ير
 الناس فيها خبراً عن صاحبها فقلقت افكارهم وكثرت هواجسهم الى منتصف
 ليلة السبت حيث حل القدر ولم ينفع الحذر . ولا اغنى الاشفاق ولا
 استجيب دعا

كان الذي خفت أن يكونا انا الى الله راجعونا

مات هذا الفاضل العظيم فبكاه الفضل والعلم والعمل والاجتهاد . وقضى
 الى رحمة ربه نخسر الوطن اعظم رجل له في الدفاع عنه اعظم جهاد . عرف

رحمه الله ان المرء خلق ليعمل وادرك ان اشرف عمل انما هو القيام بخدمة الوطن فلم يترك دقيقة تمر من حياته دون عمل بين التحرير والتجوير والانشاء فيما يهدي الامة الى الصواب ويدفع عن الوطن شر النوازل فكان العامل المجتهد والوطني الحر ولم تشغله الثروة والغنى ووجاهة ما هو فيه من رفعة القدر وعظيم المنزلة عن واجب الخدمة العامة والجهاد في سبيل وطنه المحبوب خطة اتخذها عن فقيد الوطن والعلم اخيه السليم الذي جدت هذه الفاجعة عليه الاحزان . وحركت الاشجان لولا بقية امل بقيت في النفس بقاء اخويه الفاضلين الدكتور ابراهيم بك وحبيب بك ونجل الفقيد الكريم جبرائيل فان منهم من يحفظ لهذه الاسرة الكريمة شرف الغاية التي سارت اليها وطريق المجد التي توختها في سلم هذه الحياة الدنيا . اذامات منا سيد قادم سيد

رحم الله فقيدنا الكريم عداد حسناته واسكنه فسيح جناته وامطر ضريحه شآبيب الرحمة والرضوان وغيث التوبة والغفران وبرد فؤاد تلك الوالدة الثاكلة وذرع على جرح قلبها بلسم الصبر وعزى قريته الحزينة واخويه ونجله وسائر آله واصدقائه ووطنه والهمننا جميعاً صبراً على فقدته ومصيبتنا العظيمة فيه

وقال الكمال

كل من عليها فان

واذا المنية انشبت اظفارها ألقيت كل تميمة لا تنفع
رزئت الصحافة المصرية فجر امس بفقد اعظم اركانها واول من امتشق

حسام قلمه للزود عن حقوق الامة المصرية في وقت كان من المستحيل فيه
على انسان ان يفوه بنت شنة الا وهو الطيب الذكر المأسوف عليه بشارة
نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid

عاجلته المنون بعد مرض عشرين يوماً حار فيها الطب واعترف بان الله
وحده الشافي من كل داء فلم ينفعه طب الاطباء ولا نفس الحكماء -
مات عن نحو خمسين عاماً قضاها في الجد والكبد وسهر الليالي على ترويض
بضاعته بعزم اشد صلابة من الحديد وما انتشر نعيه في العاصمة صباح امس
حتى علت الكآبة الوجوه وانقض الخبر على نفوسهم انقراض الصاعقة على
الاجسام وخصوصاً على الصحافة لانه كان صاحب المقام الاول بين القائمين بها
مات وخلف من بعده ذكراً حسناً وثروة طائلة اوجدها بما فطر عليه
ايام حياته من النشاط والاجتهاد ولكن المقطع للاكباد انه لم يخلف وارثاً يمكنه
ان يقوم باعماله حق القيام لان ولده الوحيد لم يبلغ عشرّاً من عمره ولم يتم
دراسته لحد الآن مع شغف المرحوم بتربيته تربية حسنة ايام حياته وعندما
سمع الجناب العالي منعه اصدر امره لاحد رجال التشريفات بان ينوب عن
سموه في تشييع جنازته بالنيابة عنه وهي مأثرة من سمو الخديوي يستحقها فقيد
مثل المرحوم بشارة باشا خدم البلاد المصرية ربع قرن من الزمن وبالجملة
فقد اثر نبي الفقيد في جميع طبقات الامة اذ لم يحن وقت تشييع الجنازة
حتى ازدحمت الشوارع بالسائرين

ساروا بها ولكل بالك حولها صعقات موسى حين ذلك الطور
الى الكنيسة فصرى عليه لنيف من الكهنة برئاسة احد المطارنة وعادوا
معددين فضائله متأسنين على جده واجتهاده

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آله حدياء محمول
 ونحن كما نعزي نجله الصغير ووالدته الثكلى وقرينته الفاضلة واخوته
 واقرباءه وانسبائه نعزي الصحافة بفقده ونسأل الله لعائلته الصبر وجزيل
 السلوان وللفقيد الرحمة والغفران

وقال الاتحاد المصري

نقلا باشا

هوى اليوم طود من اطواد الفضل وركن من اركان الصحافة وعلم من
 اعلام النهى والحصافة بفقده الفاضل المأسوف عليه زعيم الصحافيين المصريين
 وكبيرهم ورافع رايتهم المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب الاهرام والبيramid
 وصدى الاهرام والوقت وصدى الوقت من قبلهما فما كدنا نفرغ يوم الخميس
 من نشر البشائر بخبر تقدمه الى الصحة حتى عاودته الحمى بكل ما اجتمع فيها
 من قوة الداء فقضى مساء الجمعة الماضي وحملت اسلاك البرق خبر هذا
 المصاب فما كنت ترى الا رؤوساً مطرقة ونفوساً جازعة وعيوناً دامية وانفاساً
 تصعد الزفرات ويحرق لمصر ان تبكيه وللشام ان ترثيه فقد كان في اولاهما
 مؤسس الصحافة الوطنية وخادماً اميناً لمصر وابنائها وكان للثانية نفراً ثابِتاً
 تعز به بين اكفائها

وللفقيد ترجمة حال واسعة تضيق دونها بطون الصحف والاوراق واهم
 ما يذكر منها انه قضى خمساً وعشرين سنة في خدمة البلاد بالصدقة والاخلاص

ولم يقابل في اوروبا وزيراً او اميراً الا وقد بني القصد من مقابلته على
استطلاع رأيه بشأن مصر واحوال مصر ومصير المسألة المصرية . ولا شك
ان المصريين واحفادهم سيدكرون ذلك على توالي الاعوام ما ذكرت بينهم
اثار مصر والاهرام

رحم الله فقيدنا واجمل عزاء آله وذويه والههم قلب والدته الحزينة بوجه
خاص صبراً مقيماً فقد جاء مصابها اليوم بعد فقد السليم مصاباً عظيماً

وقال الرقيب

{ المرحوم بشاره باشا نقلا }

رزية عظيم وخطب جسيم اصيبت به الصحافة العربية الشرقية بوفاة احد
اقطابها المأسوف عليه المرحوم سعادتلو افندم حضر تلري نقلا باشا مدير
جريدة الاهرام والبيراميد شقيقها الفرنسي . وقد اتصل بنا هذا النبأ والجريدة
تحت الطبع فوقع علينا وقع الصواعق على الرؤوس ولا سيما واننا كنا نؤمل
لسمادته الشفاء القريب بناءً على الاخبار السارة التي وردت امس واول امس
عن تحسن صحته . اما علة النفيد رحمه الله فقد كانت حمى شديدة وشللاً
بالدماغ وهو داء عيأ لا تنجع فيه حيل الاطباء . وقد قامت مصر وقعدت
لمصرع فقيدها الذي قضى ربع قرن في خدمتها وحق لها ذلك وحق
جرائدها ان تلبس السواد وتنذب فيه اول صحافي رقى شأن الصحافة في
الشرق باقدمه وهمته ووسع نطاقها الى الحد الذي وصلت اليه والقلم ليوقف

الآن عن ايفاء الفقيه حقه من الرثاء والندب فنكتفي بان تقدم من صميم
النوادٍ لاسرة نقلا الكريمة التي رزئت بوفاته رزءا ما بعده رزوء عواطف
التعزية والمشاركة في احزانهم سائلين الله تعالى ان يبرد قلوبهم بماء السلوان
ويتعمد الفقيه بالرحمة والرضوان

وقالت جريدة ابو الهول

والموت نقادٌ على كفه جواهرٌ يختار منها الجياد

لو كانت السعادة خالدة حقيقة في هذه الحياة الفانية لما مات بشاره باشا
نقلا صاحب السعادة والوجاهة صاحب الثروة والاريجية صاحب الزيرة والوفاء
صاحب المرؤة والولاء، صاحب العلوم والسياسة صاحب الآداب والكياسة
صاحب الافكار الثاقبة والآراء الصائبة صاحب الصفات الحميدة والسجايا الثريدة
صاحب المقالات المشهورة والحركات المشكورة صاحب العزم والاقدام في خدمة
الصالح العام صاحب النهضة والاجتهاد في ترقية شؤون البلاد صاحب السهم
الفائز في مضمار الصحافة العربية فجعت بوفاته حيث ترك لها جريدته الاهرام
والبيramid يتيمة تظلان تحت الوصاية والرعاية الى ان يبلغ شبلة القاصر عن
درجتي البلوغ والرشد اشده فيخله بأثاره المبرورة وبمسناته المشكورة
سقط عليه يد المنون فاخترمت نفسه الطاهرة الساعة الثانية والدقيقة
الخامسة والثلاثين بعد نصف ليلة امس في منزله الكائن في شارع الساحة
بالعاصمة عن ثمانية واربعين عاما قضاها في خدمة الانسانية على اثر داء

اصاب دماغه المتوقد بالذكا منذ ثلاثة اسابيع كابد في خلالها آلام الداء
 الميأ الذي افنى مهارة نظس الاطباء وبينما كنا نعال النفس ان نفتتح الابواب
 المحلية بشرى عمومية لاهل النضل ولرجال النبل بزوال بعض الخطر الذي
 كان محققاً به نزل علينا نبأ المصاب بوفاته والجريدة ماثلة للطبع فشطبنا
 بشرى الهناء وانزلنا مكانها عبارات الغزاء لاسرته الكريمة . عامل الله فقيد
 الوطن بوافر عفوه ورضوانه واسكنه فسيح جنانه وقبض لآله الصبر الجميل
 على احتمال هذا الرزء الجليل وسيحفظ بتشييع جنازته في الساعة الرابعة بعد
 ظهر اليوم الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك وبعد الصلاة عليه يوارون
 منه بدراناً في الثرى ويدفنون في قبره المكارم والمحامد والتقى

وقالت جريدة البوسطة

وامصبيته

لم تبتغ شمس يوم السبت الماضي الا وقد ورد الينا نبي حضرة رصيفنا
 الناضل بشارة باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد الاغرين الذي
 خدم البلاد وأحسن في عشرة العباد مما كان سبباً لتأثر الجميع عليه ولم يداو
 جرح فقيد اخيه سليم بك الا وكان جرح على جرح وهو اصعب ما يتلم
 منه الانسان فتكسرت النصال على النصال وسرى النعي حتى كدر البال وغير
 صافي الحال بلون الحداد على فقيد خدم البلاد وسعى في زوال الاستبداد كما
 اقر به الكثير من المصريين الذين يقدرون الاعمال حق قدرها وينزلون

الرجال منازل فضلها وشيعة جنازته من منزله باب اللوق في الساعة الرابعة
 بعد ظهر ذلك اليوم الى الكنيسة الرضوانية بجهة قنطرة الدكة حيث مشى امامها
 من سكان مصر اعظمها وأواسطها وكل عين من الاعيان تذرِف الدموع على
 فاضل كان مشكور الصنيع محمود السبي حر الافكار مقتدٍ بفضائل شقيق سبته
 الى الرضوان فرياً له مكاناً ثم ناداه قلباه كما هيأ له حياته الدنيا ونعيم عيشه من
 المال واجلاه وبعد الصيت وشرف النفس وعلو الهمة وخدمة الدولة فكان
 منظوراً من الجميع ومهبط انعامات الدول ومحل الالتفات بالحسنى كانا ولهم المنة على
 هذه الامة لانهما كانا لا يتحيزان الى باطل ولا يرهبان قوة سيطرة امام الحق
 فهما الامامان الكاتبان الزهيدان النشيطان لم يسمع عنهما اكتساب من غير وجه
 لائق ولم ير احدهما بمجلس سياسة الا وهو القائق فنأسف عليهما ونزى
 انفسنا على مصيبتهم كما نعزي اهل ذاك الحي الكرام ونطالب من الله عزّ
 وجلّ ان يحفظ الخلف ويطيّل في الاجل حتى نراه وفق الامل ولا بدع فان
 هذا الشبل من ذاك الاسد وعهدنا به في الرأي الاسد

وحق علينا ان نشكر عواطف سمو ولي النعم لاسدائه على تلك العائلة
 حال الانعام والكرم حيث ارسل من قبله مندوباً على القدر لتعزيتهم والسعي
 في جناز فقيدهم فسارت الالسن تدعو الله ان يديم عزيز مصر وملك هذا
 العصر آمين

ونرجع بالحديث الى ذلك المشهد فلما ان وصل الجمع بذلك الفقيد الى
 قبر ثوارى فيه شمس الفضائل قبيل وقت الاصال قام فابنه صاحبه الناضل
 نقولا بك توما بما أجرى الدموع وجلب الهلوع فحارت وخارت النفوس
 وذهب جيش الصبر وانهمزم امام جيش الجزع حتى انثلم وعلم الناس مقدار تأثير

الفرق وطلب بكبد مقروحة سحائب الجود على هذا الناضل بالاطلاق
وانصرفت تلك الجموع والحزن سماء تظلمها وكان لا أرض ثقلها لشدة التأبير
على هذا الفاضل النحرير

وقالت جريدة المحاكم

فقيد الصحافة

ذلت ريحانة الادب . في بلاد العرب . وأفل بدر الشهرة من سماء
الكتابة . وطوي العلم الاكبر من أعلام الوجاهة في عالم الصحافة . وغمد سيف
العزيمة عن المضاء . واحتجب مثال الهمة بالانزواء . وهوى طود التفضل . واندك
ركن الكرامة والنبيل . مات المأسوف عليه واي اسف . والحزون عليه بهزيد
اللف . من كان يدوي صدى رأيه في الآفاق . ويهاب امتشاق يراعه العظماء .
مات المرحوم — نقلا باشا — وضمه القبر . وكان بالامس لم تسعه مصر . فوقع
نعيه وقوع الصاعقة . وحل خطبه حلول الناجمة . وهلع لاجله قلب النشاط
والهمة . وصدعت به افئدة الكرام من الامة . جاءه الموت فاخذله الصوت .
في الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ بعد منتصف ليلة الجمعة الواقعة في الخامس عشر
من هذا الشهر المشؤوم بعد ان مرض عشرين يوماً سمعنا في خلالها روايات
اختلف الاطباء في تشخيص علته وفي نهايتها انه جاوز الخطر وتمائل الى الشفاء
ولكن اذا حل القدر . فلا طب ينفع ولا علم بشر

مضى هذا النقيد الكريم وعمره ثمانية واربعون ربيعاً قضاه في مغالبة
التقاليد واعلاء شأن الصحافة في الشرق حتى بلغ شأواً لم يدركه سواه ولقب
بالمسكد المجد والحازم العازم والنيور الصبور . وله آثار في ربع قرن عاشه
في عالم السياسة والتحرير تضيئ عنها الاسرار . فهو اول من ناضل الاستبداد
في زمنه جهاراً وجرأ الضعيف على طلب حتمه ورفع صوته . وهو اول قدوة
للكتاب في مصر من حيث المجاهرة بالتمكر وانتقاد اعمال الحكومة والحكام
وبث روح الحياة في عناصر الامة في سائر أزمته الشدة والازمة . هو العصامي
الذي جالس الملوك والسلاطين وحادث الامراء والوزراء وحاز ارفع الرتب
والنياشين ونال الاسم العظيم في مشارق الارض ولم تبطره النعمة . وهو الناضل
في عمله الاديب في قوله المحتشم عن فلتات اللسان . الصافح عن زلات حساده
ونائم اضداده . وهو الجبل الراسخ في مثابة الاعمال والرجل الحديدي في
الثبات والاقدام والمدافع المريب عن دولته وابناء جلدته والموصوف بالفضيلة
وكرم السليقة وطيب الشمائل بما يعجز عن وصفه القائل . وهو نخر لبنان
منبت غرسه ومجد ابناء سوريا في كبر نفسه وهو العظيم المشهور بعظم
الاعمال في مصر فيالاسف عليه ويا للخسارة . واني لا ابكيه بدمع المقل ولا
ارثيه برائق الجمل لانه لم يميت فاسمه حي ما دامت الارض ارضاً والسماء
سماً . واني لا اذكر شيئاً من حفلات مأتمه ولا كيف ان عطاء القوم
احاطوا بنعشه وان امير البلاد اهتز لخطبه فكل ما حصل وامكن ان
يحصل قليل ودون القليل في جانب مقام الحي النقيد

وقالت جريدة المحروسة

بشاره باشا نقلا

نجعنا بل نجعت الصحافة العربية بفقد الرصيف العزيز الفاضل المنفور له بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية والبيراميد الزنسلوية . نجعنا بنحبر وفاته بعد ان كان الامل كبيراً بقرب شفائه من مرض دهمه وهو مملوء صحة وعافية فاودى بحياة عزيزنا الراحل وزعيمنا العظيم بحق الآداب ان تبكيه وللمعالي ان ترضيه ولاهل الفضل والكمال ان يعظموها المصيبة فيه . وقد كان هذا الصحافي العربي من اهل الجد والكد وذوي النشاط والاقدام الذين تضرب بذكرهم الامثال . فهو اول صحافي عربي أثنى شواهد الصحافة وأعلى منارها . وهو اول صحافي عربي تدرج في مدارج المعالي حتى نال باية روملي بكربك والنيشان المجيدي الاول واحد عشر نيشاناً من ملوك الارض . وهو اول صحافي عربي جاب بلاد الشرق والغرب وقابل عظماءها وكبراءها ونشر آراءهم وافكارهم . وهو اول صحافي عربي أوجد له مطبعة من احسن المطابع واغناها . وهو اول صحافي عربي تفنن في اكتساب الثروة بالوسائل المحللة والوسائل الاقتصادية المحموده . وهو اول صحافي عربي عاركة الزمان ثم عارك هو الزمان وفارقه ظافراً قاهراً منصوراً - فلتبكي الصحافة والصحافيون ولتنح عليه الآداب والمعالي وليرثه الادباء والنضلاء والشهداء ما استطاعوا الى البكاء والنواح والرثاء سيدلاً - اجزل الله عليه الرحمة وبرّد مشواته في التربة وعزى قلوب حضرة قرينته الثاكلة ونجله الحزين وسائر ذويه على فقده

اقوال المجلات العربية

قالت مجلة الهلال

بشاره باشا نقلا

صاحب الامرامين (الامرام واليراميد)

اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تختلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها التناء فتتبع
يجي المرء الى علم الوجود من غير اخياره . ويذهب عنه من غير
اخياره . ويجناز طريق الحياة وهو يقنات مما ابته الارض فوق رمم اجداده
ويشب على ما يقتضيه تفاعل العناصر مع ما ورثه من ابائه . فيسعد او يشقى
تبعاً لما يكون من طبيعة مزاجه . غنياً كان او فقيراً . ولو خير وكان له رأي
صائب لاختر العدم على البقاء لانه لا يجد في الحياة غير الشقاء والبلاء . وله
عبرة باخبار الاولين من اسلافه وقد توالوا على الارض اجيالاً لا يحصيها
عد ولم يبق عليها من ابناءهم غير الاثر الضيف . ولا من اجسادهم الا ما
انحل بفعل الميكروب فانبت بعضه غازاً الى الهواء فتتنسه الحيوان . وتحول
بعضه الى هباء وامتزج بعناصر التراب فامتصته جذور النبات . ثم تناوله
الحيوان فناد الى ما كان ولله درابي الملاء حيث قال

صاح مندي قبورنا تملأ الرحـ بـ فاين القبور من عهد عاد
خنف الوطء ما اظن اديم الـ ارض الا من هذه الاجساد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من من تراحم الاضداد

ولكن الحياة مع سرعة زوالها فان النفس تتطلب بقاءها وتشتاق الى اطالتها جهود طاقتها

وحياة الانسان لا تقاس بطول ايامها وتوالي اعوامها بل بمقدار اعمالها وما تركه من اثارها . فقد يعمر بعضهم طويلاً فهو قصير العمر وان طالت ايامه وتددت اعوامه وقد يعيش الاخر زمناً قصيراً فيعمل فيه كثيراً ويترك أثراً جليلاً فهو طويل العمر وان كان عمره قصيراً . ويقال في حياة الاول انها طويلة ضيقة وفي حياة الثاني انها قصيرة عريضة

كذلك كانت حياة فقيد الصحافة المصرية رصيفنا ومؤسس اقدم صحفنا السياسية صاحب الاهرام بل صاحب الاهراميين . مات وقد عمل في عمره القصير ما لا يستطيعه غيره في عشرين . وكان رحمه الله مثال الاقدام والنشاط وقدوة رجال الاجتهاد . مات في اوائل كهولته وقد قضى نصف العمر وخيرته دائماً لا يعرف الكسل ولا يقعه الملل والناس يعجبون من صبره على العمل جاء وادي النيل في عصر المرحوم اسماعيل ورأس ماله نشاطه واقدامه فأنشأ الاهرام مع شقيقه المأسوف عليه والصحافة المصرية لا تزال جنيماً والصحف يومئذٍ تعد على الانامل والناس لا يعرفون لها قدراً . وهي كما نعلم صناعة رزقها اضيق من شق القلم جاهد في سبيلها بضعاً وعشرين سنة لاقى في اثنائها عقبات رضح لها رجال الصحافة من اسلافه ومعاصريه وتغلب هو عليها بسميه واقدامه وصدق عزيمته . حتى بلغ منها ما ازاد فأثرى ونال الرتب والالقب وجالس السلاطين واسترضى الامراء . وصادق العظماء والعلماء وخدم الاقارب والاصدقاء

جننا الديار المصرية على اثر الحوادث البرابية وعرفنا الفقيد وهو يدير

الاهرام واخوه يحرره ورأيناه يقضي النهار ساعياً والليل منكرآ ويرى اطول الايام قصيراً والناس يتحدثون باعماله ويعجبون بنشاطه . ولم يكن سعيه قاصراً على ما ينفع به نفسه ولكنه كان ينظر في مصالح اخوانه . ويبذل السعي والمال في سبيل قضائها كأنها ضريبة عليه واجب ادائها . وهو امر يعترف له به الخاص والعام

لم يمض على فقيدنا بضعة اعوام منذ بكى رفيقه في جهاده شقيقه السليم واخذ امر الجريدة على عاتقه وادار العمل بده وحده حتى اضاف على الاهرام اهراماً أخرى وهو لا يزداد الا نشاطاً واقداماً ادهش به موارفه وسحر قراءه . ولم يشك الملل ولا قال تعبت من العمل . وكان له جسم لا يتب ودماغ يتقد حدة وذكاء كأنه شملة من اقدم - ولكن ذلك الدماغ مازال يتوقد حتى احقن ثم التيب وكأن ما كان من انتضاء الاجل قبل حلول الاجل والناس لا يصدقون ان تلك الامة العالمة وذلك الازم الثابت يصيران الى التناء العاجل . ولكنه وأسفاه عليه حمل جسمه ما لا تستطيعه الاجسام من سهر الليل وسعي النهار

واذا كانت النفوس كباراً . تعبت في مرادها الاجسام
 قضى في الثامنة والاربعين من عمره على اثر علة عجز الاطباء عن تشخيصها ولكنهم بذلوا الجهد في علاجها فقضوا عشرين يوماً وهم يختلون اليه جماعات ووحيداناً يبدلون الدواء بالدواء . وامرأته الحكيمة الكاملة واقفة بين يديه ترقبه بعينها وتخدمه بيديها وترعاه بقابها وتشاركه بدواظفها وتنشطه بلطفها وانسها ولو استطاعت الزندية لندته بنفسها ولكن الله اراد ما لم ترده فاخطته المنون من بين يديها وغادرتها حائرة تنذب بعلمها وترثيه . وامه العجوز

تناديه وتبكيه وتكثفه السلام على اخيه . ونجده الوحيد . يترامى عليه ويدعوه وما
عهده به الا محيب دعاءه ملب سؤاله الا اليوم فقد خاب نداؤه وذهب
رجاؤه ضياعاً . رحم الله التقييد رحمة واسعة وعزى ارملة الفاضلة ووالدته
الثاكلة واخوته وسائر آله على فقده والمهم صبراً جميلاً على هذا المصاب
الجسيم

وقالت مجلة الضيآء

كل من عليا فاف

كان هذا الشهر مشكلةً للعلوم والاداب ومناحةً للادبآء . والكتاب
نعي في صدره احد فتيان الوطن الالبآء وغصن من اغصان دوحة الكتابة
والانشآء . المرحوم سبع شميل الذي ذكرنا منعه في الجزء السابق وفاجأنا
في منتصفه نعي شيخ الصحافة وكبيرها بل مقدمها واميرها المرحوم بشارة
باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام . واشهر من تولى جريدة في قطري مصر
والشام اخترمته المنية في الخامس عشر من الشهر على عقب دآء عيآء
حارت في تشخيصه بصائر الاطباء فكان له يوم على القلوب شديد
تناقلت انباءه اسلاك البرق ورسل البريد واندفقت الافلام تقضيه حق
التأبين والرثآء وتشيعه بذكر ما له من الآثار الجميلة والمآثر البيضاء . وفي
مسآء ذلك اليوم احتفل بدفنه في مشهد قد حفت به مظاهر المهابة
والاعظام ومشت فيه الالوف من ارباب المقامات وذوي الافلام حتى

اودعوهُ الترابَ مذكوراً بما لهُ من النضائل والاحسان وعادوا من قبره وهم
 يستمطرون عليه سحاب الرحمة والرضوان
 وكان التقيد رحمه الله رجلاً كبير الهمة مقدماً جسوراً وُلد في قرية
 كفرشيا من سفح جبل لبنان سنة ١٨٥٢ وتلقى دروسه في المدرسة الوطنية
 في بيروت وفي سنة ١٨٧٥ قدم الديار المصرية فأنشأ بها جريدته الاهرام
 بمعاونة اخيه المرحوم سليم بك وهي اول جريدة عربية انشئت في القطر
 بعد الجريدة الرسمية فسلك بها مسلك الجدّ والثبات ولم يألها سعياً واجتهاداً
 حتى بلغت اعظم مبلغ من الشهرة في القطر المصري وخارجه ولم تبرح مستقى
 لصحيح الاخبار معروفة بالصدق في خدمة المصلحة العامة كما يعلم ذلك كل
 من تتبع اعدادها . وكانت الاهرام تصدر اولاً في الاسكندرية واستمرت
 على ذلك الى سنة ١٨٩٨ فنقلها الى القاهرة واستخلف مكانها جريدة أخرى
 سماها صدى الاهرام ثم انشأ في القاهرة جريدة الاهرام الفرنسية فكان
 يتولى سياسة الجرائد الثلاث معاً وهو مما يشهد برحب ذرعه وقوة جلده
 ومقدرته على الاعمال . ثم رأى من صدى الاهرام ضعفاً وتأخراً لانها لم
 تثبت مع الاهرام فلانها من عهد قريب ولبثت الاهرام العربية وصنوتها
 الفرنسية تصدران في القاهرة الى يوم وفاته . وكان خلا ما ياتي الى الجريدتين
 من الاغراض السياسية وغيرها كثيراً ما يكتب فيها بقلبه المقالات البليغة
 الناطقة بسعة اطلاعه واحاطته بمعرفة سياسات الدول وتواريخ الممالك وما
 بينها من الصلات والمعاهدات وهو مما يدل على شدة اهتمامه بالخطبة التي
 اتخذها شغلاً لحياته فدرسها حق درسها واستقرى جميع دقائقها واطرافها
 وقد نالت جرائده الثلاث ولا سيما الاهرام العربية منها اعلى مكان

من الاهمية في المقامات الرسمية وحاز لاجلها المكافآت الجمّة من أكثر الدول
 وكان لها من الفائدة بين قراء العربية وعلى الخصوص في القطر المصري ما
 لا يسع احداً انكاره فانها بُدئت وليس في القطر المصري من يقرأ جريدة
 ولا يعلم شيئاً من امور السياسة والحقوق ولا يهتمّ اسماع حادثٍ من الحوادث
 الخارجية ولا الداخلية فما لبثت بضع سنين حتى انتشرت الرغبة في المطالعة بين
 خاصة الناس وعامتهم وازداد عدد القراء سنةً بعد سنة حتى صاروا يُعدّون
 بالآلاف وتتابت بعد ذلك الجرائد في القطر فلم تعدم واحدةٌ منهم عدداً
 كبيراً من القراء فكانت منزلة الاهرام ولا جرم منزلة استاذ لاهل القطر
 وممهد لسائر الجرائد وموطئاً لانتشار العلم والاقبال عليه وهو فضلٌ لو لم
 يكن لصاحب الاهرام سواهٍ لكفى . وليس هنا محل ترجمة حياته بالتفصيل
 وانما ذكرنا ما ذكرنا بياناً لمزية الرجل والماء الى ما استحق به المنزلة التي
 بلغها من اجاه الرئىض والدنيا الواسعة مما لم يبلغه كاتبٌ قبله في الشرق
 تتمده الله برحمته واجمل جزاءه في دار النعيم

وقالت مجلة طيب العائلة

المرحوم بشاره باشا نقلا

فقدت الصحافة الشرقية في الرابع عشر من هذا الشهر زعيمها ومؤسس
 اقدم جرائدها المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد
 أصيب منذ بضعة اسابيع بمرض عضال فذهب مأسوفاً عليه بعد ان قضى خمسة

وعشرين عاماً يخدم الصحافة الشرقية اجل خدمة بقلده وارانته وقد كان
 مثال الجد والاجتهاد والنشاط والمثابرة على العمل . وأتيح لنا ان نعالجه في
 آخر مرضه فوفقنا الى تحسين حالته تحسیناً احی في الجميع امل الشفاء ولكن
 المرض كان قد تمكن من جسمه وتأصل فيه ففقد مبيكياً عليه من الجميع لعلو
 منزلته وجليل خدمته . ونأسف لندم استطاعتنا اطالة الكلام عما فعله مؤسس
 الصحافة في الشرق لان مجتتنا طبية صحية ولكن الجرائد اليومية والمجلات
 الادبية وفت الموضوع حقه بذكر جميع اعمال هذا الرجل العالي الهمة .
 اللهم الله قرينته الناضلة التي هي مثال الفضل والكمال وولده الوحيد وجميع
 اهله واصدقائه جميل العزاء والسلوان

وقالت مجلة الجامعة

فقيد الشرق العظيم

{ بشاره باشا نقلا }

صاحب جريدتي الاهرام واليراميد

مات نقلا باشا . مات الرجل الذي علم الناس كيف يجب ان تكون
 الرجال . مات المقدم الذي ولد صغيراً في قرية صغيرة ثم بلغ به اقدامه
 وذكاءه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشرة طائرة طبقت

الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول ووسامتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الامم في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتبه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبح باش كما تراه في رسمه يجذب القلوب اليه ولو كانت متأمة منه . وامرأة فاضلة فلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فإذا كان ينقص رجالات له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيداً ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينتصه ان يكون البشر اقل رداة وخبثاً مما هم عليه وان يكون هو اقل تأثراً لاعتمادهم وحسدهم . ولكن قدر ذلك الامر فكان . ومات نقلا باشا في اطراف الكهولة قبل استيناء اياه كلها ثبات بهوته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيه العظيم على الجامعة وتلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملة من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التنصيل الى حين تجتمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

{ ترجمته } ولد الفقيه رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كزاشيا من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك نقلا فانشأ فيها جريدة الاهرام .

وكان عمر النقييد يومئذ ٢٤ عاماً . ولا نسهب في ذكر المصائب التي قامت في سبيلها لأول مرة والهمة التي قلوبها بها إنما نكتب في بذكر كلمة للنقييد قلها قبل وفاته بخمسة أشهر في إدارة جريدته صدى الأهرام في الثغر . فان بعض اخيمائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطالب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكنا ولو كنت بمحدثك وبيعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يُتخذ كتاريخ لكل حياة النقييد من اولها الى آخرها . فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحدة او الالهال او حوادث الزمان سبيلاً للتأثر فيها . اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلي ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجهد وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصائب والعوطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

{ اخلاقه وخصائله } وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفضل ترجمة النقييد في هذا الفصل وانما نلم بها المأمراً فقط ولذلك نتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات النقييد واخلاقه لما لها من العلاقة بها . ويسوءنا ان نقول ان خصوم النقييد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجبل الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته . وسبب ذلك مختلف فيه . فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم تثير المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريين منها او بعيدين عنها . وبعضهم يقول لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية . وبعضهم

يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حد سواء
غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك . فقد ذكرنا ان التقيد
تسلق بجده وكده قمة المركز الذي بلغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً
اعانه يوم نكبة الازهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ التقيد هذا الجميل الى
آخر حياته . وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد
عاش الناس واختبر اخلاقهم ورأى معاكستهم ومشاكستهم وما هم فيه من
الدناءة حيناً والعدوان وحب الشر احياناً . فترك هذا الاختبار في نفسه أثراً
شديداً حتى اذا ارتى عن الناس واستغنى عنهم جلس يضحك منهم ويلطفهم
متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للجاملة . فهذه الحالة انشأت
في نفسه ثلاثة مبادئ (اولها) استنناؤه عن الناس واعتبارهم آلات في يده
(وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القاب في
مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتب العامل ويشق ليستحق اجرته وليس من
العدل ان يعطى فوق تعبه

ولا نقول ان هذه المبادئ مبادئ يجبها الناس ولكننا نقول انها مبادئ
عملية مادية وبها تبنى المراكز العليا في هذه الحياة . وهي مبنية على قاعدة
الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبد الضعف والمحابة من
طريق المصلحة ودوس كل صوبة من اجلها . وكأن التقيد قد شعر رحمه الله
ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم
- بدليل « سياسة المصلحة » التي افنتحتها المانيا وانكثرت في السنوات الخمس الاخيرة -
جعلها محوراً لادارته . وبناء عليه فانه يجوز ان يُعدَّ التقيد متقدماً في هذا
الامر ابناء العصر الاتي

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح ليل بعض الناس عن الفقيد واذا
 سموا هذا الامر اثرة واستقلالاً مضرراً فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي
 خرج منها والناس الذين خبرهم قبل ارتقائه جعلوه يتأثر منها تأثيراً سيئاً منهم
 بما كسبه ومقاومته بدلاً من مساعدته . وفضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت
 بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملر والمستر
 سسل رودس حتى اللورد سالسبوري كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة
 المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » ويسوئنا ان نقول ان هذه
 ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعاً هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد
 روزبري

{ منزلته } اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب
 بحيث يعلم القراء . فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني
 غير مرة فاجمل جلالته ملاطفته . وقد اجترأ الفقيد في احدى مقابلاته لجلالته
 فقال له وكانت المسألة المصرية يومئذ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا
 ستصبح ميداناً واسعاً للاستعمار وجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين
 المطيعين لجلالة خديتكم فهلا صرفتم شيئاً من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل
 اقتسام اوروبا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا اوربا » وقد اخذنا هذا
 الحديث من فم سعادته . وذكره سعادته يوماً ما في احدى مقالاته وزاد عليه
 انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة ابي الهدي افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجناب الخديوي العالي وقلمها يمر عام ولا
 يتشرف بتناول الطعام على مائدة سدوه بضع مرات بدعوة خصوصية
 وكانت جريدة الدبلي ميل والتمس تستغربان بعد وفاة المرحوم الخديوي

توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءل ان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكرا ام وزير مصر . ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيه عليها تنديده في الاهرام بالخدوي اسماعيل باشا يوم مدَّ يده الى الخزانة المصرية . فكان ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة . فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادت رفته في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم . ومنذ ذلك الحين لجأ النقيذ الى الحماية الفرنسية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمركز من الدائرة . وله صلوات ومعرفة في اكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثير من رجال حكومتها واعاظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات . وقد ذكر لنا مرة انه ورد من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكانة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » وذكر لنا الملاحظة فسالنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق . وبيض شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان نقلاً باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه

{ وساماته } اما وسامات النقيذ ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكربكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء . ومن

وساماتها الوسام المجيدي الاول وهو اسمى الوسامات دون المرصعات . ونال
ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسي) ووسام الافتخار التونسي
من عظمة باي تونس ووسام سان ستنسلان من روسيا . ونال ايضاً وسامات
غيرها من دول كثيرة

{ جرائده ومحرووها } وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم
يسبق له مثل في الشرق . الاولى جريدة الاهرام وهي يومية . والثانية جريدة
صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت
يومية ايضاً . والثالثة جريدة البيramid الفرنسية وهي يومية ايضاً وقد فاقت
جرائد القطر الافرنجية كلها في عام واحد . والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية
ادبية فرنسوية اسمها « العائلة المصرية » توزع مجاناً على المشتركين في البيramid
هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها العديدة عن العمل
ليلاً نهاراً . واكبر آلاتها تدار بالبخار

اما المحررون الذين خدموا الاهرام فهم اكثر كتاب هذه الايام
واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعمال فانهم جيش كثيف يستغرق
عدم صفحات عديدة

{ وفاته وجنازته } ولكن كل هؤلاء الاصدقاء وكل تلك المنزلة السامية
وكل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور . ولم ترد المقذور . ولم تمح ما هو
مستور . فقد أصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اخلف الاطباء فيه فمن
قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه احتقان في
الدماغ . وقد رجح بعضهم هذا الداء الاخير وزادوا عليه الشلل . وفي يوم الجمعة
١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب

عن حالته فقال له الطيب قولاً مسكناً ولكن الفقيد كان كأنه شعر بدنو اجله
فاسندعى اهله وولده الوحيد فودعهم واوصى ابنه بطاب العلم والادب وسلوك
سبيل الاجتهاد. وما فرغ من ذلك حتى أصيب بنوبة شديدة افقدته النطق
فجعل ينظر الى من كان حوله ويودعهم بعينيه الى ان انتصف الليل فدخل
في الاحضار. وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه
ولما انتشر نعيه قامت له مصر وقدمت وبث الجناب الخديوي العظيم
رسالة يعزي بها اسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي
ان يسير في جنازة الفقيد من قبل سدوه وتقاطرت رسائل المزين ومركباتهم
من كل فج وصب على المنزل الجميل الذي شاده الفقيد منذ عامين في
العاصمة. وفي مساء ١٥ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه
الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء
والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرروها وتقدمت اكاليل الزهر
الى نعش الفقيد عشرات عشرات. وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك
على جثته الهامدة - تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك
الجبال - نقلت الى مدفن مصر المتيقة فأبن الفقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد
يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو
بول منس رئيس تحرير جريدة البيراميد وعزتلو نقولا بك توما المحامي المشهور
فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس. ثم نُصِب النش في ظللة القبر فغابت
معه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج
{ مصير البيراميد والاهرام } والان قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ
العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية. فهل يدوم هذا

الفراغ او يمن الله بسده رفقاً بأسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة ؟
 انه لما توفي المرحوم سليم بك ثقلاً مؤسس جريدة الاهرام استعظم الناس
 المصاب ولكنهم عادوا فاستصنروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم
 بشاره باشا كما كانت قبله . والآن سيكون ذلك كذلك ان شاء الله . فانه كما
 ان تيرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد
 وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك
 السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدتها . وان عمر وحيدها
 « جبرائيل بك » الذي لا يدور ذكره في الهم حتى يجول الدمع في العين يبلغ
 الآن ١٢ عاماً فليمدّها الله بعموته لتحفظ له هذا المركز الكبير ولتجعل الناس
 يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حيثئذ « ان هذا
 الشبل من ذلك الاسد »

وليس يعلم احدكم كان ذلك الاسد يجب هذا الشبل غير الذين شهدوه
 يقرأ كتاباً منه . ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها ناراً تتقد في عيني الاب
 الحنون على ولده . وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز
 حيث بقي « جبرائيل » هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا
 الى ادارته في الاسكندرية وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقرأ فتعرف
 منه نباهة « جبرائيل » وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه
 وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح ظاهراً .
 فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرأنا اسلوبه الرقيق الصحيح النصيح لان
 عمر جبرائيل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورأينا ان قلم الاصلاح لم يجر
 فيه الا في اربعة او خمس مواضع

هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده ويحتمل ان شاء الله محله
وقد كان كتاب الادارة حين زيارته لهم ينادونه «نوتر ديركتور نوتر ديركتور»
اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك مازحته . اما الان فقد صار هذا الامر والأسفاه
جداً لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الان وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد
القلوب وواهب السلوان ان يزي حضرة والده الفقيه وقرينته الكريمتين
وشقيقه الفاضلين عزتو حبيب بك وابرهم بك وجميع اقربائه واصدقائه
ورصفاءنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرزء العظيم ورجو ان
يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره
حزناً عمومياً . وان يتعمد الفقيه بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر
ما احسن في حياته انه السميع المجيب

وقالت مجلة المنار

مصاب الصحافة

وفاة بشارة باشا نقلا

في ليلة السبت الماضي (١٥ يونيو - ٢٨ صفر سنة ١٢٩١) تقوض ركن
الصحافة الركين ، وفت في عضدها المتين ، حيث حل القضاء المبرم ، ونزل
القدر المحتم ، فاختطف بشاره باشا تالا صاحب جريدة الاهرام العربية والبيراميد
الفرنسوية وهو في مستوى طور الكهولة ناهز الحسنيين ولم يلبها . وقد تقدم

هذا القضاء السماوي بعشرين يوماً انذار مرضي حار نطس الاطباء في معرفة حقيقته ، ولم يهتدوا الى طريقة معالجته . والارجح انه كان في ذلك الدماغ الجوال ، الذي كان كصاحبه لا يعرف الاعمياء والكلال ،

ورد الفقيه وادي النيل من لبنان مع اخيه الكاتب الشهير سليم بك نقلا منشى جريدة الاهرام واشغلا بالصحافة وكانت ارضها مواتاً فاحتيتها همتهما ، وغرسا واستشرا بمجدهما وعزيمتهما ، وقد كانا سليم وبشارة ، يقتسمان التحرير والادارة ، فلما اغتالت المنون احد الزرقدين ، نهض الآخر بالامرين ، وتقدمت الاهرام به وتقدم بها فصاب ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وما زال يرتقى في رتب الدولة العلية ويتمتع برواتبها ويتولى بوسامات الشرف منها حتى بلغ رتبة (روم ابلي بكاربكي) التي لا يعلوها في الرتب الملكية الا رتبة الوزارة وتحلى بالوسام المجيدي الاول . وكان محلى بوسامات دول أخرى كوسام ايجيون دنور الزنساوي من الدرجة الثالثة ووسام ساناستانس لاس الروسي ووسام المخلص اليوناني من الدرجة الثانية ووسام الافتخار التونسي وغير ذلك

نجحت الاهرام في اول عهدها بمساعدة الحكومة المصرية لا سيما في ايام وزارة دولتو رياض باشا الذي لم تنجح جريدة من الجرائد الشيرة الغنية بمصر الا بسعيه حتى قيل ان الحكومة كانت تلزم الموظفين والوجهاء بالاشتراك وتكلف جباتها بتحصيل قيم الاشتراك منهم ثم لما انقضى هذا الدور وصار الناس مختارين في الاشتراك استدر النجاح بسعي الفقيه الموافق لحالة البلاد الاجتماعية والادبية وقلماً ينجح عمل مخالف لاستعداد الناس الا ان يكون بعد تأسيسه بزمن طويل

وقد احتفل في مساء يوم السبت بجزارة الفقيه احتمالاً لائقاً بمقامه مشى

فيه كثيرون من الوجهاء والفضلاء ومنهم اصحاب الجرائد المصرية كلهم وصلى عليه في كنيسة الروم الكاثوليك ودفن في قراقرمهم بمصر العتيقة وابنه على القبر كل من الاديب يوسف افندي البستاني والاصولي الفاضل نقولا بك توما ورجع المشيعون وهم يستمطرون له الرحمة ويدعون لقريته الفاضلة ولولده النجيب بالذراء والسلوة

وقالت مجلة انيس الجليس

بشاره تقلا

لقد فجت الصحافة العربية في الخامس عشر من هذا الشهر بفقد زعيمها التحرير وقائدها الكبير المرحوم بشاره باشا تقلا الطيب الاثار الحميد الخبير والتذكار صاحب جريدة الاهرام الزراء المنتشرة في جميع الاقطار التي اقام على خدمتها خمسا وعشرين سنة اوصلها بها الى ابعد مدى من الامتداد والانتشار وقد تلقاه قضاء ربه في القاهرة اثر دلة شديدة عجزت فيها حيل الاطباء وارتدت عنها قوى العلاج والدواء فذهب تبكيه الاداب والمعارف وتندبه الاوراق والصحائف وما عسانا نذكر من مناقبه الحميدة وقد احتوى بها على امد العلاء عزة وشرفاً ولكننا نقول ان فقيدنا بشاره باشا تقلا وكفى سقى الله ضريحه صيب الرحمة والرضوان وانزله من ديار خلد في ارفع مكان واجمل عزاء اسرته الثاكلة على هذا الخطب العظيم والمهم وافر التأسى والسلوان

وقالت مجلة المرأة في الاسلام

فقيد الصحافة

ليس لمجتمنا في الرثاء ولا في المناء لانها قصرت صفحاتها على مباحث
 خصوصية ولكنها اليوم تعدى خطها في تأيين فقيد الصحافة المرحوم بشاره
 باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام والبيراميد وصدى الاهرام ذلك الرجل
 الذي أسس جريدة الاهرام منذ ستة وعشرين عاماً هو وشقيقه المرحوم
 سليم بك تقلا فكانت لسان حال المصريين ودافعت عنهم دفاع الابطال حينما
 لم يكن مصري قلم يجرأ على الكتابة في صالح بني وطنه فرحمه الله رحمة
 واسعة وألهم آله صبر الكرام وعزى الصحافة العربية على فقده عزاء
 جميلاً

وقالت مجلة السمر الصنير

﴿ سبحان الحي الذي لا يموت ﴾

{ فقيد الصحافة - سعادة بشاره باشا تقلا }

الموت نقاد على كفه جواهر يُخار منها الحسان

مصائب عظيم وخطب جلال حيث فارقتنا عميد الجرائد المصرية العربية
 وواضع اساسها ومهد طريقها ومؤيد كلمتها ورافع لوأها قضى نحبه اترداء عضال

حارت فيه مهرة الاطباء . سطت عليه يد المنون وسابت منا حراً كريماً شريف النفس عالي الهمة رفيع المنزلة لين الريكة بشوش الوجه صافي السريرة مشهوراً بالوفاء والاخلاص فأثر نعيه على كل من سمع بفضائله وعرف كرم اخلاقه وطيب عنصره وشاركت مصر سورية في البكاء والنحيب كيف لا وقد عاش التقيد ومات وهو يفكر في سعادتهما خصوصاً والشرق عموماً فكم له من ايد بيضاء في رفع منار عالم الاتحاد والتوفيق بين الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً وكم اهتم في سعادة الوطن وفلاحه وبلوغه ذروة الكمال وكم له من مناظرات سياسية كان لما اشتهر عنه من قوة الحجة وثاقب الافكار يخرج من ميدان المناظرة مكلاً بتاج الظفر مؤيداً بالعزيز والنصر وكان معروفاً بحب الحقيقة لا يخشى في الحق لومة لائم بصيراً بالعواقب ولا نبالغ اذا قلنا انه كان مصباح الشرق بل هلاله فكم له من اراء وافكار سامية دالة على علو مكانته في عالم السياسة تبق ما بقيت (الاهرام) وكنا نود ان نشبع الكلام في تعداد مآثره الا اننا ارجأنا ذلك الى عدد يلي حيث نزين الصحيفة برسمه الكريم ونذكر تاريخه وحسن فعاله ونبين فضائله كل ذلك حباً في نشر تاريخ هذا العصامي الذي بجده واجتهاده حاز على اسم كبير ورتب عالية وثروة طائلة ليتخذ القاري الكريم نموذجاً له في اعماله

والآن يقدم السمير بقلب حزين الى عائلته الكريمة واجب العزاء ويطلب من المولى ان يحرس نجله بعين عنايته ويوفقه الى اتمام ما بدأ به المرحومان عمه ووالده وان يتعمدهما برحمته ويسكنهما فسيح جنته

وقالت المجلة المصرية

بشاره باشا نقلا

يصدر هذا العدد من المجلة المصرية موشحاً بالسواد حداداً على فقيد الوطن العزيز بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية والفرنسوية مخصوصاً باب الادبيات فيه بتأيينه وترجمته ونقل اقوال اشهر شعرائنا وكتابتنا فيه .

على ان ذلك قليل في جنب ما له من الفضل على صاحب هذه المجلة شريكه في جهاده مدة سبع سنين واشهر وصديقه الذي لم تزده مفارقتة اياه في العمل الاحب له وعرفاناً لجميله

الاحضار والوفاة

وقد لطف من جزعي اني لزمته ايام اشتداد العلة عليه فتمليت من رؤيته وكنت في جملة الساهرين في خدمته العاملين على تخفيف الامه . ولشد ما نعتت في تلك الساعات الطويلة على وداد لا يفدي . واخلاص لا يجدي . وماذا أفاده ان اسمع حشجة صدره في صدري وان يقوى خفوق قلبي بقدر ما يضعف خفقان قلبه

وشهدته قبيل حلول اجله بدقائق معدودات يلحظني بعينين بصيرتين ساطعتين من خلال اغبرار الموت كما يسطع الشرر في اثناء الرماد وكأنه يقول اشترني .

ونالته لشريته وشراه من حوالبه من الآل والصحب لو ان الروح العزيزة تسام
بارواح . ويدراً بها نزول القدر المتاح

فلما مسته يد القضاء . وآل من التناء الى البقاء . انبسط على سريره انبساط
الراحة بد البناء . والتقى جنانه لاول مرة كما ياتي جننا الخالي النائم . واستقر
ضميره من همامة العازم . وسكن قلبه من التوثب للعظام
ورأيناه في تلك الرقدة واضح الجبين أغر الحميا عالي الصدر مرجواً مريباً
كما كان في الحياة ورأينا على مبدسه وفي جملة وجبه نوراً قاراً لطيفاً كأنه
محصل من طلعة فجر يدفع اليه الحب ويمنع منه الرفار الا وهو نور الخلود
الطافي على وجه التناء

هناك يقف الشاهد بمقلته الناظرة . ومهجنه الخائرة . فيأخذ الاعتبار بجماع
قوى النفس الثائرة . ويعلم من جهل فضل من تعب ورقد . على من كان
متسقراً جُمد

وما انس في عمري فلست بناسٍ موقف الوداع وقد أقبلت عليه امرأته
الاسينة فكان اول ما صاحت ان انثروا ما اجمله وما اشد تدفق الحياة فيه
ولست بناسٍ ان هول المصاب اذهل عقلها الباهر وضرب بينها وبين الزيز
الميت حجاباً اسود كثيفاً فرأته من خلال ذلك الحجاب ضاحكاً ناطقاً ولكن
مع سكينه ومهابة نخطبته منقرة برؤياها وقالت ايها الحبيب أنت راض عني .
ألم أفعل في حياتي كل ما يجب ان تفعله المرأة المحبة لرجلها والامة العابدة
لسيدها . ثم تمشت نحو سريره لا تنشطو على الارض ولكن تندفع بقوة
سماوية كدرج الطائر الى مورده فما لثمت جيئنه الذي فارقتة الحرارة ولمست

يده الشلاء المطاوعة حتى تحوات من امرأة تكلى الى ملاك ومن جسم فض
 نتي البشرة الى روح طاهر في طيف نوراني ظاهرة فيه جراح القلب
 وكنا في هذا الموقف جبروراً فما درينا الا ونحن نريد كأن الارض تتناول
 بنا ومن لم يسرف منا طوال عمره في مدامه فقد استنزفها في تلك الساءة
 ذلك ما أفضى اليه بيت كنت شاهد سعادة اهله زمناً طويلاً وشتان
 بين رؤيتي اياهم على هذه الحال المروعة وبين رؤيتي اياهم في السابق ثلوثاً مثلاً
 أبداع تمثيل للابوة والامومة والبنوة . فاما جلوساً على المائدة فهم الحب والغفاب
 وثمرة الائلاف . واما منصرفين الى شؤونهم فهم العقل المدير . والقلب البصير .
 والامل النائم في السرير .

فيا لله من هذا الخراب الجمال . ولكن بهذا جرى القضاء منذ الازل .
 فلا حول ولا حيل . لطف الله بآله وبنا . ولطف من حربهم وحربنا . انه خير
 المعزين وارحم الراحمين

وفي المجلة بيد هذه المقدمة ذكر مشهد التقيد وترجمة حياته بالتفصيل
 ومرثية شعرية لصاحب المجلة نشرت مع منظومات الشراء في الباب المخصوص بها
 في هذا الكتاب

أقول الجرائد الأفرنجية

قالت جريدة البيراميد

المرحوم بشاره باشا تقلا

كانت منذ ساعات كل اسباب السعادة والاقبال متوفرة في هذا البيت وكان الرجل الذي هو عماد الجريدة وروح الحركة فيها ينهض منذ الفجر لاستئناف عمله وادارة عماله جاءلاً نفسه قدوة لهم بالنشاط العجيب والهمة التي لا يعثرها كلال

غير ان الموت قد جاء مباغتاً من حيث لا يظن واصاب ذلك الرجل الذي المقدم بمنبعث ذكائه ومصدر اقدمه واستمر الاطباء شهرًا يحاولون دفع ذلك المفاجئ الخفي فلم يهتدوا اليه سبيلاً واتيهم فيه الحيل كما اُعتيت قريته الناضلة التي جاوزت حدود الاقتدار الانساني في العناية به وذود الداء عنه ولكن غلب القضاء المحتوم على السهر والهلاج ولم تجد الضراعة ولا الرجاء فتياً

وقد ظن قبيل الاحضار ان المريض تماثل للشفاء الا انه امل لم يلبث ان

خيته الحقيقية ولم تكن ليلة السبت حتى نام ثقلاً باشاً نوماً ثقيلاً وجد دمه على مهل في عروقه وعند حلول الاجل فتح عينيه فزود امرأته التي احبها اشد الحب نظرة الوداع وتوفي الى رحمة ربه في سكينته وسلام

بهذه السرعة وقع الخطب المداهم حتى ان الاقربين الى ثقلاً باشاً من اهل وصحب وعمال احبوه واجلوه وعرفوا له جميله لا يكادون يصدقون انهم جمعوا به وكأنيهم في كل لحظة يتوقفون روحته وجيئته على ما أنوه منه ولقد كنت آخر من تولى معاونته في التحرير ولهذا ادع لاخواني محرري الاهرام العربية ترجمته وتفصيل احواله المتصلة بحوادث الخمس والعشرين السنة الاخيرة من تاريخ مصر. ولست اذكر هنا الا بعض ما سمعته منه عن نفسه فانه كان يجب ان يحدث عن ماضيه منذ بدأ بالنزاع وهو رقيق الحال ضعيف الشأن الى ان بلغ مبلغه من المقام والجاه

لا جرم انه جاهد وتعب وذل من المصاعب التي كانت تحول دون غاياته ما لا يقوى عليه الا اشداء الناس وذوو الجلد والمثابرة منهم ولكنه كان من الجيل اللبناني المتين البنية الذكي النواد الذي خلق لمثل هذا الجهاد وكان يفاخر بانه من هؤلاء القوم

وكان مجموع الجسم ربعة في الرجال عريض الصدر قوي العضل مكين منرس الرأس من البدن نافذ الاشارة مستمر الحركة صافي العينين متقدما يحدق في مخاطبه ولا يحول نظره عنه وسوف يراه الذين عرفوه زمناً طويلاً على هذه الصورة بما ابقاه من راسخ الذكر في قلوبهم

واشهد اني في اسفاري الكثيرة التي لقيت في خلالها جمهوراً من الرصفاء في فرنسا وخارجها لم اعرف منهم رجلاً اشد من ثقلاً باشاً همة في عمله ولا اصدق

حبا لحرفته وكان في وسعه بعد ان جمع ما جمعه من المال المكسوب حلالاً ان يستريح عقيب مشقة ست وعشرين سنة ويعهد الى سواه في القيام بعمله وتلتي شواغله المنصبة عنه غير انه كان يأبى الا مداومة العمل بنفسه ولا يزداد الا رغبة فيه ومثابرة علماً منه بان في مزيد النجاح مزيداً من المسؤولية ومن مزاياه انه كان لا يخطئ في مقياس همته بل يقدرها على الامنية ويختار للشروع في كل مسمى جديد اكثر الاوقات موافقة له ومن هذا القبيل انشاؤه للاهرام الفرنسية بعد ان طال تفكره فيها ومضى زمن طويل على ترقبه الفرصة السانحة لها حتى انه كان يباحث فيها منذ بضع عشرة سنة صديقه المحيم المرحوم جبريال شارم الذي مات وهو يذكر اسمه وكان السر في هذا الانتظار انه بعد ان تولى الاهرام العربية منفرداً بها على اثر وفاة اخيه رأى ان يصلح اولاً ادارتها ويوطد مركزها الادبي والمالي ففعل ووفق في ذلك توفيقاً عظيماً بما كان منطوقاً عليه من حسن التدبير فلما اتم هذا الاصلاح وجعل ادارته افضل نفاذها في مصر بل وفي كثير من البلاد الاوربية حتمق أمنيته القديمة وأسس الاهرام الفرنسية في شهر اكتوبر من سنة ١٨٩٩ للدفاع عن مصالح مصر في الغرب وعن مصالح فرنسا في الشرق ومعلوم انه كان في حماية هذه الدولة وكان يجبها حب نزاهة واخلاص

وكان بعض اصدقائه الباريسيين ومنهم المسيو برنو الذي كان رئيسي في فرع الاخبار بادارة البتي جورنال والمسيو كزافيه شارم المحرر الشهير في مجلة العالمين قد اوصوه بي فاستدعاني الى مصر فحضرت ووجدت كل شيء مبدأً لاصدار البيراميد «واللدخول في الجهاد»

وانما قلت الدخول في الجهاد لان هذه الكلمات تمثل احسن تمثيل
رأي نقلا باشا في الصحافة ومقصده من جريدته وذلك لانه كان يأتي ان
يؤجر في مصلحة احد او ان يصالح خصومه على غير حق وكان يريد محاربة
المظالم واحباط المساعي السيئة ودفع الارجيف وتأيد معتقده ومبادئه . وتلى
هذه الخطة جرى الى آخر نسماته بلا مال ولا توان

واشرف اعماله انه كان اول من ناوأ الاستبداد في الشرق وجهر بمقاومته
ولهذا اجمع رصفاؤه على ايفائه حقه من حسن الذكر بهد وثاته ولم يختلف
منهم صديق او غير صديق في اعادة هذا الذخر اليه واسدائه ما هو اهله
من الثناء عليه . وسيقرأ ابنه العزيز على جميع اصدقاء ابيه ما كتب عنه من
آيات المدح فيفاخر بها ولا شك ان مثل هذه الذكرى تفضل جميع الالقاب
والمناصب

هذا وانني لا احاول في هذا المقام ان اعزي حضرات والده نقلا
باشا الجليلة وقريته الناضلة وابنه العزيز فان كلمات التأسية اضعف من ان
تلطف نيران الحزن في قلوبهم ولكن اذا من الله عليهم ببعض السلوى فسيسرهم
سماع ما قيل في نقيدهم من الاتوال الطيبة التي تخلد اسمه . اما نحن فافضل ما
نستطيع عمله في سبيل المرحوم نقلا باشا انما هو ان نفرغ وسعنا في تسيير
عمله على الخطة التي رسمها لنا رحمه الله

جاك لورين

وقالت الادجيشن غازت

علمنا آسفين بوفاة رصيفنا المكرم صاحب السعادة بشاره نقلا باشا صاحب
 جريدتي الاهرام والبيراميد
 وكان قد ظهر تحسن في صحته في ايامه الاخيرة ولكن عاودته الحمى
 امس فاودت به ليلاً
 وهنا ذكرت لمعة من ترجمته ثم قالت واننا نقدم لارملة الفقيد وسائر
 اسرته عبارة التزية الصادرة عن عواطف التجارة والاحترام

وقالت الريفورم

نعي الينا المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد
 على اثر احتقان في الدماغ وسيحفل بتشييع جنازته اليوم
 ولقد كان الفقيد صحافياً انشأ جريدتين كان يدير شؤهنما المادية والسياسية
 الى آخر ايامه
 وكان عصامياً ارتقى بمعاونة اخيه المرحوم سليم بك وبهيمته ومهارته واحرز
 نشان اللجيون دونور
 فنحن نعزي ارملة الاسيفة من صميم الفؤاد

وقالت البروجيه

نعي الى قرائنا بمزيد الاسف المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب جريدتي
الاهرام والبيramid توفي في نحو الحسين من عمره الليلة البارحة باصابة شال
حدثت له منذ بضعة عشر يوماً وستشيع جنازته بعد ظهر اليوم من منزله بشارع
الساحة ولا تصدر جريدتنا الاهرام والبيramid اليوم

وقالت الفاردا لكسندري

نبي الينا رصيفنا وصديقنا القديم المرحوم بشاره نقلا باشا . عاجلته المنية
على اثر الداء العياء الذي الم به فكان لفقده رنين حزن عالم في البلاد وقد
خلف رحمه الله اثرين جليلين احدهما الاهرام العربية وهي الجريدة التي أسسها
اخوه المرحوم سليم بك نقلا فاوصلها الى اسمى مقام في عالم الصحافة العربية
وجعلها من أكثرها انتشاراً والآخر البيramid الفرنسية وهي على حداثة عهدنا
قد جازت شوطاً بعيداً في الترقى بهمته واقدامه وحدة ذكائه
ولا جرم ان جميع الذين عرفوا هذا الفقيه قدروا اخلاقه ومزاياه قدرها
واشتركوا في الاسف عليه

وقالت جريدة البورصة المصرية

علمنا بمزيد الاسف ان قد توفي في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين
بعد منتصف الليلة البارحة المرحوم

بشاره باشا نقلا

صاحب جريدتي الاهرام والبيramid

في الثامنة والاربعين من العمر فهدى الى ارملة التقيد خالص التعزية
وصادق الاحترام

وقد شفعت هذه الاسطر بذكر ماخص ترجمته

وقالت جريدة الامبرسيالي

حلّ القضاء المبرم ونبي المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي
الاهرام والبيramid وهو الرجل العصامي الذي بلغ بمجده ونشاطه الى درجة
عالية في المجتمع وستشيع جنازته بعد ظهر اليوم بالاحتفال اللائق بمقامه
فترفع الى والدته وقريته الاسيفتين خالص تعزيتنا على هذا المصاب المظيم

وقالت جريدة الكوريري اجيسانو

نبي الينا سعادة بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid

وقد كان من رجال الجد والعمل وله مكانة رفيعة في عالم الصحافة عاجله
القضاء في مبدأ الاكتهال فائسكل والدته وامراته الحزيتين اللتين نهدي
اليهما تعازينا على هذا المصاب الاليم

وقالت جريدة المساجيري اجيسانو

توفي الى رحمة الله بشاره باشا تقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد
غالته المنية في مستوى العمر بالداء الذي ألم برأسه ولم يدركه الاطباء وكان
مثالاً للنشاط والجد والذكاء وبها نال المرتبة العالية التي لم ينلها صحافي
عربي قبله

وسيحفل بتشييع جنازته عصر اليوم تمده الله برضوانه وعزى قلب
قرينته ووالدته الاسيفتين

هذا وقد قالت جرائد الكايرون والامونيو والتاخيروموس وسائر
الصحف اليونانية مثل ما تقدم في نبي الفقيد ومما نذكره آسفين ان
كثيراً من جرائد اوروبا الكبرى والجرائد العربية التي لم نذكرها نعتة
وأبته احسن تأيين ولكن دهشة المصاب شغلتنا عن جمعها ولم يتسن لنا
العشور عليها بعد ذلك . على ان فيما اوردناه كفاية في الدلالة على عظم قدره
وعموم المصاب به رحمه الله

أقوال الجرائد

العريضة

(في سائر الامصار)

قالت جريدة الاحوال

{ فقيد الصحافة }

نعيننا في عدد السبت على عجل فقيد الصحافة الوطنية رصيفنا وصديقنا العزيز الطيب الذكر المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية والفرنسية فكان لنعيه اسف عميم شمل قومه واصدقائه وكل محبي الوطن ورجاله

صرعته المنية وهو لم يبلغ الخمسين من عمره اثر حى دماغية لم تمهله الا بضعة ايام وكان عشرة من مشاهير الاطباء يتناوبون معالجته ويتداولون في افعال الوسائل لمغالبة العلة فقلبتهم جميعاً ولم تعن حيلهم قليلاً جاءنا بريد مصر اليوم وليس فيه اثر لهذه الفاجعة لكن لا ريب بان المصريين اقاموا مناحة عظيمة وان ارباب الصحافة اجمت مع اختلاف اغراضها وسياستها على استعظام الخطب وقامت نحو رصيفها الجليل بما هو اهله من

الوصف والتأين والمشاركة في اجلال مآثره مما سنأتي على بيانه عند وصول
البريد القادم اواخر الاسبوع ان شاء الله

اما ما تعلمه من ترجمة الفقيه فهو انه ولد في كفرشما (لبنان) من والدين
فاضلين احسنا تربيته وبعد ان رحل اخوه المرحوم سليم بك الى الاسكندرية سنة
١٨٧٥ حيث أسس جريدة الاهرام استعان باخيه الفقيه لتدبير شؤونها وولاه
ادارتها فقام بها احسن قيام حتى بلغت شأواً بعيداً لم تبلغه جريدة عربية من
قبل ودامت مواصلة نهج الترقى حتى عاجت المنية مؤسسها السليم في ٨ آب
سنة ١٨٩٢ فاستأثر بشاره باشا بالجريدة دون سائر اخوته ووسع نطاقها ثم
نقلها الى القاهرة واطاف اليها جريدة جديدة انشأها بالفرنسية باسم الاهرام
ايضاً (بيراميد) فتمت وازهرت

وقد احرز فقيداً في اثناء خدمته الوطنية من المكارم الشاهانية رتبة
رومي بيكاربك والوسام المجيدي من الطبقة الاولى وفاز من حكومة فرنسا
بوسام فرقة الشرف من رتبة كومندور وبجملة وسامات أخرى من دول
مختلفة وتجول في عواصم اوربوا عدة مرار كان في اثنائها يواجه ويجالس اكابر
السياسيين وعظماء رجال الدول وينقل احاديثهم على صفحات الاهرام

وكان رحمة الله عليه مقداماً وفاز مع علائم المجد والشرف بثروة كبيرة لم
يسبقه اليها احد من ارباب الصحافة وكان على جانب عظيم من الدراية والحنكة
والنظنة والدهاء متمنياً بضروب السياسة كسائر عظماء الرجال

وقد اتم كل بوفاته قرينة اسينة وولداً وحيداً لا يزال دون المراهقة وباسمه
كتب امتياز الجريدتين اللتين ستداومان على الناب خدمتهما تحت رعاية ارملة

الفقيد الى ان يترعع القتي ويقتدر على ان يخلف والده فيكون خير خلف
لخير سلف

وفي هذا المقام نكرر لهما ولاخوي الفقيد ولسائر آلهم التعزية وللفقيد الرحمة
الواسعة وللجريدتين دوام النمو والازهار

وقالت جريدة المصباح

صاحب الاهرام

نشر بالاسف نبأ صادعاً كان له رنة حزن الا وهو وفاة من خدم العلم
والصحافة وتفانى في حب الدولة العلية المأسوف عليه المرحوم بشاره ثقلاباشا صاحب
جريدة الاهرام العربية والبيراميد الافرنسية . مات في مصر بعيداً عن الاوطان
تاركاً اثاراً تذكر فتشكر تؤيد ذلك مقالاته السياسية الرنانة التي كان ينقشها
على صفحات الاهرام ولا غرو اذا ما كان الحزن عليه عظيماً . كيف لا وقد
خدم العلم والاداب ما ينيف عن الستة والعشرين عاماً قضاها رحمة الله عليه
بين المحابر والمجالس وقد عرف قدره رجال الدول العظام وكبار السياسيين فتوالت
عليه الانعامات الشاهانية والاوسمة الاجنبية فحق للوطن ان يأسف عليه اسفاً
شديداً فنسأل المولى ان يعزي آله الكرام اجمل العزاء وان يعمد نفس الفقيد
بالرحمة والرضوان

وقالت جريدة ثمرات الفنون

نعى الينا البرق من مصر وفاة رصيفنا المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام ومدير سياستها . قضى نحبه صباح السبت (اول امس) عقيب حى لم تمهله غير بضعة ايام فكان لنعيه رنة لدى كل من عرف التقيد وماله من رسوخ القدم في عالم الصحافة مدة ربع قرن خدمها وخدمته خدمة مشهورة . وقد تولى مديرية الاهرام ايام فقيد الآداب شقيقه المأسوف عليه سليم بك نقلا ثم بعد وفاته انتقل امتياز الجريدة اليه فاشتهر في خلالها بما اشتهر به من طول الباع في التحرير والتخير واحرز من الحكومة السنية باية روم ايلي بكار بك ووسامات سامية متعددة وبالجملة فان فقده خسارة على المطبوعات فنقدم لعائلته التعزية ونرجو لها صبراً جميلاً

قال لسان الحال

يوم السبت نعى البرق من مصر المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام فكان لهذا النبأ الصادع رنة في قلب الذين عرفوا التقيد وشهدوا اثار فضله وتفانيه في حب الدولة العلية وتهالكه على خدمة العلم والادب منذ ست وعشرين عاماً تؤيد ذلك عواطفه التي كان يرسمها على صفحات الاهرام بعبارات صريحة تشف عن قلب صادق وحمية وطنية وقد شق علينا ورود

النباً بأحجابه عن مجالس النباهة والوجاهة والسياسة والادب بقدر ما كان قد
 سرنا اثبات الاهرام في احدى نشراته الاخيرة ان قد خفت وطأة الحمى عنه
 وشكره لجميع الذين عادوه في أثناء علته
 ولكن أبت الحمى الا الكرة عليه فقجعت قلوب انسابه واصدقائه ورفقائه
 فيه وقد كان رحمه الله من المتهاككين على خدمة المعارف والمتفانين في حب
 الدولة العلية بدليل ما انالته من أدلة انعاطفها نحوه وتقديرها خدمه الصادقة قدرها
 نسأل المولى عز وجل ان يعزي آله الكرام اجمل عزاء وان يتعمد فقيدهم
 وفقيد الوطن برحمته ورضوانه

وقالت جريدة طرابلس الشام

{ المأسوف عليه بشارة باشا نقلا }

نعت الينا انباء القطر المصري وفاة ركن من اركان الصحافة وهو رصيفنا
 المكرم بشارة باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام توفاه الله صباح يوم السبت
 الماضي اثر نزلة لم تمهله الا بضعة ايام فاسف لوفاته رجال الصحافة ومن عرف
 صفات الفقيد وما امتاز به من خدمة المعارف زمناً طويلاً نال بخلاله من
 الدولة العلية جزاء خدمه رتبة روم ايلى بكاركي ووسامات مختلفة فنقدم التعزية
 لاله وذويه ونرجو لهم صبراً على فقده

وقالت جريدة لبنان

رزّة وطني

رزئت الوطنية بفقد احد رجالها الافضل المغفور له بشاره باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام الطائرة الشهرة وجريدة البيراميد الافرنسية . فقد انبأ لسان البرق ان المنية عاجلته في مصر صباح يوم السبت الماضي اثر علة لم تمهله سوى بضعة ايام فكان لنعيه رنة حزن في قلوب مواطنيه الذين يقدرون اعماله الخطيرة حق قدرها ويعرفون منزلته السياسية في عالم الصحافة التي قام بخدمتها احسن قيام فلذلك لا غرو ان شكرت بيض ايديه وعددت كريم ماتيه برد الله مثواه بصيب العفو والرضى والهلم اسرته الكريمة وجميع انسبائه الافضل صبوا على فقده

وقال في عدد اخر

نعينا باحدى نشراتنا السابقة فقيد الوطن المغفور له بشاره باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام التي احنجت بضعة ايام عن قرائها الكرام حدادا ثم ظهرت مملوءة من عبارات التلief والحزن ذاكرة ما كان للفقيد الكريم من الاحتفال الخارق العادة بدفنه واليك خلاصة ما جاء في وصفه ببض الجرائد المصرية

مساء السبت الاسبق اقبل الامراء والسراة وذوو القربي للاحتفال بدفن المغفور له بشاره باشا تقلا ونخامة الخديوي انفذ حينئذ سعادتلو علي بك كامل لتعزية آله الكرام ومن ثم سير بالجنازة يتدمها عدد من البوليس

ثم يستجبة القناصل واكليروس الطوائف الكاثوليكية ثم حامل وسادة الاوسمة التي احرزها الفقيد ثم حاملو بساط الرحمة وهم كل من اصحاب السعادة محمود شكري باشا ويعقوب ارتين باشا وقليني فهمي باشا والمسيو قصيري من اركان قنصلاتو فرنسا وطويا بك كامل والمسيو بريفا ونقولا بك توما والدكتور يعقوب افندي صروف وكان من الورااء المسيو لكونت من متولجي اعمال الوكالة الفرنسية والمسيو برتران والمسيو باروا ناظر السكك الحديدية وسعادتلو اسمعيل باشا صبري وجميع رجال الصحافة وسواهم وبعد الصلاة نقل نعشه الى المدفن في مصر القديمة وابنه حينئذ المسيو بول مانس بالنيابة عن جريدة اليراميد ويوسف افندي البستاني بالنيابة عن الاهرام ثم ابنه حضرة المحامي الشهير نقولا بك توما تأيئناً موجعاً بين فيه ترجمة حياته واعرب عن اياديه البيضاء ثم ارفض الحشد وكلهم آسف يمتنى للفقيد الكريم رحمة ولارزوين فيه الكرام صبراً جميلاً

وقالت جريدة الروضة

وفاة جليل

يوم السبت الماضي نعى البرق المرحوم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام الشهيرة وجريدة اليراميد الافرنسية توفاه الله صباح اليوم المذكور اثر حنى لم تمهله الا بضعة ايام فكان لهذا النبأ المفجع رنة

حزن في قلوب الذين عرفوا الفقيه وحسن صفاته وتقانيه في خدمة العلم
والادب فنسأل الله ان يتعمده برحمته ورضوانه وان يلهم آله الكرام
الصبر والعزاء

وقالت جريدة بيروت

اول امس ورد على لسان البرق نعي المأسوف عليه بشارة باشا نقلا
صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد الفرنسية توفي على ارحمى حمي وطيسها عليه فلم تمهله
الا اياماً قليلة وقد اسف عليه اصحابه ومعارفه لانه احرز بجده ونشاطه منزلة
حسنة فنعزي اهله واقاربه بمصابهم فيه

وقالت جريدة المحبة

المرحوم بشاره باشا نقلا

انا نعي هذا الفقيه الكريم والجريدة تحت الطبع فلم تتمكن من وفائه
واجب الزناء في عددنا الماضي فاكتفينا بنقل نعيه الى القراء ونحن نشعر
بثقل الضربة وحسامة المصاب وقد انا الاهرام مطوقاً بالسواد مرتدياً
اثواب الحداد مصدراً برسم فقيده ومعلي مناره وتلقينا جرائد القطر على اختلاف
نزعاتها مشحونة بتعداد مناقب زعيم الصحافة العربية وركن نهضتها في بلاد

الشرق وكلها على اتفاق في قدر الخسارة حق قدرها واستعظام المصيبة في هذا الراحل العزيز

والمرحوم بشاره ثقلاً ولا يزيد الناس به علماً هو الرجل المرثي بجده من بسط درجات النسب والثروة الى أعلى مراتب الشرف والعلاء الناهض من حضيض الخمول الى اوج المجد والشهرة بل الوطني الحرّ المخلص لدولته وبلاده الثابت في خدمة وطنه حتى الموت المجاهد في اعلاء منار الحق حتى السجن والاضطهاد. استنقل الوجود في قرية صغيرة لم تلح في سماها شمس التقدم ولم ينلها في التاريخ حظ من سعادة البلدان وليس حوله من عوامل النهضة وذرائع النجاح الا كل ما يقعد بالهمم عن الجد ويشبط النهوس الكبيرة عن مصادمة معاكسات الدهر وهذا الرجل مات اليوم عظيماً مجيداً موسراً نائلاً حظوة في اعين الملوك وحائراً ارفع مقام بين عطاء الناس وقد مشى في جنازته السراة والاعيان والكبراء والوجهاء والكتاب والخطباء فما أحرى بمثاله ان يتخذ قدوة للعمل والاجتهاد وما اجدر باسمه ان يتخذ في التاريخ عنواناً للفخر الحقيقي المكتسب بالسعي والاستحقاق لا الموروث عن الابهاء والاجداد

ولا نزوم في هذا المقام ان نستوفي الكلام عن ما أثر الرجل ومفاخره ولكن نقول باختصار ان حياة المرحوم بشاره باشا ثقلاً ملأت فراغاً عظيماً في الوجود الادبي وهي تبتى احدى الصور المجيدة التي يرسمها التاريخ للذرية ممثلاً فيها اعظم الاعمال واشرفها فنسأل الله ان يرحمه رحمة واسعة كفضله ويكافئه عداد حسناته ويمن بالتمزية على قلبي ازملتته ونجله ويحفظ بوحيدة

خير خلف يسير على خطته وينهج منهجه في خدمة الحق واعلاء منار
الوطن والامة

وقالت مجلة الطبيب

{ بشاره باشا ثقلا }

نعت الينا اخبار القاهرة وفاة رصيفنا المرحوم بشاره باشا ثقلا مدير وصاحب
جريدتي الاهرام والبيراميد . الحائز المجيدي الاول والافيسيه دي لجيون دونور
والنيشان الاول من رتبة ستانسلاس الروسي ونيشان المخلص اليوناني ونيشان
القديسة الیصابات الاسباني ونيشان الاسد والشمس الفارسي ونيشان المجمع العلمي
ونيشان الافنخار من باي تونس . توفي عن ٤٨ عاماً صرف معظمها بالجد
والاعمال الخطيرة . وقد لبث مريضاً بالحمى ٢٤ يوماً وكان كما قيل في مرضه
كما في صحته ثابت الجاش والعزم والقوة والجلد والصبر يغالب الآلام فلا يشكو
الماء ويكافح الاسقام فلا يظهر مفضناً . وقد كان مأمته حافلاً غص بالامراء
والعظماء والادباء والانساء من جميع الملل والنحل وقام على رسمه الخطباء
يعددون ما أثره ويترحمون عليه

ولد الثقيدي في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ في قرية كفرشينا من اعمال ساحل
لبنان وفي العاشر من عمره دخل المدرسة الوطنية للمرحوم المعلم بطرس
البستاني التي كانت في بيروت ثم المدرسة البطريركية وبعد انجاز دروسه انتدب

مدرساً فيها وفي سنة ٧٢ طلبت اليه عمدة المدرسة الكلية الانجليزية ان يعلم فيها مسك الدفاتر فكنا وقتئذٍ من مبتدئي الطلبة عنده ولم يزل بين ايدينا دقت الاستاذ وعليه التصحيح بخط يده. ثم انتقل من بيروت الى عنطوره فدرّس في مدرستها الشهيرة سنتين ثم توجه الى القاهرة لمعاونة اخيه المرحوم سليم بك نقلا في انشاء الاهرام بايام المرحوم اسمعيل باشا خديوي مصر سنة ١٨٧٥ وأصدر في تلك الاثناء ايضاً جريدة صدى الاهرام وكانت هاتان الصحيفتان باكورة الصحافة في القطر المصري . وفي سنة ١٨٧٨ ايام الحرب العثمانية الروسية اصدر جريدة على هيئة مجلة سماها حقيقة الاخبار خصص نصف دخلها بمساعدة الجنود الشاهانية . ولما حرّر مقالة ظلم الفلاح طلبه اسماعيل باشا وأوقفه وعطل جريدة الصدى فاصدر بعد خروجه من السجن جريدة باسم الوقت . واول فصل كتبه في الاهرام بتوقيعه كان سنة ١٨٧٩ وموضوعه سياسة المانيا . وفي سنة ٨٠ سافر الى سوريا لتصفية بعض حسابات كانت على المرحوم والده وفي السنة التالية سافر الى الاستانة ثم الى اوروبا يوم كانت المسألة المصرية في اعظم احدامها وفي سنة ١٨٨٧ عاد الى مصر فاقبله الخديوي بالترحاب وأنعم عليه بالرتبة الثانية . وبعد حوادث الاسكندرية جاء سوريا وفي غيابه احترقت المطبعة فعاد وجردها واعاد الاهرام . وفي عام ٨٤ سافر الى لندرة وحظي فيها بالالتفات ثم في غيبته تقدم الى ادارة الاهرام وفد من الاعيان والوجوه يشكرون خطته ويظهرون الارتياح الى كتاباته واجراءاته فكدر ذلك التظاهر الحكومة المصرية وعطلت الاهرام . فلما بلغه الخبر عاد من لندن الى مصر ونال الرضى والنفو . ثم سافر سنة ٨٧ الى الاستانة وفيها نال الالتفات العالي والنيشان المجيدي الثاني . ثم توجه من

هناك الى عاصمة الروس وحظي بشرف المثل لدى جلالة القيصر ثم عاد
 معرجاً على الاستانة . ثم في سنة ٨٨ عاد الى الاستانة وتشرف بالمقابلة السنية
 وأذن له برؤية دار الخزانة العثمانية وتحف آل عثمان وعروش السلاطين وما
 هنالك من الكنوز والجواهر وفي سنة ٧٩ توجه من مصر الى اوربا وعقدت
 له الزيجة في ١٥ حزيران من تلك السنة وهو نفس يوم وفاته من هذا العام
 وصرف مع عروسه مدة في الاسفار بعواصم اوربا قابل في اثنائها جلالة
 ناصر الدين شاه العجم . وفي عام ١٨٩٢ زار الاستانة ايضاً ونال النيشان المجيدي
 الاول والرتبة الاولى من الصنف الاول ثم رتبة روملي بيكاربكي . قال محرر
 جريدته انه مع نواله المقامات العالية مثال التواضع والمجاملة والرافة وسلامة
 الطوية وطيب السريرة وحب الفضيلة وكان متقد الذهن كثير المطالعة للجرائد
 الغربية دقيق النقد لما يترجم منها ومن وصاياه « ان الشرق هو وطننا وفي
 الشرق محصورة خدمتنا وخدمة الوطن هي ضالتنا نشدها في كل آن بلا
 محاباة ولا مراعاة » وقد قال موصياً لجريدة الاهرام « تحروا المباحث المفيدة
 للامة . ولا تخشوا في الخدمة الصحيحة والحقيقة المفيدة احداً . واجنبوا المثالب
 واسكتوا عن المطاعن ولو كانت علي »

هذه خلاصة حياة الفقيه العزيز وشيء من مآثره واعماله الجليلة
 فالصحافة والسياسة تندبانه والجد والخلوص بأسفان عليه رحمه الله رحمة واسعة
 وعزى آله الكرام

وقالت جريدة الخلافة بلندن

وفاة صاحب الاهرام

ألم بالصحافة المصرية بل بعالم المطبوعات العربية مصاب عظيم وخطب جسيم بوفاة المرحوم بشارة باشا ثقلاً صاحب الاهرام وهي بعد الوقائع المصرية أقدم الجرائد العربية في مصر أسست قبل خمس وعشرين سنة حيث كان ذلك القطر محروماً من جريدة تكشف لاهله عن أحوال الدنيا وترشداه الى معرفة حوادث العالم وقد نجح هو وشقيقه سليم بك رحمهما الله في خدمة البلاد التي اتخذها موطناً فان الناس أقبلوا على الاهرام إقبال الجائع على الطعام وساعد على ذلك رجال الحكومة المصرية المحبون لنشر المعارف والآداب العمومية وكلما زادت الجريدة حظوة عند الاهلين كان صاحبها يتضاعف همه ونشاطاً بتكثير موادها وتوفير فوائدها الى أن صارت أكبر الجرائد العربية حجماً وكان بشارة باشا يعتني بجمع الاخبار واستقصاء وقائع الامصار واستطلاع الآراء والافكار بصورة أعجزت غيره عن مجاراته في هذا المضمار وبالجملة فكان الفقيه خلق لحرفته وما أجدر كتابة الصحف بان تكون من مهنته ولو كان المصريون كسائر الامم منزمين بقراءة الجرائد لكان رواج الاهرام بينهم يماثل رواج السواد الاعظم من جرائد اوربا بين الافرنج ومع هذا فقد كان المجد للفقيد ملازماً والسعد له خادماً في مدة قصيرة جمع ثروة وفيرة وأحرز الوجاهة والاعتبار وعاش متمتعاً بأنواع العز والرخاء وفضلاً عما كان له من المقام بين امراء المصريين ووزرائهم الكرام فان وكلاء الاستانة ورجال السلطنة

الفخام كانوا يستقبلونه بالاحتراف والاكرام وأحسن اليه السلطان المعظم بالرتب العالية
 والنياشين السامية وكان لعائلته واخوانه واحبائه وخلانته حصة من المراعاة السلطانية
 ونصيب من التعطفات الشاهانية حتى أحدث له ارتفاعاً هذابين رجال ييلديز
 حساداً وأعداء ثم أشير عليه بنقل جريدته الى دار الخلافة العلية ولكنه لما اختبر
 أحوالها حق الاختبار وطبق حرية الاقطار المصرية على التضيقات الواقعة في تلك
 الديار رجح البقاء حيث كان وفي خلال ذلك لم يتقاعس عن الذب عن حقوق
 الحكومة السلطانية الى ان ازدادت ادارة المصالح في الاستانة سوءاً واختلالاً بحيث
 لم يبق ثمة لحرر جريدة حرة أساس للدفاع عن حكومتها فعدل سياسته وصار ينتقد
 مسلك رجال الدولة مع التزام المحافظة على الولاء لجلالة أمير المؤمنين وقد ساح كثيراً
 في اوربا وتعرف بوزراء فرنسا وكتابها وأظهر للحكومة الجمهورية خدماً جليلاً في
 وقت كانت وكلاؤها في مصر في أشد الاقتتار الى من يحامي عن مصالحها فكافأته
 على خدمته وأحسن عليه بوسامها علامة على صداقته والحاصل انه كان ثقلاً باشا
 دور مهم في السياسة لم يتأت لاحد من أرباب الجرنالات الشرقية ومع هذا
 فكان حسن الاخلاق كريم الطباع لطيف المعاشرة محباً لفعل الخير وكم له من
 مبرات وحسنات نحو كثير من العائلات بنوع يخد له الذكر الحسن والصيت المستحسن
 فحق للصحافة العربية ان تفتخر بمثله وتحزن لفقده وتعتبر بفضله وقد شيعت جنازته
 في موكب حافل ارسل اليه مولانا الخديو المعظم احد رجاله الكرام لينوب عن جنبه
 العالي وحضره الامراء والنبلاء وواصل الدول الاجنبية ورجال الحكومة الخديوية
 واعيان المصريين واكابر السوريين ووجوه الاوروبين وارباب الصحف العربية
 والافرنجية وكثير من العلماء والادباء وكبراء التجار وأهل الثروة واليسار وأقيمت
 الخطب الفصيحة بتعداد محامد الفقيد الصحيحة وراثه الشعراء اجمل رثاء فنسأل الله

تعالى أن يعزيه أفراد عائلته الكريمة عن حرمانهم شيخهم ورئيسهم في عمر كان
يمكنه فيه أن يزيد مآثره ويكثر مفاخره ونرجو أن يكون نجله خلف مقتدياً
بالسلف ليخلد اسمه ويؤيد رسمه

وقالت جريدة مرآة الغرب في نيويورك

بشارة ثقلا باشا

نعت الينا جرائد مصر المأسوف عليه المرحوم بشاره ثقلا باشا صاحب
جريدتي الاهرام والبيراميد توفي بعد منتصف ليل الرابع عشر من حزيران
الفاتت اثر حى خبيثة اصابته مدة اسبوعين فلم تنفك عنه حتى اسلم انفسه
الاخيرة

مات الفقيد وله من العمر ٤٨ عاماً تضرب به الامثال في الجد والنشاط
ويقال عنه رحمه الله انه لم يكن يعرف الراحة في عمله . وقد خدم الفقيد
سنين طويلاً وعزّز شأن الادب وساح الممالك وطاف معظم البلاد الاوربية
وقد احتفل بمآتمه احتفالاً يليق بمقامه ودفن مأسوفاً عليه رحمه الله
رحمة واسعة وألهم والدته الفاضلة وقريته وابنه واشقاءه جميل الصبر والعزاء

وقالت في عدد ثان

{ الاهرام }

جاءتنا الاهرام حزينه على مؤسس مجدها وركن نخرها مجللة بالسواد

وفي عدد من منها رسم شيخ الصحافة وفقيد الشرق المأسوف عليه بشارة نقلا
باشا البعيد الصيت فلم تتمالك من ذرف الدموع عند رؤية رسم فقيد عزيز
ورجل

هيات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل
رجل نادرة في زمانه وعصامي قد سودته النفس وعلا به الجد والاقدام
الى ذروة الفخار وقمة العلياء وعندنا ان ذلك الراحل الكريم وان مات
فان ذكره سيبقى حياً بقاء الاهرام واثار اقلامه مخلدة على صفحات (الاهرام)
وماثره العديدة تردد ذكره على كرور الايام . رحمه الله رحمة واسعة واسكنه
فسيح جناته

وقد تحولت الجريدة بامتيازها لاسم نجله جبرائيل بك بشارة نقلا
الذي لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره جعله الله خير خلف لخير سلف واقراً
به عيون الآل واخلاقه انه السميع المنان

وقالت جريدة الصدق ببوينس ايرس

وفاة بشارة باشا نقلا

صاحب الاهرامين

نعت الجرائد المصرية فقيد صحافتها ومؤسس أقدم صحفها السياسية صاحب
الاهرام بل صاحب الاهرامين المأسوف عليه بشارة باشا نقلا الذي قدم
الديار المصرية منذ نيف وعشرين سنة في عصر اسماعيل مجاهد في سبيل

ترقى الصحافة بهمة لا تعرف الكلال والملل فاحي الليالي ساهراً مواظباً
على العمل متغلباً على عقبات رضخت لها رجال الصحافة من أسلافه ومعاصريه
حتى ارتقى بين الاقران وبلغ شأواً رفيعاً في الواجهة وعلو الشأن ونال الشيء
الكثير من الرتب والنياشين

وكان له جسم لا يتعب ودماع يتقد حدة وذكاء كأنه شعلة من اقدام
ولكن وأسفاه فقد حمل النفس فوق طاقتها فالتهب الدماغ وكان ما كان
من انقضاء الاجل قبل الاوان والناس لا يصدقون ان تلك الهمة العالية
وذلك العزم الثابت يصيران الى عالم الفناء حتى ولا جال في فكر البشر ان
تلك الزهرة النضرة سيعتريها الذبول العاجل

ولد الفقيه في ٢٢ آب سنة ١٨٥٢ بكفر شيما من قرى لبنان وجاء الديار
المصرية سنة ١٨٧٦ حيث انشأ جريدة الاهرام مع المرحوم اخيه سليم بك نقلا
فكانت له خير ميدان راض فيه ما أوتي به من المواهب والمزايا وقضى رحمه
الله عن ٤٨ سنة ملياً دعوة ربه الى الديار الباقية مخلقاً لنجله بجدده وكده من
الجاه والثروة ما يعز على ارباب الاقلام في الشرق وفي هذه الايام ان يحصلوا عليه
وكانت وفاته على اثر احتقان في الدماغ لم يممه كثيراً وكان قلبه دليلاً على
ما سيحل به فاستدعى اليه زوجته وولده وودعهما وداع من يقن بدنو منيته ثم
اعترتة نوبة شديدة افقدته الصواب وفي الساعة الثانية من صباح يوم الجمعة الواقع ١٥
حزيران اسلم الروح بأسوأ عليه من معارفه وذويه وبلغ نعيه سمو الخديوي فبعث
بمن نابوا عنه بفروض التعزية رحمه الله ومنح المرزوثين به جميل الصبر

وقالت جريدة الايام بنيويورك

موت نقلا باشا

حملت الينا جرائد مصر في هذا الصباح نعي احد اركان الصحافة العربية فيها
 المأسوف عليه المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام المشهورة فقد
 اصيب بسكتة دماغية ذهبت بحياته وكان لمنعه تأثير اسف في مصر كلها لما له رحمه
 الله من الشهرة الواسعة والخدمات المشهورة في سبيل الصحافة العربية وقد جرى
 بدفنه احتفال عظيم واسف على فقده الكثيرون تعمدوا الله برحمته والهم آل نقلا
 الكرام صبراً جميلاً على هذا الرزء الجسيم

وقالت جريدة البرازيل بسان باولو

خطب الاهرام

قضاء قضى لكن على هيكل الجسم -	وليس على الذكر المخلد والاسم -
وكيف يموت الذكر والفضل خالد -	على صخرة المجد المؤئل والعلم -
لفرض على اهل الصحافة في الوري -	رثاء الذي أغنى الصحافة من عدم -
وفرض على الاداب احياء ذكر من -	لقد عمم الآداب في العرب والعجم -
وفرض على الاقلام ندب الذي سما -	بها في سما العليا الى هامة النجم -
وفرض على اهل السياسة والنهي -	بكاؤ كذا فرض على الخزم والعزم -

وتأبينه فرض على كل منبر
 لقد صدم الاهرام فاندك طوده
 وقد كان طود العرف والعلم والسلم
 دوى خطبه في الشرق حتى اجابه
 ودر الرثا من واجب النثر والنظم
 صدى من اقاصي الغرب بالحزن والغم
 سوى آسف يشكو الزمان من الظلم
 نقاسمت الدنيا المصاب فلا ترى

لقد أصيب العلم والادب بمصاب جسيم . ورزئت الصحافة والسياسة
 يخطب مر أليم . اذ دك طود الاهرام . وانطفأ مصباحه . وُبدت بالبؤس
 والغم سعادته وافراحه . وسلبه الدهر حياة حياته . وانشب الموت اخافره في
 عمود رحمته . الا وهو صاحب الوجاهة والسعادة والفضل . وشيخ الصحافة
 والسياسة والنبيل . سعادتلو افندم حضر تلي

المرحوم بشاره باشا تقلا

صاحب جريدتي الاهرام العربية . والبيراميد الافرنسية . توفاه الله اثر
 سكتة في الدماغ لم تنجح في شفائها الحيلة . ولا دفعتها عن حياته وسيلة . فراح
 وعين كل فضيلة عليه داميه . واقلام كل ذوي النبل عليه باكية . واياه رائية .
 وقد بلغنا خبر هذه الفاجعة في اخر وقت من ميعاد صدور البرازيل فاضطررنا
 الى ايراده مجردا عن ترجمة حياة الفقيه الجليل مكتفين باستمداد المراحم له
 من الرحمن . سائين لاهل العلم والفضل وسعادة اشقائه وآله من بعده نعمة
 الصبر والسلوان

كتب تعزية

يكاد عدد الكتب التي وردت من كل صوب تعزية في الفقيد لا يحصى ولا يحصر ولكننا آثرنا نقل بعض ما وصل الى اليد منها بعد ان بدد اكثرها الذهول الذي ألم بالاهل والإقارب عند حلول المصاب وأول تلك الكتب ما تفضلت به الاميرة الجليلة البرنسس نازله هانم افندي وكانت يومئذ في تونس على حضرة الفاضلة قرينة الفقيد وهذا تعريبه من الفرنسية

أيها السيدة الفاضلة

عزّ عليّ كثيراً ما انتهى إليّ من نعي قرينك الفاضل المبرور الذي عرفته منذ ٢١ سنة وأعجبت بما كان عليه من شريف الخلال وصدق الولاء في خدمة مصر والدولة العلية وهي خطة جرى عليها حازماً ولم يتحول عنها في مدة خدمته الطويلة فاستحق اجمل الشكر من الجميع
فأنا مشاركة لك في الاسف العظيم عليه ادعو لك بجميل الصبر والسلوان

وهذا كتابٌ ورد الى جامع الكتاب من احد اكابر الشام ادباً ومقاماً
وكانت بينه وبين الفقيه في الايام الاخيرة موجودة لم تتجاوز حد الصداقة
ايها الاخ الخليل

ذهابُ الحبيب بشاره باشا التائب لهُ نفسي التائب من أصيب بأحب
أخ الى قلبه فقد كان الوداد بيننا اكيراً وكان بهم بي ويريد لي الخير وبيننا
من الحقوق والمعهود والمكاتب ما أنت تعرفه فان لم آسف على فقد مثله
فعل من وانما ضاعف حزني عليه وندي وقرعي السن ارتحال هذا الصديق
القديم الى الدار الاخرى على انقطاع من المكاتب فيما بيننا لا انقطاع المحبة
لا والله وهو على ما أقول شهيد ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
ولو استشعرت نفسي فقدته لما قطعت مكاتبه ما استطاعت انمي ان تمد حرفاً
على قرطاس ولكن واسفاه بل واحرقته أني لي او لغيري ان نعلم الغيب
ومع هذا فأنا معترف امام الله بجزيرتي هذه استغفرها منه كل ساعة مقرر
بأنني كنت جانباً في حكم المودة وان كان البغض لهذا الصديق لم يدخل قط
فؤادي والله على ما أقول وكيل نم بقيت أوده وأود خيره وأتمنى لقاءه وأعلم
ان انقطاع قلبي عنه سحابة صيف عن قريب تقشع خصوصاً وأن
لاسبب لها سوى اشتغالي وغيابي وانصرافي عن الكتابة مما يدل عليه
تقصيري معكم وكان غفر الله لهُ حاد المزاج في خدمة الوطن شديداً في العلم
فربما بدر منه تعنيف لهذا التقصير كان يبني ان لايستوي لعلمي بالغاية منه
وان لا يعكر صفو المودة بيننا جدال على قضايا سياسية او غيرها ولكن كما
يلزمني ان انصفه يلزم ان انصف نفسي فقد اقسمت مرتين وهذه تعزيزاً
بثالثة ان هذه الفترة لم تكن عندي الا ريثما اعود الى المراسلة وانما كنت

انتظر الفرصة وأتوقع ان اراه في مصر ونود كما كنا او يراني هنا وغضب
المحب اقصر عمراً من ان ينتظر عذراً فجاء من كنانة النيب مالم اكن اتوقع
واعتل بغتة ولم اعلم الا بوفاته رأساً لان الجرائد كانت تتأخر وكان الاطباء
في الاول يمنعونني عن القراءة والكتابة فكيف كانت حالي عند سماعي هذا
الخبر وكيف كان تعنيفي لنفسي . لاجرم انه اقتص من نفسي بنفسي وهو
ميت في لحده ولا يكون ميت تأثيره في الاحياء . هذا التأثير الا من كان
على مثل سجيته من الوفاء والاستمسك بحبال الولاء فانا استغفر الله واستغفره
ولو كان جرمي صغيراً فهو عندي الآن حوب كبير ولولا حالي الآن لكنت
رثيته بما يقتضيه الود ولكن افسحوا لي اياماً قليلاً حتى انشط من هذا العقال
وسأقدم الى حضرة قريته الفاضلة الكاملة واجب التعزية وارجو من طهارة
خلقتك ان تنوب عني في بسط عذري لسيها في ابطاء رثائي ولئن ابطأ شعري
عن رثائه فما ابطأ جفني عن بكائه ولا ابطأ ضميري عن تصويره ولا فؤادي
عن التواجد له وكل ذلك مقرون بالندم وتبكيك النفس على حين لا امل
ان يشمر بما اصابني من بعده ولعمري ان لم يحزني مصرع حبيب به
افلا يحزني مصرع ذلك الرجل الندب الرئيس في ابناء حرفته الخادم لوطنه
خدمة مخلدة فموت مثله حزن لسكل من يهيمه شأن الوطن واسأل الله ان
يوفق ولد فقيدنا الذي اعرفه طفلاً حتى تعزى به عن ابيه وهو المسؤول
ان لا يفجعنا بالاحباب .

وتكرم حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد بهذا التاريخ ملحقاً بكتاب قال
 بموتك يا تقلا لقد مات فاضل ماثره غمرّ خواطر في الذهن
 قضى فبكاه العلم بالادمع التي تسيل دماً كالقرن يبكي على القرن
 وابنه للفاضلين مؤرخاً بكي الصدق تقلا والفضائل من حزن

وبعث إليّ عزتلو حفي بك ناصف القاضي بهذه الايات من رسالة

من كابن تقلا غالب الاياما وصارع الشهور والاعواما
 ومارس السوقة والحكاما ولم يهب عدلاً ولا ملاما
 واعمل الدوي والاقلاما ومنع الجفون ان تناما
 واختبر الزمان والاناما كم فوق الدهر له سهاما
 فلم يجد الا فتى مقداما لا يرهب الكر ولا الاقداما
 حتى بنى لنفسه مقاما وشاد في مصر له اهراما
 طبق مصر صيتها والشاما وبهر الملوك والاعلاما
 وصار في اهل النهى اماما ونال من زمانه ماراما
 حتى اذا ملكه الزماما اذاقه من كاسه الحماما
 فالله يسقي رسمه الغماما

وكتب اليّ حضرة الاستاذ احمد افندي سميح

صديقي خليل

اسأل الله ان يحفظك من المكاره ويبقيك ملاذاً لاخوانك . ثم اتوسل اليك بشفاعة ما بيننا من صلة الادب وحرمة الصداقة ان تنوب عني لدى مثال العفة والفضيلة وصورة الشرف والكمال ارملة الماسوف عليه صديقنا الحميم بشاره تقلاً باشا عميد الصحافة المحلى في حلبة الواضعين لها بمصر فلقد اتقده الله من اشراك الهموم الحيوية المنصوبة في فضاء هذا الوجود المملوء بالاكدار واختاره لجواره فترك المروءة تبكيه والهمة تنسبه والادب يترحم عليه والجد يشكو به وحزنه ورجال الاقلام يصعدون الزفرات جزعاً مما اصاب دولة الكتابة السياسية اذ عدمت رجلا كان من اكبر زعمائها جرأة واعظم دعائها اقداماً

فهل لك ياخيللي ان تقبل هذه النيابة وتقف بين يدي تلك الارملة التي لا اسمها تكرمه لمقامها فتبلغني اني وان شاطرتها الحزن لا اقوى على رؤيتها جازعة مستسلمة لعوامل الاكثاب فذلك اخرج المواقف لدي بل هو الموقف الذي ماعهدت ولن اعهد نفسي في سواه جباناً . وعذري حيا استحکم ومهابة اقترن بها احترام فكانت النتيجة خجلاً قطع علي طريق التعزية بنفسى مباشرة . وعدم رؤيتي لتلك السيدة الفاضلة نحو عشر سنين فيه لمعدرتي اعدل تزكية ياخيليل ؛ انت تعلم ان كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر ولكن مصيبتنا جميعاً بفقد بشارتنا ان تزال كبيرة ولا امل لنا في صغرها والتسلي عنها إلا مستقبل « جبريل » سر والده وعنوان والدته فعسى الله ان يجعله لها خير ماورثت ويديه لنا اعظم تسلية وافضل عزاء

وكتب حضرة جواهر والي افندي حسين نجل مقتش طابا

أف لك ايها الدار وبغضاً لضيقك الذي طالما سلب الارواح ومزق
الاشباح وترك القلوب تتقلب على حجر الفراق والعيون تجود بدمعها المهراق
فأي انسان لا يرجف فؤاده ولا يعبس وجهه من صروف الدهر وعوامل
القهر التي تلعب بالنصوب اليانعة والنفوس الظاهرة بل أي قلب لا يعيش
كثيباً اذا توارت شمس الآداب وبدور المعارف وأي فكر يسابق في
ميدان الصحافة ورياض البلاغة بعد ظلام تلك الميادين وظماء هاتيك الرياض
بفقد ساقياها وروح اجسامها ومصدر اصولها ومغذي فروعها الا وهو المأسوف
عليه بشاره باشا تقلا صاحب الاهرام اني اقبلت عليها الامة المصرية اقبال
الظمان على الماء الزلال لاعتدال خطتها واستقامة مشربها

حقاً لو ذابت القلوب عليه او امطرت من العيون العبرات وغمرت
بسيلها مدفته لكان هذا من ايسر حقوقه على الامة المصرية لما له عليها
من فضل المدافعة عن حقوقها الوطنية

كان رحمه الله تعالى مع ما كان عليه من علو المكانة وعظم الشان
وسعة المدركة وحق الدراية بالسياسة والمعرفة بفنونها واساليبها لا يتولاه العجب
بل كان حليماً عند الغضب كريم النفس شريف الطباع حسن الاخلاق لين
العريكة طلق الوجه محباً للخير وفعل المبرات ميالاً الى المساعدة والاسعاف
الصبر محمود العواقب كله إلا عليه فانه مذموم

ولو كنا نستطيع الفداء لفديناه بالاموال النفيسة بل بالارواح الغالية
الثمينة ولكن ما الحيلة فنسال الله الكريم ان يطيل عمر خلقه فيبقي لنا آثار
الفقيد كما كان يحب ويوصي والله على ما يشاء قدير

وانتهى الى جريدة الاهرام الرثاء الآتي من حضرة الشاب البارع
جرجس افندي البستاني

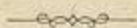
ماوصلنا النعي الاليم بوفاة عماد الصحافة المصرية وركن الادب في القطرين
حتى كانت له رنة حزن وأسى تدلنا كيف يكون الرجل بمقام الف وكيف
تعشق الاذن قبل العين . أجل لقد شق علينا ذلك النعي فأسال المدامع وأجج
نار الاسى بين الاضالع ولا غرو ولا غرابة فاذا كان كل الذين حزنوا على
الفقيد لا يعرفون شخصه الكريم فانه لا يوجد واحد منهم لم يقرأ اقواله التي
كانت آيات بينات بل كانت في السياسة نبؤات تدل على ذكاء الفؤاد وبعد
النظر وأصالة الرأي كما كانت في الاقتصاد عين الحكمة ولباب الصواب

رجل ضاقت عن همته لبنان وتطلع الى المعالي وهو لا يملك من وسيلة
سوى الحزم والعزم والثقة بالنفس فهجر لبنان الى مصر حيث كان قد سبقه
اخوه الطائر الصيت وأنشأ الاهرام في حين كان الجهل مخيماً على الابصار
والبصائر فلم يخدم عزيمتهما مالفوه من قلة الاستعداد وانصراف الاهالي كلهم
او جلهم عن مثل مشروعاتهما العظيم فأخذ الفقيد مع اخيه يحيى الليل والنهار
ويكابد مشاق الاسفار وتعبير الاسفار حتى وضع للاهرام أساساً كأساس
الاهرام فأخذ يجوب ذكرها البلدان حتى لم تبق أذن في الشرق إلا سمعت
بها فكانت كدفعة لدررها وغررها ثم الحقها بأختين البيراميد وصدى الاهرام
فكانتا مثلها مثالا لصداق الخدمة الوطنية والاقدام على كل خطير

فالفقيد كان قدوة لنا سامية علمنا ان المرء لا يستحيل عليه البلوغ الى
شرفه النجاح اذا كان من اهل الهمم والعزائم . علمنا ان النشاط يقوم مقام
راس المال وينهض باصحابه الى اعلى الدرجات . علمنا كيف تكون الوطنية

والتفاني في خدمتها . لابل نفخ في قراءه جرائده وهم أوف روحاً جديداً
لا يرتفع الانسان من الحضيض الا به . ودلنا على حقوق الحاكم والمحكوم
والغني والفقير . فيا ايها الفقيه العظيم كم علمتنا من « الحروف » وكم لك من
« العبيد » ان صح قولهم من علمني حرفاً كنت له عبداً فيحق لنا ان
نبكيك ونستعظم الخطب فيك . يحق للآباء ان يجعلوك قدوة للبنين ويكوك
بدم القلب فضلا عن دمع العين ويبدوا مصابك رزماً على القطرين فسر تخفرك
ملائكة الرحمن انك لم تمت مادام ذكرك خالداً سبحانه الزمان
والله نسأل ان يجعل نجلك جبرئيل خير امين على ما خلفته من
النضائل والنوازل والمعارف والموارف ويكون خير عزاء لامة الناضلة والبلاد
الجزينة

لك في القلوب كرامة ومقام ما سطرت بجريدة اقلام
وتذكر التاريخ اصحاب النهى وذوي نشاط زانه الاقدام



وانفذ إليّ حضرة امين افندي بدران من الاقدمين في خدمة الاهرام
هذا الرثاء

من لي بطرس من الايام ومدامع من النمام فأرثي ذلك السيد الهمام الفاضل
حق رثائه . وابكي ذلك القلب الطاهر الشريف حق بكائه . فلقد جدد لي
الخطب فيه خطبي في والدي اذ كان اعظم وليّ لي بعده . فلا عجب ان
يضارع عندي فقده فقده . وياحبذا لو استطعت فداءه فقديته بالنفس الغالية .

وضمنت للبر والاحسان والفضل والفضيلة بقاء تلك الشيم الشريفة والنفس
العالية .

على انني سأندبه مابقيت . وأعدد مآثره وفواضله ماحييت . ولو امدني
الفكر العاجز والقلم الجامد لذكرت من محامده غير مايدريه الناس مما لا يعلمه
الا الاقربون اليه الذين وردوا عن كثر مناهل آدابه وعوارفه واختبروا
ما اختبرته من الطافة ولطائفه

لذلك يقل عليه جود المحاجر بالدماء وإسالة النفوس من الحسرة
والبكاء واني لأسأل الله تعالى الذي ضنَّ به على هذا الدار وجعله بين
يديه في اكرم قرار ان يتغمده برضوانه ورحماته عداد فضائله وفواضله
ومبراته وان يمن على آلِهِ الكرام وعلينا بالصبر الجميل لهذا الخطب
الفاجع في ذلك الفقيده الجليل .



وارسل قيصر افندي مطران من بعلبك الى اخيه جامع هذا الكتاب
الكتاب الآتي

اعلم ماكان بينك وبين فقيده الصحافة بل فقيده الفضيلة والعلم بل فقيده
الشرق عامة رحمه الله تعالى من الوداد الذي لا يكاد يبلغه الاخاء والصدقة
التي هي اجمل تمثيل لصدق الولاء فانا اكتب اليك لأسألك ان تنوب عني
برفع واجب التعزية الى قدوة الفاضلات وفريدة الكاملات قرينة الفقيده
والي نجله الحبيب والى اخويه الماجدين واعرف انك جدير بالتعزية كما

يحدر به الولد او الاخ وانك مشاطرهم هذه الحسرة المذيبة مشاطرة الصفي
البارّ الحميم

على اننا لم نجزع على ذلك الفقيد العظيم اقل من جزعك عليه وتأني
الاخوة ان لانشاركك في بكاء من شاركناك في فضله فنحن آسفون عليه آخر
الدهر مايؤسف على حبيب راحل ذا كروه مدى العمر ما يذكر مقدام همام.
نسأل الله الذي اختاره الى داره ودعاه الى جواره ان يتغمده برضوانه
ويسكنه في جنانه ويحسن اليه بقدر احسانه ثم نسأله ان يجعل عزاء آله
الامثال وان يجعل خلفه العزيز خير خلف لئلا المآثر والاخلاق والفضائل

صرايح الشعراء

نشرها بحسب ترتيب ورودها من ناظمها

(قال شقيق القعيد)

ابراهيم بك نقلا

حزني عليك أجف سائل أدمعي وأسأل ناراً في حشاي وأضلي
ولقد تكون على الردى في غبطة وأكون رهن تالم وتفجع
فلئن سبقت ففاية ادركتها قبلي بهمة ذي مضاء أروع
اتخاذ اشواط الحياة توشباً كالبرق في جوب الفضاء الاوسع
مهلاً نزولك في التراب مغنياً لكن سموت الى المقام الارفع
لم تندمل بعد السليم جراحنا حتى جرحنا في المحل الموجه
فالرزه فيك مضاعف بمصابه متجدداً ورداك لم يتوقع
يا ايها النجمان إن تفقدتهما لم يلفيا بين النجوم الطلع
لكما سماء في السرائر رحبة واضاءة طي القلوب السفع
ومآثر تثلث لنا بها غمراً كظفأة النجوم السطع
لا تبعدا من ماجدين بكتهما رتب الي وبكى الوفاء أس معي
شخصاهما في ناظري على النوى وحديث كل منهما في مسمعي

(وقال شقيق الفقيده)

حبيب بك تفلا

يا دموع العين جودي بدم القلب الكليم
فقد اغلّ وجودي وغدا جسمي سقيم

...

غاب هذا البدرُ عنا فدجا القلب المنى
لم يعد في العيش معنى بعد ذا الخطب العظيم

...

يا لهُ نعي كمال زال من قبل الزوال
ففضى صبر الرجال فيه والحزنُ مقيم

...

قد توارى في الشبابِ نضنُ بانٍ في الترابِ
وهو لم يعطف لما بي من جوى الحزن الاليم

...

ما لقلبي عنه صبرُ قد تولى الصبر قبرُ
وثوى في اللحدِ بحرُ دُرّه دمعي السجيم

...

ظلمَ الدهر علاكا وهو لم يرحم صباكا
ليتَهُ كان فداكا كلُّ ذي خلقٍ كريم

...

يا أبا اللطف البديع وأخا الجِدِّ الرفيع
كل احسانٍ رضيعٍ قد غدا منك فطيم

...

من لشجوي وانحائي وتبريح الاسى بي
جللاً كان مصابي بك من بعد السليم

(وقال حضرة احمد بك شوقي)

شاعر الحضرة الحدوية النخيمة

حلّ بالأمتين خطبٌ جليلٌ رجلٌ مات والرجال قليلٌ
زال عن سوريا فتاها المرجى وعن النيل جاره المامولٌ
وعن الاهل من يبرّ ويحنو وعن الاصدقاء من لا يحولٌ
وعن الأمر من يفاخر فيه وعن الحق سينه المسلولٌ
وعن الرأي والسياسة والتحد رير من رأيه السديد الأصيلٌ
يا صديقي وكنت بالأمس حياً عهدك اليوم بالحياة طويلٌ
قد شجاني من نأي وجهك عني ان وجه الوداد باقٍ جميلٌ
يقطرُ الفضل والمروءة منه ويميل الوفاء حيث يميلٌ
خير ما خلف ابن آدم في الدز يا خلالٌ يبكي عليها خليلٌ
ليت شعري ماذا لقيت من المو ت وأخفى لك التراب المريلٌ
يلبث العالمون في الشك إلا ساعةً عندها الشكوك تزولٌ
ترجعُ النفس للحقيقة فيها وترى ان ما مضى تضليلٌ
ويلوذُ العليلُ فيها الى الط بٌ وهل ينفع العليل العليلٌ

انما الموت ظلمة تملأ العيون
 وثوان أخف منها العوالي
 يتتهي العيش عندها حين لا اليا
 هذه الارض والانام عليها
 والذي ينشئ الروايات دهر
 ايها الراحل العزيز علينا
 ان فضلاً خلقت فينا ونبلاً
 بن ووقر على الصدور ثقيل
 كل عضو ببعضها مقتول
 فع سال ولا الكبير ملول
 ملب ثم ينقضي التمثيل
 كم له في فصولها تخيل
 سر برغم القلوب هذا الرحيل
 لا مين عليها جبريل

(وقال حضرة محمد ابراهيم بك هلال)

خدع الاطبة طبهم فتعجلوا
 قال القضاء ردى وقالوا صحة
 اودى عماد الفضل حتى ما له
 وخبا ضياء المشكلات وطالما
 وانذك طود الحادثات وكم هبت
 ونأى امير المكرمات فربها
 ومضى لمنزله الجديد مجلاً
 يا تارك الاقلام يوم رحيله
 ومنادر القرطاس بعد فراقه
 ومخلفاً صحف البيان لفقده
 خاب الدواء وخاب ما قد املوا
 كذبوا وقد صدق القضاء المنزل
 من بعده حرم يوم وممقل
 ادجت فسار على هده الضال
 هوج تمر عليه لا يتقلقل
 خال وارباض الحمامد عطل
 فلك البشارة ايها المنزل
 منكوسة تبكي عليه وتعول
 تمحو حلاه النابتات وتسجل
 يطنى بها نث الكلام ويجهل

لو أن غير يد المنون تعرضت
لكنتك صوتها بلادٌ حطها
كنت المدافع دونها بيرة
أيام زلزلها الملم وانت في
أيام قت عن الحقيقة ذائداً
فاذهب ولا تذهب مآثرك التي
وسقائك فيض لا السحاب هتتا
ولجذك الذكر المخد في الوري
ولفضلك الأهرام يثبت شاهداً
ولك القصائد بالرثاء سواراً
لك بالردى والموت داء معضل
بناية مأثورة لا تجهل
يعنو لشرعتها الحسام الصيقل
غمراته كالطود لا تنزل
والناس عن كنه الحقيقة عقل
سيظل يابسها الزمان الأطول
تحكي حياه ولا الغائم هطل
يرويه منا للاخير الأول
كسميه بالدهر لا يتحول
حرى ترؤيها الدموع الحمل

(وقال حضرة نقولا افندي رزق الله)

تقديم الصحافة

كذب الدواء فكان منه الداء
وتفرق العواد عنه وخطبه
شهدوا بمصرته الردى لم يحمه
خطب الم برب كل يراعة
في الشرق منه ماتم ومناحة
لله درّ مبجل في موته
وقضى القضاء فضلت الحكماء
خطب البلاد ورزوه ارزاء
منه طريف المجد والعلياء
وبكت له العلماء والفضلاء
ولصر فيه لوعة وبكاء
حتى لتغبط موته الاحياء

متودٍ من جسده ونشاطه
فتكت ملازمة الزرائع بجسده
ومن العجائب ان تجول بجسده
كانت حياةً للصحافة يوم لم
والعلم يطوى في الصدور كأنه
والقول همسٌ والقلوب ضئيفةٌ
كم اعين عميت وكم من اعين
حتى اذا عظم البلاء وأوشكت
تخذ البراعة سيفه ثم انبرى
فندا يدافع عن بقية راية
وطنية شهدت بها اهرامه
حق لاهل الشرق من رصفائه
ان ينشئوا لزعيمهم وشقيقه
يا صاحب الاهرام ذكرك خالد
عجبا لملك كيف يدفن في الثرى

ما عودته الهمة السماء
فتكاً تعجب من أذاه الداء
روح تضيق بمثلها الارحاء
تك فكرة تبدو ولا آراء
سرٌ وجهل العالمين سواء
والحرث يقتل والكريم يئس
كانت ترى وكأنها عمياء
ان تضحك الحساد والاعداء
والارض من دم اهلها حمراء
كادت تمزق شملها الاهواء
مذ خط رسم بنائها البناء
ان كان يفلح عندنا رصفاء
اثراً يعظم قدره الابناء
ما دامت الكتاب والقراء
والارض أرضُ والسماء سماء

(وقال حضرة احمد افندي محرم بالدلنجات)

رنة الحزن

أودى بشارة والحوادث غول
أودى فباتت عين كل أخي نهى
والموت يسطو في الورى ويصول
تهجي غروب دموعها وتسيل

ما في صباحك غير باكٍ معول
 ولرب سحح بالدموع يفيضها
 عرف المصاب وكان يجهل قدره
 ماذا دهانا يوم قال نعاته
 هالوا بقولهم نفوساً حمة
 هل غادروا الا قلوباً حشوها
 لا كان يومك يا بشارة انه
 لم يبق ثكلك في البرية عاقلاً
 هل كنت الا هضبة المجد التي
 زالت وما من شاخ متمنع
 قد كنت عدة امة محزونة
 تحمي مراقبها وتطالب حقها
 بمثقف ماضي الشباة كانه
 كلف بايقاد الحروب شفاؤه
 ولربما ودّ السلام لمعشر
 لله رزؤك يا بشارة انه
 آدمى قلوب الصحب منك رحيل
 قد كان ذلك لو يقرب نازحاً
 لأطال للخلان فيك مدى الاسبى
 حمل المذالي الشم ثم مضى بها
 طاشت عقول الحامليه وطالما

لو كان يغنيه بكاً وعويل
 فيض الغمام وكان وهو بخيل
 والناس فيهم عارف وجهول
 أودى بشارة وانقضى التعليل
 والقول يعظم وقعته فيهول
 حزن يشك سوادها وغليل
 يوم دهى الاقار فيه أفول
 الا تمنى انه مشكول
 تسمو على هضباته وتطول
 الا سيهوي مرةً ويزول
 ما ينقضي منها عليك أيل
 وتصول في اعدائها وتجول
 سيف على هاماتهم مسلول
 ان يستباح من البغاة قتيل
 فتنى الحسام العضب وهو كليل
 رزؤ يهد الراسيات جليل
 يا ليت شعري هل يحين قفول
 نوح يردده عليه خليل
 والحزن أن مدى التراق طويل
 يختال كبراً نعشك المحمول
 طاشت لقولك قبل ذاك عقول

وكلت بالنيل الاسود فلا تخف
 من كل ضرغام حديد ظفره
 يسمون سعيك حيث كنت فالهم
 ما كان يجمل بالنفوس رجاؤها
 لا يخلفن ثراك صيب رحمة
 واهي العرى سمح الغروب همول
 بعد ارتحالك ان يباح النيل
 يسمي له الضرغام وهو اكيل
 الا سيبك في الحياة سبيل
 لولا فتاك المرتجى جبريل
 واهي العرى سمح الغروب همول

(وقال سعادة الامير شكيب بك ارسلان)

ايها الدمع عائد مستجير
 لا تذرفي الجنون سورا وما تو
 نزل الفادح الذي ليس فيه
 وعظيم على البرية ان تم
 نبا لم يرع به البرق حتى
 ان يك النيل أرعشت ضفتاه
 رجل زال والرجال قليل
 باذخ الهم لم يكن للمعالي
 علم السؤدد الطريف ومنه
 عالم انه اذا لم تك الاخذ
 همة تبلغ العنان وصيت
 جاز شاو العلياء وثبة باز
 ليس للقلب ما عداك نصير
 في ولو كان من وراك البحور
 لطلق الدموع الا اسير
 حق في بهرة الكمال البدور
 كان للعين منه يوم مطير
 جبال بالشام كادت تمور
 وله القعد والرجال كثير
 غاية باعه اليها قصير
 لعصام قبل النشور نشور
 طار في المجد ليس يرحى الخطير
 دون ادناه في البعاد الطيور
 تتداه في الوثاب الصقور

ما له غير قلبه من ظهير
 وترون القصور أبد عن
 فاليكم آثاره فهي مما
 وكفناكم اهرامه مذ بناها
 مبعث النور والاشعة محي ال
 ولعمري ضمير تلك الليالي
 زل عنها وكان يوماً على الاق
 وكثير من الفضائل والتبل
 ومعال كالروض زهواً فامست
 ايها الراحل المشيع مهلاً
 مذ رماك الردى اصاب واصمى
 وكان الحمام ميدان حرب
 وكان الذي تملى من العيش
 خاب طب الأساءة فيك وللعلم
 واذا غالب المنية طب
 التفت كم وراك يبكي كئيب
 فجراك الاله افضل ما يج
 هذه غاية الحياة ممت
 ما براها الاله الا مجازاً
 ليس تصفو لصاحب العمر الا
 حلوة مرّة وهيئات يدرى

وتأتى له اللى والظهور
 لم تظلمه في الصباء القصور
 ليس يأتي الا الاثيل الاثير
 ثابتات وفي البلاد تسير
 علم اذ تلك ظلمة وقبور
 ولهذه مثل النهار ضمير
 لام والصحف شره مستطير
 اتاهن منكر ونكير
 دائرات الردى عليها تدور
 حزنك اليوم في النفوس كبير
 انما الموت بالرجال بصير
 وكان الكرام جيش منير
 له العجز من عثار خنير
 م سطور وللقضاء سطور
 هزم العلم عندها التقدير
 ويراعي النجوم فيك سمير
 زى محب لدي البلاد غيور
 لا ينرتك في الحياة الغرور
 وقضاء على الجميع العبور
 ريثما شاب صنوه التكمير
 الأجاج مذاقها ام نمير

لا يدوم الشقاء فيها ولا الاوسى
سنة واللذات طيف زوال
عزاً ادراكها وما ذلك اله
مرئ بمرّ تراح عنه الستور
واذا المرء لم يكن صادق الاي
تمان ما إن يزال فيها يحور
كل هذا الوجود حجب ينادي
فكر أن خلفها اللطيف الخبير

(وقال حضرة ابرهيم افندي الحوراني)

استاذ البيان في المدرسة الكلية البطريركية

للروم الكاثوليك في بيروت

فاض دمع الشام لما ان نضب
لم يمت فرد ولكن امة
يا له رزءا به ناء العلى
يا خطب منجع اوصافه
بات ترب المجد في ترب البلى
يا حكيماً مات كهلاً ما القضا
ان في الاكوان سرّاً غامضاً
سبب الاسباب يقضي بالذي
لو درى الانسان ما الغاية من
ان كل العيش دين واجب
يا غنياً ما له كن سوى
نيل روض العلم في مصر الادب
فضلها في العجم واف والعرب
والرواسي الشم طراً والهضب
تعجز الأقلام عنها والخطب
فارتق ترب البلى أعلى الرتب
والجهول المهم ناج من عطب
لو بدا ما كان في الدنيا عجب
يتبني فالعم في جهل السبب
عيشه والموت لم يدر الكرب
دفة من كلنا عند الطاب
حزرة في مثلها العافي احنجب

كان هذا الرمس لو أحيأ نتيَّ
 لم تمت يا موصب الشعبين بل
 عيش ذكرٍ نشره في أرضنا
 وحياة في ديارٍ نزهت
 أيها الانسان لا تخش الردى
 ما به من مرهبٍ غير الذي
 او ذنوبٌ ما محتها توبةٌ
 فاعرف الحق الذي تحيا به
 فاخر الاجداث صرحاً من ذهب
 صرت في عيشين جلاً عن وصب
 طيب ما ذرّ نجم او غرب
 اهلها عن عيش سكان الحرب
 انه شرع طبيعيٌ وجب
 شادت الاوهام في ماضي الحقب
 اودجى كفرٍ وتطيل لرب
 واتق الله وذا كل الارب

(وقال حضرة ابرهيم افندي عبد المال عزيز من دمياط)

رأه السجّين

في فريد الوطن

{ المرحوم بشارة باشا نقلا }

نزل القضاء وليس فيه مرأه
 وتغلب الداء الدوي على الدوا
 فالعيش في الدنيا محط مصارع
 والعمر غايته الزوال فلا ترى
 دهر تعم الناس منه مصائب
 وسطا الحمام فضات الحكماه
 ولقلم انجى العليل دواء
 ومجال هول دونه الارزاء
 في هذه الدنيا يدوم بقاء
 وخطوب حنف كلها سوداء

ومصابنا ابكي البلاد واهلها
وغدا فوءاد العلم متصل الاسا
خطب اصاب من التضائل قلبها
ذاك المفضل في الانام بعلمه
انسا الصحافة في زمان لم يكن
وتجشم الاخطار يبني رفعة
فبني حصوناً للخيار متينة
هذي جرائده وهذا قولها
ما كنت احسب قبل ساعة فقده
حتى قضى والقبر ضم معارفاً
ومن الغرائب ان طوداً شامخاً
يبكي عليه الصدق فهو نصيره
(اهرامه) تنعى جليل فعاله
وصفاتة النزاء اعدل شاهدي
اعداءه شهدوا بفضل ثباته
حزني عليه مضاعف لا ينقضى
فلمصرنا حق النجيب لتفقدته
ولآله منها ومن ابنائها
والله يرحمه ويعظم اجره
ما قلت والاشجان مل ضمائري

واثار ما تكوى به الاحشاء
وتصدعت جزعاً به العلياء
فهدمت اطوادها السماء
وبفكرة من دونها الجوزاء
فيه رجال مثله فضلاء
للشرق وهو تسوية الغرباء
بفضائل لم يحصها احصاء
بها جلت الافكار والآراء
ان الدور تضمها الغبراء
كانت تضاء بنورها البيداء
تحويه تلك الآلة الحدباء
كم قال حقاً ليس فيه خفاء
وفعاله مشكورة حسناء
في وصفها قد حارت البلغاء
(والفضل ما شهدت به الاعداء)
يبكي العميون وهل يفيد بكاء
وله عليها مدحة وراثاء
في كل اوقات الحياة عزاء
في جنة الرضوان فهي جزاء
نزل القضاء وليس فيه مرأء

(وقال حضرة نخله افندي كبابه بالمنيا)

امسى القواد من الشجون عليلا
والعين اذرفت الدموع كعندم
والحزم ودع ربه لا يرتجى
اين البشاشة والوداعة والحجى
اليوم حزناً نكست هاماتها
اليوم قام الشرق يندب فاضلاً
اليوم مصر بكت دماً لما غدا
قد كان قبل الان بدر سماءها
واليوم عنها قد نأى قسراً ولم
هذا الذي اتخذ المرؤة خلة
تبكي لمصرعه ككفرشيا التي
يا دهر ويحك قد غدرت بسيد
ابكيت اهل العلم والاداب وال
يا راحلاً عنا وفي احشائنا
تبكيك ناكلة عروس ما لها
ابكيك ما طال المدى بسلامتي
صبراً بني نقلا فان فقيدكم
هذا قضاء الله جلّ جلاله

والجسم من هول المصاب ضئيلا
فجرت على وجه الحضيض سيولا
كفوءاً له بين الورى ومثيلا
جنت كازهار الرياض ذبولا
صيد الرجال وذلت تذيلا
بطلاً كما يهوى الكمال جليلا
مقدامها تحت التراب نزيلا
يهدي سناه معالماً وطولوا
تحسب له قبل الاوان أفولا
هذا الذي اتخذ الوفاء خليلا
ستنن من هذا المصاب طويلا
لم يتخذ غير السلام سييلا
مجد الاثيل ورضعاً وكهولا
لك صورة لا تقبل التبديلا
ذنب فتغدو في الشباب تكولا
ولارثينك بكرة واصيلا
قد رام عن دار الفناء رحيلا
حتم لدينا ان يحوز قبولاً

كأس الردى لا بد من تجريبه لا نستطيع لشربه تأجيلا
يا آل نقلا الاكرميين عزاءكم امسى بشارة في النعيم نزيلا
ولّى وابقى نجله خلفاً لنا عنه يكون من التقيد بديلا
ولذلك في تاريخه كل شدا يا ربّي احفظ نجله جبريلا

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة ايليا الخوري زكا)

وكيل الاهرام في الممالك المحروسة الشاءمانية

اقلّ البكا هيات تجدي المدامعُ وهل لقضاء الله في الناس دافعُ
لقد قضي الامر الذي عم خطبه وكان عظيماً هوله والتواجعُ
ولكنّ حمل الخطب اجدر بالفتى اذا لم يكن رد لما هو واقعُ
هوى شاهق في مصرفاهتزشاهق للبنان من شجوه به وهو هالعُ
ولما نعى الناعي بشارتنا نعى لنا التفضل فاصطكت لذلك المسامعُ
وحق علينا ان تشق قلوبنا كما حق ان تخنى عليه الاضالعُ
فواأسفا لو كان يجدي تأسف على بدر فضل غيبته المدامعُ
همام على الاهرام قد شاد فضله فشيدت على الأس المتين المنافعُ
وهذا صدى الاهرام بالعدل شاهد على فضل من اخنت عليه المصارعُ
همام له في كل مأثرة يد تشير اليها بالثناء الاصابعُ
وفي كل امر كان يعرف ماضياً ولكن له لم يلف قط مضارعُ
فان تبكك الاهرام تبك عمادها وان ردد الشجوه الصدى فهو جازعُ

وان اغمدت بالدمع سحب عيوننا
 عليه سلام الله من راحل له
 مضى وله ذكر حميد مخلد
 مضى وله الشبل الذي بقاءه
 وان جف غصن الانس بعد بشارة
 فما انصفته اذ تسح المدامع
 بكل القلوب الداميات مواضع
 نم ذكره باق وكالطر ضائع
 عزانا وان اخني من الخطب صادع
 فغصن امانينا بجبريل يانع

(وقال حضرة ميشيل افندي جرجس نخله)

مكاتب الاهرام بالقيوم

فقيد الوطن الطيب الذكر المرحوم بشارة باشا نقلا

ضياء الافق من غشى سناه
 وما للزهرة الزراء غابت
 وهذا صاحب الاهرام امسى
 فبئس اليوم يوم سطا علينا
 فقيد كان مقداماً شهيراً
 لقد فجعنا يا بين فيه
 لتندبه الفصححة والمعاني
 ترحل نائياً والعين تهمي
 محبك سيدي ذاب التهاياً
 ودمني بانطلاق واندفاق
 ومصباح المعالي من طفاه
 وما للبدر ناء عن سماه
 نزيل الترب يهوي عن علاه
 به بين تمادي في اغداه
 اماماً للورى جما نده
 وخليت العلا يعني اخاه
 وتبك له الصحافة في ثراه
 عليه ادمعاً تحكي سخاه
 وفرط الحزن قد اضنى حشاه
 ونومي باقتراق لا اراه

وسلواني جناني واصطباري نأى عني واولاني جناهُ
 انوح اسي ولكن لي يقينُ بان الله للمجد اصطفاهُ
 ولي املُ بان الليث اُتقى لنا شبلاً يبيد لنا اباهُ
 عرا الدنيا قتام الحزن لما رأت جبريل أوثم في صباهُ
 تصبر سيدي فالصبر حزمُ وبالعقلاء يحمد مقتناهُ
 فما من حيلة للبرء فيما قضى الباري ولا فيما ارتضاهُ
 وامر الموت محنومٌ علينا وهذا ما به حكم الآلهُ
 فدم واسلم بعزٍ مستديمٍ وعمر مستطيل في مداهُ

(وقال حضرة جورج افندي اسحق يارد بمصر القاهرة)

كلمة محزون

لممرك ليس في الدنيا صفاء ولا عزٌ يدوم ولا هناء
 وما الانسان فيها غير وهمٍ يرُّ بها مني نزل القضاء
 وما هي بالحقيقة غير آلٍ وما للظمء من آل شفاء
 أمن هذي الحياة زوم صفواً وبدء وجودها طيرن وماء
 سقتني من حميا الحزن كاساً بها ضاع التعال والرجاء
 لقد غدر الزمان برب فضلٍ أليف الصدق شيمته الوفاء

كريم ما عرفنا فيه عيياً ولا خلقاً يلبسه رياء
 بكتته رصانة ونهى وحلم بكاد العلم معها والذكاء
 فيامن بينه أدمى فؤادي وجرح القلب ليس له دواء
 لئن واروك في رسم قصي فرسك في الصدور له جلاء
 فصبراً آله فالصبر درع به من سطوة الدهر انقاء
 فكم جزع الانام كما جزعتم فما نفع النحيب ولا البكاء
 وذاك ما لنا نجري اليه كما الامراء تجري والاماء
 فيامن جاور المولى تنعم بدارٍ لا يجاورها شقاء

(وقال حضرة اسماعيل افندي يسري مكاتب الازهرام بالقرشية)

(واجب التعزية)

الى أسرة المرحوم المأسوف عليه سعادتلو الفاضل بشاره باشا تقلا

خطب لصدمة القلوب تدوب لا غرو أن شقت لذك قلوب
 وأسى تسيل له النفوس تحسراً والجفن يسفح دمه المسكوب
 والصبر ينقد هكذا للممة منها لساكنة القلوب وجيب
 أنى لنا الصبر الجميل على الاسى والبدر في جدث القنا محبوب
 قد خانه الدهر الخؤون بفعله غدرأ وأفعال الدهور تنوب
 وسطا على الليث اليزيز بقوة حتى بدا للعالمين عجب
 بدر الصحافة من به الوطن ازدهى أمسى أسير القبر وهو غريب

طودُ عليه الشرق يبكي عندمًا
 شهيمٌ عليه الجود يندب ما همي
 قرُّ عليه الأهل في أسفٍ وقد
 كأسٌ على المخلوق حتما شربه
 فإليك يا جدت النجيب وصية
 رفقًا ببدر هل فيك وكن له
 رفقًا بطود في ثراك ضمته
 الله يلهم أهله صبراً على
 فجعت بنو الآداب فيه فدمعهم
 صبراً ذويه فقيه قد أودى بنا
 وكذلك الآداب والتهديبُ
 قطرٌ وما أفنى القلوب نجيبُ
 أودى بهم حزن وضايق رحيبُ
 قد حار فيه عاقل وطيبُ
 من مخلص هالت عليه كروبُ
 نعم الرفيق لانه محبوبُ
 وبه كشيك كالجنان خصيبُ
 فقد الذكي ومن اليه حبيبُ
 يهمي عليه وفي الضلوع لطيبُ
 خطب لصدمة القلوب تذوبُ

(وقال حضرة ادوارد افندي جدي)

صاحب مجلة التريا ومنشئها

ترويد الخسرات

{ على فقيد الصحافة العربية وعميدها }

هو الموت ما عن نهجه متكبُ
 خلقنا له نسعى ويسعى يريدنا
 ولا منه مها أرجأ المرء مهربُ
 ونداب نبغيه حثائاً ويدابُ
 ولكننا في غفلةٍ عن لقائه
 نظن بقاء العيش والظن يكذبُ

يساور ربّ التاج طاول عرشه
 فينا التي في القوم يندب إلفه
 له الويل كم عين أسال دموعها
 وكم مهجة حرّى تكاد لهوله
 بشارة ودّعت الحياة فكنا
 لقد كانت الدنيا صفاء لاهلها
 برغم العلى هذا الرحيل وليتها
 مضيت الى دار البلى وهي غاية
 فان تسترح فيها فيارب موطن
 بنيت لنا {اهرام} مجد وسؤدد
 رفعت به الاوطان ثم انلتها
 وخلفته يبكي لفقرك تارة
 فاين اليراع العضب كنت تسله
 واين المقال الحق كنت نقوله
 واين الحفاظ الوعر توقد ناره
 واين استكنت يا بشارة فطنة
 سنبكيك حتى ينفد الدمع اننا
 ولكن جبرائيل سلوتنا التي
 سيمضي على النهج الذي كنت سالكا
 ويصبح فينا مثلاً كنت ناصحاً
 سقى الله قبراً انت فيه مؤسد

ذرى النجم لا يخشى ولا يتيب
 اذا بالردى قد غاله فهو يندب
 كما سال مركوم الحيا يتصبب
 تذوب أسى من فرط ما تلهب
 يودّع منها ما يروق ويعجب
 فلم يصف منها مذترحت مشرب
 درت للتلاقي موعداً منك يضرب
 اليها بنو غبراء تمضي وتذهب
 لنا فيه كنا نستريح وتتب
 يخيف عوادي الحادئات ويرهب
 من الخير والنعماء ما تتطلب
 فيشجى ويروي عنك انا فيطرب
 فيرتدعنه السيف والسيف اشطب
 فيحلو لذي الذوق السليم ويذب
 اذا هدّد الاوطان يوم عصبب
 بها كان يبدو المستكن المنيب
 (نغالب فيك الحزن والحزن اغلب)
 نرد بها الاحزان اذ ثأب
 فلا مائل عنه ولا متكب
 يبين عن الامر الخفي ويرب
 شأيب رضوان تسح وتسكب

(وقال الياس افندي جرجس بهنا)

احد مدرسي مدرسة الكلية البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت

نوح الحكام في بر الشام

علمٌ هوى فاهتزت الأعلامُ
 قد دكَّ طودٌ في الكنانة باذخُ
 من كان ركناً في المعارف راسخاً
 وقضى عماد في السياسة صادق
 من كان يصدر في السياسة حكمه
 وانضمَّ ذلك البدر في جوف الثرى
 من آل نقلا كان خير بشارة
 فتبدلت تلك البشارة بالاسى
 اسدٌ بصارم عزمه حسم البلى
 ربُّ الوجاهة والنباهة والندى
 ربُّ الفصاحة والبلاغة من سما
 سلب العقول بيانه في ثره
 اهرامه تزري البيان متانة
 لم يقتنع لنشاطه بجريدة
 حتى غدت اهرامه مشفوعة

ضجَّ الورى فارتجت الآكامُ
 فنزعزت من هوله الاهرامُ
 جزعت له علماوهنا الاعلامُ
 شهدت بصحة قوله الاقوامُ
 صدرت عليه من القضا احكامُ
 وانتمَّ فيه المبسمُ البسامُ
 بين البشائر للفلاح نقامُ
 لما قضى بديارنا الضرغامُ
 وبرأيه للشكلات حسامُ
 من حقه الاجلال والاكرامُ
 في نصه الاتقان والاحكامُ
 فكان تاليفاته الهامُ
 فكانها برسوخها الاهرامُ
 عربية تنفي بها الاوهامُ
 بجريدة سرت بها الاعجامُ

ظلّ الأمين بحق دواته التي
 خباه سلطان الوري رتباً بها
 من بعد ذلك العز خاب رجاً ونا
 أودى به الخطب الملمّ وما له
 وبه غدا قلب الضريح مقامه
 لبنان أمل من بشارته اللقا
 فانه منعه بديل بشاره
 واصطكت الاذان من كلماته
 ما نعيه الا كلامه محزب
 خطب على مصر العزيزة فادح
 لبنان قد لبس السواد واهله
 سكبوا من الاجنان غيثاً هاضلاً
 ما اطفأت عبراتنا نار الاسبى
 ناحت عليه اولو المرؤة والوفى
 ذاك الذي احيا اليراعة ثره
 في فقده فقد التصبر والعزى
 هذي مصيبتنا التي اجتمعت بها
 فملى مر لا نبكى ولا نرثي وذا
 اردت سليم القاب واحد عصره
 اين الملوك واين ارباب النهى
 قد زايلاو الدنيا ولكن فقدم

قد عمه من فضلها الانعام
 من كل ذي تاج عليه وسام
 فسطت عليه من الزمان سهام
 الا بفضل يراعه المام
 وله بحبات القلوب مقام
 ما كل ما ترجو النفوس يرام
 وبه اغار على الضياء ظلام
 وعرا العيون تقرح وسقام
 في السمع لكن في القلوب كلام
 قد شاركتها في النواح الشام
 قعدوا من الجزع العظيم وقاموا
 فكان عندهم الجفون غمام
 بل انها للنائحين ضرام
 وبكى عليه الجد والاقدام
 برت لثري ثره الاقلام
 ذابت له الاحشاء والاجسام
 كل المصاب والخطوب عظام
 بعض الذي فعات بنا الايام
 من قبله واشتدت الآلام
 ماتوا وهم ضمن القبور عظام
 باقى له ضمن الحشا ايلام

آثارهم في الارض تحيي ذكركم
 صبراً بني تقلا فان فقيدم
 إذ عاش في الدنيا جليلاً فاضلاً
 ولكم بديل بعده من نسله
 قولوا لدى ابرام قام مؤرخاً
 وعليه في حضن الخليل سلام
 سنة ١٩٠١
 من كان مبداه التي أرخ وقل
 عند الاله له السرور ختام
 سنة ١٩٠١

(وقال حضرة يوسف افندي نجم بدير القمر)

صدق الرءاء

في فريد الوطن والصحافة

بُتنا نساور في ذا الخطب اكدارا
 ونسأل الدهر سلواناً بفاجعة
 يا للرزئة منها الارض قدحزنت
 مصيبة راعت الافاق رنتها
 قضى في الشرق منقوداً وخلف ما
 قضى البصير باحوال الزمان ومن
 ونرسل الدمع فوق الخد امطارا
 دهباء منها النهى والعقل قد حارا
 حزناً يفتت اكبداً واحجارا
 وطبقت في ضواحي الشرق امصارا
 يُبقي له في سجل النخر تذكارا
 بالحزم فاق السهي شأناً ومقدارا

قضى الذي إن جرت ذكرى ماثره
 قضى بشارة تقلا فلتسل دمها
 شهيمُ ترفعَ عن متن النجوم ولم
 قد كان في خدمة الاوطان مجتهداً
 وكم افادت بلاد الله خدمته
 لما نعيناه للدنيا بكت أسفاً
 يا كوكبا قددهاه الخسف فأنحجبت
 من للجرائد في الافاق ينشرها
 من للسياسة يديها ويبسطها
 من للحقائق يجلوها ويعمل في
 تلك المآثر قد قامت تؤبنه
 ترثي به سنداً في فضل همته
 ترثي به الميماً عاملاً بطلاً
 تبكي وتندبه كل البلاد وقد
 تبكي كحلاً واخلاقاً مهذباً
 حيثك يا ارض مصر كل بارقة
 قد حل فيك همام لا يزال له
 لا يزال يستقي ثراه العفو ما صدحت
 إنا لنبكيه ما ذاعت وما تليت

تجري لها مصر نيل الدمع ابجارا
 عين الفضائل اياماً واعصارا
 يسع له المجد آمالاً واوطارا
 فكم روى عنه اهل الفضل اخبارا
 وكم جنى الناس منها النفع اثمارا
 والحزن أسعر في احشاءها نارا
 انواره عن عيون الناس أدهارا
 حتى تجوب من المعمور اقطارا
 فوق الصحائف آيات واسرارا
 اجلاء غامضها ذهنًا وافكارا
 بنسق درّ أتي في النظم ابكارا
 اجلى وخلد للاهرام آثارا
 قد كان في حلية التحرير منوارا
 قامت تصوغ من التأبين أشعارا
 تفوق ان نشرت نداءً واعطارا
 من الرخاء تفيض السحب مدرارا
 ذكرٌ يظل مدى الاعوام معطارا
 حمائم الايك اصلاً واسجارا
 آثاره الفرّ اعلاناً واسرارا

(وقال حضرة نجيب افندي امين قزاح)

صدي الالف

هوى البدر من أفق المعالي الى القبر
تجيب في غيم المنية فاخفي
عليه يذوب القاب من شدة الاسبى
فيا نخبه الاحباب يا صنوة الملا
ويا رتباً فيه تحلت ألا احزني
ويا صحفاً قد كان درء يراه
تردي وشاح الحزن وانمي وفاته
ويا أمماً قد شقّ طول مغيبه
أبي البين إلا خسفه في تمامه
فيا راحلاً عنا لجنة ربه
لقد كنت في فعل المبرات دائماً
خدمت بلاداً كنت فيها مقدما
تعمدك الرحمان في دار خلد
وامطر رمساً ضم جسمك في الثرى
فوأسفي هل في الثرى مدفن البدر
وباء بحزن سوف يبق مدى الدهر
أست ترى دمع العيون دماً يجري
ألا ابكوا على بدر المعارف والبر
فقد كنت في علياه سامية القدر
يتمق منك الحلي بالنظم والنثر
مع الفضل والاداب والمجد والفخر
عليها الا صبراً على لوعة الهجر
وعند الردى لاشي يجدي سوى الصبر
عليك سلام الله ما غرد القمري
فل من لدن مولاك ماشئت من اجر
بسعي وفي الود في الجهر والسر
وأبقى لنا ذكرى مآثرك النر
شآبيب رضوان الى ساعة الحشر

(وقال حضرة الشماس الكسيوس كيال الراهب الحلبي)

عن المدرسة البطريركية في بيروت

صوت الالهي

ها محمدُ الفضل في الارماس قدر قدا
والكون قد اظلمت اقماره جزعاً
تبكي بشارة من كانت مكانته
نأى وخلف ناراً في جوانحنا
لئن تغيب طي اللحد آفله
بالامس كانت رجال الفضل تصحبه
معاقلُ المجد قد دكت لفرقة
وداره نسجت برد الحداد جوى
لذاك فرض علينا اليوم نديه
ونذرف الدمع من اجفاننا سحباً
فهو الذي كان ركناً يستجار به
يعني الفقير بما يوليه من نعم
اذ كان في الدين والاداب معتصماً
واليوم خالقه بالمجد كلاله
يحيا باحضاف ابراهيم مبتهجاً
فناحت الارض نوحاً ذوب الجدا
في كل جوى وماتت اهله كمدا
فوق الالال وفوق النجم مذ ولدا
لله نارٌ لظاها قطعاً ما نخذدا
فذكره من ربوع الفضل ما فقددا
واليوم اصبح مثل السيف منفردا
لانها لم تجد من بعده سندا
مذ غاب عنها وأبقى بعده الكمدا
ولا نذوق الكرى من بعده ابدا
ما لاح بدر وما نور الصباح بدا
وهو الذي كان يهطي للملا مددا
ولا يرد عديماً بابه قصدا
لذا الاله حباه ما به وعدا
لانه عاش مزداناً بجلي هدى
طوبى لمن آثر التقوى له عددا

(وقال حضرة نجيب افندي الراسي)

المصاب

تجرعُ أسيَّ يا قلبُ قد نفذَ الصبرُ
هوَى من سماءِ المجدِ بدرٌ من العلى
مصابُ أليمِ الوقعِ جلَّ على الورى
تنوحُ به مصرٌ على من اعزها
وتندبُ سوريا فتاها الذي به
لقد جلَّ فيك الخطبُ شرقاً ومغرباً
وكل فؤادٍ ذاب من لوعة الاسى
فنندبُ منك اليوم علماً وفطنةً
وتندبُك الافلام إذ قد هجرتها
ومثلك من يبكى عليه وانما
عليك سلامُ الله يا خير راحلٍ
اذا نحن لم نوفي رثاك فانما
وقد عظمت آيات فضلك في الورى
تركت لنا الاهرام مشكاة حكمة
فتحيك بالذکر الجميل مردداً

وحلت دياجي الخطبِ أذقني الامرُ
وكيف يكون الليل إن خسف البدرُ
به ذلك ركن الفضل وانتخب النحرُ
وشاد بها ما ليس يهدمه الدهرُ
تعالى لها شأن وجلَّ لها قدرُ
ففي كل نفس حرقه دونها الجمرُ
ومن كل عين قد جرت انهر حمرُ
ورأياً سديداً دونه البيض والسمرُ
وما عهدتها في حسن شيمتك الهجرُ
بكى قبلنا من بعدك النظم والنثرُ
له القلب مثنوى ثابت وله الصدرُ
ما أترك الغراء ليس لها حصرُ
وذى الهمة السماء والشيمُ الزرُ
ونور بهاء تستنير به مصرُ
ومثلك من يحبه لو فقد الذكرُ

(وقال حضرة محمد افندي اسماعيل خوجه بمدرسة الاتحاد الفرنسي)
ومكاتب جريدة المؤيد بناوي

مصاب الشرق قد جلا وصبر بنيه قد قلا
فهل يجدي العزا كلا ولا السلوان ميسور

...

'نبي يوماً على عجلٍ {بشارة} مطمح الامل
فكان لرزته الجلال لدى الاهلين تكدير

...

وأمت مصر أسفة تسح الدمع باكية
وكانت قبل آمنة بها الايناس واخير

...

دهاها نبي مفضل كثير الجود نوال
سديد الرأي قوال بفكر كله نور

...

فقيد ذكره باق كما اثر له راق
وهل شيء لنا واق اذا ما حم مقدور

...

فلا قلام تمديد والاهرام ترديد
صداه والبيراميد ومنظوم ومنثور

...

بهنّ تقدّم الوطنُ وعاد لجفنه الوسنُ
إذا الآفات والقننُ بهنّ تهدم السورُ

...

لدى وقتٍ به الاسدُ يروع ما به جلدُ
فقلت وقولك الرشدُ ولم يرهبك تائيرُ

...

الى ان صرت في جدثٍ طويل المكث واللبثِ
مقرّ الشيخِ والحديثِ وكان لذلك تقديرُ

...

بكي من فقدك النيلُ ولكن فيه تأميلُ
بان يراه { جبريلُ } ورأيك فيه مأثورُ

(وقال حضرة سليم افندي خليل نهرًا بكفرشما)

ومعة اسف

زودونا بنظرةٍ ووداعٍ من فقيد الاداب والحريه
أسمعونا من فيه آخر لفظٍ قبل ان تعقل اللسان المنيه
ودعوه عنا ايا خير صعبٍ حول ذلك الفراش عند العشيّه
حينما النفس في الفضا توارت بسلام الى السماء العليه

ايها الناس اي طودِ تمادى
 فعدا النيل واجفأ باضطرابِ
 ليس ندعاً ان فاض مدمع اهل الـ
 كان للنيل جاره واخاه
 ومثالاً للجد والجد دوماً
 قتل العمر ساعياً بين جدِ
 وتفانى ما بين جد ومجد
 يا دموعي روي الضريح انسكاباً
 انا ابكيك يا بشارة دوماً
 انا ابكي عن كفرشيا فتاها
 ما مسحنا الدموع بعد سليمِ
 فوقفنا لدى ضريح سليمِ
 نسأل الله للجميع اغفاراً
 قد رأينا السليم قبل ممات
 انما انت متّ عنا بعيداً
 آه ما ضر لو رأيناك حيناً
 هل ذكرت الاحباب قبل ممات
 ما ترانا نزيد في القول ان قا
 يا رفاتاً قد الحدوها بارض
 كفرشيا ثكلى عليه فردو
 بقي الشبل عندكم فاحفظوه
 زعزعت حين مال كل البريه
 وتعالق في نوحها سوريه
 نيل كالنيل عند هذي البليه
 وزعيم الصحافة المصريه
 وصراط الجرائد العربيه
 خادماً للمليك او للرعيه
 واجتهادٍ وغيرهٍ وطنيه
 كل يوم في غدوة وعشيه
 بعد تلك الشمائل الاديه
 بحنينٍ وزفرةٍ ناريه
 فتولى وكان خير بقيه
 ببكاءٍ ودمعةٍ وطنيه
 عن ذنوبٍ ورحمةٍ سرمديه
 ولثمناه لثمةً اخويه
 وبعاد الاحباب شر بليه
 قبل هذا الرحيل للابديه
 هل ذكرت المنازل الاهليه
 نا فقدنا بفقدك الامنيه
 حرسها الملائك العلويه
 ه لامر باتت عليها شجيه
 ان بالشبل صورة والديه

لا تقولوا هذا صغير فقيه
 عزة الليث شيمة فطرية
 ايه يا امه الحزينة صبراً
 يحمد الصبر عند وقع البليه
 يا شقيقي بشاره وسليم
 انما الموت آفة للبريه
 ام جبريل جل رزوك هذا
 انما انت بالعزاء حريه
 ايها الراقد العظيم سلام
 وعلى القبر الف الف تحيه

(وقال حضرة محمد افندي صادق تاجر بسمنود)

فقيد الوطن

يا ايها الاهرام نور النادي
 لم بدلت منك الحلى بسواد
 لم قد ظهرت بحلة ليلية
 منها التحسر والتأسف باد
 ما بال وجهك قد عرته كآبة
 افن ضنى او من طويل سهاد
 لم لا تجيبين النداء وفيه
 أنقضت عهدي ام قطعت ودادي
 ما شيمتي نقض العهود وانما
 عدت العوادي مسمي وفؤادي
 قدصمت الاذان من صوت النوى
 وتفتتت صخرية الاكباد
 تلك المنية انشبت اظفارها
 بالشهم نسل السادة الامجاد
 ما كنت احسب قبل موت بشاره
 قبرا يضم شوامخ الاطواد
 او ان بدر الافق يستره الثرى
 والبحر يسكن ضيق الاحاد
 حتى رأيت اليوم نقلا قد ثوى
 جدنا وكان ممنع الانجاد

قد كان طوداً للمعارف جامعاً
 احيى الصحافة في البرية فكره
 واماط ديجور الخلاف اذا بدا
 ولكم له من باهرات معارف
 فلتبكه سحب الدموع وتكتسي
 ولا له الصبر الجميل من الذي
 قاموس فضل راق للوراد
 حتى سرى فيها بحسن سداد
 بين الملوك بفكره الوقاد
 جلت عن الاحصاء والتمداد
 فيه المراثي كل ثوب حداد
 ختم الوجود بصادق الامداد

(وقال حضرة عبدالله افندي فارس بالمنصورة)

صدي الالسى

خطب عميمُ بافراح الورى ذهباً
 يا ليت شعري هل الافراح عائدة
 والحزن خيم في ارجائنا فعدت
 ويلاه وأسني مما ألمَّ بنا
 ليت المنية ما كانت ولا خلقت
 كنا نتيه بعيش ناعم وصفاً
 هيات نسي مصاباً تشتكي الماء
 تعساً لدار برب الفضل قد غدرت
 يا قلبُ ذب اسفاً يا عبرة السجمي
 سهمُ اصاب فليت السهم كان نبأ
 والانس وتلى وماء الصفوق قد نضبا
 تبكي وفيها غراب البين قد نعبا
 دهرٌ خؤونُ بارواح الورى لعبا
 ان مسنا أمُّ كانت له سيبا
 واليوم نشكو العنا والويل والحربا
 منه الجلامدُ وقر الخطب والوصبا
 فافقدتنا أياً طاهراً وابا
 قد مات من للعلا والمجد قد خطبا

وابكي أيا صحف الدنيا باجمعها
 على التقيد الذي اوصافه حمدت
 شهيمُ غيورُ ابني النفس مشتمرُ
 يا راحلاً عن بلاد كنت بهجتها
 يا آل نقلاً بشارا اليوم في جذل
 حي ثراه الحيا ما قلت من اسف
 حزناً عليه ونوحى واندي الادبا
 وحاز بالهمم الآلاء والرتبا
 ذو رفعة وضياء يزدرى الشها
 قد فاض حزناً عليك الدمع وانسكبا
 حباه مولاة في الجنات ما طلبا
 خطب عميم بأحلام الورى ذهباً

(وقال حضرة يوسف افندي مراد الخوري من عبيه)

حسرات القلوب

سميت بهذا الدهر ليسعناك الجدُّ
 ونفسك مذ نالت بعرك قصدها
 هناك ترى الافراح والبشر والهنأ
 فقدناك فقد الغيث في المحل انما
 فقدناك فقد النوم للعين فاغندت
 فقدناك فقد الروح للجسم انما
 ولو كنت تفدى بالجسوم رأيتنا
 ومن بعد ذلك الجد قد ضمك للحدُّ
 صبت للعلی حيث استقام لها القصدُ
 ولكن هنا نوح له في الحشى وقدُ
 بكينادمو عأضاق عن فيضها النجدُ
 يلذ لها من بعد فقد الكرى السهدُ
 حيناً ولكن ليته لم يكن بعدُ
 نجود بها ما شاءه الود والعهدُ

نعاك لنا برق تلامعانه
 نعاك لنا بدرًا غدا للحد برجه
 مصابك بين الناس يمتدُّ مثلما
 لقد سلبتنا النائبات بك العلى
 جعلت فدى الاوطان عمرك كله
 وعلمتنا الاقدام والجدَّ قائلًا
 ركبت الى الغايات جدك اجردًا
 وجردت من غمد السداد مهندًا
 فلا عجب ان كنت تبكي على المدى
 وتبكيك في هذا الزمان صحافة
 ويبكيك لبنان ومصر وكل من
 لئن كان فيض النيل يلزم حده
 لقد غدت الاهرام في مصر مدفنا
 وقد اصبحت اهرامك الان مدفنا
 تبعت سلماً في المات كأنما
 دعاك اليه الشوق والحب والوفا
 سنبيكما بدرين في أفق العلا
 ونهدي بانفاس النسيم تحية
 وان يسقى دمع العين قبرا حواكما

دموع لها من رنة للاسى رعد
 ولم ندر بدرًا قبل ذا ضمه لحد
 لك الذكر في عرض البسيطة يمتد
 ولا يرتجى من بعد ان سلبت رد
 فسطر في وجه الزمان لك الحمد
 لغير نجاح العصر لم يدعنا الجد
 فكان باشواط العلوم لك المجد
 واسرجت حزمًا دونه تقصر الجرد
 وحيداً فريداً انك الواحد الترد
 توليتها بكرًا ولم يثك الجهد
 رأى بك خلقاً ما له عندنا ند
 فدمع الذي يبكيك ليس له حد
 لقوم بها عاشوا وعاش بها الجد
 لذكرك فيها في مواطنها الخلد
 له منك من قبل الردى باللقا وعد
 فسرت ولم يرجعك ماتقتضي الولد
 واعيننا لا يستقر بها السهد
 لقبركما يحكي تأرجحها الند
 ففي جنة الافراح عيشكما رغد

(وقال حضرة خليل افندي السبتي مكاتب الاهرام في حيفا)

الاسى

الصحف تنجبُ والمحابر تدمعُ
لا غروَ في هذا فإنَّ مصابنا
عدت المنايا اريحيًا اروعا
من آل تقلا ماجدُ فرد قضي
شخص المفاخر والمائر والحجى
ذو همه وحمية وحصافةٍ
تباً لا يدي الدهر قد فتكت به
تباً لدارٍ لا مقام لنا بها
صدق المقال فكل شيء باطلُ
من رام ان يحيا بطيب ذكره
كفقيدنا الندس الذي اثاره
هذي جرائده زهت في افقنا
قد حاز أعلى رتبة من مالك
وحبته انجمها الملوك تجلة
لنزاهة وحصافة وزكاةٍ
ونبالةٍ - ونباهةٍ وفطانةٍ
والقلب يرثي والحشى يتقطعُ
خطبُ لنا فيه آسى وتوجعُ
وطريدهنَّ الاريجي الاروعُ
فتقوض المجدُ الاثيل الاروعُ
السيد العلم الشجاع الاصعُ
بجليها اثاره تُترصعُ
فندت اسى كل المحاجر تدمعُ
الا كما تأتي الظلال وترجعُ
وحياتنا حلمٌ ودارٌ بلقعُ
فالحكمة الثوب الذي لا ينزعُ
فاحت ككشر دائماً يتضوعُ
وقلائد العقيان فيها تسقعُ
بسمائه شهب المكارم تطالعُ
فكأنها في الصدر زهر تلمعُ
ومتانة في الخلق لا تنزعُ
وسلامة كانت به تستجمعُ

أسفي ولكن قد جرى حكم القضا
 أسفي لبدرٍ ساطعٍ عنا نأى
 يبكيه أهل الفضل فيه باعينٍ
 والعصر ينحبه ويرثيه الهدى
 يا من مضى عنا وخلف بعده
 لله يوم حملت خير مشيع
 يبكي عليك وكل قلب واجف
 خلفت بعدك خير فرع للعلی

فقضى وليس له دواء ينجع
 وخسوفه للشرق خسف يصدع
 بعد النوى مقروحة لا تهجع
 ويظل يفقده الندى المتفجع
 ذكراً جميلاً كالكوكب يطلع
 وقلوبنا سارت اليك تشيع
 جزعاً عليك وكل دمع يهمع
 والفرع للأصل الزكي سيتبع

(وقال حضرة يوسف افندي فاخوري)

احد اساتذة العربية في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت

سبحان الحى السرمدي

تشطير وتذيل للقصيدة الرثائية المشهورة لابن التيبه في ولد الناصر احمد
 برناً فقيد العلم والوطن المأسوف عليه بشاره تقلاً باشا صاحب جريدة الاهرام
 تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والهم آله على فقده صبراً جميلاً

الناس' للموت نخيل الطراد سابقها اللمس نخر' السواد'
 شأو اليه سبقها ان عدت فالسابق السابق منها الجواد'
 والله لا يدعو الى داره غير الذي افعاله لا تباد

وليس يُعطي في العلى منزلاً
 والموت نقاد على كفه
 يمينه شلت بها تتقى
 والمرء كالظل ولا بدَّ أن
 ساعاته محدودة ان مضت
 لا تصلح الارواح الا اذا
 ولا ترى العلام الا متى
 ارغمت يا موت انوف القنا
 والبيض والخدباء حطمتها
 كيف تحرمتَ علياً وما
 لم ينفع المرء دفاع ولا
 نجل امير المؤمنين الذي
 كذا ابن تقلا سيفه مرقم
 مصيبة اذكت قلوب الورى
 فأضرمت اكبادنا لوعةً
 نازلة جلت فن اجلها
 داهية دهية في مثلها
 مائة في الارض لكنها
 منها الأسي في داره انما
 فالخود في المسح لها رنة
 وآل تقلا بالسلاب اردوا

الا من استصلح من ذي العباد
 اعمار من للناس كانوا عماد
 جواهر يختار منها الجياد
 يخفى كمر الطيف اذ لا يعاد
 يزول ذاك الظل بعد امتداد
 فارقت الاجسام حتى تعاد
 سرى الى الاجساد هذا الفساد
 ورعت اطفال الملا بالمهاد
 ودست اعناق السيوف الحداد
 بشارة ابقيته للبلاد
 انجده كل طويل النجاد
 لم ينج من نصل قناه البداد
 من خوفه يرعد قلب الجماد
 وغادرت نار الاسى باتقاد
 كأنما في كل قلب زناد
 ابنا تقلا حزنهم بازدياد
 سن بنو العباس لبس السواد
 في حدها مجد ابن تقلا الجواد
 عرس على السبع الطباق الشداد
 من الأسي ابكت عيون المداد
 والخور تجلى في مروط الحداد

طرقت يا موت كريماً فلم
 وضفت من اجدى فاغنى ولم
 قصنته من سدره المنتهى
 ومن غياض العلم أذويته
 يا ثالث السبطين خلعتني
 بشاره لم انت غادرتي
 يا نائماً في غمرات الردى
 يا أيها المنفوق يوم النوى
 ويا ضجيع الترب اقلقتني
 ارتقتي فيك فلا راحة
 دفنت في الترب ولو انصفوا
 ضموك في لحد ولو فكروا
 لو لم تكن اسخنت عيني سقت
 ان يرقاء المدمع تسقي دماً
 عليك وقفاً رحمتهم
 واثالج الرحمن صدر الألى
 على همام فاضل عالم
 عاش كريماً خادماً قومه

يخل على طارقه بالمراد
 يقنع بغير النفس للضيف زاد
 فرعاً أثيلاً مورقاً ذا سداد
 غصناً فشلت يد اهل الفساد
 ارثي ابن تقلا بالقريض المجداد
 اهيم من همي في كل واد
 حرمت جبريلاً لذيد الرقاد
 حكمت اجفاني بهيل السهاد
 فهمت في نوحى بغير اقتصاد
 كأنما فرشي شوك القتاد
 رسمت في الافلاك دون الوهاد
 ما كنت الا في صميم الزواد
 ضريحك الدمع بمنزى غواد
 مثواك عيناى كصوب العهاد
 تتابع الدهر مع الغيث جاد
 بكاهم والنوح شوطاً طراد
 افصح ممن فاه منهم بضاد
 ومات شهماً بعد هذا الجهاد

وقال مؤرخاً الوفاة

حات على ابناء تقلا نكبة
 جرّت الى الوطن العزيز خساره

تلك الحياة فلا يتم صفاؤها لبني الانام ولا تدوم بشاره
 اتي البشارة والمؤرخ معلن بالحد غاب سناء وجه بشاره

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة رشيد افندي حنامصوبع)

حاشا لهجرِكَ ان يكون طويلا ولمثل بينك ان يكون عجولا
 ولمثل وجهك ان يكون منيباً ولصبر قلبي ان يكون جميلا
 قف ودع الاهرام منك بنظرة فهي الاحق بان تكون ثكولا
 ان كان وادي النيل شق جيوبه حزناً عليك فقد خدمت النيل
 او كان لبنان عليك تصوتحت ازهاره فلقد نماك اصولا
 أبكيت فيه شوهونه وعيونه وخصونه وحزونه وسهولا
 وهواه الشافي وهذا لو درى لسرى ليشفي من صباك عيلا
 فظالما ذكروك عندك مهبه فاطبته ذكراً فطاب حمولا
 واطالما اكسبت بر شامنا شرفاً رفيعاً باسقاء واثيلا
 أعميد سوريا ومصر اتول ذا وانا جريء لا اخاف عدولا
 انا نشيع ضاعين قلوبنا وعيوننا وبشارة المشكولا
 أجريده الاهرام لا زالت دعا ثمك التي رسخت بمصر طويلا
 بل دمت كلاله اهرام تشمخ للذرى ونجر فوق الأرض منك ذيولا
 ولربما يبى البناء ورببه ال باني يصير عن البناء طولولا

يا وردة بين الازاهر يتمت
لو لم يخلف من تعهد حسنك ال
لكنه ما اشتد ساعده فيا
هذا الذي يضني الفؤاد ويبعث ال
ترنو اليه جهوننا فيغادر ال
أعني بوردتنا جريدتنا كما
انا نعلم كل ورق اراكة
من بعد موت بشاره والله نس

فلقد فقدت ندى الربى وقبولاً
باهي لأشفتنا عليك ذبولاً
ربي امنحنه الساعد المقتولاً
حسرات تثرى بكرة وأصيلاً
اجفان قرحى والدموع سيولاً
أعني بشبل فقيدتها جبريلاً
كيف النواح على النصون هديلاً
أل ان يكون بلطفه مشمولاً

(وقال جبرائيل افندي جرجس صافي اللبناني)

لوعة الفؤاد

جار الزمان الان في نكباته
والنفس تحب لوعة وتفجراً
أف الدنيا عيشها بترنق
غمرارة تسبي اللبيب بمكرها
كتميدنا المقدام من نال الملا
ووجاهة وعفاف نفس دائم
وبشاشة وبلاغة وفصاحة

وفؤادنا قد ذاب من حسراته
والقلب يصعد بالاسى زفراته
ونعيمها حلم بقرب فواته
وتضل ادهى القوم عن غاياته
بذكائه ونشاطه وثباته
ومحبة للخير من عاداته
وفوائد بانة لنا بمظاته

اسني على البدر المنير وقد خوى
 من آل نقلا فاضلنا عنا نأى
 العالم الندس الغيور المرتقي
 اللوذعي الجهد الفرد الذي
 افعاله الغراء سارت بالملا
 هذي جرائده زهت في شرقنا
 خدم البلاد بها باصدق خدمة
 حاز المراتب والوسامات التي
 فالجهد ينجه ويبكيه العلا
 يبكي الامائل والاماجد حسرة
 يا من مضى عنا لرحمة ربه
 فارقتنا وتركت للقلب الاسبى
 ودعته بنصائح منها النهي
 هذا صراط والمنون نموذج
 فالغفو نطلب للفقيد ورحمة
 ومراحماً يسقي الميمن رسمه
 وبجنة الفردودس يسكن نفسه

وثوى الضريح مفارقاً هالاته
 نجح الانام جميعهم بماتته
 متن العلى بخلاله وبذاته
 فاق الورى قدراً بحسن صفاته
 كالشمس ساطعة عقيب وفاته
 روضاً ثمار العلم من ثمراته
 وسمى لها بالنجح في مسعاته
 في صدره تنيك عن حسناته
 ويسح مفؤود الندى عبراته
 وتزيد بالاحزان في مأساته
 لينال مجداً في ربي جنائنه
 ولغصن بان ذاب من حرقاته
 وبحسرة اكثرت من قبلاته
 يحيا الفتى للخوض في لجاته
 تشفي مصيبة آله وبكاته
 عفواً ورضواناً وخير هباته
 في زهرة ليقراً في رحماته

(وقال حضرة محمد افندي التيمي)

رزق الصحافة بالفقيد بشارة تبكي الحابر منه والاقلام

يا آل ثقلا ارض مصر تزلزلت اصابعكم وتصدّع الاهرام
 صبراً فان فقيدكم اثاره كسميها لم تمحها الايام
 لو دام ذو اثرٍ لدام فقيدكم ما دامت الافلاك والاجرام

(وقال حضرة حميده افندي سالم الدمهوري)

واجب الغزاء

الى آل فقيد الوطن العزيز

أعزي في رزئه كل غال أم باغلي الرثاء فيه أغالي
 أم أعزي في خطبه كل مجد أم اعزي فيه الندى والمعالي
 أم أعزي فيه فضائل غراً اصبحت بعده كسيفه بال
 أم أعزي له صحائف فضل قد بدت من فراقه في اعتلال
 أم أعزي به مآثر خير باقيات على مدى الاجيال
 أم أعزي به اماجد قوم سار عنهم للحده بالجلال
 أم أعزي بشكاه كل قطر قد حباه بفضله المتوالي
 ويقيني أن الغزاء عليه غير مجد والصبر ليس بحال
 يا لخطب عرا بفقد عظيم ومصاب يفوق وقع النصال
 فعليه البكاء يجمل دوماً من عيون الملا بدمع مسال

ليس بذلُ الدموع كالدم يشفي
 ليس شق القلوب بعد جيوب
 ليس فقد الكبود من طول وجد
 مات من كانت الفصاحة تبدو
 مات من كانت البلاغة تزهو
 مات من كانت السياسة عنه
 مات من كان للصحافة شيخاً
 مات من كان للشهامة قرماً
 مات من كان للحوادث ليشاً
 مات رب العلا { بشارة ثقلاً }
 'دك' طودُ العلوم ليلاً فكادت
 وتوارت زهرُ النجوم حيارى
 وبكى { الفرقدان } حزناً عليه
 وبكته { شمس } الملاحين أودى
 وبكاه { جبريل } شبل أبيه
 وبكاه { اهرامه } و { اخوه }
 وبكت شيخها { الصحافة جمعاً }
 واغدت تذكر الفضائل عنه
 وعفاة قد كان يحنو عليهم
 لعلاه وعلمه ونداه
 كم افاد العباد نفعاً جليلاً
 من عناء على كريم اخللال
 بعظيم على فتى مفضل
 بقليل على فقيد الرجال
 من حلى لفظه كسحر حلال
 منه انوار حسنها في المقال
 مثلاً سائراً من الامثال
 سنداً سائداً على الامثال
 بطلاً طائلاً على الابطال
 لا يبالي بملتقى الاهوال
 خير { باشا } بفضله والكمال
 لعلاه تدك شم الجبال
 اذ توارى في الترب بدر المعالي
 بدموع من الاسى في انهمال
 وهوى من سماء ذلك الكمال
 بفؤاد مروع غير سال
 بانتشار ما بين صعب وآل
 ونعته باصدق الاقوال
 مصر والشام بالصفات النوالي
 بجميل العطاء قبل السؤال
 كم حول شدت وكم من رحال
 دل طبعاً على حسان الخصال

كم به للهدى أنيرت عقولُ
 كان فيه تطف واطضاعُ
 كان للخائفين من جور دهرِ
 كان للاصدقاء اوفى صديق
 كان ياتي صعب الامور بهزمِ
 كان أمضى من الحسام ذكاءُ
 كم به من صروف دهرٍ توات
 فهو لا غرو للنضائل اهلُ
 كم حوى رتبةً جليلةً قدرِ
 حاز بالجد والنباهة نخرًا
 ومن الناس حاز اوفى ثناء
 ومزايا العزيز لم تحصّ عدًا
 قل لمن شاء شأوا عليه قصرًا
 عجبًا للنون تعدو وتسطو
 كيف تبدوا النجوم من بعد مولى
 كيف بالماء مُنتقى غسلوه
 كيف بالطيب عطروه حنوطًا
 آل نقلا مصابكم جلّ هولًا
 كم قلوب تصدعت حين وافي
 وعقولُ بها أقلم ذهولُ
 لكن الموت لم يزل للبرايا
 اوغلت قبلُ في فيافي الضلالِ
 زاده رفة على كل عالِ
 مأمناً عاليًا عزيز المثلِ
 { لست أنسى له جميل الفعالِ }
 فتولى بناية الاذلالِ
 يقهر الخضم في اشتباك النصالِ
 فتولت من يأسه في الحالِ
 وجديرُ بها بغير جدالِ
 من ملوك الدلاء والاقبالِ
 لا يضاهى وثروة من حلالِ
 ومن الله نال حسن المالِ
 من بليغ او شاعرٍ مقوالِ
 لم ينله تطاول الامالِ
 عاجلاً بالعظيم ليس تبالي
 فضله كالنجوم يد الرمالِ
 وهو أنقى من ماء بحر زلالِ
 وهو أذكى من عطر طيب غالِ
 في جميع الاقطار بالاجمالِ
 وكبود تروعت بالتوالي
 ونفوسُ حارت بلا امهالِ
 يتوفى اخيارها بانتقالِ

لكم الصبر فهو خير وأولى واثن كان طعمه غير حال
 و {بجبريل} كل خير يرجي بعد سار لربه المتعالي
 ليس من مهرب من الموت يرجي كلُّ ظلٍّ ماله للزوالِ
 والحياة الدنيا متاعٌ قليل وبقاء المتاع عين المحالِ
 ليس للمرء غير فعل جميل يصطفيه لحالة الارتحالِ
 غير تقوى الاله لم يلق زاداً طيباً في باده المستطالِ
 وفقيد الاوطان كم كان منه فعلٌ خير لاهلها ذو اتصالِ
 وسعى للإصلاح افضل سعي بجميل التقى وبذل النوالِ
 فدعاه الاله للقرب منه فاجاب الدعاء بخير امثالِ
 وبادر النعيم اصبح يزهو في صفاء ورفعة وكمالِ

(وقال حضرة ابراهيم افندي بركات)

تاريخ

وفاة الطيب الذكر المرحوم بشاره باشا تقلا

حكم الحمام على الانام تحتماً فالارض ليس لهم بها منه حمى
 كلُّ يفارقها صغيراً او كبير راء مكرهاً إن مثيراً او معدما
 فارقها وبها تركت عقيلة وابناً واهلاً دمعمهم يجري دما
 يبيكون مولى كلُّ صبر بده أمسى عليهم في الزمان محرما
 يا آله صبراً ففي تاريخه بشرى بان بشاره شاء السما

(وقال حضرة امين افندي زعرب في شفا عمر)

فاجعة الفواجع

رزقٌ جسيم حل في هذي البلاد
 إذ رافع الالهرام دكت تحنه
 فبكت لفرقته المحابر حسرة
 يا مرشد الكتاب في سبل الهدى
 رب الصحافة والسياسة والخطا
 كم خطبة لك لا يزال غيرها
 انى مضيت وانت فينا المرتجى
 انى تجرعت الحمام بلا أسى
 من للسياسة والكياسة بعده
 انت الذي تمضي العصور وذكره
 ما باد من احبا العلوم وشاداه
 ما مات من خدم البلاد واهلها
 ما مات من رقى الصحافة وابتنى
 سورية تبكي عليه وان بنى
 إن حرمت لبس السواد دفاتر
 من هوله جفت ينابيع المداد
 أس الحيوه وصرح ذلك العزماد
 وكسى الانام لفقده ثوب الحداد
 يا مرجع الاغرار عن طرق الفساد
 به ان تمت فالتم ببدك للنواد
 متزوعاً كالمسك في كل البلاد
 يوم المسكاره ايها الفرد الجواد
 وبلا مبالاة بذاك ولا اعتداد
 من للكتابة والاصابة والسداد
 بين الورى يبقى مثلاً للرشاد
 رام الفضائل وهي ذكر لا يباد
 زمناً مديداً بين جد واجتهاد
 في قطرها بيتاً سما عالي العباد
 اهرامه الغراء في مصر وشاد
 من بعده فلأنه افنى المداد

فخدادها ببياضها وبيانها
 كل ابن أثنى مائتاً يوماً كذا
 اين الجبابرة الذين تقدموا
 فسكاهكم عبثاً على ميت قضى
 فله الخلود مع الملائك سرمداً
 فلئن يكن جثمانه رهن البلى
 بسوادها وبه تتم ما اراد
 كل ابن اثنى عأش يوم المعاد
 اين القياصر اين فرعون وعاد
 بالله والايان معه خير زاد
 وله الى المولى شفاعة خير فاد
 فالنفس مطلقة عفت دارالفساد

(وقال حضرة مرسي افندي الليثي بالكفر الغربي)

انا لله وانا اليه راجعون

الا ليست الدنيا بدار اقامة
 تزود لدار لا تزول نعيمها
 وكل عزيز للحمام مذلل
 حليف المعالي زال في زين عمره
 وكان اماماً في البلاغة ماهراً
 لقد راح من دار الفناء مزوداً
 وحاز من الرحمان اطيب رحمة
 فلا زال مغموراً بفقران ربه
 وليس لمخلوق بها يعهد الخلد
 متين الاواخي دائم الصفو ممتد
 اليه وحر النفس فهو له عبد
 وقد كان من اوصافه الحلم والزهد
 وكان كما تهوى السباحة والحمد
 بصالح اعمال لدار البقا يندو
 ومغفرة منه وتم له السعد
 ومنه الرضا طول الدوام له يندو

(وقال فؤاد افندي طانيوس غصن احد اعضاء اللجنة الخطاوية)
في المدرسة البطريركية

رثة الاسى

{ على فقيد الصحافة العربية وعميدها }

ويح المنية ما ادنى تدانيها
تفني قلوب الورى حزناً وتوشك ان
مادت جبال العلى حزناً على رجلٍ
اخنى الزمان على ربّ الحصافة بل
يا خير ثاوى ثوى في اللحد قد فقدت
يا خير ناء نأى عنا واورثنا
تبكي عليك اليتامى يا بشارة اذ
تبكي عليك اسى اهل الصحافة يا
تبكي عليك الورى طراً لانك قد
حلّ القضاء فذابت عند صدمته
لم تقو اهرام مصر في الصروف على
قضى فالبس ارض الشرق قاطبة

الى العباد وما انأى تنائها
تكسو الثرى ارجواً آمن ماقيها
بذل عيوف ابي النفس عاليها
رب الصحافة بانيتها ومعلمها
به ربوع السخا أغلى لآلها
مآثراً لآتني الاجيال ترويهها
قد كنت من مالك الفيض تكلفها
شهماً الى سبل الاصلاح يهديها
كنت الكريم الشريف المعتلى فيها
قلوبنا وسهام الحزن تصميها
رفع المنية عنم كان ينشيتها
ثوب الحداد وكان الانس كاسيها

كأسٌ سترشفتها كل الانام ولا
 ينجو من الموت قاصيها ودانيها
 يا آل نقلا تعزوا فالفقيد مضى
 لكنما ذكره في الارض يحييها
 وسارت النفس من دارالفناء الى
 دارالبقاء لتلقى وجه باريتها
 حيا الحيا تربة فيها ثوى وهمت
 سحائب العنور والرضوان ترويها

(وقال نجيب افندي خليل الشماس)

احد طلبة المدرسة البطريركية في بيروت

تاريخ

مضى من كان للعرفان ركناً
 وغادر في القلوب اسى وهماً
 ومن قد حلّ في اسمى مقام
 واحزاناً تزيد على الدوام
 فيا آل الفقيد الصبر اولى
 بكم في فقد ذي الحزم الهام
 ملاك الحق ارخه بقول
 بشارة بات في دار السلام

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة يوسف افندي فتحي)
 { مدير ومحرر جريدة المقياس والسودان المصري سابقاً }

عجباً لورقاء الحياة فما جنت
 تأوي الغناء وذاك عنصر بدتها
 تتجاذب الذرات تحت خفائها
 هذي الكيان فما هيولى وضعها
 انى لتدهشنى العوالم منظرأ
 عدمٌ ووجدانٌ وأدوارٌ بدا
 في روضها ولها الحمام نصيبُ
 قدماً فظاهر كنهها محبوبُ
 فيم التماسك والشتات قريبُ
 ولها التغير في العصور وجيبُ
 فكأنتي في دارهن غريبُ
 منها التخالف ان ذا لمريبُ

يا سائراً تحذ الدجنة مركبا
 ردّ الظعائن ريث توديع النوى
 حملتها يوم الرحيل امانةً
 أين المسير وفي الطريق لغوبُ
 فلقد رأيت الركب ليس يؤوبُ
 رحلت بها فالعيش ليس يطيبُ

يا قصر ويحك قد عهدتك أهلاً
 ناشد دموعي انها لضئينةُ
 بسم الصباح وكان احزن باسم
 وتبدلت تلك الليالي فانتقضت
 اين ابتسامات الثنور ودهرها
 قد كدرتها النابتات بما جرى
 فعلى م يبدو في حماك قطوبُ
 فيما أرى وغزيرها مسكوبُ
 وعلا به في مشرقه نجيبُ
 وصباحها رزة نما وخطوبُ
 اذ كان عنه الصفو ليس ينيبُ
 فجرى عقيق الدمع وهو خضيبُ

والغيث يبكي والنجوم حواسرُ
 تربت يد الحدثان رنمًا انهُ
 اضحى يرينا الخطب كيف يريبُ
 فلكذاك يابسها لديه رطيبُ
 بين الاحبة بالذراق رقيبُ
 كلفُ بتشتيت الجموع كأنهُ

سل الضنا من جسمه رسم البها
 بذلوا النفوس له القداء فآخفقا
 حتى تحير في الدواء طيبُ
 ان الرجاء لدى الحمام ينجبُ
 شوقًا يرفرف للرضا فينجيبُ
 فبكت وشقت عينٌ وجيوبُ
 والنفس سكرى والفؤاد كئيبُ
 قرعاً يقصد الصخر وهو صليبُ
 بالحزن منها للعقيب عقيبُ
 بالشجو منها نادبٌ وخطيبُ
 هذا نهار للكرام عصيبُ
 بدرٌ عداهُ للحمام غروبُ
 وطويت فيها الآس وهو رطيبُ
 لا كان يومك انه لعطيبُ
 فالدور آت والرحيل قريبُ
 ابدًا كلانا في حماه غريبُ
 نشأت به الارحام وهي ضروبُ
 ان الكريم الى الكريم حبيبُ
 سل الضنا من جسمه رسم البها
 بذلوا النفوس له القداء فآخفقا
 واقض بلبل سره في خفقة
 وقضى الحياة وهكذا حكم القضا
 العين عبرى والاضالع ظلمعُ
 والحزن يقرع في الصدور بكفه
 تتابع اللوعات في توديعه
 وارى الحمايم لا تكف عن البكا
 ذودوا التجلد عن فؤاد ثابت
 ضمن المكارم تحت طيات الثرى
 اودعته ذخراً لآمال العلا
 يا رقة غلظ الحمام بسلبها
 ان يشمت الاعداء فيك على الردى
 غرستنا لما اغتربت عن الحمى
 لا تجزعن فلقد رجعت لعنصر
 في ذمة الرحمن انت وديعة

(وقال حضرة ايليا افندي قسطه زريق)

انين الباكي

شجنني من الدهر اخؤون بلابله
 نعلل فيه النفس كي ندرک المنى
 لنا كل يوم نازل منه فادح
 ولم ندر ان الصبر ينكت عهده
 فيا عجباً كيف البشارة بدأت
 ابيك طرس قد هزرت يراعه
 ام الفضل والاحسان يامن برحتنا
 ام الياس يا من قدملكت زمامه
 ام العلم حتى صرت للناس قدوة
 ام الجد في سامي الامور ودونها
 تفانيت للاوطان حباً وغيره
 نظمت شؤوني فيك بحر مداح
 ابيك دمعاً ام دماً غير اني
 بنيت من الآمال صرحاً معزراً
 عليك بتعداد المبرات رحمة

خار به فكري وزادت بلابله
 واني المنى والعيش شدت رواحله
 الى ان تم الخافقين نوازله
 وتظعن حبات القلوب ذوابله
 بنعي اسي قد اوقر السمع قائله
 كطود بيوم الحرب هزرت عوامله
 وعجلت سيراً اصعب الامر عاجله
 ام التخر يا من فيك تمت شمائله
 ام اللطف فانهالت عليك مناهله
 يلين جماد الكون ثم جنادله
 ففاضت من البارئ عليك فواضله
 ولكن هذا البحر ضاقت فواصله
 اري الصبر اولى ان تبدت فواعله
 ولكن اخاب الموت ما انت آمله
 ويسقي من المولى ضريحك وابله

(وقالت ادارة جريدة لبنان)

رأية

(رجل الفضل والنبالة وعنوان المجد والكرامة المغفور له)

(صاحب السعادة بشاره باشا نقلا)

(صاحب الازهرمين (الازهرام والبيراميد)

تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والههم آله على فقدده صبراً أجيلاً

مصابٌ افاضَ المِدامعَ هطلا	وغادرَ خود المكارمِ ثكلى
وناحَ الكمالَ واحشاؤه	يضرّمها كارث الخطبِ شعلا
لعمري المعالي لقد اوشكت	نقوّضُ مَنىً وتخلُّ شعلا
لذن رابها من رزايا الزمان	نعي الهمام بشارة نقلا
هو الباذخ الشأن من ذكره	تردّي علاءٍ وتوجّ فضلا
أصيل النهى كم جلا رأيه	فكان احدّ من السيف فعلا
اذا استبقّ الناس للمكرّمات	نرى الجمع يتلو بشارة جلى
وأهرامه هرم المآثرات	بدت شاهداً لمعالیه عدلاً
فويح المنون على من عدت	وغالت من القوم ندباً اجلاً
لقد كست الشرق ثوب الحداد	على سيد الكمال تحلى

هو امر آلائه هطل
 بكتك السياسة يا ربها
 تفادي الاديب وتروي المقلأ
 فقد كان رأيك كالسهم مرى
 ومن حاز قدح النخار الملى
 فصاب ضريحك غيث الرضى
 ويحق الصحيح وينى المضلا
 واسكن روحك دار النعيم
 من الله ما انفك يطر وبلا
 وقد طاب دار النعيم محلا

(وقال عزتلو محمد بك غاب)

الموت يسطو على الاجسام ينفها
 والشهم ان مات تبدو في مآثره
 والفضل يسمو على الاموات يحبها
 روح تغرد بالذكري معانيها
 يهتز عطفاً لها من قلب ذي شجن
 ماضي الاسى وتديع النفس خافها
 يا راحلاً ثملاً مستبشراً فرحاً
 اسكرتنا جزعاً عافك ساقها
 لاقيت نور الهدى والنار ساكنة
 ما بين اضلعنا والبين يصلها
 فالموت فرض كفرض الحزن في رجل
 عمت فضائله الدنيا وما فيها

(وقال حضرة داود افندي بركات)

رئيس تحرير الاهرام

الدمعة الحرمي

هضبة المجد صدقتها النوايب فعدت بعدها المعالي نوايب

وقضت مذ قضي بشارة أما
كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً
دهش الناس اذ نعته النواعي
ما عهدنا الادواء تسطو على الحز
لا ولا ذلك النشاط يداني
انما الموت بالحياة لصيق
هداً منا ركناً ركيناً فبتنا
وعيون الاقلام تهمي نجيعاً
وبكته من سوريا كل عين
رَبِّها تندب الصحافة فيه
لم يخنه والموت يأتي ويدنو
كم رأيناه يتبع الصبر صبراً
خوفك الضر لا يقيقك اذاه
يا لحين الوداع أصمى وأدمى
موقف حال بين لي ورشدي
فسلام على بشارة منا
ورعى الله نجله وحماه

لُ كِبَارُ حُثَّتْ إِلَيْهَا الرِّغَابُ
فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
فكأن المنون احدى العجائب
م الصحيح المزري بجمل المصائب
اذ يطيش الهدى وتعي المذاهب
وهو حتم على البرية واجب
بين بك يرثي وآخر نادب
كما في احبابه والاقارب
وبكته مصر بدمع السحاب
وجها ساهم عليه وشاحب
ذلك البأس في كفاح المعاطب
ثابت الجأش لا يهاب المصائب
فمن الذل ان تهاب المحارب
ولحين التراق والقلب واجب
اذ أرى النبل ذاهباً غير آتب
كلما خط في الصحيفة كاتب
وحى فيه فضله والمراتب

(وقال حضرة يوسف افرام افندي البستاني)

المحرر بجريدة الاهرام

زفرة اسف

خطبُ أذاب محاجرًا وقلوبًا
وجفت قلوب الأمتين لوقعه
لله ليلته التي بتنا بها
والقلب يخفق والنواظر سهد
نرجو ونقنط في الدقيقة لا ترى
حتى اذا انقطع الرجاء ويا له
ذهب الذي الاهرام من آثاره
حتمال الوية المروءة مقدماً
رجل الصحافة والحصافة والحجى
كم ظل يقنم المخاطر للعلی
ولكم اعز الصدق غير محاذر
خدم الحقيقة وهي اشرف خدمة
ملا البلاد بهمة مشهورة
يا قبر كيف وسعتها وضممتها
يا راحلاً ما زال ذكرك حاضراً
وانا عزاء بالذي خلقتة

وأصاب من مهج الكرام نصيبا
حتى كأن الخطب كان خطوباً
والدهر بات مجهماً وقطوباً
وجمعنا نخشى القضا المكتوباً
الآ جزوعاً يستشير طبيباً
نبأ اسأل من الشوهون صيباً
والبيراميد وما يشوق ادباً
دفاع نأبة الفقير طروباً
ما كان قط من النشوم هبوباً
كم هب يوماً للضعيف هبوباً
والظلم يلحق بالصدوق ضروباً
فندا الى القوم الكرام حيباً
كم هوتت في الثائبات نصيباً
والقطر ضاق بها وكان رحيباً
ان كنت عنا نائياً محبوباً
اذ ينسل الندب النجيب نجيباً

(وقال حضرة نقولا افندي رزق الله)

رئيس حسابات ادارة الاهرام

(عدا قصيدته المنشورة في الصفحة ١٦٥ من هذا الكتاب)

مورخاً

بشارةُ	نقلا	فقيدُ	العلی	ولیس	فقید	العلی	یفقدُ
بکت	فیه	مصرُ	نصوحاً	قضى	سنین	بخدمتها	یجهدُ
غنیُّ	عن	المدح	من	کان	ماثرُ	من	بعده
تخلدُ							
وعن	جید	الشعر	یرئی	به	یسیلُ	الدموعَ	إذا
ینشدُ							
وعن	شاعرٍ	حامدٍ	فضلهُ		إذا	قلَّ	في
فکیف	وللشرق	والغرب	فیه		مراتٍ	یرقُّ	لها
الجلمدُ							
فقیدُ	أسطر	تاریخه			وتاریخُ	مصرَ	لهُ
یشهدُ							یشهدُ

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة سليم افندي فضول الصباغه)

بجريدة الاهرام

لوعة حزين

على رجل الشرق النواح المرددُ
 على الكوكب الهادي بشارة عصرنا
 تنوحُ ديار الشام بعد عزيزها
 ويكي بنو الاوطان في الشرق فقد من
 عليه عيون الصحف تبكي تأسفاً
 سابكي عليه كل ما ناح طائرُ
 لقد مات مقدم الصحافة والنهي
 نعم سارَ مَنْ تصلى القلوب لفقدهِ
 وكنتُ افديه بروحي لو انهُ
 ولو كان بالاحسان يخلدُ فاضلُ
 فقدنا كريماً كان يحمي ذمارنا
 اطاب غراس الفضل في روضة اللى
 وكان اخا جودِ يوالي جميلهُ
 وقد كان مقدماً الى الخير سعيهُ
 فكم قام بين الناس يصلح شأنهم
 قضى فمجبنا للفضائل تلحدُ
 اين صدور نارها ليس تخمدُ
 وتندبه مصر أسي وتعددُ
 بنى العز فيه فهو صرح مشيدُ
 وراح فؤاد العلم اسوان يفادُ
 وبات حمام في الأراك يبردُ
 وكان فتاها والمآثر تشهدُ
 جماراً حراراً والحشى يتوقدُ
 يندى من الخطب المروع سيدُ
 لما هدهذا الركن بل كان يخلدُ
 من الدهر ان أخنى عليها وينجدُ
 وما يزرع الانسان بالبر يحصدُ
 ويعطي لوجه الله ما سمحت يدُ
 وكان لراجيه على الدهر يعصدُ
 ويهديهم في المعضلات ويرشدُ

وشادَ أساسَ العلمِ فوقَ دعائمٍ صحاحَ المباني لا تدكُّ وتسدُّ
 فيا لك من ناءٍ نجعت قرينةً ثكولاً واما ثكلها متجددٌ
 وطقلاً نضير العود فارقتهُ على أسي فهو نحو رهن تم ويرشدُ
 سلامٌ على قبراً حواك فانه بما ضمَّ من مجدٍ لقبرٍ ممجدُ

(وقال جامع هذا الكتاب)

سلمت لو ان السهم سهم مقاتل ولكن ما اصماك سهم مختالٍ
 تغافل منك الرأي طرفه مقلة نفولستها والدهر ليس بغافل
 وقد علم الموت الذي بت حربه مراسك في دفع الرزايا الجلائل
 ولكنها الاعمار ان هي عوجت فلا حول في رد القضاء المعاجل
 قضاء بافناء الحياة موكل الى ان يكون الموت آخر زائل
 فليس بمنج منه قلب مناضل الى آخر الانفاس أو عزم باسل
 ولا حرص اخي الوالدات على ابنها ولا بهد أوفى برة في العقائل
 ومن لم يمت بالداء فالطاب لم يزل سلاح المنايا في يدي كل جاهل
 له الويل من ليل طويل وساعة حسبنا المدى في سيرها المتشائل
 نرى شبيهه والدمع ينشى عيوننا تلوح وتخفي كالدموع السوائل

ونسمع منه في السكون تنهداً
 وقتنا به نقضي وداع حيينا
 ننادي الهمام المرتجى غير سامع
 ننادي ابراً الاصدقاء ولم يكن
 ننادي ابا جبريل باسم وحيده
 فتى المجد ان التوم جالوا وساجلوا
 فان الذي كان المقدم فيهم
 واين الذي صمصامه دون عزمه
 واين الذي كانت بوادر فكره
 واين الذي في كل مصر يحله
 واين الذي مياده غير مخلف
 الا في سبيل الله اوفى مفارق
 وذاك المحيا الطاق والطلعة التي
 وتلك العيون الناطقات لحاظها
 وذاك القواد الثبت في كل ازمة
 وذاك الشباب النض والهمة التي
 بشارة جل الخطب فيك وانه
 فان تبك مصر فهي تبكي مصابها
 وان تبك سوريا فقد كنت ركنها
 وان يبك ارباب الصحائف ترحة
 وان ابك من حزن عليك فاني

وذاك صدى انفاسنا في المخايل
 حيارى كاشباح بواك ثواكل
 وكان مجيئاً قبلها كل سائل
 يخيب اذ يدعى رجاء لآمل
 وقد كان لا يُتأق عنه بشاغل
 وأرخی عنان الرأى كل مطاول
 وكان وديع النفس صف الشمائل
 مضاء اذا ما استله في الماض
 تخطف برق في دياجى المشاكل
 له المنزل المرفوع بين المنازل
 وتسبق منه القول غر القعائل
 وفي ذمة الالماء اكرم راحل
 يلوح عليها الانس بادي الدلائل
 باجلى بياناً من مقالة قائل
 اذا مرت الاحداث مر الزلازل
 تدوس الى غاياتها كل حائل
 لرزء عميم ما له من مماثل
 باروع ميمون النقية فاضل
 وكنت ابراً ابن لاجزء ناكل
 فقد يعرف التالون فضل الاوائل
 نذاك محيط بي وعرفك شاملي

فانت الذي اعليت بالود منزلي
 وكننت ابا لي بالمبرات والندی
 واوردتني منه عيون المناهل
 وكننت اخا لي في اشتداد التوازل
 فلو انني ابكيك ما طال بي المدى
 فلست بوافٍ بعض تلك القواضل
 ولو انني اثني بما انت اهله
 فلست بقاضٍ حق تلك الفضائل

القسم الثاني

مختارات

من

اقوال الفقيه

سنة ١٨٧٩

اول مقالة نشرت للفقيه بتوقيعه في الاهرام مقالة عنوانها « وذكر ان
 نفعت الذكرى » وصف فيها سياسة بسمرك وخطي النمسا والروسية تجاهها
 وكان ذلك في العدد المئة والثاني والسبعين الصادر في يوم الخميس لعشرين
 خلون من تشرين الثاني سنة ١٨٧٩ ومن مآثورات اقواله فيها
 « وليس بخفي ان نقطة الدائرة في كل امر هي ان يعرف الانسان
 ما يريد . وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعاً بين يدي
 الاتفاق »

وقال في موضع آخر منها واصفاً كنه سياسة بسمرك
 « نعم ان بسمرك ذو شراهة في استكتاب غيره ولكنه ضنين بكتابه
 فلا يندفع ويحفظ بها الى الغد ويتأني . على انه ابن القرصة وعاشق موثيق
 المقادير »

وقد ايدت الايام من قبل ومن بعد صحة هذا الحكم قبل ان تفقده

قال في مقالة ثانية له مشيراً بما ينبغي لصيانة استقلال مصر
 « من لزم اليقظة امن السلب ومن تأنى في نقل التدم امن العثار »

سنة ١٨٨٠

قال في وصف المال تحت عنوان

(البيوت المالية)

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
 فهو منتهى العمران وقوام الملك وحياة الرعية والسيد المطلق النافذ الكلمة .
 مستعبد حر . ذرب اليراعة حادّ اللسان والجنان . شيخ فتي . لا تحط مقامه الليالي
 ولا تضعف عزيمته السنون . يهون دونه كل سيد ويسود به كل مهان .
 وقصاراه فهو القدرة العمالة والقوة التي لا يدفعها دافع بهد الله . ولم يتعارف
 من دعاه رباً معبوداً او ضارع لذة اقتنائه والميل اليه ورعاية حفظه بالبنين
 فقال لذة الدنيا مال وبنون . ايما حلّ ملك وكيفما توجه سطا . مرعي الجانب .
 تهتز عند نيله الارمحيات اهتزازاً وتبرز به عرائس الافكار ساحبة من التيه

طرازاً فكم اقام من البلاقع حصوناً ومن الخرائب بلاداً ومن البلاد ملوكاً
ومشاهد عظمة ومعافل منعة وجميع ذلك بعض صفات يصنفه القوم بها ولا غاية
لي بالبحث فيه وانما الكلام عن البيوت المالية وامتدادها ومؤثراتها وما هو
من ذلك



وهذه فقرة من مقالة بعث بها الى الاهرام من جزيرة قبرص وفيها من
النظر السياسي ما لا يقال احسن منه اليوم
اما من حيث تنازل الدولة العثمانية لانكابتها عن هذه الجزيرة فكيف
قلبت المسألة فهي خسارة في خسارة نجت عن اتكالها في اعمالها على غيرها
لا على نفسها

اما الشرق فوقف وقفة مندعر ثم تربص ليرى اين تسير به الاقدار
مترقباً هذا المسير وكفانا ما نقاد عمياً وقد لاق بنا ان نرف الطريق فنسلكها
حتى اذا لم يكن ذلك نحترس على الاقل من الوقوع في شرك المكائد
وعلى الكاتب ان يتخطى الى الصدق ولا يخشى بالحق وتقريره لومة
لائم ولا يضيع ذكر الحسنات اذا تمددت امامه السيئات وهذا ما اخذته
لي مبدأ



وقال في مقدمة نبذة وصف فيها احوال الشرق وعلل تقدم اليابان ومصر
ووقوف الدولة العلية في موقفها وتأخر سائر الدول الاسلامية كراكش وغيرها
(امالي تاريخية)

للمتقدم فضل على المتأخر ساءت اعمال الاول او حسنت فهي في الاول

انذار له وفي الثاني قدوة للسلوك بموجبها وما اجلها خطة اذا روعيت كما يرام
 قام في الشرق ممالك شتى ودول عديدة الاجناس مختلفة بين يونان
 ورومان وعجم واعراب واتراك . وهي الدول التي استتب لها الملك من نحو
 عشرين جيلاً واستنحل سلطاتها واتسع نطاق احكامها وتم لها النهوذ والسطوة
 حتى لم تترك الواحدة للأخرى مبدأ حسد او سبب غيرة . وقد انتهت
 احكام تلك الامم الاربع الى الاتراك وكانت لها انداراً في عاقبة سوء الادارة
 وحسنها والعدل في الرعية وظلمها

واذا راجعنا التاريخ تين لنا انها لم تستطد تالية منهن سابقتها في رعاية
 الحسن وتدارك السيء بل اطردت كل واحدة منهن مسيراً خاصاً يبين مسير الاخرى
 كل المبينة فلم يستتب معها نظام مكين ولم يتأيد مع الزمن ترتيب عام
 وكانت نتيجة ذلك ان سقطت الواحدة وتعقبها الثانية ولم يستفد التابع من
 المتبوع فائدة تذكر . والغريب ان هذه الممالك دمرت تدميراً ولم يرنا
 التاريخ دولة شرقية اعز ملكها وعظم امرها واتسع نطاقها الا رجعت بعد
 العز والمنعة الى الضعف والخور وانكشفت الى مواطنها الاصلية فحكمت
 نفسها فيها او تسلط عليها غريب يذيقها مرارة العيش بعد حلاوته ويسومها
 الخسف والعذاب



وقال تحت عنوان امالي سياسية

قام العالم بالمعارف ووطد اركانه على دعائم الفلسفة ونشط الى معادل المدنية
 المؤسسة على مبادئ النظام فكان ميلاً بالطبع بعد تفحص حالته ومعرفة

ما هو عليه بالنسبة له وللنظام المقيد به إلى الحرية المحيطة ضمن دائرة تحسين
الهيئة الاجتماعية

وقد استطرد إلى قوله

وعلى ما تقدم فلا بد من الوصول أما إلى الدستور أو إلى الملائمة
ولا يمكن الحصول على الأول إلا بقيام رجال الاقدام ذوي نزعة حرة
يدعمون قوام الحرية بدعائم ثابتة لا تقوى على مسها زواجع الاغراض فيشدون
أزر البلاد بروابط وقوانين ترفع مكائنها. وهذا لا يتم أيضاً بغير توليد تلك
الحركة الخفية وحياء الجرائم الفطرية في الأمة الواحدة ذات المصلحة الواحدة
تحت لواء وطنية واحدة. أو بان تأخذ تلك الحركة الجرثومية الفطرية بالنمو
ويرى منها الحاكم المستبد ما لا يقوى على دفعه فيهب من رقدته خوفاً
على ذهاب الطارف والتالد فيزحف تدريجاً إلى ان يصير بمقرية من الدستور
فيشرع بالعمل فيه ارضاءً للامة وخوفاً من ضياع الملك إلى ان يكمل الظفر اعماله
وتحصل البلاد على ما تطلبه فتترسخ قدمه على عرش اكرام المملوكة له
واما الثاني وهو الملائمة واعني به ملائمة الحاكم لا المحكوم - وقد
يتفق ان يذهب بكليهما - فهو ما استقرت قدمه في الممالك ذات الاسباط
الضعيفة التي تهب في اجسامها حركة الخواطر ولا تقوى على تعزيزها فتتمس
من غيرها القوة على ظهورها وادعامها معها كانت الوسائط فتفتح باباً لمداخلة
الغريب فيبحث في الزوايا عن خبايا الحكم الاستبدادي وهذا يسقط سقطات
يتولد عنها بين الحكومة والشعب تنافر يدفع بهما إلى الفعل والانفعال المستمرين
باستمرار تلك الدسائس إلى ان يتلاشى الحاكم ويصل المحكوم إلى نتيجة

عظيمة وهي تجدد حركة الخطاير الاولى او يتلاشى الفريقان اذا قويت نهمة المتداخل وكان عمله لمصلحته فقط وبودنا ان لا يكون للشرقي غير النصيب الافضل

سنة ١٨٨١

كتب في ١٥ ستمبر سنة ١٨٨١ من باريس مشيراً الى وخامة عاقبة الفتنة التي كانت بادئة في مصر اذ ذاك في مقالة عنوانها حادثة مصر ذكر فيها ورود الخبر بمحدث حركة عسكرية واتهام الجرائد الانكليزية الفرنسيين بدسها والجرائد الفرنسية الانكليز باحداثها وقال انه مسرور بما جاء من بشرى انحسامها وحتمها بهذه الكلمات

اي نعم ان البعض لا يرى في المسألة حالاً الا هجوعاً ثم لا نلبث ان نسمع لا يقاظها دويماً اما انا فاقول ان ذلك يتبع منهج سير الوزارة واخديوي فاني لست ارى دواءً شافياً الا الاخلاص المتبادل والنظر في مصلحة الامة والبلاد لانه اذا حدث حادث في مصر فلا يقال « زيد » بل يقال مصر او اهل مصر

فيجب اذن ادراك معنى الوطنية وفهم مغزاها كما ينبغي « لان الجرّة في البئر لا تسلم كل مرّة » ومتى انكسرت فالحسارة تقع على الطرفين

وكتب في ٣ أكتوبر من باريس نصحاً للتونسيين اثناء الفتنة التي انتهت بحلول فرنسا بلادهم

اما حوادث تونس الحالية فموضوع بحث العموم وقد ثبت افتتاح مدينة القيروان واحتلال العاصمة وجميع المواقع المهمة ومناظرة

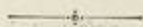
الاتصالات بين هذه البلاد وبين طرابلس الغرب وغيرها من الممالك الشرقية
والاقتصاص دون غزو من الثائرين
وان ارسال القوات مؤخرًا يؤكد ذلك واذا استمر الهياج وضعت
بلاد تونس تحت الاحكام العسكرية
وعليه فلست ارى من سبيل للتونسيين الذين لا يقتلون عسكرياً فرنسويًا
دون ان يقتل منهم عشرة كما تنبئنا الاخبار الاّ السكون والكف عن
العصيان ليحفظوا استقلالهم الاداري الى حين ولكي لا يفقدوا جميع الامتيازات
لان الحوادث تجرّ أولي السياسة الى الاقبال على امور كلية رغماً عن ايضاحهم
الرسمي قبلاً بعدم آيائها
وبعبارة أخرى اقول انه اذا طالت ثورة تلك القبائل فلا نعجب من
استيلاء فرنسا على تونس استيلاءها على الجزائر وهناك يخسر الثائرون الخسارة
الاخيرة دون عوض



ولما اخذت تشدد الفتنة في مصر كتب من باريس في ٥ اكتوبر
ما الحوادث الاّ انذار ينبه الافكار وما الاعمال الاّ نتيجة ما تهيجه الخواطر
وبها تنكشف الغايات والمقاصد وتظهر المصالح والاغراض وعليه فلم يكن
من المسألة المصرية الاّ اقامة الحكم على المسألة الشرقية بتمامها
اذا استبر السياسي الحر السياسة الشرقية عرف ان حلها متوقف على
اقل الاسباب افرقياً كان او اسيوياً او اورياً فقد عانى ارباب الشأن ما يحلمهم
على وجوب الحل ولو اسرعوا

اما رجال الشرق فهم من نحو جيل يعتقدون اعتقاداً واحداً آمين
 الغوائل موقنين ان من المستحيل اتفاق الدول غير ناظرين الى ما تسلسله
 الحوادث والايام مما هو واسطة لايجاد الوفاق والاسراع بآرامه
 نشرت التمس في احد اعدادها الاخيرة جملة قات فيها بوجوب اخلاص
 عساكر انكثرا القطر المصري او بالاحرى بوجوب ضمه و اضافته الى املاك انكثرا
 وارتأت لمرضاة الدول الباقيات تجزئة الشرق فاهتاجت الافكار واخذت
 الجرائد الاجنبية تندد وتعترض لا لآباءها الحل او كرهها له ولكن
 لانه يوافق انكثرا اكثر من سواها

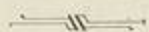
اما الجرائد فذهبت في هذا الموضوع مذاهبها الى ان اتانا مراسل التمس
 البرليني بجملة تؤيد الرسالة الاولى وتذكر ان البرنس بسمرك اول من يعضد
 هذا المبدأ مستشهدة بكلامه ايام المؤتمر البرليني على اعتبار انه عرض مصر على
 انكثرا ثم اتصلت الى غير ذلك مما لا اشك بانكم عرفتموه من الجرائد نفسها



وكتب في ٧ أكتوبر فيما يتعلق برسالة اللجنة العثمانية الى مصر يومئذ
 لقد ثبت ما كتبه اليكم في سالف رسائلي وتحقق ما أبنت فترى
 جرائد انكثرا على اختلاف مشاربها وتباين مذاهبها ناشرة جملاً متفقة المعنى
 تضاد تداخل العثمانية في مصر ومن العجب اننا نشاهد تلك الصحف عينها
 التي كانت تستدعي العثمانية للتداخل وتنهاي الى حكومتها بوجوب العمل فيه
 والتوصل اليه عدلت عن خطتها وحنقت مما كان
 والاغرب من ذلك كله ان هذه النشرات لم تقف عند حد ما ذكرت

لكم فقط بل تطاولت الى انكار ما للباب العالي من حقوق السلطة على
 القطر المصري مشبهة ذلك بالظل ليس الاقائلة ان لا بد من المنع ولو مست
 الحاجة الى قوة عسكرية وقد اتبعت ذلك بشرح ضافي الذبول . اي نعم
 ان الجرائد ليست الحكومة ولا كل ما نقوله يعمل به ولكن لا يخفى على
 القراء ان لجرائد اوربا نفوذاً تبيحه لها الامة فتكون والحالة هذه لسان
 حالها ولا يسع الحكومات هنا الا ان تجري ما تروم الامة . واذا تفحصنا
 ما هنالك علمنا ان انكلترا لم يجرئها على التقدم الا جرائدها
 وقال عن الجرائد العربية على اثر محادثة جرت له عن مصر مع برتلي
 ستيلير وزير خارجية فرنسا اوردها بتفصيلها ما نصه

ثم ودعته وانصرفت وفي قلبي لهفة للوصول الى السلام وتمام الطمانينة
 لانك اذا طالعت الجرائد باسرها رايتها على اتفاق في منهجها السياسي
 خصوصاً في ما يتعلق بالاستانة واني لاخاف ان يكون لصوت الجرائد المذكورة
 صدى فيوءر في عموم الشرقيين وبالأا اذ لا يميز عند حلول الوقت بين
 من احسن او اساء فالنار يسترها الرماد وعاصفة الحوادث تستعد للايقاد
 ولا يخدمها الا ماء السلام احسن الله الختام



وله من مقالة أخرى عن مصر نشرت في ٨ أكتوبر
 اي نعم ان الافكار هدأت ولكن المسألة لم تزل في الوجود وهي
 موضوع السياسة الحاضرة فان الكل يتساءل عما يكون منها او ما ينجم عنها
 او ما ستجري العثمانية واوربا او فرنسا او انكلترا على حدة او غير ذلك مما
 يبرهن على ان الامر اهمية عظيمة

اما اوربا عموماً فالواضح انها تاركة اجراء الامور لانكترا وفرنسا وهاتان الدولتان متحدتا الرأي والفكر على العمل ضد كل تداخل اما العثمانية فلم يعلم حتى الان ما تنوي وتريد وقد قال تفراف امس انها مصممة على ارسال قوة فاذا صح ذلك جهلنا مبناهُ وامكان حدوثه وهل هو باتفاق مع سمو خديو مصر او لا

وما ندركه وتذكره ان جرائد انكترا التي اخذت بادىء بدىء عكساً لمبدى حكومتها تطلب تداخل العثمانية بارسال قوة عسكرية الى مصر عدات هي نفسها عما عرضت ونبتت خطتها ولم تكثف بذلك فقط بل سألت وضع مصر تحت سلطة انكترا ايضاً

وبرهنت هذه الصحف عن الحقوق التي تخولها ذلك ومرجعها كلها الى سكة الهند وقالت « ان هذا لا يسؤ فرنسا فهي تعلم ما لنا » ولم نلبث بعد ان قرأنا هذه العبارات حتى سمعنا ان اللورد غرانفيل وزير خارجية انكترا آت الى باريز فارتاب القوم في موجب هذه الرحلة ونقولوا فيها واختلفوا في تأويل اسبابها مذاهب وارااء حتى دعاني الامر الى الذهاب بعد ظهر امس الى وزارة خارجية فرنسا كما أقف على الحقيقة ولما وصلت الى دار الوزارة أذن لي بالدخول الى قاعة الاستقبال فتشرفت بمقابلة حضرة المسيو بارتلمي سانتيلر وزير خارجية الجمهورية (وكنت مثلت بين يديه مرة قبل هذه كما سبقت فاعلمتكم) وبعد المداولة ببعض الامور السياسية قال لي

— ان حالة مصر تتعلق برجالها فان تمكن سمو الخديوي والوزارة بعضد القنصلين والمراقبين من توقيف كل حركة وايجاد الراحة واتخاذ الوسائط الفعالة

لعدم الوددة الى مثل ذلك قاموا بخدمة جليلة لبلادهم واذا سألتني عما يكون من الدولتين الفرنسية والانكليزية على افتراض استئناف حادث كالماضي اجبتك انهما تتخذان تدابير قاطعة ووسائل كلية لا تجهل نتائجها فان سكوتنا الحاضر يجب ان ينظر اليه بصفة انذار او بلاغ لاننا لا نودّ تكرار ما وقع . واتكلترا وفرنسا متحدتان في عدم رغبتهما في تداخل الجيش العثماني او سواء ونحن واثقون من اتفاق انكلترا معنا بهذا المعنى كما تشهد المكاتبات السياسية التي جرت بيننا في المخابرات الاخيرة بعد الحادثة

— مولاي ان حكمة سمو الخديوي ورجال وزارته اجل من ان يرشدوا الى معرفة الحالة ولست اراهم الا عاملين على ازالة كل اضطراب وقد افادت الاخبار عن قرب ابعاد بعض العساكر من العاصمة وما ذلك الا دليل حسن على جودة النية ولكن ارى ان جرائد انكلترا نفسها طلبت ارسال عساكر عثمانية الى مصر

— الجرائد غير الحكومة وهذه تضاد ما قالت تلك مطلقاً

— يرى الآن ان الجرائد الانكليزية حوّات منهجها واخذت تستغل لنفسها فقد نشرت « التمس » في عددها الاخير جملة تطلب بها احتلالاً انكليزياً او بعبارة أخرى افتتاح مصر

— التمس كما تعلم ليست الحكومة وانكلترا تعترف بمصالحنا في القطر المصري كما نترف نحن بمصالحها فيه ولا يمكن لاحدى الدولتين ان تعبت بمصالح الأخرى فان احترام هذه المصالح متبادل تشهد به الاحوال الاخيرة وبرهان الاتفاق الذي يبدها غياهب الغايات باسرها ان كلاً عرف ما له وما عليه

ولذا فاني اكرر بما قلته من ان حدوث اقل حادث سيثبت اتحاد
الدولتين واؤمل ان حكمة رجال مصر لا ترينا الا هدوا واحتراما للقانون
والمصالح العمومية

— شاع ان اللورد غرانفيل اتى باريز للمخاطبة مع حضرتكم بمسألة مصر
لم اره لان ولم اجد سببا لقدمه فان الاتفاق وطيد والحالة الراهنة
لا تستوجب احتياطا واما اذا ظهر امر جديد فتؤخذ الاحتياطات في شأنه
اتي اللورد غرانفيل الى باريز ام لم يأت

ولما اكتفيت وعرفت ما ظهر وبطن استأذنت من حضرته بالانصراف
فخرجت شاكرا لما شهدت من لطفه متبصرا فيما طرح علي من افكاره
واني اود ان يتروى قراء الاهرام وسائر رجال القطر المصري في
الحالة وينظروا الى ما فيه اعزاز وطنهم واستتباب الراحة العمومية

هذا ولا بد ان يتذكر المصريون حادثة انقلاب الوزارة المصرية يوم
كان رأسها سمو الخديوي الحالي فانهم لما اعتبروا ضمت اوربا عموما والدولتين
خصوصا (يوم كان يجب عليهم اثناءها ان يفتنموا الفرصة لتبديد غياهب
الشر ويجهدوا بفصل الخلاف بالتي هي احسن) تصديقا على ما فعلوا آلت
الحال الى ما آلت اليه ووقع ما لم نجعل

وما يراه الان كل متبصر مستنير بالتجارب هو ان الدولتين اذا
تكررت الحوادث تستعملان واسطة فعالة لكبح كل حركة وعضد الجنب
الخديوي ولست ازيدكم علما بان مصر تخسر اذ ذاك من حالتها الراهنة
كثيرا اي انها تفقد من وطنيتها وعليه فإخاطب العسكرية اولاً والملكية
ثانياً وخصوصاً امراء الجندية وفي مقدمتهم حضرة عزتو احمد بك اعرابي

خطاب مصري يودّ نهوض مصر ورفعها واقول لهم قول نصوح عارف
بما وراء الامة ان كل مصري في الوقت الحاضر يجب ان يكون عضد الحضرة
الخدوية والوزارة وان يسير الجميع تحت راية الوطنية مسترشدين بنبراس الحكمة
حتى لا يزغزوا دعامة الثقة التي نالها دولتلو شريف باشا بل يكذبوا
باخلاصهم المتبادل تلك الاشاعات التي تنتهي الينا يومياً

اما هذه الاشاعات فالظاهر انها ناشئة عن اغراض وغايات لانها تشير
الى عدم الامل بحفظ السكون وهذا عين الخطأ والقائد الى سوء المصير وشر
العقب كما تبين لنا جرائد انكلترا التي تهددنا رافضة كل تدخل عارضة وجوب
استقلال مصر استقلالاً انكليزياً ولو بمساعدة فرنسا عند اول حركة

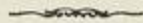
سنة ١٨٨٢

قال في ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٢ على عقب احراق الاسكندرية وهي نموذج من مقالاته
الكثيرة في هذا المعنى لذلك العهد وكان يومئذ في القطر المصري
كلما اخذت القلم لتعداد وتبيان ما ألم بهذا القطر من الاضرار لا
تطاوعني يدي واقف ذاهلاً متحيراً. تباً لك ايها الخادع المنافق المتظاهر بنجب
وطنه وانت له العدو الالدم كم وكم جلبت عليه من النكبات والافات. لقد
افسدت وخربت في ساعة ما بناه واصاحه غيرك في عشرات من السنين.
قل لي ايها الساعي الى حنفة بظلمه بماذا تعتذر عند ابناء وطنك وقد حملتهم
حملاً لا طاقة لهم به. وبأي طيبة تبيض ما ستسوده صفحات التاريخ من
ذكر شنائعك وظلمك وفجورك. البخراب الاسكندرية ونهبها واحراقها. ابجزر

اطفالها وابريائها جزر الغنم . باخراج سكانها خائفين مذعورين كمن انزل الله عليه صاعقة من السماء . بتحويل المياه عن مجازيها واغراق البلاد . ام بتعطيل مئآت ألوف من الاهالي عن اشغالهم . هل نفعت الفلاح وقد أتلفت مزروعاته فلم يف ديناراً مما عليه للحكومة والتاجر فساء حالاً وازداد ارتباكاً ودينياً . هل خدمت الوطن وقد فرغت صناديقه وسقطت قرايطسه من الثمانين الى الخمسين ودونها . هل هذبت ومدنت الاهلين وقد جلبت عليهم عاراً لا يمحي فنسب اليهم من الخشونة ما كان ينسب قبل للحبشة والزولوس . أم طردت بعض اجانب مستأمنين ينفعون البلاد ويتنعمون منها فداسوها الآن فائزين ظافرين . هل تفتخر بايجاد مجلس الامة وانت اول من ازدري قوانينه وشرائعه فجعلت اوروبا تحتقر الامة ومجالسها . ام تسب لنفسك نظام الجيش وقد انتهكت حرمة مما ارتكبه من السيئات والنجشاء وشأن الجيش ان يحافظ على النظام ولا يأتي امراً مكروهاً . اأكتفي بما عدته من الاضرار ام ازيدك شرحاً عن الضرر الاكبر وهو مالة البلاد فاقول

كانت مالة البلاد على زمن الخديوي السابق في حالة مرتبكة لا نظام لايراداتها ولا حد لمصرفاتها . كنا نرى الفلاح يتعب ويشقى ويملاً خزائن الحكومة حتى اذا ما استحق الكوبون وجدناها فارغة خاوية فاقترضنا ما يلزم لسد احتياجاتنا الى ان جاءنا اليوم الموعود الذي احناطنا فيه الافرنج طالبين اموالهم فطأطأنا رؤوسنا اذلالاً منكسرين وسلمناهم ادارة العمل وفوضنا اليهم نظام ما ابدناه من الخلل . فسنوات قوانين وحدوداً واقاموا مراقبين فاصطحلت بذلك احوالنا الى درجة لم تكن تخاطر لنا ببال ففسدتنا دول اوربا على حالتنا هذه التي لم تعد تتمكنهم من التسلط على اعمالنا الا لوقت محدود فاخذنا

يتربقبن القرص لاغنىم التداخل الى ان وسوس الشيطان في صدر عرابي ان
 اخلع طاعة امير المؤمنين ووكيله الجناب الخديوي وازرع في الارض فساداً
 وشقاقاً . فاني لنا التسلط على ماليتنا الان وقد نهبت خزائنا وتلفت محاصيلنا
 وسلب منا كل ما تمتلكه ايدينا وكيف نتخلص من مراقبة الاغراب وعلينا
 تسديد كوبونات وتعويض اضرار ودفع مرتبات ومصاريف احتلال اجني
 والخزائن فارغة من كل اصفر . الا يتطرق قلب كل وطني مخلص لوطنه
 عندما يرى هذه الاخطار محيطة بنا ونحن عنها متنافلون ام قد قسى الله
 قلوبهم وهم عن غيهم لا يرجعون . الى متى تتبعون الظالم العاصي وتحاربون
 معه . اختم الله على قلوبكم فانتم لا تعقلون ام لا تدرون بانكم تلقون
 بانفسكم الى التهلكة وتحاطرون بعيالكم واموالكم وبلادكم فارجموا هداكم
 الله واثقوا ربكم واطيعوا اولياء الامر منكم فانهم بامر الله يحكمون وهم ادرى
 منكم بمصالحكم . لا تزيدوا ضلالاً وغياً فكل يوم من جهلكم وعصيانكم
 يكلف البلاد ما لو علمتموه لارتدتم وعدتم الى الله تائبين



وقال في ٢٤ اغسطس من مقالة تحت عنوان العثمانية ومصر ما دل على حذره منذ
 الساعة الاولى من مطاولة الانكليز خصوصاً عند قوله « من يعرف ما سيتخلل ايام
 الاحتلال من تقلبات السياسة » ليحمل الدولة العلية على ارسال التجيدات الموعودة قبل
 فوات الفرصة

يصعب والله علينا ان نحل رموز سياسة الدولة العلية في مصر خصوصاً
 بعد ظهور عرابي وقد اجمع كتاب اوربا ان رجال العثمانية لا يبارون في
 فنون السياسة ولكن عندهم مبدأ التطويل الذي اذا حسن مرة ساء مراراً

ولولا ذلك لكانوا الاولين في معرفة دهائها واساليبها . انظر الى مسألة التداخل العسكري التي لو تمت بوقتها لاراحنا والبلاد من مصائب العصاة الطغاة الذين دمروا هذا القطر السعيد وعطلوا سبل اعماله . والاغرب من ذلك ما كنا نراه في بعض جرائد الاستانة من الجمل الرنانة مدحاً لعرايى واستحساناً لاعماله ولكن ذلك اكد لنا عدم معرفة اولئك الكتاب حقيقة المسألة فكتبوا ولكن على جهل

لا انكر ان التأيي واجب ولكن على شرط الحزم في العمل الامر الذي تقوم به سطوة المملكة ويعتز به شأنها . أليست انكتراهي التي طلبت الى الحضرة السلطانية ان تتداخل عسكرياً . أليست الدولة البريطانية نفسها هي التي اقنعت فرنسا بذلك . انظر كيف اضر التطويل فان انكترا بعد ان رأت تردد الحضرة السلطانية نزعت الى العمل بنفسها واخذت تقترح على الدولة العثمانية اقتراحات عنيفة في شأن التداخل ولا تزال المخبرات جارية ولا نعلم متى يتم الاتفاق واذا تم فلا يبعد ان يكون بعد تبديد شمل العصاة وحيثئذ نقول انكترا لا حاجة الآن لهذا التداخل وقد سحقنا قوة العصاة واخذلنا جميع نقط البلاد . فاذا نكون استعدنا من هذا التطويل ونحن نرى انه كلما طال الامر انعكست النتيجة

الاسراع الاسراع فهو ضروري جداً . ولنقل ان الجيش الانكليزي يتنصر على العصاة قريباً وان انكترا لا تقصد منفعة شخصية في قطرنا ولكن انجبي عنه الا بعد تأييد سطوة الحضرة الخديوية وانتظام قوة تحفظ الامنية والراحة قل لي ايمن الحصول على هذه القوة قبل اشهر . وهناك امر اهم اذمن يعرف ما سيتخلل ايام الاحلال من تقلبات السياسة واذا كان الامر كذلك افلا

يكون من مصلحة الدولة العلية ان تشترك بهذا الاخلال ولو ساءتها اقتراحات
دوفرين من وضع الجيش العثماني تحت قيادة الجنرال وولسي الانكليزي
لا يجب ان نكل امرنا الى اوربا فهي في المؤتمر القسطنطيني لم تغير من
شروط انكلترا شيئاً وهي نفسها بصمتها صدقت على اعمال هذه الدولة وتداخلها
العسكري في مصر وهي بعينها تعضد اقتراحاتها بخصوص الاتفاق الحربي
وهذا الامر جار في عاصمتنا على مرأى منا ونحن لا نزال مترددين نخطو
الى الامام خطوة ونرجع الى الوراء خطوات

الاسراع الاسراع فان الحكيم من نظر الى غده واستفاد من امسه
واننا نؤمل ان نرى من رجال دولتنا حزمًا في اعمالهم فيتقدمون بثبات
ويشتركون مع الانكليز في اقتلاع هذه الروح الفاسدة التي بشها عرابي واعوانه
فان مصلحتنا الحرة تطلب الينا ذلك واننا نهزأ والله من اولئك الذين
يروون بالحركة المصرية خدمة للدولة العلية بل كل عثماني تفحص الامر باخلاص
تبين له عكس ذلك فاننا في زمن يستلزم تأييد الوفاق وعرابي عامل على
شق عصا الاتحاد وقد نبه اوربا الى امور كان عدم ظهورها أولى لنا
الاسراع الاسراع فان الوقت ثمين وصرنا نؤمل قرب الاتفاق لما نعهد
من سهر الحضرة السلطانية ورجالها العظام على مصلحة الامة والوطن واننا
بلسان العثمانيين عموماً والمصريين خصوصاً نطلب الانتقام من عرابي الذي
ولد للشرق مسألة جديدة وسبب اخلالاً اجنبياً فضلاً عما رزئت به البلاد
من القتل وبلية به الاهلون من المحن

وقال في ٧ ستمبر

{ مصر للمصريين }

كلمة حقة لو ادرك المصريون ما تحتها من مبادئ الحكمة لتوصلوا بها الى درجات الترقى ونالوا بالتأني والتروي فوائد غزيرة تعود على البلاد بخير المعاد . ولكن فريقاً منهم وفي مقدمتهم عرابي العاصي ساقهم الغرور الى اقصى الجهل فتطرفوا وحوّلوا معنى الكلمة الى غير ما أريد منها فتأبطوا شرّاً وشطوا عن الطريق السويّ وظنوا ان بلوغ المنى بطرد الاجانب واغصاب ما ملكت ايديهم من رزق وغنى فبشوا في انحاء القطر روح الفساد وبعثوا برسولهم نديم يوعز بالاتحاد ولكن ضد الحكومة الشرعية وبالاتفاق ولكن على العصيان وارتكاب الجرائم

وهكذا لم تلبث هذه العصابة ان ظهرت في عالم الوجود حتى قامت تنادي بما اسرّت من سوء النية . وتوهمت ان لا طاقة للدول على اكرائها ففعلت ما فعلت وتوغلت بارتكاب المعاصي حتى تأكد لدينا - على ما جاء في جريدة فانفولا الايطالية - انها اتخذت كلمة { مصر للمصريين } بمعنى (فليخرج الاوريون من القطر المصري)

اما انتم يا نبيه القوم وعمد البلاد فلا يغرنكم جهل عرابي واعوانه بل تبصروا في عواقب الامور واعلموا ان البلاد محكوم عليها بوفاء الدين آجلاً او عاجلاً وان الحق يعلو ولا يعلى عليه

واذا كنتم تحبون وطنكم محبة حقيقية فبرهنوا على ذلك بالاخلاص لامير طاهر الذليل عادل الاحكام وساعده على استئصال الشر من ارضكم والقائه

عنكم بعيداً لتكونوا في عداد الشعوب المتقدمة وتوفر لكم اسباب الفلاح
والثروة وتناولوا المجد والسؤدد وتعيشوا العيش الرغد وتملكوا حق التصرف
بما لكم اذ تحسن ادارتكم وتروج صناعتكم وتنمو زراعتكم ويتسع نطاق اشغالكم
وتحفظون استقلال بلادكم والامتيازات التي اخصتكم بها الفرمانات السلطانية
وصدقت عليها الدول الاوربية

وافقهوا ان ما دفع الاجانب الى التداخل باعمالنا - دع عنك ذكر
الماضي فقد كانت له اسباب ومسوغات اتبها سوء الادارة - لم يكن الا
انكار اعمالهم بما ينافي شرائع الانسانية والمدنية والعمل على اضعاف حقوق الغير
ومس مصالحهم المقررة. أو ليس عرابي واتباعه هم الذين اتوا هذا المأثم وجلبوا
على الديار واهليها عاراً لا يمحي الا بانكار اعمالهم والابتعاد عن مجالستهم
فما بالكم - أريد البعض منكم - لم تزالوا تتبعون اراءه الفاسدة وانتم
تعملون ان مثل هذا العمل يعود على البلاد عوداً غير محمود ويزيد في نفوذ
الاجنبي وتمكنه

على ان جميع ذلك لا يكون شيء منه ان نبذتم الغرض والميل الاعمى
ووثقتهم عرى الائتلاف والمودة مع الاجنبي وسواه وتلك هي مبادئ التمدن
وهذا هو القائد الامين الى ما ترتجون . وعليكم بالاصلاح فاصلحوا شؤمكم
وكفروا عن سيئات لحقت بكم بسبب العاتي المتمرد واخفضوا جناحيه واقبضوا
عليه واثوا به الى حاكمكم الشرعي لتقضي عليه العدالة كما قضى عليه جلالة
مولانا الخليفة امير المؤمنين

حديث مع الجرنال ولسلي في ٥ اكتوبر

نقتطف من هذا الحديث ما يأتي

قلت - وهل تبقون طويلاً عندنا

قال - قد أمرت بان اتوجه الى لندن باول فرصة وعليه فسأبرح القطر

عما قليل

قلت - وهل يبقى الجيش كله عندنا

قال - لا ولكن يلبث قسم منه فقط

قلت - وهل الى امد بعيد

قال - لا بد من ان يصرف الشتاء القادم ولعله يلبث أكثر من هذه المدة

لتعلق ذلك بالظروف

قلت - ولعل ذلك يتعلق بالسياسة ايضاً

قال - ان السياسة تخص اربابها وما غاية دولتنا الا استتباب الامن في

قطر هو اهم نقطة لمصالحها وذلك لا يتم الا بتأييد سلطة الحضرة الخديوية الفخيمة

قلت - ان البلاد لم تر العدل الا في ايامها والرغد الا باحكامها

قال - وانه يحق لسوى هذا القطر ان يحسد مصرأ على امير طاهر

الذي ل شريف الغاية

قلت - وهل تطيل السياسة حل المسألة

قال - ما دامت النية سليمة كانت العاقبة اسلم وكان الوقت قصيراً

قلت - وهل عرفت وزراءنا الكرام

قال - عرفت صاحبي الدولة شريف باشا ورياض باشا وكلاهما نسيان

وطنيان حقيقيان

قلت - وكيف رأيت الاهلين
قال - ودعاء ينبني ان يسهر الحاكم عليهم وان يرشدهم ويهذبهم ويقودهم
الى النقطة المرغوبة

وهذا ما قاله بعد صدور الحكم على عرابي بالقتل واستبداله للحال بالنفي في ٤ ديسمبر
وكان يومئذ بمصر

بسطة لكم في رسالة امس تفصيل محاكمة عرابي التي تمت في جلستين
استغرقت اولاهما خمس دقائق وثانيتها عشرًا وجملة ذلك خمسة عشر دقيقة
ولا شك ان حضرات القراء قد وقفوا على تفصيل هذه المحاكمة الغريبة
وليس لي ان اعرب لكم عن التأثر الذي اصاب اهالي العاصمة فلكم ان
تعلموا هذا من تأثر اهالي ثغركم وذهولهم فالحكم في الامر واحد
واني لازيدهم استعداداً للذهول باعلاني لهم ان ستجري يوم الاربعاء
القادم محاكمة اربعة آخرين من روساء العصيان وهم رئيس الوزارة العاصية وطلبت
عصمت وعبد المال حشيش ومحمود فهمي . واذا قلم لماذا لم تتم محاكمة هؤلاء
الاربعة يوم الاثنين او الثلاثاء دون هذا التأجيل . اجبت ان اهمية الموضوع
والتدقيق الكلي في المحاكمة الفائزة قضايا بوجوب امتلاك وقت كافٍ للاستراحة
يومين او ثلاثة

واظن بل اوكد ان ستكون نتيجة محاكمة هؤلاء الاربعة كما كانت
نتيجة المحاكمة الفائزة . ويوم الخميس او يوم السبت تجري المحاكمة الثالثة على
الاربعة الباقين وهم علي فهمي وعلي الروبي ويعقوب سامي واحمد عبد الغفار .
واتصل بي ان هؤلاء الثمانية مع رئيسم عرابي تقرر نفيهم الى جزيرة علي

مقربة من كلكوته وهي منفي المجرمين السياسيين وسينذهبون اليها مع عائلاتهم
فيؤلفون هنالك مستعمرة مصرية عاصية

واما النفقات اللازمة لهؤلاء فقد اتصل بي انه اذا اخذت الحكومة
املاكهم عينت لهم ما يقوم باودهم والا فايراداتهم كافية لهم وهو امر قد
تقرر في عالم النيب وسيظهر الى عالم الفعل عما قليل . اما تفهيم فيستم في
مدى هذا الشهر دون ريب ولكن لم نعلم الى الآن هل يحفظ عرابي رتبته
ونياشينه ام لا . وبودنا ايضاح ذلك لكي لا يفوتنا امر يوجب الدهشة والتعجب
واني لا ادخل في هذا المقام بالنسبة الى عدل العمل وحق الحكم
بالنظر الى نفي هؤلاء الجماعة او تدمه ولكننا نود الوصول الى ذلك بنير
هذه الطريقة رعاية لحرمة الشرع والقانون وشرف الحكومة الانكليزية
والمصرية وبقيننا ان جرائد اوربا ستبسط الجمل المسربة المؤيدة حقيقة ما
ابناه والمدربة عن حكم الرأي العام بذلك

سنة ١٨٨٣

الفلاح ودائنه

من تصفح هذه المقالة رأى كيف كان الفقيد اول من شرح حقيقة مصائب الفلاح
ودل على ضرورة انشاء بنك اهلي قال

ضمنت في رسائي مراراً تلميحات وايضاحات صريحة عن حالة الفلاح
الراهنه والدين العظيم الذي يتناول قسماً كبيراً من المزارعين واخصهم ذوو

الحال الرقيقة واستدعيت الثقات الحكومة السنية الى مداواة هذا الامر قبل سواه لاهميته التي ان لم نشعر بها حالياً فستقبلاً وحينئذ يعزّ الدواء ويبأس المريض فتضيع حالته ويتاب الحكومة خسائر باهظة لا تقدر. بيد اني عندما قرأت في الاهرام عن مجمل دعاوى المقدمة على الفلاح انتهزت الفرصة لكتابة الجملة الالية أمل ان تقع لدى رجال حكومتنا موضع القبول وبودنا ان يقرأوها بتأن ويلتفتوا اليها بامعان فان الغاية هي الاصلاح ليس الا

قضت الواجبات على كل حكومة ان ترى في حالة الرعية وتنظر الى نقطة الاقتصاد لتكون انموذجاً لافراد الاهلين وكان ذلك في البلاد المنتقرة الى العلم والمال الزم منه في البلاد المتقدمة ولهذا ترى الفلاح الفرنسي مثلاً في اقصى ناحية من بلاده يعرف مجرى التجارة ويراتب حركة القرايطيس المالية ومتى وفر عنده مبلغ اشترى به قرايطيس وخزنها في صندوقه

اما في شرقنا فلا نرى لذلك اثرأ ليس عند الفلاح فقط بل عند غالبية كبار القوم فانك تشاهد زيدا مؤسراً عظيماً يملك عدّة افدنة وله ايراد متسع ولكن لسوء تدبره لا يقتصد درهماً والابناء يقتنون اثر الاباء فلا يقون على نفس اصل المال. وترى عمراً اذا تمكن من توفير مبلغ وتقدم لمشتري اطيان كانت قيمة ما يشتره اكثر مما تملك يده فيقترض بالربنا الفاحش ولا تمضي عليه سنون حتى يضطر الى بيع ما ابتاع في حين يبتى مديناً وهو امر واقعي اكثر ما حدث مع ذوي بيوت المجد والكبار الذين لا يجول حالتهم احد = ولا عجب اذا وقع الفلاح في الخيرة نفسها وهو جاهل أمي لا مرشد له ولا مدبر = وهذا هو سبب فاقتنا وعلّة تأخرنا مادياً وادبياً وفي هذا المقام لا طيب ينجع

دواؤه إلا الحكومة اذا التفتت الى بنيتها التفتت الام الخوف
 واذا قيل لم هذا الفائض الجسيم وفي اوربا لا اثر له قلت ان البلاد تتعامل
 بحسب حالتها فقائض فرنسا غير المانيا وقائض هذه غير الروسية وكلها بلاد
 متمدنة وفضلاً عن ذلك فانه عند حصول كساد في سوق اغنى واثرى بلاد
 في العالم (فرنسا) نرى معدل الفائض فيها مضاعفاً فكيف لا يكون ذلك في
 الشرق وحوادثه مستمرة وثقلباته سريعة . نتج من ذلك ان التاجر معذور
 والفلاح جاهل وان لا مداوي غير الحكومة

ومما يذكر في هذا الصدد ايضاً انا نرى زيداً مديناً ل بكر بمبلغ يوازي
 ثمن ارضه فيناغل دائته ويرهن ارضه عند آخر ولا ضمير ليبيكته على سؤ
 فعله . ونرى عمراً عليه ضعف ما تساوي قيمة ارضه وهيات ان يقف عند
 حده . نعم ان مثل ذلك يحدث في بلاد اخرى ولكن هيات ان
 يذكر لندوره

والذي نعلمه في الحالة الراهنة ان على الاهالي ما يزيد على ١٢ مليون
 جنيه استمرارها الى سنين يزيد في القيمة ملايين ويسيء امور التاجر دون
 ان تحسن حالة الفلاح فلنداوها الحكومة بما يخفف ويلاتها

ومتى تم للحكومة هذا الامر اعملت الفكرة في انشاء بنك اهلي ذي
 رأس مال عظيم يشترك فيه ارباب المال من وطنيين واجانب ويؤسس على
 مبادئ ثابتة كالبنوك الوطنية الموجودة في الفلاخ والبغدان وسواها من الممالك
 الصغيرة (وهنا لا اتمثل بنك فرنسا او انكيترا) وتدعو الفلاح الى الاقتراض
 وتلقي المسؤولية على عمد البلاد ومشايجها اذا اغنالم المزارعون او هم سبوا
 ذلك بالاتفاق مع بعض التجار وبهذه الوساطة تروج المعاملة ويتقاسم

التاجر والفلاح فوائد الاكتساب وترتفع اثمان الاطيان كثيراً وتأييد الثقة
ويكثر الدرهم ولنا في تذكر السنة الثمانين اكبر برهان فقد رأينا الاطيان
زادت خمسين بالمئة ولولا الحوادث الاخيرة لتضاعفت قيمتها فهل بد هذه
البراهين الدامغة التي ترضي جميع الفئات اسباب توجب التردد واني استدعي
العارفين في هذا الموضوع ان يخوضوا عبا به واكون لهم من الشاكرين
اعترضوا او ازدادوا في الايضاحات



السودان

في ٨ يونيو

هي اول مقالة له عن السودان في مبادئ ثورته الشهيرة وفيها دليل عجيب على صحة
الرأي واصابة النافذة

وعدتكم في احدى رسائي السانفة بموافاتكم بالشرح المسهب عن السودان
واحوالها فاقول

كل بلاد افتتحت نقضي على المفتوح بواجبات تختلف مبدئياً بحسب
اختلاف مواقع البلاد وطباع اهليها واحوالهم فالبلاد المتمدنة مثلاً لا تحتاج
الى قوة جرارة تحفظها ولا تستلزم الا زيادة السهر واليقظ على رفاهية
الاهالي ودقة النظر الى حركاتهم وسكناتهم ولا سيما اذا كانوا على غير
مذهب الفاتح حسماً لما ينشأ هنالك من المصاعب الوقتية اما البلاد غير
المتمدنة فتختلف فيها واجبات الفاتح فهي في المسطحة الاراضي منها واهليها
يجبون السكنينة والعيشة الهنيئة غيرها في بلاد جبلية تعود اهليها شن النارات
ولم يعرفوا الطاعة الا لاهوائهم ومطلق ارادتهم وهذا حكم بلاد السودان

افتتحت الحكومة المصرية بلاد السودان ونشرت سلطتها في ارجائها ولم تنظر الى ما هنالك من الواجبات وهي على ضريين احدهما وضع قوة جرارة مبدأها الاستبداد والقاء الرعب في قلوب الرعية والثاني اصلاح الشؤون وتوفير وسائل التعيش واسباب المدنية والحضارة وتوطيد الامن وتمهيد السبل الخ روعي بادىء بادىء القسم الاول وهو الاستبداد المفرط تعضده قوة كافية ولكن ذلك اخذ بالانحطاط والانحلال يوماً عن يوم دون ان ينظر الى القسم الثاني من الواجبات

ولقد زاد الحالة انحطاطاً ان السودان جعلت منفي للمنضوب عليهم والمكرهين فلم يرسل اليها في ذلك الحين حاكم او مدير او قومندان عساكر الا ممن لم ترض عنهم الحكومة وهكذا تجمع مالكو الزمام من قطعة واحدة وطبقة متساوية واذا فرضنا ان بينهم من نفي بدون حق وكان ذكياً نبياً فركزه بل تأثره النفساني منعه من الالتفات الى المصلحة العمومية

واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان عين حضرة غوردون باشا حكاماً داراً ولكن رفق تعيينه صدور دكريتو بالغاء الاتجار بالرقيق فابتداء حضرة الحكمدار بانفاذ مال الدكريتو ثم تدرج الى عزل الموظفين اصحاب النهوذ واستبدالهم بأخرين حدثاً لا معرفة لهم بالحالة ولا هم ذوو اهتمام في اصلاحها وفي الخالين حسب المرمى

ولست اقصد بقولي مضادة منع الاتجار بالرقيق ولكن كان من المقتضى ان ينظر في تويد الاهالي على الاتجار بغيره لان البلاد لا اطياف فيها مستعدة ولا تجارة لاهلها الوطنيين الا بالبيد والمواشي . ولقد نتج عن ذلك ان زيداً الذي كان اراده اليومي ٥٠ فرنكاً بات فقيراً لا يملك شروى نقيير ومع

كروا الايام وعدم الاشتغال تمكنت الضغينة وقويت في ضمائر غير المرتضين
بمعيشتهم ومالت بهم الالهواء الى الهياج والثورة
واذا قال سائل « ولم لم تظهر الثورة على عهد حكمدارية حضرة غوردون
باشا او قبله » اجبنا ان حنظ البلاد في بادىء الامر من كل ثورة نتج من
ان الزمن كان قريباً من عهد التوح والرعبة مستولية على اطراف البلاد وفضلاً
عن ذلك فان ما يمكن بالضمير لا يظهر على الفور بل تسوفه الايام الى حين
ويتأصل

ولما ان فعلت النفاة فعلها وحدثت وتسمية عمال البلاد من رجال مغضوب
عليهم تأثيرها ازداد الارتباك وشبت نيران الثورة في احدى النقط ولم يتدارك
امرها للملافتها (وهو خلل تعودناه) فامتدت وتشعبت الى الانحاء القريبة والبعيدة
ولما استفحل الخطب وعلت الصعوبات وعظم شأن المتهدي واستمال اليه القوم
العديدين بقوله لهم « ان منع الاتجار بالرفيق مضاد للشريعة والظلم حط قواكم وافقدكم
مالكم فاتبعوني انشلكم من وهدة الفقر فالمال وكل ما تكسبه اياديكم حلال
لكم » ونمت عصبته ونفذت كلمته انتخب للحكمدارية صاحب السعادة عبد القادر
باشا وهو متوقد الذهن صادق الخدمة حر الضمير عارف حقوق الادارة والقنون
العسكرية شجاع مدبر عنيف النفس وديع الجانب فذهب على الطائر الميمون بعد
ان تلقى من سمو الخديوي التعليمات اللازمة ولكنه لم يبرح سواكن حتى وقعت
سنار تحت الحصار وكوردوفان في قبضة المتهدي وقطعت المواصلات مع دارفور
واذ وصل الى الخرطوم شاهد فيها ثلثمائة عسكري لا غير وهو خبر صحيح
عرفناه عن مكاتبنا الحربي الخصوصي الذي رافق سعادته وصرف في تلك
الجهات اشهرآ وعرف احوالها ووقف على خوافيها وظواهرها وبعث الينا

برسائل بعضها نشرناها وبعضها قضت عليها الحوادث العارضة بان تطوى على ان سعاده لم يمنه كل ذلك من المبادرة الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة ولكن هذه الاحتياطات لم يساعدها درهم بل ابقها دون نتيجة مهمة اعمال تلك الفئة العاصية التي ظهرت في القاهرة وقطعت المواصلات بين السودان وحكومة مصر الشرعية واستمرت هذه الحالة السيئة الى ان انقضت الحوادث وانحلت المشكلة وتوطدت سلطة الجناب الخديوي

وكان في هذا الحين سلاح حضرة الحكمدار حزمه وتدييره فانه بهما قهر المتمهدي وقومه وأوقف سيرهم وبنهر قليلين زحف عليهم مخاطراً بنفسه وردم عن سنار التي لو تأخر عن القدوم اليها لوقعت في قبضة الاشقياء وبدد شملهم وسور البلدة وحماها من كل طارق

واذ ثبت قدمه ووصلت اليه طلائع النجدات التي طلبها واخذ بالاستعداد للهجوم وانتوغل في كوردوفان وتأثر المتمهدي الذي لم يكن يبعد عنه وقتئذ اكثر من ثلاثة ايام وفد عليه الامر بالتوقف وعين خلف له ففعل راجعاً الى مصر

رحلة الاستانة

قال في رسالته الاولى بتاريخ ٢٤ اكتوبر

كانت المسألة المصرية حجر عثرة بين الدولتين العلية والانكليزية اما الان فصارت على وشك الزوال حيث صممت انكلترا على سحب عساكرها من القطر المصري ولذلك صار من المنتظر ان تتوطد الصلات وتحسن السياسة بينهما وتبقى الامنية سائدة في البلاد المصرية

ومن ينكر فوائد انجلاء العساكر الانكليزية الذي يترتب عليه رضا الدول عموماً واهالي القطر المصري خصوصاً بل ان ذلك خير الوسائل التي تحفظ للانكليز اثرأ مأثورأ لدى المصريين حيث تفضلت على بلادهم باعادة الامن اليها وكبحت جماح العصيان ثم تخلت عن البلاد كرمأ من عند نفسها وهذا افضل دليل لدولتنا العلية على اخلاص الانكليز الذين اذا قرنوا تصرفاتهم بالعمل وكان ما يدعونهُ من حب خير البلاد وبث الامن في ربوعها الاريب فيه فانهم يكتسبون ثقة دولتنا العلية ورعاياها المصريين ومن كان في حوزة الدولة الانكليزية في الهند من المسلمين

ومن المعلوم ان مركز انكلترا في مصر عظيم الاهمية يتولاه رجال عظام مشهورون بعلو المهتم ووفرة الاطلاع نذكر من بينهم الوزير الخطير الماجور بارنج فاننا عرفناه رجلاً حاذقاً نشيطاً صادقاً والجنرال وود باشا والجنرال باكر باشا والمفتش الحالي صاحب الذكر الحسن في دوائر الاستانة العلية وكفى به تعريفأ انه تلميذ الرجل الاقتصادي الشهير جوشن . اما تضارب اراء الجرائد الانكليزية فهذا مما لا يعول عليه ولا يلتفت اليه فان القول والمشوره لرجل الدولة وزعيم الصولة المستر غلادستون . ونحن على يقين من ان انجلاء العساكر الانكليزية لا يوجب فقدان الامنية كما يدعيه البعض فان رجال الحكومة المصرية من اشد الناس حرصاً على الراحة العمومية ويضددهم على تعزيز شأنها وجهاء البلاد وذواتها العالمون بان الخلل موجب للخطاب الجلل

وهذه مقاله الاخيرة من الاستانة في ١٥ نوفمبر

لو اردنا تعداد اللوائح والتقارير والمسائل الموضوعة تحت المداولة في

مجلس الوكلاء الفخام والموجود منها في سراي يلدز للصادقة لما استطعنا لها
حصراً ولا عدداً . وكنت اود الاسهاب في هذا الباب وأبين للقرا. ماهية
بعض المسائل وكيفية المداولة فيها ولكن ازف وقت الترحال واصبحت على
اهبة السعر فخال ذلك دون المرام على اني وان برحت دار اخلافة فلا
اجد بدأ من بسط المعلومات التي وقت عليها على امل ان تنبه الخواطر اليها
وتصادف نصيباً من الحل والابرار

ولا اتكلم الآن الا على مسألتين مهمتين يتوقف نجاح المسائل الآخر
عليهما الاولى مسألة الامن والثانية اصلاح الادارة وكتاتهما ضرورتان جداً
ولا تقوم الواحدة بدون الثانية ولا يمكن ادخال الاصلاح قبل وجودهما .
وينبغي لنا ان نين اسباب عراقيل النجاح الواجب ان نتداركها في بداية
الامر فنقول

لقد علمنا بالاستقراء ان مادة نجاح الامم ووسيلة تقدم الدول انما هي
الاصغر الرنان لانه الوسيلة العظمى لانجاح الممالك وتأيدتها وبدونه لا تستتب
أمورها ولا تتعزز مكانتها . وهل من ينكر علينا قولنا ان الدول الاوربية
ما بلغت الدرجة العليا التي نشاهدها فيها الا بمادة الثروة فلها مكنتها من
القيام بالاعمال العظيمة المشتركة فوائدها بين كثيرين من ابناءها وبالتعاون
والتوازر آل امرها الى النماء والاثراء فحسنت حالها وساءت احوالنا

فاذا علمت ذلك وعلمت ايضاً ان الخزينة العثمانية فارغة فلا شك انك تسلم
بعدم امكان ضبط الميزانية الا اذا تحسنت الادارة تحسناً يمكن معه احكام
جباية الاموال وحنظ الايرادات من عبث الايدي والقيام بالمشروعات العظيمة

التي تسهل سبل الاتجار وتوفر الصنائع في داخلية المملكة الى غير ذلك مما
تعود فوائده على الدولة والامة معاً

ولاجل الوصول الى هذه الغاية يلزمنا ان نمنع النظر في المسائل الحالية
الموضوعة تحت المخبرة بيننا وبين الدول العظام فانها مهمة في الغاية ويحسن
بنا ان نخذها كبدء للعمل فاذا فعلنا ذلك خطونا اول خطوة نحو النجاح
نرى الدول جميعهن على اختلاف مصالحهن يتألمن ضد الدولة العلية اذا
كان لواحدة منهن ارب في امر متعلق بنا واليك مسألة الطونه وسكة
حديد الرومي وغيرهما فقد رأينا الدول ساعية في عرقلة مطالب الباب العالي
جاً بتنفيذ قصد واحدة منهن وان كان قصدها غير عادل . ومصالحة الباتته
التي مرت عليها الايام والاشهر الطوال وهي ما زالت تحت المخبرة والمداورة
وما برحت بعض الدول متعالة رافضة ولا انسى ايضاً ان المعاهدات التجارية
لم يتته امرها بعد والله اعلم متى يكون النهاية منها

وكان واجباً على الدول ان تساعد العثمانية وتسهل عليها الطارق والا
كيف تصرح باخلاصها لنا ورغبتها في نجاح امورنا ما دامت هذه افعالها.
وليتها اكتفت بذلك بل انها تطالب اصلاح الادارة في داخلتنا وتندب سؤ
حالة اهالي في بعض انحاء المملكة الذين نهكهم الفقر واضربهم وقوف الحال
نتج والحالة هذه ان تاخيرنا متسبب عن عراقيل كثيرة داخلية وخارجية
لا نقوى على تهديد عقباتها الا بالحزم والاقدام ليس الا وان الاحوال الشرقية
والاصلاحات لا تستلزم رجالاً فلاسنة عقلاء كما يزعم البعض فانها واضحة
ودواؤها موجود عندنا وعلينا ان نسير على قدم من تقدمنا من غير ملل ولا
ضجر والله مع الصابرين

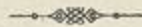
ولا ريب ان الدول الاوربية عندما تشاهد اقدامنا تتحول عن وجهتها المعهودة وتساعدنا على اصلاح شأننا وان لم يكن ذلك منها من قبل حبها لنا فمن قبيل صيانة مصالحها المتعلقة بنا. وهذا ما يضطرنى الى استلفات أولي الامر ليكونوا يداً واحدة في تشييد مباني الاصلاح معنصمين بالثبات فيخدموا ووطنهم الخدم الجليلة التي يتظرها منهم بفروع صبر وبتتي من الازدهان ما خامرها من اليأس والقنوط

سنة ١٨٨٤

قال في مسألة الجلاء من مقالة له نشرت في ٣ يناير وهي المرة الثالثة التي ابدى فيها مثل هذا الرأي مع قرب العهد بالاحتلال ان ما أشيع منسوباً الى مقاصد الحكومة الانكليزية من عزيمتها على وضع البلاد تحت حمايتها يعد محض اخلاق وارجاف يعزى امرها الى اولي الاغراض النفسانية الذين آلوا على انفسهم الا ان يبثوا الاباطيل والاضاليل تشويشاً للافكار - واني اسال القائلين سوءاً بالدولة البريطانية عن غير رويه ما الذي أوقف هاته الدولة عن اجراء هذا الفصد بعد موقعة التل التل الكبير - وكيف ساغ لهم القول بعد ما شاع وذاع من المطالعات الرسمية التي حصلت في الاسكندرية بعد اطلاق المدافع واحتلال الانكليز فيها حيث اتفق الاميرال سيمور مع الحكومة السنية على ان يطلب الى عرابي واعوانه بان يبارحوا القطر مع بقاء رواتبهم ورتبهم عليهم ويحل عقد الجيش وقد حصلت المخابرة البرقية بهذا الشأن فرفضه عرابي بكل وقاحة . فلو قبل

عراقي الطلب في ذلك الحين لما رأينا الجيش الانكليزي محلاً القطر ومن الخطأ المبين ان نسي الظن بمقاصد المستر غلادستون وحسن اخلاصه لم يقرر انجلاء الجيش وصدر الامر الى قسم منه بالرجوع ولولا مسألة السودان لحصل فعلاً . فاذا تحققنا ذلك أيجوز لنا ان نلوم وزارة المستر غلادستون لا لعدي . وبناءً عليه لا يلزمنا ان نعلق على اذهاننا ما تذيعة جرائد المحافظين الذين لو امكنهم لامتلکوا العالم بأسره .

ولكن معرفتنا هذه لا تجعلنا نكل امورنا الى القضا والقدر فانه اذا كان حزب الاحرار هو السائد الان فلا يمنع من سيادة حزب المحافظين في الهند وما زلنا ممتعين بالوقت الكافي لقضاء الارب فان هذه الفرصة تدوم لنا الى سنة ١٨٨٥ فعلياً ان نشغل بها بجد واجتهاد لنصلح شؤوننا ونبدل حالتنا هذه باحسن منها ونبرهن على اصابة رأينا واستقلالية افكارنا هذا اذا كان قصدنا منصرفاً لانجاح الوطن والا فلومنا علينا . وانني اكرر ما قلته مراراً من ان العربي من آية جنسية كان يود التداخل في الاعمال الشرقية وهذا طبيعي فان رجال التمدن الذين يتحملون مشاق الاسفار من بلادهم الى الشرق الاقصى للكسب والسعة يفضلون البلاد الغربية خصوصاً التي تكون خصيبة ومع ذلك لا نجد حكومة اجنبية تداخلت من تلقا نفسها بل كنا نسهل لها سبل التداخل ونفتح الابواب فتدخل من غير حرج ولنا على ذلك ادلة وبراهين لا يمكرها الا المكابر



وقال في ٨ يناير حين طلبت الوزارة الانكليزية ساخ السودان عن مصر واستقالت
وزارة شريف

من لم يعرف الحوادث من مقدماتها لم يعرف كيفية التدبر بعواقبها
وغاية مراده منها وهيئات ان يصل امكانه الى ما يعوض خسارته او يرد
ما فات ولكن الله على كل شيء قدير

في الليلة البارحة توجه حضرات النظار الى سراي الاسمعية يتقدمهم دولة
الرئيس شريف باشا ولما وصلوها صعد دولته أولاً وقدم لسموه رقيم الاستغناء،
ثم تبعه بقية النظار وقدموا استغفاهم ايضاً ومكثوا لدى سموه برهة ثم
انصرفوا بعد ان قبل الجنب العالى استغفاهم ولكنه طلب اليهم ان يستمروا
محافظة على مراكزهم مواظبين على اشغالهم الى ان تشكل وزارة ثانية
جديدة

اما الاسباب التي حملت حضرات النظار على الاستغفاء فهي ان حكومة
مصر ترى انه من الممكن المحافظة على املاكها السودانية بواسطة خمسة
عشر الف جندي ليس الا وان الحملة التي ارسلتها اولاً معها سيتبعها كافية
لادارك الغاية وان التخلي عن السودان مضر بمصلحة مصر سياسياً وتجارياً
وفي حال تخلي مصر عن السودان تفقد بيوت عديدة تجارية شهيرة في القطر
ولا ترى الحكومة موجباً لترك الخرطوم وسواها من المدن الخاضعة والتي
لم يحصل فيها شيء من الهيجان وحاميتها قادرة على حفظها وصونها وان
حكومة مصر لا يمكنها ان تقبل مطلقاً بتلغراف اللورد غرانفيل القائل
بوجوب (قبول كل نصيحة انكليزية بدون تردد وان كل ناظر لا يكون
مشربه انكليزياً لا يصح وجوده في النظارة) فهذا مناقض لنص الدكرينو

الخدوي الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ القائل بان الوزارة مسئولة امام
الجناب الخديوي مطلقاً وبناءً عليه فلا تستطيع الوزارة الحالية قبول ما ادعته
الوزارة الانكليزية . وهذه هي الاسباب التي حملتها على الاستقالة فقدمت
استغفائها الى الجناب الخديوي كما قدمنا اولاً

ولا ريب ان هذا الاعتذار مملوء حكمة صادر عن مبادئ وطنية حقيقية
لا يرتاب فيها واني لا اعود في هذا المقام الى ذكر الماضي وما كان ينبغي
عمله من اشهر مضت وانما اقول انا نجهل الاسباب التي دعت الوزارة للمجاوبة
على هذه اللائحة قبل الوقوف على افكار مجلسي شوري القانونين وشوري
الحكومة وهي التي رأت ان تعضد هذا الدستور أما كان يجب عليها ان
تستشير المجلسين المذكورين ام الاعتماد في الشرق على القانون بان يصدر
الامر به بصرف النظر عن خصائصه وتأثيره وهي مسألة لا يمكنني غضّ
الطرف عنها ولا اظوي الكلام عليها واني لاجب والله لسكوت المجلسين عما
تقتضيه واجباتها وعدم ابداء ارائهما في مسائل هي اهم المسائل المصرية بل
هي عين حياة مصر السياسية

اوليس ينبغي للدائن ان يتخذ افضل الوسائل للحصول على دينه عندما
يرى مدينه محالاً تدم الدفع والمماطلة . وما اشبه حالة المجلسين بالدائن فلم
لا يبحثان عن خصائصهما مع تناقل الحكومة عنها منها اولم يشكلا بامر
خدوي وايما حكومة انكثرا والا فافادة تشكيلهما ولاي سبب كان ذلك
فقد اصبحا الان ملومين من الوطن مطالبين لدى الرأي العام وهل في
الامر سر سينكشف النقاب عنه فنعرف ما لنا وما علينا منه ام نود قائلين
انا لله وانا اليه راجعون

واقدم طالما كتبت واشترت بوجود عقد جمعية عمومية تجمع هذين المجلسين تؤلف من اخص الرجال الذين تقبلوا في الادارات وعرفوا احوالها والتجار الذين كابدوا معاملة السودانيين وطافوا الاقاليم فتأخذ بالمدولة حتى يقر الرأي العام على اخيار احسن طريقة لحم النازلة وما زلت اقوله بوجود المشاورة والمكاشفة وعقد العزم على خلاصة ما تبديه غوامض الافكار ولا يعد ذلك احتقاراً لاراء الرجال المعول عليهم الان فقد يمكن ان يكشف لهم عن امور ذات بال لم تكن حاضرة لديهم واني لا ارى في السياسة الحالية اموراً مجبولة من كبير او صغير وهي فرصة اخيرة لنا فعلينا اغنائها وعدم اهمالها او التهاون بها وليس القصد من ذلك مضادة انكاثرا فاننا ما زلنا نعتقد اخلاصها نحو البلاد ورغبتها في صيانة حقوقها وانجاح اعمالها ولي كلام اخر اوجله الى ان تعتلن الحقيقة او يظهر ما ليس في الحسابان



وقال في ٢٣ يناير عند اجتماع مجلس شورى القوانين

غداً يلتئم مجلس شورى القوانين طبقاً للامر العالى الصادر بهذا الشأن للنظر في حقوق البلاد نيابة عن اهلها الذين تخيروهم وكنزهم النظر في امورهم وغداً ترفع الى هيئة هذا المجلس جميع اللوائح والقوانين التي قررها مجلس شورى الحكومة والتي ما زالت تحت البحث والمدولة . فاليكم ايها الاعضاء الكرام وجوه البلاد عهد حل الامور وابرامها وبكم وخدمت تعلقت الامال فاتم والحالة هذه مطمح انظار القوم الذين خولكم ثقهم دون غيركم واتم عضد الحكومة التي صدقت على تعيينكم فعلى مبلغ حسن تديركم وصوابية

رايكم يكون مبلغ تقدم البلاد ونشاطها من عقل المشاكل الحالية والنوازل السياسية . فتحققوا اذن ان الرأي العام محوقل حول دائرة مجلسكم الموقر يراقب اقوالكم واعمالكم التي سيخذ ذكرها الى ما شاء الله . فبرهنوا على صدق وطنيتكم وعظيم اهليتكم بالمحامة عن حقوق البلاد وحفظ مستقبلها من غوائل ما هو محقق بها من الخطوب التي لا تصرف عنها الا بسديد الاعمال والافكار التي تكون محمودة الاواخر والاوائل

وما اتيت بهذه التفكير جهلاً بصحة وطنيتكم او ارتياباً بصدق طويتكم وسلامة خدمتكم من شوائب الاغراض ونزاهتها عن المقاصد الا قصد انجاح الوطن واسعاد اهله ولكني أتيت بها من قبيل زيادة الحرص على الحقوق السياسية تنبيهاً وتفكيراً فان الحكومة ستعتبر اراءكم وتسير على منوال ما تقررون عليه اجمالاً في الرأي وجرائد القطر وغيرها ستثبت نص المداولات وتلقى عليها الملحوظات ان حسنة او سيئة حقق الله امالنا بكم وأنقذ القطر مما حل به بحسن سعيكم ان شاء الله

وقال في ٢٧ يناير وهو من جملة تقديراته الكثيرة التي حققتها الحوادث فيما بعد وها نحن على بغية الصبر ننتظر افتتاح البرلمان الانكليزي القريب العهد لنعلم ما سيدور في دائرته من الجدل والاقوال على مسألة مصر ويؤكدون ان نحواً من ٢٥٠ سؤالاً ستلقى على الوزارة في شأن اعمالها وان كنا في ثقة من ان السؤالات والجوابات ستكون دقيقة المعنى والمبنى لا تؤخذ بكشف الستار عن سر المسألة الا انها تؤخذ دليلاً على مكنونات الصدور . وقد يجوز ان تكون الاعمال من بعد ذلك بخلاف ما يصرح به اليوم

وقال في ميزانية سنة ٨٤ وهي احدى مئات من مقالاته الاقتصادية الادارية نذكرها
مثالاً

ميزانية سنة ٨٤ - حالة الحكومة والبلاد المالية

قياماً بالوعد السابق اكتب اليكم بالعنوان المصدر فانه مهم في حد ذاته
والبحث فيه من اخص واجبات الكتاب

ان التوازن او معادلة الداخل بالخارج آية تقدم الحكومات وبدونه لا
يعتز لها شأن ولا ترسخ قدمها ولا تنتظم ادارتها ما دامت غير متساوية
الايراد والمصروف ويؤول امرها الى الانحطاط والانحلال كلما تنذر عليها
التوازن وزاد النفقات على الايرادات . وحكم التوازن لا ينحصر في الحكومات
والدول بل يشمل ايضاً البيوت التجارية والمشروعات المالية ذات الايراد والمصروف
ويستازم حسن التدبير او ما يعبر عنه بالسياسة فعلى حكم تلك السياسة يكون
مبلغ الثروة وبدون احكام السياسة لا تنتظم شؤون المالية ولا يحصل التوازن
ومالية الحكومة تتبع مالية الشعب فان الحكومة في حصر الامر تابعة
لرعية فاذا اردت الوقوف على ماهية المالية في اية مملكة فانظر الى تابعيتها
التي تستورد منها الجباية فيتضح لك ما في خزائنها من النضار . وقد يعلم
المشاهد احوال القطر في ايامنا هذه ان مالية حكومته في عسر وضيق حال
قياساً على الازمة المستخوذة على عموم سكان البلاد من اية فئة كانوا واليك
البيان

ان سكان القطر من وطنيين واجانب ينقسمون الى ست فئات مهمة

اولاها واهمها ارباب الاموال الواسعة الذين يبذرون المال توسعاً في العيش وهم الان قابضون على اموالهم ينفقون منها على انفسهم ولا يثقون باخراجها من الصناديق خوفاً عليها من الهضم والضياع فلا يستفيدون منها ولا يفيدون بها احداً. والفئة الثانية اصحاب الاملاك والعقار الذين يعتمدون في معاشهم على ريعها وهؤلاء قد ساءت حالتهم بكساد التجارة وهبوط الاسعار ومحل المواسم. والثالثة. مضاربو البورص الذين ضاقت بهم مذاهب اخلاق الاخبار وما اصابهم الا الخسران بين صعود وهبوط وهم لا يدرون ما وراء الغد من المحن والحطوب. والرابعة. فئة المستخدمين الذين تنازعتهم عوامل الاغراض واصبحوا عرضة للرفق والاستقطاع من المرتبات وقد ادركتهم العناية مؤخراً فسلموا من الافة التي كانت تتوعدهم ولكن لم تسكن خواطرهم مما سيحيي في الايام المقبلة من الضربات المؤلمة. والخامسة والسادسة. فئتا المزارعين والمحترفين وهم السواد الاعظم من مواطني البلاد واشد سكانها ضعفاً واولاهم بالالتفات والمرحمة خصوصاً ان مدار الجباية عليهم تؤخذ طوعاً او كرهاً على حسب ميسرة هاتين الفئتين او ضيق ذات اليد ومن اين لذوي الفئتين يسر الحال ومن منذ سنتين لم ينحبس وابل النكبات فاحلت المواسم وسقطت الاسعار وكسدت التجارة واصبحت السلع ذات قيمة واطئة لا يطعم بالكسب من الاحتراف بها

وعلاوة على الفئات الست المذكورة توجد فئة سابعة محسوبة في عداد الفئات المتقدمة الا انها ممتازة بكونها اشد فاقة وعوزاً مما سواها لانها اصبحت برزايا الفتنة فتمقت ما ملكت وعيل صبرها بانتظار البديل حتى ان اغلبهم انفقوا اضعاف اضعافه ديناً قضاءً للحاجة وكانوا في مبدا الامر يعتمدون

عليه زاعمين انهم يستخدمونه بالامتهان والاحتراف والتوسع بالعيش مسافة العر
بدلاً من المال المضاع

هذه هي الصعوبات والضيقات الحالية الحائلة بالبلاد وقد انفدت الحكومة
حيلها واعياؤها التدبير ولمّ الشعث حتى تمكنت مؤخراً من موازنة البرنامج
للسنة الجارية من دون رفث او استقطاع في مرتبات الخدمة او زيادة في
الرسوم والضرائب وقررتها الا ان ميزانية الحربية ما زالت غير مقررة
اذ انه لا يعلم المقدار اللازم من النقود للفاة الحوادث السودانية التي عرفنا
اوائها وغاب عنا الامام بمنهى امرها وقد فوضنا امرنا بها الى الله ونم
الوكيل

وقد فهنا ان مصاريف جيش الاحلال غير داخلة في الميزانية ولا نعلم
اذا كانت الخزينة المصرية تعفي منها او تلزم بدفعها بمد المخبرات الجارية مع
حكومة بريطانيا ويؤمل اولياء الامر ان وزارة المستر غلادستون تتسامح بها
كلها او بقسم مهم منها فيبقي على الحكومة مقدار ما يزيد عن المليونين
جنيهاً من الحسابات الجارية المرخص لها بها ثم مبالغ التعويض ثم نفقات
السودان الفادحة وما اشبهها وهذه تستلزم عقد سلنة لا تتخط عن عشرة
ملايين جنيهاً

اي نعم ان هذه السلنة تكفي ولكن لسداد مطلوبات السنة الجارية فقط
فاذا شئنا ان ننظر في نتائج ما لدينا من الحوادث وجب ان نستدرك امر
المالية الى امد بعيد خيفة ان نتطلب غداً ما ترددا اليوم عن اجرائه .
فالاقدام الى عقد سلنة العشرة الملايين يضطرننا الى تعديل قانون التصنية .
ولا ننكر ان توقيف الاستهلاك مع ما يمكن الاستحصال عليه من ابواب

ثانية يعني لسداد معدل هذه السلفة ولكن اذا قصدنا حفظ المالية الى مستقبل الايام وجب علينا ان لا نكتفي بالتوقيف بل نتجاوزه وهنا عقدة المسألة

ثبت بما تقدم ان السلفة التي تحتاج لها الحكومة لا يمكن نيلها الا بتعديل الصك الموقوع عليه من جملة دول كبار لهن مصالح سياسية فضلاً عن المالية واهم الدول مصالحة وشأننا بقانون التصنية الدولة الفرنسية وهي ذات النزوذ المسلوب بيد الحوادث والنتن فاذا تشبثت بالمسألة السياسية بحجة المالية ادخلت مسألة مصر في دور جديد اشد نكايه واصعب حلاً مما هو مشاهد منها الان ولا نخاف بلوغ هذا الدور الا اذا كان القصد عدم الاكتناء بتوقيف الاستهلاك اما اذا لم يتجاوز التموير هذا الحد فلا يتعذر نيل المرغوب وحل عقدة المسألة وحينئذ تدفع التمويضات وتروج الاعمال وتستقر الحال على احسن منوال

وقال في ٥ مايو يدعو كبار المصريين الى تشكيل لجنة تسافر الى اوربا للمطالبة بحقوق مصر السياسية انما انعقاد المؤتمر الذي دعت انكلترا الدول اليه وانتطت ان يكون مالياً محضاً اشتملت افكار الوطنيين وخصوصاً الوجوه والاعيان منهم بمسألة المؤتمر وحقوق مصر فاخذوا بالمداولة والمذاكرة فيما بينهم واعتبروا المسألة اعتبارها من الالهية فصرت على امل كبير من اجابتهم الطلب وتحقيق ما عرضته عليهم في هذا الشأن قبل فوات الزمن الثمين اذ لا يصح الصمت عن امر يخص بالبلاد على حين نرى الدول عموماً مشتتة به تدافع عن حقوقنا وقد افادنا البرق في هذا اليوم ان فرنسا راغبة في ضمانه حقوق مصر السياسية وهو عين

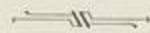
مطلوب الباب العالي واعلم ايضاً ان غالبية الدول نازعة الى المطلب المذكور
مراعاة لحقوق العدالة والانصاف فكيف يليق بنا السكوت او يخامرنا الخجل
والوجل والدول اخذة بناصرنا مريدة تفيدينا

فيا ايها الاعيان وذوات البلاد لا نسألکم ما تخط عنه طاقکم ولا تکلفکم
غير الاقتدا بغيرکم من أمم المشرق ألم تروا رجال بلغاريا وسربيا كيف انهم
شكوا للجان قبل الحرب الاخيرة واوفدوها الى عواصم اوربا . اولاتذكرون
فعل اليونان وما اجراه اهل كريد مؤخراً مما اضطر الباب العالي الى العدول
عن ابدال فوتيادس باشا والي الجزيرة . ألم تعلموا انه خلافاً لتصميم الوزارة
العثمانية وقرارها بالناء منح الاساقفة امتيازاتهم ضد الجناب السلطاني مطاب
التبعية اليونانية العثمانية وارجع لهم المنح . ألا يکنیکم دليلاً او ما تعلمون
ان للرأي العام تأثيراً عظيماً وما يعد عملکم هذا خروجاً عن الواجبات
الوطنية فلا يداخلكم الظن انه' يحسب معاكسة لانكلترا او قلة ركون اليها
بل هو محض حق خصوصي بکم فتأثروه وكونوا واثقين من عضد اوربا
لكم واستمالتکم على الرأي العام في الشرق والغرب لتحفظوا لانفسکم وبلادکم
ذکراً طيباً

وقال في حديث جرى له بباريس مع سفير الروسية في ١٠ يونيو

تشرفت في منتصف هذا اليوم بمقابلة سفير الروسية في دار السفارة
وقد تطارحت وایاهُ بحثاً في المسألة المصرية والدياسة العمومية فلخصت ذلك
في الرسالة الآتية كما ترى

سألني حضرة السفير عن حالة مصر سواء خبير واقف على دخائل المسألة المصرية . فاجبته . ان مصر لم ترَ اياماً اشد مرارة وصعوبة من ايامها هذه من حيث السياسة والادارة والمالية وبيئت له موجبات الخلل في المسائل الثلاث التي افسدتها سياسة الانكاي في مصر . فقال . ان اوربا تركت لانكاي حرية العمل مدة الستين الماضية على رجاء ان يتأتى عن عملها تحسين حالة ذلك القطر المضمون الامتيازات من اوربا بموجب معاهدات دولية صريحة يستحيل خرقها اما انكاي فالتخذت سبكات اوربا وسيلة لاجراء ما تريده فافسدت المنظمات الحسنة ما خلا المنظمات الدولية كصندوق الدين ومجالس الحقاية وفي اخر الامر استشرفت على اوربا تسألها عضداً لتمديد قانون التصفية تحقيقاً لمنوباتها فصادرتها فرنسا معضدة من اوربا تهضيداً قوياً ثم اقترحت عليها شروطاً مصداقاً عليها من الدول جميعاً ولو لم يكن الحزب الحر هو القابض على زمام الاحكام لما تساهلت اوربا مع انكاي ولما توقفت عنها حتى الان ولكن للدول ثقة مكينة باخلاص حزب الاحرار وصدق عهودهم واجتنابهم هضم حقوق الشعوب المستضعفة



فترة من حديث مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسية في ١٢ يونيو ما زالت المفاوضات جارية بين فرنسا وانكاي على رجاء الوصول الى وفاق نهائي في المسألة المصرية وقد قابلت رئيس الوزارة الفرنسية المسيو جول فري وجرى لي معه حديث طويل اخلص منه ما يحلو نشره ويسوغ ذكره وهو ما يأتي

حثت الوزير اجابة لامره فاستقباني بالبشاشة وسألني عن اخبار مصرفبسطتها
 له تفصيلاً مبتدئاً بعرض المسألة المصرية من ظهور عرابي الى يومنا هذا
 وكان يقاطعني الحديث مستفسراً عن الدواعي والموجبات لكل حادثة وخصوصاً
 ما توقع منها بعد الاحتلال الانكليزي فاخذت ابرهن له عن الوقائع وكيف
 ان الفوضى عمت البلاد مالياً وادارياً وسياسياً وكيف عدمت الثقة المالية واسباب
 الكسب ثم بينت له حالة العسر المستحوز على القطار وانتشار اللصوص في
 جميع أنحاءه

فقال . وما هي اسباب ذلك جميعه

قلت سوء الادارة وأيدت ذلك بالادلة وذكرت له اعمال رجال
 الانكاييز في مصر فرداً فرداً واطلت الشرح في اجراءات كليفوردي .
 وقلت اذا كان قصد الانكاييز ان لا يخلوا القطار الا بعد استتباب الراحة فيه فهم
 لن يرحوه فانهم ما داموا مقيمين فيه متداخلين باموره فلا يمكن
 استتباب الراحة واصلاح الاحوال

قال . واين هم رجال مصر ومن هم المعدودون فيه

قلت . انهم كثيرون مشهورون وذكرت له من اعرفهم معرفة تامة
 وانهم لو سلموا ادارة الاعمال لما انقضى شهر من الزمن حتى يتأيد الامن
 وتستقر السكينة ولا يبقى للانكاييز عذر يتحلونه للبقاء في ارض المصريين
 وذلك على شرط ان يكون رجال مصر احراراً في الادارة والا فلا نجاح
 وليس من عقلاء المصريين من يقبل وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكاييز
 متداخلين في ادارات الاشغال

حديث مع المريكز سلسبوري في ١٩ يونيو

انه وان تكن وزارة الانكليز من الحزب الحر والمحافظون لا دخل لهم في ادارة الاحكام فاهمية حزبهم ومعارضاته المستمرة للوزارة مما يجدر بالاعتبار ولذلك سعيت جهد امكاني الى مقابلة زعماء الحزب المذكور للوقوف على منوياتهم بالنسبة الينا واخيراً توصلت الى مقابلة المريكز سلسبوري زعيمهم الاكبر فتوجهت اليه في هذا النهار بعد الظهر بمنزله الكائن في جوار شارع سان جيمس

وبعد التحية والسلام قال . أتيت حديثاً من مصر . قلت نعم ولكنني عجت على ايطاليا وفرنسا في اثناء السفر . قال . اللزهة حضرت . قلت . لا بل للحاماة عن حقوق وطني مصر

قال وما هي حال مصر . فاخذت ببسطها وتعداد اغلاط الانكليز منذ دخل دوفرين وباشر اشغال ماموريتها وقد قسمت المسألة قسمين اولهما مخصص بمصر والثاني بالسودان ثم فرعت عنها فروعاً ثلاثة الاول يتناول بيان الحالة الى يوم استقالة رياض باشا من الوزارة . والثاني من ذلك الحين الى استفتاء شريف باشا . والثالث منذ ولاية نوبار باشا الى يومنا هذا ففي الفرع الاول ذكرت له توطيد الامن بسهر رياض باشا ورواج التجارة وجميع الاشغال واستمرار الاحوال جارية على ما يرام الى ان اخذ بمحاكمة عرابي التي كانت اشبه بمحاورة هزلية فاتضح للذين من حزب عرابي ان انكثرا استخدمت هذا الرجل لقضاء اغراضها فكرهوها وكرهوه واتضح لسواهم ان انكثرا الدولة

التمدنة قد اتت اموراً لم يرها الشرق ولا سمع بحصول نظيرها في
جهات الدنيا

ثم قلت له . ولما استقال رياض باشا الوطني الحازم الحائز لمرضاة الرأي
العام والخير بحالة الامة والبلاد انحرف الشعب المصري بتمامه عن انكثرا
واخذ يندد بها ولكن بقيت المسألة متسترة حيث كان شريف باشا الوطني
المحبوب رئيساً للوزارة ثم ازداد تداخل رجالكم في الادارات فافسدوا واستبدوا
في اجراءاتهم السيئة

واخذت اتلو على مسامحه اغلاط رجال الانكايكز واخصهم المستركلينفورد
لويد الذي اذكرنا بايام المالك وجورهم وبينت له سوء معاملة بعض الانكايكز
الموجودين في مصر وقلت له لقد قابلت كثيرين من رجالكم منذ وصولي
حتى الان ورأيتهم جميعاً على غير ما عليه بعض رجالكم عندنا فان معظمهم
لا يحترمون الناس . قال . اني في غاية العجب من هذا السلوك . قلت انتم
الاوربيون تنددون بالشرقيين وتستبجون طباعهم اما نحن فترى ان الانكايكز
هم المستوجبون لما ترموننا به . ثم اتيت على بيان الحالة في وزارة دولتو نوبار
باشا فقال انه يعرفه شخصياً وبعد ذلك دخلنا في مباحث متفرقة لا ارى
مناسبة لعرضها الان

وسألني عن حالة السودان فاخبرته ان الفتنة كانت في بادئ الامر
اهلية محلية ولكن ذهب هكس الاجنبي عن السودانين جنسية ودينياً
حرك العصبية الدينية فيهم فثاروا ثورة واحدة . وعظفت على بيان اغلاط
الانكايكز بعد ذلك وخصوصاً في مشورتهم بالتخلي عن السودان واخبرته بالكيفية
التي جاء بارنغ بها الى شريف باشا فقال اعد علي بيان المسألة فاعدتها تفصيلاً

ثم نددت برسالية هكس ومأمورية غوردون وحملة جرايم ومأمورية الاميرال الانكليزي وأعربت له عن سوء السياسة في مأموريات المذكورين وغيرهم . فقال . وما رأيك في مستقبل الحركة الحالية . فقلت . اراها ستمتد كثيراً وقريباً تسقط الخرطوم وسنار ودنقلة وحينئذ يتعين عليكم تجريد اربعين الفاً من العساكر للمافاة النازلة . قال . وما هي حركة الخواطر في مصر . فاخذت بسرد بيانها تفصيلاً وكان مصغياً يستوعب الاخبار بالدقة والامعان ثم قال . واية وسيلة تظنها افضل لحل المسألة . اجبته . اني اخاطب سيدي بحرية فارجوه ان يعاملني بالاغضاء كرماء فاقول . اني عالم بكونه زعيماً للحافظين فلا بد لي ان اخاطبه بصفة كوني مصرياً لا أريد مطلقاً ان تضع انكثرا يدها على بلادي باية صفة كانت ثم أوكد له ان افضل وسيلة لحل المسألة هي ارسال تجريدة عثمانية الى السودان

قال وهل لا توافق العساكر الانكليزية

قلت انها لا تطيق الحر فان العساكر الانكليزية السكائة الان في اصوان يوجد بينها ٢٥ بالمئة مرضى بسبب الحرف فكيف تكون حالتها لو بلغت الخرطوم واواسط السودان هذا اذا تيسر للانكليز قطع المفاوز الموعرة والوصول الى الداخلية . قال يذهبون في الشتاء . قلت وعند حلول الصيف وهم هنالك ماذا يفعلون فسكت . ثم اطرق قليلاً وقال وحكم العساكر العثمانية حكم الانكليزية من هذا القبيل . قلت هذا فيما اذا كانت العساكر تركية او شركسية ولكن عساكر الدولة العثمانية . من ابناء سوريا وما بين النهرين وغير جهات لا يضر بهم الحر ولا يستصعبون قطع المفاوز والقفار لانهم متعودون ثم لا بد ان يعلم سيدي ان الحركة دينية وليس لغير الخليفة استطاعة على اخمادها . قال

لا أنكر ذلك . قلت وهل من العدل والانسانية ان تسبب انكثرا اهراق
الدماء وخراب الديار انفاذاً لما ربهها الذاتية القاضية عليها بعدم التصديق على
ارسال تجريدة عثمانية . وكيف يسوغ لها ذلك في عصر النور الاتخاف قضاء
التاريخ باستقباح مسلكها وسؤ تديرها في جيل التمدن - واردفت ذلك بقولي
لا ارى حلاً للمسألة غير هذا ومن الضروري جعل مصر على الحيادة التامة
بحيث لا يمكن لاية دولة ان تطمع بها او تعتدي عليها

وهنا سألته ان يسمح لي بالاستفهام منه عما يأتي فاذن - قلت أيسقط
المستر غلاستون . قال لا اظن ذلك لان الشروط غير مجففة بمصلحة انكثرا
وعطف فقال أخبرتني عن رجال انكثرا كلهم ولم تخبرني شيئاً عن المستر
اجرتون الذي أعرفه شخصياً . قلت هو رجل محبوب من الجميع وكذلك
الجنرال استفانسون

ثم قلت . انا لا نود ابدأ سقوط المستر غلاستون حيث ان اعتقادنا به
حسن وتوسم بكم سؤ المقاصد

قال ثق بفوز غلاستون فانه سيتغلب على المحافظين ويستمر في منصبه
واردف قائلاً ولماذا تظن السؤ بالمحافظين

قلت لانهم يودون تملك العالم ويتوقون لهضم حقوقنا وهذا اعتقادي
بكم مع اني مسيحي فانا ظنك بالمسلمين الذين هم اشد مني نفوراً منكم وهذا
الاعتقاد السيء بانكثرا ليس محصوراً في مصر فقط بل وفي الشرق عموماً
واذا لا سمح الله وضعت انكثرا حمايتها على مصر فلا شك انها لا تجد
راحة وتكون قلقة قلقاً مستمراً فضلاً عن كونها تسبب ميل العثمانية الى
الروسية . قال لقد وجهت اللوم العنيف الى المحافظين مع انهم غير متحكمين

ونحن نعترف باغلاط الاحرار وسيئاتهم في بلادكم كما اننا نرى املاكنا الهندية
امست في خطر من سوء سياستهم . قلت وليعلم سيدي ان بين مسلمي الهند
والشرق صلات مستمرة وقد علم الهنديون بسوء سياستكم عندنا فاتفقوا معنا
وصارت قلوب الجميع نافرة منكم

ثم سألته واذا حكتم هل تضمون مصر اليكم

قال لا اظن مطلقاً ولا يمكنني الحكم بذلك الان اذ انه من الممكن
وجود أمور خفية في الوزارة تعدل مبادئنا اذا علونا منصة الاحكام ولكن
لا اخال اننا نحكم فان غلادستون متغلب علينا

قلت ارى كثرة الزعماء في حزب المحافظين اضعفته وشئت كلمته وفي
الامثال السائرة ان كثرة الرؤساء تذهب فائدة العمل

قال ذلك شأن حزبنا

ثم قلت له اراكم مهتمين كثيراً بشأن المالية وقد ذهاتم عن السودان فما
الداعي لذلك . قال وكيف تحسبنا غافلين عن السودان « يعني غوردون »
المنكود الحظ وقد احدثت به الاخطار من كل جانب

قلت أعجب والله لجواب اللورد المفهوم منه اشفاقه على نفس غوردون
من دون سائر الناس في السودان حالة كونه ذا جنة وقد سمعنا بمثل هذا
الجواب مراراً في خطبكم وتلواناه في جرائد لندن فهل حسبتم اهل السودان
من بني الانسان حتى لا تاخذكم شفقة بهم ولا يهكم الا اتقاذ رجالكم
الذي جلب الويل على الوف موءنة من الرجال والنساء والاطفال وما كان
غوردون الا منذاً لسياستكم الايمة التي قادت هؤلاء المساكين الى الذبح
فكيف ساغ لكم الان ان تهملوهم وشأنهم الا تخافون غضب الله وسنة

الانسانية وشرع المدنية وقضاء التاريخ عليكم بما تحمرونه الوجوه ويخدش مجيا
النفس

ثم أوقمت للورد على الاوامر التي اصدرها رجالهم في مصر والزامهم
البوليس بما يتعلق بعدم لبس الطربوش وما اختص منها بالجوامع وغيرها مما يمس
حاسات الاهلين ولم اخبر عنه شيئاً من مساوئهم . وبعد ذلك قلت وكيف
تقومون رجال مصر الذين لم يعدلوا عن سبل الاخلاص ولم يخنوا لكم
عهداً وجميع ما حلّ بالقطر من الملمات دليل مسهب على سوء تدبيركم وانتم وحدكم
المسؤولون عنه

فاطرق عند ذلك ثم قال لي لسنا نحن المتحكمين في الحال . ثم سألتني
أتمكث طويلاً هنا . فقلت له نعم . قال ارجو ان تحضر اليّ من وقت
الى آخر وفي اية لنة تطبع جريدتك . قلت باللغة العربية وكثيراً ما ترجمت
خطبك ايام كنت وزير الخارجية . ثم اطلعتني على اختلافات مكاتبي جرائد لندن
بمصر فاصغى الى ما قلت

وبعد ان لبثت بحضرته ساعة ونصف ساعة ودعته وانصرفت ممتناً مما
اظهره لي من الدعة



محادثة مع موزوروس باشا سفير الدولة العلية ومع السيو وادنكتون سفير فرنسا في ٢٢ يونيو
زرت امس سفير العثمانية فاخبرني بوصول لائحة الاتفاق اليه وقال لي
انها بالاجمال كما اخبرتك قبلاً « وقد افدتكم ذلك في حينه الا انه يتنوع
عن مسائلها المهمة مسائل اخرى فرعية وسابقتها تفصيلاً اليكم »

وقد سأني السفير عن اخبار مصر الاخيرة فسردها له ثم سأته عن رأيه في المستر غلادستون والاحزاب قال لا شك ان المستر غلادستون سيتغلب على الاحزاب وينال الارضية في الآراء . قلت . أرى الدول مهمة جداً بالنقض والابرام في المسائل الحالية ومع ذلك لا نرى للباب العالي شأنًا كبيراً في المحادثات المتبادلة بين الدول في أمور مختصة بالعثمانية أكثر من سواها . او ما حان لرجال الدولة ان ينهضوا من رقتهم ويبدلوا وسعهم في سبيل حفظ المملكة وتوابعها . قال لقد اخطأت ظناً فان مولانا الخليفة الاعظم مهم بمسائل مصر بذاته الكريمة ورجاله خير غافلين ايضاً وستحقق صدق قولي . ولو لم تكن مصر جزءاً من المملكة السنية لما حفظت حتى الان من مطامع انكثرتا او من مطامع سواها قبلها

وبعد ان تكلمنا في بعض مواضع سياسية ودعته وتصدت حضرة سفير فرنسا الميسو وادنكتون فدار الحديث بيننا على لائحة الاتفاق ثم انتقلنا الى البحث في اللائحة المالية التي كان استلامها حضرته في هذا النهار فقلت له . اظن ان المسألة المالية اشد اشكالاً من السياسية . قال ولا عجب فان الثانية تم رجال السياسة فقط واما الاولى فهم الجميع ولا يخفى ما لرجال المالية من القوة وهم لا يسألون الا على عزة الدرهم وزيادة الارباح دون الاكثراث بالنتائج السياسية .

سأته وهل يقرر المؤتمر التعديل . اجاب اني درست المالية المصرية كثيراً ومع ذلك ساستدعي الميسو دي بلينيار او الميسو ايرون ديرون او كليهما لاستشيرهما ويلوح لي ان هنالك ابواباً للاقتصاد فلا سبيل الى التعديل الا بعد النظر في الاولى

قلت له ' اذا تحملت انكثرا نفقات جيش الاحتلال وعدلت اسهم بوغاز
السويس وخففت رواتب كثير من موظفيها في مصر أمكن اقتصاد نحو
سبعمئة الف جنيه ومع هذا فلا بد من تعديل الضرائب وتخفيف ائثال
المزارعين ويحسن او يوجب ان تضمن فرنسا وانكثرا دين مصر بعد تعديله
وفي ذلك أجل واسطة واضمن وسيلة لمستقبل مصر ومصحة الدولتين
قال ان الممالة المالية دقيقة جداً بل اراها كثيرة العقبات ولكن على
المؤتمر ان يحلها. وبعد هذا تحدثنا في حقيقة مركز المستر غلادستون فقال لي
انه سينوز ومهما يكن فالمحافظون لا يسعهم ولو تغلبوا ان يتهجوا غير هذا
المهيج فقد تغيرت المسألة المصرية عما كان قبلاً فلا سبيل لتضحية مصلحة
اوربا عموماً وفرنسا خصوصاً

خطبة له في لندن في ٢٧ يونيو

{ محفل خطابة }

دعيت البارحة الى محفل خطابة في ناحية كولفيل جاردنس عند سيدة
من خواتين الانكليز المشهورات بسعة المعارف والاداب العصرية تدعى الخاتون
كارتر. فان هذه الخاتون تفتح ابواب منزلها مرة واحدة في كل شهر من
شهور الشتاء لعلماء قومها وادبائه فيجتمعون هنالك للخطابة ومطارحة الافكار
في اي موضوع كان. وكانت ليلة امس خاتمة ليالي الاجتماع في هذا المام
فاسعدني الحظ بحضور الحفلة ولما كمل عدد الحضور واستقروا في مجالسهم
وكانوا نحو ١٥٠ شخصاً وقف رئيس الحفلة وقدم للحضور رجلاً فاضلاً ساح

حديثاً في فلسطين واكتشف على اثار جديدة ثم سأله ان يلقي على الحضور مقالاً بهذا الخصوص فاجاب وتكلم طويلاً مبيناً فضل الاثار التي أحيت للمتأخرين تاريخ السالفين ودلت على تقدمهم في بعض العلوم والصنائع الى غير ذلك فضج له الحضور استحساناً ثم تلاه المستر رسام « وهو عربي الجنس » فالى خطاباً أيد فيه قول الخطيب الاول ثم ذكر الاثار التي اكتشف بنفسه عليها في نينوى يوم كان مصاحباً للمستر ليارد سفير انكلترا في الاستانة سابقاً ثم وقفت احدى الخواتين فقالت انها أقامت في القدس الشريف سنين متوالية مع زوجها الذي كان قنصلاً لانكلترا هناك وبعده القت خطاباً وجيزاً فيما شاهدته من جليل الاثار ثم تعاقبت الخطباء بتلاوة ما عن لهم ذكره الى ان وقف الدكتور هاريمان الذي خاض في موضوع سياسي جاء في خلاله بالعبارة الآتية

قال « ان المرء اذا شرب جرعة ماء من النيل شغف بمصر واذا غاب عنها فلا بد له من العود اليها وذلك دليل على ان مياه النيل سائغة لذيدة » فلما طرقت اذني هذا الحديث وقفت واستأذنت بالكلام باللجنة الفرنسية فاجابني الحضور بالاصغاء وكانت غالبيتهم تحسن الفرنسية فرفقت صوتي بالكلام شاكرًا اولاً ربة المنزل التي تكلمت بجعل منزلها محفلاً للاداب ثم عطفت على بيان المنافع العظيمة التي يمكن للنساء ان يقمن بها نحو الانسانية اذا كن مهذبات معلمات وانهن قادرات على اصلاح النوع الانساني وافساده اذ انهن الواضعات للبادي الاولى في عقول الاطفال فلي مبلغ تقدم النساء في أية مملكة كانت يتوقف تقدم الشعب . وانتقلت من هذا البحث الى القول بفضل الشعب الانكليزي الذي مع قلة عدده وبعد بلاده قد تمكن بفرط الاجتهاد

وملازمة الحزم والثبات واحكام السياسة من السيادة على ملايين عديدة من الناس في أنحاء شتى من المسكونة . ضجيج استحسان . ولا بد لي من مخاطبة سادتي الحضور بشيء عن حال مصر فان كثيرين منكم يتوقفون الى هذا الحديث فاني ما حلت بلادكم الا لاشغال تقتضيها خدمة هذا القطر العزيز . تصفيق استحسان . لا يخفى انه عندما ظهر عرابي بمظهره الاول ورأينا الانكاز متداخلين في كبح جماحه كنا متشكرين لهم جداً ونظنا كل امالنا بهم ثم بعد واقعة التل الكبير ودخولهم مصر لا بصفة فاتحين بل باسم الجناب العالي الخديوي نقبلناهم بالشكر واحللتناهم محل رفيعه . تصفيق

ولما انتهت الخصومات والقتال . قالوا انا سنحتل بلادكم وقتياً لتأييد الامن وتعزيز شأن الحكومة فسررنا بذلك وشكرناهم شكراً جزيلاً ولكن ما طال الزمن حتى ذهبت الاماني ادراج الرياح اذ عرفنا ان المواعيد عرقوبية وبينما كنا نطالع خطب زعماء الاحرار والمحافظين المشيرة الى عدم رغبتهم في تملك البلاد او حمايتها كنا نرى عمالهم بيننا يستبدون في امورنا ولا استبداد المماليك فخرىوا البلاد وجرحوا قلوب العباد والحاصل ان حالة مصر لم تبق خافية اجمالاً على احد من الناس . تصفيق مستطيل . وهما هم الآن رؤساء الاحزاب يطلبون هضم حقوقنا وضميمة بلادنا وقد داسوا قولهم الاول { مصر للمصريين } وتمسكوا باهداب المطامع خلافاً للوعد ونقضاً للعهد وما كناهم ذلك حتى تطاولوا الى التنديد بالمستر غلادستون وقد سلقوه بالسنة حداد لانه يريد احترام الرأي العام وتشيد اليهود والمواثق جرياً على الاصول المرعية وصوناً لشرف امته المتولي زمامها . ثم اخذت بيان المعاهدات الدولية وفسدت دعوى القائلين بحق الانكاز في مصر لانها طريق الهند واختمت

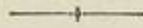
الخطاب قائلاً انا نشق وثوقاً تاماً بعدالة رئيس الوزارة الانكليزية واملنا شديد بالفوز بالاماني بعضد الرأي العام الانكليزي . تصفيق

فنهض احد الحضور وبعد ان شكر لي ما اظهرته من المبادي اخذ يعارضني فيما قلته مخلصاً بمصر والانكيز . فقال ان مصلحة انكثرا تضطرها الى البقاء في مصر نظراً الى وفرة مشاغلها في الهند الى غير ذلك مما تمزقت اذاننا من استماعه

فند ذلك وقتت وعارضته بجهر الصوت وقلت ان لانكثرا قوتين مهمتين سادت بهما سيادة عظيمة وبلنت شأواً عزيزاً وهاتان القوتان هما عمارتها البحرية وعدالتها في المدافعة عن حقوق السوى . وبالقوة الثانية كانت ناجحة في غالب الاحيان فلها بها فازت في حرب القرم وبها ايضاً لا بسفنها ارجعت الروس عن ابواب الاستانة . فاذا اخذت مصر الان فاية حجة واي اعتراض لكم على الروسية اذا تقدمت على الاستانة وبم تدفون النمسا عن سالونيك وبم توقفون مطامع الدول عن تخوم مستعمراتكم بل عن نفس المستعمرات . واذا دققتم البحث تجدون ان العدو الحقيقي الذي تلمزمكم مناظرته انما هو الروسية الواقعة لكم على ابواب افغانستان والهند في تلك الجهة ينبغي ان تضعوا عنايتكم وتصوبوا الى ذلك الجانب سياستكم وليس الى مصر التي كانت في جميع ظروفها واحوالها مخرصة لانكثرا المعززة النفوذ فيها وما زالت مصر تتترف بفضل انكثرا ووجوب ترجيح نفوذها على ما سواها من الدول ولكن لا تود ابدًا ان تكون في ملكية الانكيز او في كنف حمايتهم وقد تحملنا اثقال الاغلاط الغليظة التي ارتكبها عرابي ولكن لا نرى من العدل ان نتحمل ايضاً اغلاط الانكيز وسؤ تصرفهم في مصر فان المحافظين وبعض حزب الاحرار

يريدون اثقالنا بجميع ما حلّ بمصر من المساوىء والضربات لكي يتوصلوا الى
غاياتهم المنكرة . اه . تصفيق عمومي

وبعد الفراغ من الخطابة احاط بي كثيرون من الحضور وطلبوا الوقوف
على اسمي وكان في المحفل فريق من « كلوب الليبرال » فدعاني الى مجتمعه
في اليوم الثاني للمحادثة في المسألة المصرية فاجبت



وكان الفقيه قد نشر مقالة في البال مال غازت وصف بها سوء ادارة المستر كليفورد لويد
فقد هذا اقواله في التمس فرد عليه الفقيه بمقالة نشرتها الديبا في ٩ لوليو وهذا نصها

الى حضرة مدير جريدة الديبا

حضرة المدير — وضع المستر كليفورد لويد في جريدة التمس (ببددها
الصادر في ٣٠ يونيو سنة ١٨٤) مقالة تحمل فيها عليّ بالطعن الشديد وضمنها
الثناء على ادارته . ونشرت بال مال غازت في الوقت نفسه مقالة (للمستر
هورني) وتذيلاً لها موعبين من القذف في حتي ومفعمين من التعرضات
السيئة المقاصد . وقد نظمت بما استطعت رداً عليهما (التمس وبال مال) رقيق
الحشو لطيف التوجيه فأبت كل منهما عليّ ادراجه في صفحاتها بحجة اني
من يكرهون الانكيز كثيراً وقد لاح لي من خلال اعتذارهما ان ذلك ما
عليه القوم في انكترا من حسن المعاملة والعدالة في سياق المناقشات

علي أنني اؤمل ان لا يكون الامر كذلك في فرنسا فتفسحوا لي في
اعمدة جريدتكم محلاً لا لادافع عن نفسي — فتلك احاديث قل ان تهم —
بل لابرهن علي صحة الافكار التي بثتها في الاخبار عن نتائج الادارة

الانكليزية في مصر وأريد بها تلك الافكار التي اقامت قيامة الغضب عليّ حتى صرت لا اعبر لدى الصحف الانكليزية الا بمثابة شخص يخاف ضره ويخشى اذاه وما احراه بان يختم علي فيه ولو آل الامر الي بذل ما في الوسع بذله

أجل انه ليسهل ان يقيد لساني ويختم علي في ولكن نور الحقيقة لا يخفيه السكوت. ابي عليّ المستر كليفورد لويد حق التكلم بصفة مصري لاني ولدت في سوريا واكتنفت بالحماية الفرنسية ولكنني وان ولدت في سوريا او بالحري من اجل اني ولدت فيها فانا عثماني ومصر قسم من بلاد السلطنة العثمانية واقامتي فيها لم تحوّل جنسيتي لان الجنسية واحدة. واني اعدتني فيها (مصر) مقيماً في بلادي كمثل الوزراء الاتراك او الارمن الحاكمين فيها بل والعائلة المحمدية العلوية (المالكة) نفسها التي لم تكن مصر مسقط رأسها.

اما الحماية الفرنسية فلا اذكر الاحوال التي أتيح لي بها نيلها بل اقتصر على القول بانها يوم كانت فرنسا وانكلترا متحدتين على المناضلة عن حرية القطر المصري. وقد أقلت جريدتي لمغالاتها في الوطنية المصرية وألقيت في السجن واوشكت ان أنفي الى النيل الابيض (فيزوغي) لو لم ينقذني تداخل قنصلي انكلترا وفرنسا بالاتحاد معاً. ولقد أعلن لي وقتئذ المستر لاسيل قنصل انكلترا أسفه الشديد من ان نظامات فرنسا اباحت للسيوغودو قنصلها في ذلك الحين ان يخنصني بحماية اوربية. وكل الذين يعرفون الشرق - والمستر كليفورد لويد ليس ممن يعرفونه - يدركون ان الحماية الاوربية لا تعدم الشرقي جنسيته. ومثلي في مصر كثير من الباشوات وليس ما يمنع من ان

يعتبروا مصريين حقيقيين ويحولوا الخطط السامية والمناصب العليا في دوائر الحكومة

اما المستر كليفورد لويد فيجهل كل الجهل نظام الجنسية واحوال السياسة في البلاد الشرقية ولا يعرف باسم مصري الا اولئك الموظفين الانكليز الذين انما اكتسبوا الوطنية بما ربط لهم في ميزانية البلاد من المعاشات الفادحة وهؤلاء وان ولدوا في ايرلانده فقد تبدوا في ضفاف النيل وحيث ينالون او فر كسب فهناك وطهم والمستر كليفورد لويد تحصل في مصر على كسب جزيل المقدار وانا لا معاش لي ولا راتب هناك . والمستر الموما اليه أرسل الى مصر وله راتب قيمته الف جنيه في السنة واذنبت فيه روح الاصلاح ونما فرض لنفسه اكثر مما ذكرنا حتى بلغ المفروض نحواً من ثلاثة آلاف جنيه في السنة وظل محافظاً على هذا الكرم والجود والحنو والشفقة الى ان برح القطر . ومع كونه لم يجهل انه فصل من خدمة الحكومة المصرية لم يتأخر عن ان يقبض في حين ارتحاله راتب شهرين او ثلاثة اشهر تنتهي في غاية اغسطس تقريباً واضطرت الخزينة على ما هي عليه من النفاذ والفراغ ان قطرت له المبلغ نقطيراً

هذا هو الوجه الذي لاجله اقر بعجزي عن مقاومة المستر كليفورد لويد فهو مأجور لكي يتكلم باسم مصر وانا لا أنطق الا بما يحضني عليه ضميري وتحرضني عليه ذمتي ومحبتى لبلاد هي - مهما قالوا في شأنها - بلادي أقول - ولعلكم لا تجهلون داعية توجه المستر كليفورد لويد الى مصر فان اللورد دوفرين كان وضع لهذا القطر نظاماً شورياً ليؤلف على مقتضاه مجلس نواب تتخبرهم الامة ويكون لقرارته (المجلس) حكم قاطع نافذ الاجراء

في كل حال فانتدب المستر المذكور - كما تؤكد لدينا - ليم مشروع اللورد
دوفرين ويلاحظ انفاذه ولكنه لم يفعل بل كانت باكورة اعماله عندنا
الاعلان بجعل قرارات مجلس الشورى غير مقطوع بها بل محفوظاً فيها حق
الخيار للحكومة بين ان تقبلها او ترفضها واذ كان هو الحاكم بامرِه وزمام
الاعمال في قبضة يده فقد قصد بذلك ان يشيد صروح سطوته فوق
خرائب سطوة الامة. وليس هذا كل ما اجراه فانه لم يتجرأ ان ينتقض بدفة
واحدة كل ما انشاه ونظمه اللورد دوفرين

ومما يروى عنه ان الدكريتو الصادر بتنظيم مجلس النواب هو الذي
وضه وحرره وقد ورد في جملة نصوصه ان لا يثبت قانون دون
ان يقر عليه رأي المجلس فلم يمر من ذلك العهد اسبوع الا سنّ المستر
كليغورد لويد قانوناً للبوليس محجفاً نشأ عنه انتشار اللصوصية والسرقات في
كل ناحية وصوب ووضعه في عالم الاجراء دون ان يفكر برضه على
ذاك المجلس فاقام المجلس الحجة ونشرت الجريدتان الرسميتان حججه ولكنها
لم تجده الا تظاهر المستر كليغورد لويد بكونه المدو الالد المستر له في حين
وضع المستر غلادستون واللورد دوفرين معظم الرجاء والامل فيه (المجلس)
ولم يفتر يوماً واحداً عن ان يحقره ويدوس حقوقه

ولقد علم القريب والبعيد بالكيفية التي عامله بها ليكرهه على تقرير قانون
بلدية الاسكندرية اذ اوسعه اهانة وسباباً وخرج في اثناء الجدل قبل اختتام
الجلسة حانقاً كما لو كان سيداً هاجه الغيظ فاراد الانتقام من عبيده فرفع
المجلس الحجة ايضاً ونشرتها الجريدتان الرسميتان ولكنها لم تأت باكثر مما
اتت به الحجة الاولى

ذلك هو المنهج الذي انتهجه المستر لويد نحو المصريين الذين يزعم الان انه يتكلم باسمهم - يؤكد انه كان معضداً في ادارته بفتيان من المصريين فليأذن لي بان ارتاب في صحة قوله فاني لا أعرف من أولئك الفتیان الا واحداً اراد ان يعضده ولو فاءً الى الحق لقال انه لم يكن محاطاً الا بموظفين من الانكليز اما لكونه اخلق لهم مصالح رواتبها وافية او لكونه رقت الموظفين الوطنيين واستبدلهم بهم وليس من يجهل مقدار ما ثقل على الخزينة المصرية ذلك التجديد والبديل وكفى به انه احد الاسباب الداعية بنا الى المصاعب الحاضرة

والادارة الوطنية الوحيدة - خلا مجلس النواب - في مصر هي المحاكم الاهلية المؤلفة من بعض القضاة الاوربيين وعدد عظيم من الفتیان المصريين الاذكياء المهذبن وهذه الادارة قد اثار عليها المستر لويد حرباً عواناً فانه عرقل مناهجها وتهدها بالحل والمطالبات الرسمية بالمرصاد شاهدة على صحة ما أقول والمستر ماكسويل النائب العمومي عن الحضرة الخديوية لدى المحاكم الاهلية الحسن السلوك المحبوب كثيراً من المصريين قد اضطر ان يشكا من اعماله مراراً تارة للحكومة الانكليزية وطوراً للحكومة الخديوية وكثيراً ما تدخل المستر بارنج ليهدى المستر لويد الى الرشد والصواب ويمنع وقوع ما يشوش الافكار هذا هو النمط العجيب الغريب الذي عضد به المستر لويد المصريين وامانيهم وهو يزعم انه لسانهم

اما الاصلاحات التي يدعي انه اجراها فاليكم الشرح عما توازي قيمتها لدى من يقدر الامور قدرها

اكسد هذا المستر ان اللورد دوفرين هو الذي أبطل الضرب في مصر

فتلك غلطة (ولا اطلق عليها الا لفضة غلطة لانها اختيارية) من اغلاط عديدة لان الضرب أبطله الوزير المؤتلفة اليه قلوب المصريين رياض باشا على عهد المراقبة الانكليزية الفرنسية . ولا أقول انه أبطل مطلقاً فقد بقي له اثر في بعض الزوايا والاطراف من المديرات البعيدة على انه لم يعمل به قط في القاهرة وانما المستر كليفورد لويد اعاد العمل به اليها فقد كثر ما استخدمه تحت سطوته صديقه المستر شانك كروك مدير سجون القاهرة ومدير سجون الاسكندرية ولما اراد المستر ماكسويل ان يجري التحقيق على هذا المنكر عارضه المستر لويد وأفضى الامر بينهما الى تداخل المستر بارنج لفصل الخطاب ووضع حد للخلاف

هذا ولا بد ان تكون عواطف قراء التمس تحركت لدى مطالعتهم ذلك الشرح المستوجب الحنان والرحمة - الذي وضعه المستر كروك شانك واستخرجه المستر كليفورد لويد - بيد انه غير مستكمل وينقصه امر واحد هو تمثيل المستر كروك شانك يضرب بيده السجناء والمستر لويد يصدق على عمله رغماً عن ممانعة المستر ماكسويل المنفعل من عامل الظلم

ولا أقف عند هذا الحد دون ان أدون خبر إفراج المستر لويد عن السجناء بهيئة استبدادية جرأت الغير على ارتكاب الجرائم وهونت عليهم اقرار المحارم . زعم انه أبطل الاستبداد بوضعه قانون البوليس فساء ما زعم وهو في الحقيقة لم يبطل الا سطوة الحكومة لانه باعدامه سلطة المديرين وملاشاته نفوذهم خوّل مطلق السلطة الى رجال من البوليس جهال غشومين هدموا اركان النظام وقوضوا أسس الامن فصارت الحالة الى ما لم يسبق له مثل من قبل ولم يمر على مصر زمن جرى فيه القتل

والنهب واللصوصية بمثل ما جرى في هذا الحين ولا عجب في ذلك فانه امر طبيعي مدرك حدوته بعد اذ أطلق المستر لويد لا أقل من الف سجين بدعوى انهم مظلومون وجلهم محكوم عليهم قانونياً وآخرون لم يحاكموا بعد

ولكن على من يرجع الخطأ - اذا كانت المحاكم غير متقنة النظام فان عملها قليلون وان كانت موصوفة بالمطالة غير المحموده عواقبها فالتبعة على المستر كليفوردي لويد لكونه بذل جهده ليمنعها من العمل واحجج بأنه لم يجد دراهم ليخصصها لها في حين وجدها غزيرة ليجريها على اصدقائه واخصائه الذين جدد لهم المصالح من حيث لم يكن لها اثر

كل هذه الاجراءات التي أتيت على ذكرها اصبحت الان كئار على علم وهي تكفي لتبرهن على جبوط مساعي الانكاييز ونشرهم الفوضى في مصر . وقد قال المستر هورنبي احد اصدقاء لويد (بمقالة اذاعها في البال مال غازيت محامياً بها عن صديقه وموجهاً التنديد اليّ) ان هذه الفوضى - وهو يعترف بوجودها قطعاً - ناشئة عن كون الانكاييز لم يوجدوا وحدهم في مصر فهو قول خطأ محض لان الانكاييز من يوم دخل اللورد دوفرين مصر الى يومنا هذا قابضون على ازمة الاعمال المالية والادارية والعسكرية والسياسية وليس لهم سبب يتحلونه للشكوى من معارضة اجني او وطني لهم وقد امست ارادتهم في البلاد شرية مطلقة يجرى على حكمها . وسطوتهم تحاكي سطوة المالك او سطوة المغفور له محمد علي باشا وانما نتيجة ذلك كله كانت اخلل في كل عمل

ولا أدري ماذا يريد المستر هورنبي في قوله « ان الانكاييز ينبغي ان

يوجدوا وحدهم» فاذا عني به انه يجب طرد كل الاجانب من مصر ليخلو الجو
 للمعتمدين الانكليز ولا يبقى ازاؤهم الا اولئك المزارعون المساكين (الذين مرّ
 بهم ٤٠ جيلاً وهم تحت ربة العبودية) ولا محامي عنهم منهم فاستدرك عليه
 ان مصر ليست الهند. واذا اراد به انه يجب رفت الوطنيين وادلاء الوظائف
 كلها الى الانكليز فلا اظن حينئذ انه يمكن اجراء اقل اصلاح بل أوكد
 ان عدم الرضى يزداد وينمو ويجهر به اكثر مما في كل اوان واذا قصد به ما
 يخشاه المصريون من التسبب بخراب مصر لانتحال وسيلة لدى اوربا للاستيلاء
 عليها فهناك لا اقدر ان اصف سياسة قلة الاخلاص التي تفقد انكثرا ميل
 جميع الشعوب اليها بل تجعل جميع الشرقيين حائقين ضدها الى الابد

قضى المستر هورني بان ليس بين المصريين شخص واحد ذو ادارة .
 فهو حكم شديد القسوة ولو كلف هذا المستر نفسه بمطالعة الكتب الزرقاء
 لعرف منها ان المعتمدين الانكليز كثيراً ما امتدحوا اهلية كثيرين من رجال
 حكومتنا المصرية ان في السياسة او في الادارة وعندى ان الادنى من رجال
 مصر الاداريين أعلى من صديقه المستر كليفورد لويد ولدي ما يثبت
 ذلك بالبراهين

يوتج باشواتنا لتوظيفهم في دوائر الحكومة انسابهم واصدقاهم فلو فرضنا
 ان ذلك حقيقي وقابلنا بين عدد ورواتب هؤلاء الذين وظيفهم الباشوات من
 عهد المرحوم محمد علي باشا الى حين وصول اللورد دوفرين الى مصر وبين
 عدد ورواتب الذين نالوا بدون عناء وظائف بواسطة تعطفات المستر لويد وغيره
 من كبار المصالحين الانكليز بمدة سنتين لرأينا ان هؤلاء يفوقون اولئك عدداً
 وراتباً.

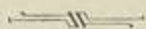
ولقد اوضح ان الدين الاسلامي غير مضاد لنشر المدنية (وهذه هي
 النقطة الوحيدة التي وافقه عليها) ثم أكد ان مسلمي مصر يكرهون
 الاتراك وانهم لو خيروا بان يحكمهم جلالة السلطان او امبراطورة الهند
 لاختار كلهم الاخيرة . فليختبر الانكليز الامر ولكن الاستمساك بمثل هذه
 المسنحيات سخرية بالعالم الانساني فلا خفاء ان الدين في الشرق هو كل
 شيء ومن اجل ذلك لا أشير على الانكليز بان يختبروا مسلمي الهند فيما
 يقترح المستر هرنبي ان يختبر به مسلمو مصر واني لفي يقين من انهم اذا
 فعلوا رأوا رعاياهم الهنديين يفضلون الحضرة السلطانية خليفة المؤمنين على
 امبراطورة الهند . وانه ليصعب جداً على المرء ان يشاهد رجال الانكليز يدعون
 بوقاحة انهم محبوبون في مصر وهم لم يجلبوا عليها الا الخراب والدمار دون
 ان ترتفع فرائضهم وخصوصاً اذ يراهم لا يثبتون هذه الدعوى في جرائد
 الا متخذين الاحتياطات اللازمة لمنع نشر الرد عليها وتنجيلهم ازاء جسارتهم
 التي لا يطاق احتمالها

والمصريون معدن الوداعة وعندهم الشعائر الذليلة والاحساسات الرفيعة
 نحو القليلين من الانكليز الذين يحسنون التصرف معهم او الذين لا يسيئون اليهم
 كالمستر ماكسويل النائب العمومي عن الحضرة الخديوية لدى المحاكم الاهلية
 والمستر فنسان المستشار المالي

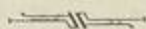
اما غالبية رجال الادارة من الانكليز فقد عاملوهم بالعسف والتحقير
 والفظاظة فنفرت عن انكترا قلوب المصريين ولا خفاء

ان القلوب اذا تنافر ودّها مثل الزجاجه كسرها لا يجبر

وهيات ان يطفأ لهيب غضب استكنَّ في الافئدة وسعيره يتلظى ويمتد
ولسانه يندلع



وفي يوم ٤ اغسطس اهدى اعيان مصر ونوابها الى سليم بك وبشاره بك تقلا الساعتين
الذهبيتين المكتوب عليهما شعائر وطنيه والكتابين الوارد نصهما بترجمة الفقيه في صدر هذا الكتاب
وذلك على اثر الجهاد العجيب الذي جاهده الفقيه في اوربا يومئذ تايدا لحقوق مصر
وفي يوم الاربعاء ٢ اغسطس صدر امر من توبار باشا مبنى على قرار من مجلس النظار بتعطيل
الاهرام شهر أوفقال مطبعته انتقاما من هذه الخطة وبعد مداولة استمرت ٣٢ يوماً اعتذر رئيس
النظار ومحافظ الاسكندرية بزيارة رسمية وكتاب رسمي الى قنصلية فرنسا عن ذلك العمل
الاستبدادي وفتحت ادارة الاهرام بحضور مندوبين من قبل الحكومة وكان ذلك لها فوزاً
جديداً عظيماً



سنة ١٨٨٥

قال في ٣١ اغسطس مشيراً الى طريقة حل المسألة السودانية

بحشنا امس في المسألة السودانية وقلنا انا سنبحث اليوم في الطريقة الفضلى
التي يحسن اتباعها لحلها فبعملنا بالوعد نقول

اشارت الحكومة الخديوية بتجريد حملة مصرية على دنقلة يعقد لواؤها
لرجل مصري فجاء ذلك منطبقاً على الرأي الذي بثناه من منذ سنة ولا

غرو فان تجريد هذه الحملة يقرب مصر من الخراطوم نقطة الفتنة المركزية
ويمهد السبيل الى حسم النازلة

الا انه اذا تقرر امر ارسال الحملة اليوم فيقتضى لانفاذه نحو ثلاثة
شهور فيجب والحالة هذه التعجل في تقريره قبل فوات الفرصة
اما القوة المطاوعة فيمكن جمعها فوراً اذ لمصر في الحدود نحو اربعة
آلاف جندي ولديها عدد من حامية دنقلة (التي قدم منها قسم الى مصر
وسيقدم القسم الآخر قريباً) فيمكنها ان تتي منها نحو الني جندي وهكذا
يسهل جمع عشرة آلاف جندي

واما الدرهم فلا يعز علينا وجوده فان لنا من القرض الجديد مليون
جنيه على ان التجريفة العثمانية تكلف اكثر من التجريفة المصرية وان
قرّ القرار على إرسالها فستكون نفقاتها على الخزينة المصرية
فيستنتج اذن ان القوة والدرهم غير بعيدين عنا متى صفت منا النية
وحسنت الادارة

وغير خاف ان في المسألة السودانية عاملين محركان الفتنة أولهما المبدأ
الديني وثانيهما الميل الى شن الغارة وحب الاستقلال فاذا تحقق موت المهدي
ايقنا بزوال العامل الثاني واضمحلاله اذ ان غالبية قبائل السودان مضافة لزعماء
الثورة وليس ثمت ما يدعو الى شن الغارة

وحيث ان تسيير الجيش مستحيل في الحال فيحسن بنا ان نقتنم الفرصة
لمقاومة المبادئ المذهبية بالاصول الدينية مضافة الى السياسة والقوة وذلك بان
ترسل الحكومة منشوراً الى جميع زعماء القبائل (وخصوصاً القبائل المتذبذبة
او التي مالت الى المهديين كرهاً وهي في الباطن ميالة الى الخضوع للجناب

الخديوي المعظم) مبنياً على النصوص الدينية باستخارة حضرة العلماء والاشراف وارباب الاشاير موقفاً عليه من رجل عرف السودان وترك فيها الاثار المحموده باسم سمو الجناب الخديوي المعظم نائب جلالة الخليفة امير المؤمنين الاعظم متضمناً المقابلة بين حالي السودان قبل ظهور المهدي وبعده وتعداد المصائب والرزايا التي نجمت عن الثورة مبيناً فيه كيف ان المهدي دمر المنازل وارق الدماء وسبى الاعراض وخرّب البلاد وشتت سكانها الامناء ايدي سبا مختماً بما مفاده « ان المسلمين عموماً والعلماء والاشراف منهم خصوصاً قد اجمع رأيهم على حسم النازلة السودانية ونوط هذه المهمة بفلان الذاهب اليهم بامر الجناب الخديوي نائب امير المؤمنين الاعظم »

هذه هي القوة الدينية التي تفند مزاعم الثائرين وتدحض مدعياتهم الدينية اما القوة السياسية فتتخصر في اهلية الرجل المنتخب للقيام بهذه المهمة اذ بحكمته ودربته ودرايته يمكنه ان يحقق الاماني واما القوة الحسية فهي تعزيز المأمور المصري بعدد من الجنود المصريين لا يقل عن عشرة الآف كما تقدم والاسراع بجمعها لتكون مصاحبة له وفي ذلك خدمة لمصر والدين الاسلامي ورفعة شأن المسلمين

وكتب في ١٠ ستمبر عن الغاء السخرة

من قلب صحف التاريخ مراجعاً وثق بان الغربي لم يتخذ في مراقبته الشرقي سبباً يتوكأ عليه للتداخل في شؤونه الا احتجاجه بكون الفثة

الفقيرة الشرقية تسام الخسف من الفئة الغنية بمساعدة الحكام . ولم تشب
 لظي حرب شرقية مع غربي الا كانت مبنية على دعوى الاجنبي المحاماة عن
 الفئة الفقيرة وبهذا السبب عينه قام التداخل الاوربي بمصر ولم تبرح بريطانيا
 متمسكة به وحسبنا ما كان منها في مسألة الكرياج والجبوس حتى امسى
 اللص شديد الميل الى ملازمة المحابس اذ يرى فيها ما لا يراه في بيته من
 جودة المأكل ونظافة المقام

اجل ان هذا السبب كان الباعث على التداخل الاوربي في كل مسألة
 شرقية واخصها مسألة مصر مع انكثرا ولم يفتنا ان مصر لما سألت اوربا
 تخفيض معدل الديون ابت عليها ذلك مستندة باباءها على ان الذين يدفعون
 الحكومة الى هذا السؤال انما هم ارباب الفئة الغنية اصحاب الاطيان . نتج
 من ذلك ان كل مسألة تتعلق بالعامه لا بد من انفاذها وقد حفظت اوربا
 هذا المبدأ مع المشرق فمن العبث المعارضة فيه

ولعل القاري لا ينسى ما اتاه الجناب العالي يوم تولى الاريكة الخديوية
 من الاعمال الشريفة اذ اصدر امره الكريم بالغاء عوائد عديدة كانت ثقيلة
 الحمل على كواهل الفئة الفقيرة وما كان لذلك من الوقع الحسن لدى الجميع
 واني لم افتتح هذا البسط الا تمهيداً للقول بالغاء العونة فهو خير اصلاح
 تاتيه مصر في ظل سمو اميرها كيف لا وهو خدمة انسانية يتطلبها العدل
 ويقضي بالنظر في الذرائع الموصلة الى القيام بها وذلك ما اردنا شرحه في
 هذه المقالة

والذي ارى ان السخرة نكبة على الانسانية فالغاؤها واجب ولا عبرة بما
 يقوله بعضهم من ان مصر لا تقوى على الغائها اذ لو تذكروا ان السخرة كانت

جارية في اوربا بكثرة ثم ألغيت تماماً وان عدد الذين كانوا يستخدمون للسخرة في مصر قبلاً يبلغ اربعة اضعاف عددهم الحالي ومع هذا وذلك لم تتوقف الاشغال في الجهتين حين قالوا بان لا غنالمصر عن السخرة . واما اعتراضهم على فساد العمل فان حسن الادارة يكفل الضبط والربط مهما كانت الموانع

وان لنا بالغاء السخرة تخفيفاً مهماً عن الفقراء تلقاء ما يتحملونه من التعب وانفاق الدرهم لمرضاة هذا الكاتب وذاك المهندس وذلك الشيخ فضلاً عن استخدام المشايخ ايام بالسخرة في اراضيهم . ولا خفاء ان التمسك بعدم الغاء العونة يدفع الاوريين الى سوء الظن بنا فيقولون ان ذوات مصر ونواب البلاد لم يأنفوا من الغائها الا رعاية لمصلحتهم الخاصة لانهم اصحاب اطيان واسعة

وبناء على ما ذكر نرى ان الحكومة مصيبة في ما ارتأت اللهم اذا تمكنت من نيل تصديق الدول على لائحتها ولكن اذا عارضتها اوربا في ذلك ولم تشاء الا استخدام المبلغ المذكور لتخفيف الضرائب ولكن عن الاطيان القليلة الانتاج التي اصحابها فقراء

واذ قد نقرر بالبرهان ان الغاء السخرة واجب وان ليس في ميزانية الحكومة مبلغ يخصص لذلك بعد صرف المبلغ المخصص لتخفيف الضرائب اقتضي ان تضرب على الاطيان اموال يكتفي مجموعها لالغاء العونة . واذا اعترض بعضهم على ذلك بكون اموال الاطيان ثقيلة فلا تتحمل زيادة وارتأى بان تكون الضريبة على الاشخاص اجبنا ان الاشخاص لا يتنعمون انتفاع ارباب الاطيان فان الري خدمتهم ولذا لا يحسن عدلاً ان نقضي عليهم بعمل

تصيب فائدته سواهم بل يحسن ان تلقى الضريبة على الاطيان بالانصاف
وسايفض في هذا الموضوع برسالة أخرى



وقال في ٣٠ أكتوبر حين وصول السير درومند وولف الى مصر مرسلأ لحل
المسألة المصرية بالاتفاق مع دولة الغازي مختار باشا

وصل السير وولف الى مصر يحمل صورة الوفاق العثماني الانكليزي
المقصود به تحقيق الاصلاحات المنوية الممهدة سبل الجلاء عن مصر بناء
على ما يرجوه العثمانيون وتوصلاً الى تحقيق ما يقوله الانكليز في منابر الخطابة
وصحف الاخبار

ومن البين ان انكلترا لم تقصر الى الان في تفحص المسائل المصرية
ولكن المتفحصين قصروا في واجباتهم اذ احتقروا الغير وعملوا على انفاذ ما ربههم
فتعذر عليهم نيل ما سألوا وكان من وراء ذلك ان نفرت مصر واوروبا
منهم وطلبت الثانية وجوب احترام حقوقها والمحافظة على المواثيق الدولية فلم
يسعهم الا القبول بطلبها وكان لنا من الوفاق المالي برهان صريح على ذلك

أجل ان رسل انكلترا لم يختم عملهم بالنجاح لانهم اشتغلوا بمصلحة بلادهم
فقط فلم تظهر نتيجة تذكر لاعمال اللوردين دوفرين ونرثبروك . اما الان وقد
اتانا السير وولف فاعين الجمهور تحديق به فاذا وجه وجه عنيته الى خدمة
مصلحة بلاده فقط تحت ستر التظاهر باصلاح شؤون مصر واحترام السيادة
العثمانية فسدت النتيجة جالاً والعكس بالعكس فنجاحه ' إذن متوقف على اخلاص
نيته ونية حكومته لان اصلاح شؤون مصر سهل على شريطة ان لا يستخدم

لغايات أخرى . ولا مرء ان الشعب المصري بدأ منذ الان بمراقبة اعمال
المندوب الانكليزي وكذا الرأي العام الاجنبي وهو ينظر الى الافعال لا الى الاقوال

وقال في ١٦ نوفمبر في نص الوفاق الذي عرضه السير وولف

وقفت على شذرات من الوفاق الانكليزي العثماني فبعثت بها اليكم
واسترسلت منها الى الكلام في جوهره وملخصه فجاء طبقاً لما نشرتموه عن
التمس ونقلتموه عن مكاتيبها في عواصم اوربا . ثم قد ساعدني الحظ اليوم
فاستحصلت على بنوده باسرها فتلوتها واحدة واحدة فرأيتها منطبقة على ما
لخصتموه منها في عدد يوم السبت . ولا يخفى على القارئ ان اهمية الوفاق
المذكور محصورة في ثلاثة أمور اولها ان الجناب الخديوي والمندوب العثماني
يريان في حسم النازلة السودانية ولكن يجب تصديق المندوب الانكليزي على
ما يقرارنه . وثانيها ان ينظر المندوبان بالاتفاق مع الجناب العالي او المندوب
المصري في تنظيم احوال الادارات وترتيب شؤونها . وثالثها ان يرفع المندوبان
العثماني والانكليزي تقريراً وافياً الى حكومتيهما بعد ان تحصل تخوم مصر
على الامان والسلام وتأيد حكومتها تأييداً حقيقياً وعندئذ ترى الدولتان في
ابرام وفاق يخوي على شروط الانجلاء وكيفيته

فاذا تأملنا في جوهر هذا الوفاق وجدناه دالاً على مهارة السير وولف
لكونه مفيداً لدولته اكثر من افادته لنا لعله ان ما يمكن تنظيمه لا يعتبر ما
لم يصدق هو عليه . ولقد ساءنا من ذلك ان أسقطوا من نص هذا الوفاق
ما كنا علمنا به قبلاً عما يتعلق بتنظيم الجيش بان يؤتى بالفي جندي عثماني مع

ضباط من ضباط السلطنة ليندمجوا في سلك الجيش المصري . فهذا الشرط مع كونه اضمن جميع الشروط لمصلحة السلطنة قد حوروه لاسباب واهنة قيل ان في جملتها الخوف من اولئك الجنود العثمانيين الذين يدخلون في سلك الجندية المصرية يبشون في التركية روحاً ثورية لانهم يستوفون من مصر رواتبهم تامة في اوقاتها خلافاً لما كانوا يعاملون به في الجندية التركية . وعندنا ان كل ذلك لا يعول عليه وان تحوير هذا البند كان مضرآ جداً

واهم ما في الوفاق المذكور اعتراف دولتنا باحتلال انكلترا مصر حتى تنظم احوالها . فهذا الشرط دقيق وله توجيهات عدة لا تخفى على المدقق ولكننا مع اقرارنا بارجحية فائدة هذا الوفاق لانكلترا اكثر منها لنا لا نياس من ادراك المرام ومرجوننا ان يحقق دولتلو المختار امالنا فيذهب بنا من بحر الخوف الى ساحل الرجاء ويرينا للوفاق المذكور فائدة تذكر فتشكر وليس ذلك على همة دولته بعزير



وكتب في ٧ دسمبر حين احتلت ايطاليا مصوع وفيه اشارة غريبة الى ما وقع بعد ذلك من الحرب بين الحبشة وايطاليا

اهم اخبار اليوم ما اتته ايطاليا من إنزالها الراية المصرية في مصوع وإجبار حاميتها على الجلاء واحتلالها المدينة مدياً بعد اذ كانت احتلتها عسكرياً فعجبنا لاندفاع هذه الدولة على نقض المعاهدات ونبد الحقوق والمواثيق على علمها بان مصوع جزء من مصر وبالتالي عضو من المملكة العثمانية فباي حق ساغ لها ذلك وبأي دستور تجرأت عليه الا بقولها ان القوة قبل الحق

وهو قول تعتر به كل دولة حاضرة بعد فقد الموازنة الاوربية ثم لم نعجب
 لعلمنا بان ايطاليا لم تذهب الى مصوع الا لهذا او لمثله فقامت تتربص لنفسها
 نهزة العمل حتى رأت اوربا والدولة العلية في شاغل في البلقان وانكلترا في
 اعثكاف على الانتخابات فاغنمتها غنيمة باردة ولكن على غير خبرة او سياسة
 وهو شأن كل ضعيف طموع اذا ربح ما يوازي ذرة استكبر وعنا ولعله لا
 تنال من هذا الربح القليل الا خسائر باهظة

ولقد احتفظ حكومتنا الخديوية هذا النبا المرسل اليها من محافظ مصوع
 بطريق سواكن فاجتمع حضرات النظار عند الجناب المالي وتفاوضوا في
 شأن هذا الامر فقررروا اقامة الحججة ثم ابلاغ الجناب السلطاني بالواقع وعلمت
 ان قد كتب الجناب العالي للذات الشاهانية بمنصل الخبر ومجمله

اما الباب العالي فلا نراه مستعداً لمناوأة ايطاليا في الحال ولا نعلم ما
 سيكون منه دون اقامة الحججة واما اوربا فامامها شغل شاغل اهم من نقطة
 مصوع فلم يبق علينا الا ان نرى ما ستجريه ايطاليا فنقول
 غر هذه الدولة التورور والطمع فامت مصوع لاقامة مستعمرة فسيحة
 الجوانب مخصبة الارض وخيل لها ان مجرد احتلالها مصوع يتيحها هذا
 المرغوب ولم نزل نذكر من لفظ جرائدها وخطب وزرائها ما يكون برهاناً
 على كلامنا مما عارضناه في حينه بحجة ان منبة الامر سيئة من كل وجه
 ثم لم يمض بضعة اشهر حتى رأينا ارواح العساكر تتطير الى ربها زرافات
 لرداة الهواء والحامية تقاوم فيما بين ذلك الاهوية ونفور القبائل القريبة حتى
 هاج الرأي العام الايطالي فطلب اذ ذلك عزل السنيور مانشيني وزير الخارجية

فعلز وكان هذا اول نتائج البعثة الافريقية والله اعلم بما ستكون نتيجة العمل
الاخير ولعلها ستأتي اسوأ من الاولى واليك البرهان

قلنا ان ايطاليا قصدت بذلك غنيمة باردة فوقت منها على بلية عظيمة
ولقد تسترت قليلاً بالسلطة المصرية فكنت بذلك أيدي الحبشة والعربان
المجاورة حتى برح الخفاء فاضحوا امامها لا يمنعمهم عن الانتقام مانع ولا سيما
ملك الحبشة وقد مزق سواه تلك العهدة المشهورة فلسنا نراه يرضى بوجود
دولة عظيمة تقبض على مفاتيح بلاده وتحمي فرضتها الوحيدة بل لا
نستغرب اتحاده بالعربان لمقاومة ايطاليا ومن ثم تقوم في وجهها الصعوبات
وتتشعب العقبات فلا تكون هنالك اقل ارتباكاً من انكثرا في السودان وفرنسا
في التونكين على علمنا بانهما اقدر منها على تحمل المشاق والنفقات لاقتهما اياها
دون ايطاليا

سنة ١٨٨٦

قال في ٧ دسمبر عن سياسة انكثرا في ارلنده وهو احكم ما يقال في هذا المعنى ولا
ترال الحوادث الى الان تؤيد صحة رأيه فيها

أخذت مسألة ايرلاندا الاهمية الاولى في سياسة انكثرا وانبرى الحزبان
الى العمل فيها واخذت الحكومة في استعمال الحزم وقد تضطر الى استخدام
القانون الاكراهي ولا بدع ان يكون نواب ايرلاندا عاملين على تحقيق ذلك
لتأكدهم ان الاكراه يستلزم فتح ابواب المسألة الايرلندية فيقع الخلاف حتى

في حزب المحافظين ويرجع المنشقون من الاحرار الى ظل غلاستون وتساوى
قوة الاحزاب فيستحيل سير اية حكومة كانت حتى لا تبقى ندحة عندئذ
عن حل البرلمان وقد لا تكون نتيجة الانتخابات باحسن من النتيجة الحالية
وهي مسألة دقيقة لا ينال منها احد الحزبين اقل فائدة

ولا نرى لانكلترا غنى عن حسم النازلة الايرلندية ونظن ان حسمها
يجعل بريطانيا في مركز سياسي أقوى من مركزها هذا ولا سيما في سياستها
الخارجية فان تغير الحكومات او ضعف احدانا وعلى الخصوص في بلاد
كانكلترا وفرنسا يجري فيها الدستور النيابي مما يفقد تلك الحكومة كثيراً من
شوكتها ونفوذها في الاعمال الخارجية وهو ما ينادى كثيراً في رسائلنا وبودنا
ان تسعى الدولتان في حسم مشاكلهما وتناقدا على تأييد السلام فانه مما يجب
لشرقنا خير الفوائد



وقال في ١٠ فبراير عن المسألة البلقانية ابان اشتدادها على اثر حرب البلقان والسرب

لا تزال اخبار المسألة البلقانية شغلاً شاعراً لافكارنا وخوفاً مستمراً لقلوبنا
من تحقيق الطور الذي تكلمنا عنه من قبل فان سياسة الدول في مسائل
الشرق لم توجه قط لمصالح شعوبه بل لمصالحهم الخاصة وهو امر متتابع لم
يعرف رجال الشرق ان يستفيدوا منه بل نرى انفسنا يؤدي بنا الضعف الى
الاستمساك باسباب واهنة نتوهم بها العوض عما فات ثم تأتي النتيجة على
عكس امالنا تماماً كما رأينا في مسألة الروملي الاخيرة

ولقد ظن رجال السلطنة ان فض المشكلة مع الامير اسكندر تبعاً لما
 نقول انكثرا يكون فيه خدمة صادقة للدولة العلية لوضعه حاجزاً حصيناً دون
 اطماع الروسية ولكن فآهم ان هذه الدولة تدرك ما ادركناه فلا ترضى بما
 نقول وهي أقدر من سواها على الانتقام ويؤكد كثير من المدققين ان
 الروسية قد نزعت في سياستها اخيراً منزعاً جديداً لم يكن الا لنكايه انكثرا
 وان ما من حيلة لتدارك الاضطراب وملافاة الخطب الا اذا عني الشيخ
 الناضل غلادستون بذلك لما بينه وبين رجال الروسية من حسن الصلات
 فان لم يفعل فلا ينحصر خوفنا في فتح ابواب المسألة الشرقية فقط بل من
 فتح مسألة افغانستان ايضاً

وان اباء الروسية إرسال سفنها الى حيث سفن الدول برهان متين
 يؤيد ما قلناه وانا لا نزال نقول انه متى مالت الروسية عن سيرتها المخلصة
 في سياستها الشرقية كالتى كانت في بدء مسألة الرومي فهناك نخشى من الحرب
 الدامية او من زيادة الارتباك الى حد تعجز معه الوسائط السلمية والتظاهرات
 الدولية



وكتب في ١٥ فبراير عما آلت اليه بعثة السير درومند وولف

كلما اجلنا النظر في مطالعات بعثة السير وولف الرسمية تبينا فيها
 أموراً جديدة تنقبض لها القلوب وتيأس منها النفس كيف لا وقد اعلن السير
 وولف لمندوبي الدولة العلية ان احب شيء لانكثرا الجلاء عن مصر على
 شرط ان يستعاض عن جيشها بجيش عثماني ثم لكي يسهل الامر قال انه

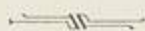
كلما اتت فرقة عثمانية تنجلي لها فرقة انكليزية وهكذا حتى يستبدل جميع الجيش غير ان العثمانية اُبت ذلك بحجج اشبه بحجج يوم الثورة العراقية التي كان من عاقبتها ان دخلت الجنود الانكليزية الى مصر والله اعلم بما سيكون من نتائج هذه الحجج الاخيرة

وقد ادعى لذلك مرخص العثمانية ان ارسال جيش الان من المستصعبات لاضطرار الدولة بعده الى جمع غيره وهو مستحيل في الحان غير انه قد يمكن التحصل على جيش متطوع ولكننا لا نجزم بذلك لما يحول دون جمعه من الصعوبات. تلك هي الاسباب الظاهرة التي اعلمها المندوبون العثمانيون والله اعلم بالسراير على انها كيف كانت فلا تخرج عن دائرة اللوم

واعجب من ذلك اننا نرى اليوم الدولة العلية تحمل اثقال المصاريف مع فراغ خزينتها لمنع فقدان قيد باع من ارض هي من اشد اراضيها جدباً فكيف تسنى لها جمع جيش كثيف لحفظ تلك الارض وتبذر عليها تامين قسم منه لمسألة مصر التي هي اهم المسائل وكفى ان مصر هي قاب مملكتها وبأي لسان تلوم الانكليز وهي المسبية لهم اطالة مدة احتلالهم فضلاً عن العلل السابقة واللاحقة. انا لله وانا اليه راجعون

او لسنا نعلم ان قوة الانكليز في قطرنا قائمة بالسيف فقط وهو ما خولهم مركزاً عظيماً تجاه اوربا القادرة وحقوقها الثابتة ألم يكن ذلك اولى بالدولة العلية ام لا يدري رجال السلطنة ان هذه السياسة مما يضيف قلوب العثمانيين في كل انحاء المملكة اذ يرون ان ما كان سبباً لهبوط نفوذ المملكة العثمانية في مصر ممكن في غيرها من الجيات وهي حالة لم يكن في ودنا ان نعلمها ولكن ابت تقاليد الانكليز الا ان تكشف الخبآت وانا لا ننكر فضل

الدستور الانكليزي فبمطالعتِه الرسمية من جهة وخطب ووزرائِه من جهة
اخرى يقف العموم على ما هنالك من السياسة وان يكن يخفى بعضها وبعض
العلم خير من الجهل



وكتب في ١٦ ابريل عن الدول البلقانية ما لا يزال ينطبق على حالها الى اليوم لصحة
الحكم فيه

اذا تفحصنا حالة الشعوب البلقانية وراجعنا حوادث كل مملكة وامارة
منها قبل الحرب العثمانية الروسية الاخيرة وبعدها بان لنا بجلاء انها كلها انما
سعت وتسمى الى غاية واحدة هي الاستقلال وما وسائطها الا الاعنضاد بهذه
الدولة او تلك المملكة بحسب اختلاف الظروف

ففي بادئ الرأي كانت رومانيا آلة صماء في يد الروسية واليونانية
قبلها وسربيا بعدها ولم يكن للدول ما خلا الروسية نفوذ في شبه جزيرة
البلقان ولبثت الحالة على هذا النمط حتى استقلت رومانيا وسربيا واليونانية
فاخذت كل منها تتزلف الى دولة اخرى لا عن ميل قويم بل للتخلص من
الروسية وللحصول على الاستقلال القملي وعلى هذا الطريق سلكت بلغاريا
اخيراً فجاء ذلك مصداقاً لما اثبتته الكتاب العظام من ان المنصر الحي لا تقوى
الحوادث على اماتته بل على اضعافه ولكن متى سنحت له الفرصة نشط
الى العمل فنال ما يرغب فيه

وبناء على ما بسطناه يعلم ان لا بد لهذه الشعوب من ان تتفق على مبادئ
واحدة لتؤيد استقلالها وتمنع اي تداخل اجنبي على وجه لا يوجب تعرض

الواحدة للآخرى . ومن هذا القبيل ما جرى في الايام الاخيرة فان اوستريا كانت تود ابتلاع سربيا لو لم ترّ الروسية بالمرصاد لها وهذه كانت تود ذلك لولا خوفها من النزوع الى اعلان حرب ضد اوستريا بل ضد السياسة العامة التي تميل الى تأييد السلام وخصوصاً سياسة الدول الشمالية فاضطرت اوستريا والحالة هذه ان تسهل لشعوب البلقان تأييد استقلالهم لتحول بذلك دون اطماع الروسية

اما الروسية فانها وان تكن مصاحبتها تضطرها الى اطراد سياستها الحالية في البلقان توصلاً الى ماتنويه في المسألة الشرقية فالحالة الاخيرة تقضي عليها بقبول ما ترسمه الحوادث حتى تتأيد مبادئ البلقان الاستقلالية وتدخل المسألة الشرقية في طور جديد . ولاجل ذلك حوات وجهها الى اعمال آسيا اذ ليس لها ثم مزاحم بخلاف البلقان . وبعد ان كنا نحشى الروسية وسواها من الدول العظمى في الجبال البلقانية أمنا منها نوعاً وأمست النوبة فيها لشعوب البلقان انفسهم

ولقد ظن بعض الكتاب ان في الامكان توحيد الامارات البلقانية وجعلها تحت حماية الروسية او المانيا او الدولة العلية ولكن ظر للمدققين ان ذلك كان ممكناً قبل الحرب الاخيرة اما الان فتمتذر مطلقاً وان لا بد من توحيد هذه الامارات ولكن دون خضوعها لحماية دولة ما كما ظن هؤلاء الكتاب بل ستكون هذه الوحدة ضد اطماع اية دولة اوربية رامت شراً في شعوب البلقان ومن يعش ير

وقال في ١٩ جونيو عن الحرب السلمية ما ثبتت حقائقه على كروور الايام واصبح محور
الدول الراقية في سياستها

لو نظرنا في احوالنا العمومية نظرة متمعن لحكمتنا على النور باننا في حرب
دائمة ثم لو بحثنا في اسباب هذه الحرب لوجدناها محصورة في الطمع بالكسب
وهي على نوعين حرب سلاح وحرب سلام فتختص الاولى بطلب الانتقام
وافتحاح البلاد حيث تسيل النفوس على ظبي السيوف وشبا الاسنة فتقف حركة
الاعمال اي وقوف وتبور سوق التجارة اي بوار الا ان ذلك لا يتمادى امره
طويلاً حتى تعود الاعمال الى مجراها فيمتاض الخاسرون ما خسروه وهم
جرّاً الى اصلاح كل ما فسد كما لا يخفى

اما حرب السلام فاشد نكاية واعظم ضرراً لطولها المتناهي بحيث يطرد
مثيرها امرها طويلاً فان نجح اضر بكثيرين وسبب دماراً للعمل ولمن
يحاربونه فيه وعلى ذلك فهي مع تراخي المدة وطول العهد اشد ضرراً من
الاولى من حيث المادة وان يكن وجه الشبه بينهما قريباً اذ لا يفوز صاحب
حرب السلام ما لم يكن له من النفوذ ما يسهل له اسباب الفوز ومن
دون الوصول الى ذلك النفوذ حرب عوان تثير فيها الخيل غباراً ياخذ باطراف
العنان وسيوف حداد تحاك لها اغماد من دماء الفرسان وصرف اموال طائلة
كان العمران أحق بها من اسباب قتل الانسان

فلو اخذنا سياسة الروسية وحروبها وجدناها كلها لا تعدو سنك الدماء
ثم اذا نظرنا الى مركزها بعد ذلك لم نجد فيه ما يوازي الدم الذي صرف
في سيدل نيله ولا المال الذي اتفق في طريق الوصول اليه ولا سيما بعد
عرفاننا النتيجة

ولقد وضعت حرب السبعين المانيا في مكانة فوق الحسبان وعرف بسمارك
فضل ذلك فاستخدمه لغاياته فكان هو صاحب حرب السلام فتابع سيرته
فيه حتى نجح نجاحاً بيناً في أكثر من جهة كما هو معلوم ثم انصرفت انظار
المانيا اليوم الى تدير حرب السلام في جهات المشرق كما ترى

وقد علم بسمارك ان الحرب مضرّة بمبادئه كيف كان مبدأها فعمل في
منعها بدعوى انه يوطد السلام فنجح غير مرة . ثم حوّل انظاره الى
جهات المشرق ورمى ببصره الى ما يمنع حدوث الحرب فجاز بالرغم عن
الحوادث وما غايته في كل ذلك الا توطيد سلطته الادبية في ممالك البلقان
والمملكة العثمانية واوستريا نصيرة له في كل تلك المطامح حتى اذا تأيد له
ذلك عمد الى تسهيل الرواج لمصنوعات بلاده في تلك الانحاء وعمل على
انتشار مبادئه الاقتصادية الى ما يروج بضاعته الالمانية ويعود عليها بالارباح
الكثيرة ويحصر ذلك في مصلحة مملكته فضلاً عما يكتسبه من
هذا الامر من اضعاف نفوذ كل دولة غير دولته وتأيد سلطته الاولى
في العالم السياسي ومنع ما يحدث من مهددات السلام وفضلاً عن الارباح
التي تنالها مصنوعات المانيا . تلك هي سياسة بسمارك في المشرق فهو فيها
كغيره من رجال السياسة لا يصنع امراً ما لم يكن فيه على ثقة من الفائدة
لوحدة مملكته ومصصلحة امته

ومعلوم ان اوستريا على اتفاق معه في ذلك وله من ايطاليا بعض المضد
ومثله من انكلترا كما يرى اصحاب السياسة ثم اذا صرفنا البحث الى اسباب
الغنى والثروة في انكلترا وجدناها نتيجة هذه السياسة ايضاً فلها قد عملت على
تأييد السلام الاوربي واستخدمته بما لها من النفوذ في تأييد مبادئها الاقتصادية

حتى انحصرت التجارة في أيدي ابنائها وليست مقاصد بسمرك هذه بخافية
 عن رجال الانكليز ولا أظن مصلحتهم تخولهم اسعافه الا مراعاة للاحوال
 الحاضرة حتى اذا سئحت لهم فرصة لمعارضته قاموا اليها فاغتموها وهو ليس
 بالامر الحديث في سياسة انكترا

ذلك ما رأينا ان نيينه للقراء من دواعي سياسة بسمرك ولستنا نظن الاسباب التي
 تمنع انكترا اليوم عن معاكستها ستدوم بل نحن على يقين من انها ستحول مع الزمن
 الزمن الى مصلحتها الخاصة . اما اوستريا فهي وان يكن لها من سياسة المانيا بعض
 الربح فلا بد لها من الجري على هذه الخطة يوماً واما ايطاليا فهي وان لاح لها انها لم
 تستمد من الزلفي الى المانيا شيئاً فلا تقدر على معارضتها بل تلتزم الصبر على
 مجامرها لعلها تصدق معها مرة واما فرنسا فهي دولة لا نفوذ لبضاعتها في
 جانب تجارة المانيا لشدة البخس في اثمانها وعلى ذلك فقد كان السلام احب
 اليها فلزمت جانب المراقبة والترصد فلا تغفل عن الفرصة عند حلولها

ولكن الروسية لا تقبل بذلك فلا بد من ان تعمل على تعديل هذه
 السياسة اذ يسؤها جداً بعد حروبها الجمة ان تنحصر الارباح في المانيا ويأخذ
 مركزها هي دولة غيرها فهي وان رضيت بالحوادث الاخيرة على علمها ان
 نتائجها مضرّة بمصلحتها فليس ذلك منها الا محبة للسلام الذي تقتضيه مصلحة
 اوربا جميعاً

فاذا عرفنا كل ذلك قلنا هل بوسع بسمرك اجتناب اسباب القلاقل
 ومداركة كل حادث يسد في وجه الروسية كل باب ام ليس بوسعه . وعلى
 ما نرى انه لا يقدر على ذلك لا لضعفه بل لان رضى الدول به عن قسر كما
 بيناه فضلاً عن ان لكل دولة من الحوادث الداخلية ما يلجئها الى حوادث

تساعد بها الامور العمومية على سيرها والمستقبل صاحب القول الفصل في كل ذلك والله تعالى أعلم بالصواب



سنة ١٨٨٧

كتب من بطرسبرج في ١٣ اغسطس عن السياسة الروسية ما حققت اكثره الايام ولا سيما التحالف مع فرنسا

لقد اُقيمت رسائي في سياسة الروسية الى ان وقتت على الاحوال وقابلت كثيرين من الساسة بين روسيين وغيرهم وموظفين وغير موظفين فجمعت ما وقتت عليه منهم في رسائل عدة ابدأ بها منذ الان لان سياسة الروسية تهم الشرق اكثر من سواها من الدول

ان الروسية تقاليد مقدسة يرى كل قيصر وسياسي روسي ان لا بد من احترامها والسير بموجبها عند حلول الفرصة ولهذا ندد العارفون بغورتشاكوف وهو في برلين بسبب المعاهدة التي عقدت فيها لان شيخوخته قد مكنته اولى النيات من نيل ما آربهم اذ سهل لبسمرك تحقيق امانيه في المبدأ مما جعل الروسية في حيرة من تلك الساعة فتقلبت في اطوارها السياسية املاً بتدارك ما خشيت منه ولا تزال سائرة على هذه الوتيرة مؤملة النجاح

وقد استخدم بسمرك الروسية وفرنسا سنة ٦٦ فجاز بسياسته على اوستريا ثم استخدم اوستريا والروسية ضد فرنسا فغال رغبه سنة ٧٠ واصبحت المانيا صاحبة الشوكه والصولة الا انه انس من مركزه الضعف في جانب دولة قوية كالروسية فقال اصلي

نيران القتال واسهل مطامعها في تركيا فتتفر اوريا منها فانتقم ذلك فرصة
لتحقيق الاماني

اما آماله في كنف التيار السلافي وقسمته الى شطرين فاذا اوقفه
بحرب تدخل فيها اقوام اخرى استحتم عليه نيل ما يأمل فضلاً عما يكابده
من الخسارة الاديبة اذ لا توافق الحرب وحدته الالمانية وبذلك رأى ان
يستخدم السلاف انفسهم لمحاربة بعضهم بعضاً ورأى ان اوستريا في قبضته
وهي ضعيفة واهية والسلاف فيها كثيرون جداً وعندها بقية من الالمان فقال
أدخلها في اطماع الشرق كخليفة للروسية فتتفر الروسية بها ثم لا يمضي قليل
حتى تتخاضما فتتقسم القوتان ولا سيما اذا ساعدتني الظروف

تلك كانت خطة بسمارك فشد عزم الروسية لمحاربة العثمانية ثم ما لبث
ان استخدم ضعف الروسية ولو ظافرة من جهة ونفوذ الدول من جهة
أخرى فكان من نتيجة ذلك عقد عهدة برلين وادخال اوستريا في اطماع
الشرق باخذها البوسنه والمهرسك ووجودها امام الروسية في جميع المسائل
الشرقية مما شدد الحرج في مبادئهم لما بينهم وبين الروسية من التنافر
بسبب عضدها للاسرة المملوكة في اوستريا خدم ولولا ذلك لثالت هناريا الاستقلال
السياسي وفازت على اوستريا

ثم لم تنته اوريا من عهدة برلين حتى رأينا عامة الروسيين في هياج
عظيم فماد غورتشاكوف كئيباً يضمم الشر والانتقام وفاز بيقنسنيلد واندراسي
بالبوسنه والمهرسك ونالت الشعوب الاخرى استقلالاً كاملاً ونال بعضها
نصف استقلال او ما يقارب الاستقلال الكامل وابتهج بسمرك ولكن
ابتهاجاً يمازجه الكدر لانتظاره ما سيكون من الروسية وان يكن في ثقة

من انها لا يسعها اعلان حرب بعد الحرب الاخيرة فاخذ بدهائه يستميلها اليه بكل الوسائل وكان له من القيصر السابق عضد قوي لانه كان ميالاً للاتحاد مع المانيا ولا سيما لما بينه وبين امبراطورها من المودة والقربى فلما قتل الاسكندر الثاني تنبه بسمرك لامره لما يعرفه في اسكندر الثالث من حب الاستقلال السياسي فعمل على استمالة العثمانيه اليه فظفر بذلك سياسياً اذ ادخل رجالاً المانيين في خدمة العسكرية مؤملاً بذلك استخدام قوة الدولة العلية لاغراضه وكفى بذلك امراً يئنه افكار الروسية

اما اسكندر الثالث فظهر سياسياً حكيماً واراد ان يخطي بسمارك فقال الى المانيا اكثر من ميل والده وعاهدها وحالفها مرة رسمياً ومراراً شبه رسمي وكان آخر محالفاته المعاهدة الثلاثية التي تمزق شملها في اوائل هذه السنة ولقد احكم الاسكندر في سياسته فانتقم من انكاثرا في آسيا ونال بسنين قلائل ما لم تنله الروسية في اعوام كثيرة واستوقف اعمال البلقان على حالها الحاضرة منتظراً انتهاز الفرص فسر لذلك بسمرك الا ان الروسية بعد تفحصها كل هذه الاحوال رأت من الواجب ان تسن سياسة جديدة غير الاولى تكون للروسية لا لغيرها اي لا تكون آلة في يد بسمرك فتم لها كل ذلك واصبح بسمرك لدى تحالف فرنسا والروسية من جهة وقلق سياسته السلافية من جهة اخرى اذ رأى ان الروسية ادركت الامر وسعت في تداركه ولا بد من نجاحها

تلك غايات بسمرك في الاحوال العمومية والاحوال السياسية الحاضرة واذا نظرنا فيها نظرة المتمعن جمعناها في ثلاثة اقسام الاولى سياسة روسية محضة أميل الى فرنسا مما كانت قبلاً بغير عهدة او تحالف وهي سياسة الامبراطور

والثانية سياسة روسية لا تظاهر في العنان دولة اكثر من أخرى وهي سياسة جيرس والثالثة تحالف مع فرنسا ضد المانيا وهي سياسة كاتكوف زعيم السلافيين ونحن شارحون هنا الاحوال الثلاثة

ان القيصر جل همم البحرية والجيش وهو يسعى الى اتمام عمارة البحر الاسود مخصصاً لها معظم الميزانية ولذلك لا تمضي بضع سنين حتى يكون أسطول البحر الاسود من أمنع اساطيل الدول وهي حكمة من القيصر اذ ان الحاكم العاقل من نظر الى تقوية الضعيف لديه ليأمن شر كل غائلة وليست تخاف الروسية على املاكها من مهاجم الا من البحر الاسود ولهذا تسعى في الاتحاد مع العثمانية ثم لما كانت تعلم ان للسياسة تقلبات شتى وليس من الحكمة ان يكل الانسان امره الى غيره سعت في تعزيز هذا الاسطول وما هو في الحقيقة الا لتقي نفسها من انكثرت التي كلما استحجم النور معها هددتها في تلك البقاع وقد علمت عن ثقة ان الهمة المبذولة في هذا السبيل ستبيل القيصر امنيته فيصبح مستريحاً من هذا النحو واما الجيش فهو يستعرض منه كل اسبوع قسماً حتى كأني به ابدأ في ساحة القتال

وقد قصد بذلك ان يصرف سني السلام في هذه الغاية على ميله اليه وقلة وده للحرب الا عن ضرورة اذا تجرأت دولة كبيرة على مس شرف الروسية ولكنه لا يهتم لاسكندر باتبرج ولا لكوبورغ الا انه لا يتأخر عن الحرب عندما يرى من اوستريا سياسة تمس الروسية . وقد عرف هذا القيصر قوة الروسية وكيف استخدمها بسمرك الذي اضر بها اكثر جداً من اضرار سنة ٥٦ بجملة اوستريا خصماً عنيداً لها في سبيل سياستها الشرقية ورأى حالة فرنسا العسكرية على استمرار في التقدم فقال بالغاء التحالف الثلاثي وبين

لبسمرك كيف انه لم يخدم الا اوستريا في كل ما فعله الى الان وكانت مسألة بلغاريا أقوى برهان فقوي حزب كاتكوف الذي كان مقرباً جداً الى القيصر وهاج الرأي العام في الروسية ونادى ان عدو الروسية هو الالماني وان وجهة الروسية ومرمى سهمها برلين لا الاستانة ولا ويانه

اما القيصر فمع ميله الى فرنسا لم يشأ ان يحالف جمهوريتها محالفة هجوم ودفاع ولكنه رأى ان مصالح الدولتين واحدة فتعاقد رجالهما في السياسة ولو كان في فرنسا ملك لم التحالف بلا تردد بل كيف لا يكون التقرب طبيعياً وفرنسا نافرة من انكلترا والمانيا وهما لا تميل اليهما الروسية فضلاً عن ان مصلحة الدولتين واحدة في أكثر المسائل

وخلاصة الامر ان سياسة الامبراطور روسية أميل الى فرنسا منها الى غيرها من الدول فضلاً عن انها سلمية الا اذا مست مصلحتها او شرفها ثم هو فوق ذلك دائم في تحسين البحرية والعسكرية ولا يدع لاحد عليه نفوذاً في سياسته بين خارجية وداخلية لان من طبعه الاستقلال في الرأي فكيف يقبل ببسمرك ولياً لامره وهو خارجي

اما سياسة جيرس فاشبه بسياسة القيصر وبالتالي كليهما واحدة . ولكنه لاستحالة عقد تحالف مع فرنسا لما يعلم من عدم حب القيصر ان يحالف جمهورية ولو كان يميل اليها أكثر من سائر الدول اراد ان يتحاشى النفرة مع المانيا حتى لا تكون ثم اسباب موجبة للخلاف فهو بذلك لا يميل الى التحالف مع المانيا كما يزعم البعض وهو غير مطلق الارادة وما حالته مع القيصر الا كحالة الصدر الاعظم مع جلالة السلطان

ثم ان جيرس عامل على تسهيل كل العقبات ولا يرغب في الحرب فهو

في الروسية معروف برجل السلام كما ان اغتاييف معروف برجل الحرب وهو ايضاً ذو مكانة عليا في الروسية ولا بد من يوم يكون لاغتاييف فيه شأن مهم في سياسة الروسية ولا سيما اذا التقت السيوف في ميدان القتال اما جيرس فبروتستاني المذهب وهو دليل على ان الروسية لا تلتفت الى المذاهب وقد كان سلف غورتشاكوف بروتستانياً ايضاً وكان مع ذلك اعظم ساسة الروسيين واحبهم الى الشعب ومن مباديء جيرس حسم المشاكل بالحكمة فهو لا يندفع في امر مخافة عواقبه بحيث كان سلبياً محضاً

اما السياسة الثالثة وهي سياسة كاتكوف فروسية اولاً من حيث وجوب التحالف مع فرنسا وعلان الحرب على المانيا ثم هي قد نجحت كثيراً في هذا الشأن الا انها توقفت في القسم الثاني اي التحالف والحرب وتأيد نجاحها في الميل الى فرنسا وحسبان المانيا خصماً للروسية ألد . اما موت كاتكوف فلا يغير من مباديء سياسته دليل ان جريدته كانت تصدر على وتيرتها السابقة وهو في حال المرض من اشهر وقد تولى اعمالها مكانه تلميذه وسياسته هذه هي سياسة حزب السلاف عامة وهو الغالب في الروسية ولذلك نرى ان لا بد من استمرارها لما يترتب عليها من الفائدة لهذا الحزب ولا سيما وقد أيدت الحوادث مبادئه وبرهنت على ان سياسة الاحزاب الماضية كانت عثرة في سبيل نجاح الروسية وآلة استخدمها اخصامها للايقاع والاضرار بها

تلك تفاصيل السياسات الثلاث وتوجد سياسة رابعة وهي الميل الى التحالف مع المانيا واصحابها قليلون جلهم من اصل الماني لا يزال يدور في عروقهم بعض الدم الجرمانى بالرغم عن انهم روسيون ومثل هؤلاء لا تكاد

تخلو منهم مملكة اذ اني اذكر وانا ذاهب الى باريز اني مررت في املاك
الالزاس والى جانبي فتى لا يتجاوز العشرين وهو فرنسوي التبعة فقلت هذه
الالزاس التي لفرنسا فاجابني بل التي كانت لفرنسا وعي اليوم لالمانيا وكان
جوابه بجمدة لا اخال ان المانيا ياتيها مع ان كلامي كان مجرداً من كل
غاية فقلت له هل انت الماني قال انا فرنسوي وابي الماني الاصل
اما حزب هذه السياسة الرابعة فقد انحط حتى لا يقوى على التمسك
بمبادئه حيث لا يرى حزباً من الثلاثة يوافقه وهذه خلاصة السياسة الروسية
الخارجية عامة والله تعالى اعلم

وكتب في ٣٠ اوليو من برلين

لو بحثنا في احوال الشعوب في اوربا وزيادة عددها بالتوالد لرأينا الروسية
انمي كثيراً من غيرها وقد حسب العارفون ان الروسية اذا استمرت في
سلام اصبح عدد شعبها مائتي مليون نفس وهو ما دعا كثيرين من كبار
رجالها الى التمسك بالسلام والاعضاد به على امل ان لا يمضي زمن حتى
تصبح قوة الروسية في منتهى المظنة

قابلت في عودتي الى برلين بعض كبار الساسة فاستفهمت منهم عن اهم
الاخبار واحوال السياسة فعلمت ان المانيا لا تعارض الروسية في مسألة بلغاريا
على الاطلاق وليس من رغبة بسمرق ان يشتد الخلاف بين دولته والروسية
لما يراه من هياج العامة في الامتين ولا سيما عند عامة الروسيين التي استاءت
جداً من خطة الجرائد في المانيا بشأن المالية الروسية مما الجأ حكومة بطرسبرج
الى اتخاذ تحوطات حجة لم تكن من رأيها في بادئ الامر

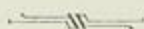
الا ان بسمرك تدارك الامر فاشار الى الجرائد بالاعتدال على ما يؤكدون بحيث صار لا بد منه ما دام هو الامر به لانه رب القول في المانيا ولكن مهما اعتدلت السياسة وتنوعت اسبابها فلا بد للروسية من نيل امانها فاذا أقدم البرنس كوبرغ خسر مستقبل امره وليس في امكان اوستريا ان تعارض الروسية وحدها ولا سيما وان بريطانيا لا بد من ان تعتدل في سياستها لا اعتدال الروسية في مسألة افغانستان

ويرى الجميع هنا ان الروسية احكمت في سياستها اذ زادت في قوتها مادياً وادبياً وانفذت كلمتها بالرغم عن معارضاة التحالف من اكثر الدول وقد قال لي احد السياسيين اني وان اكن في ثقة من ان بسمرك اعظم رجل سياسي فاني ارى ان مجموع الروسية يززع كل قوة وعلى الخصوص اذ ان بسمرك مع شيخ جليل لا يود حرباً وولي عهده في خطر المرض لا يدري ما يأتي به المستقبل في حين هو يود ان لا تكون الحالة كما هي الان ولكن أت حوادث الدهر الا ان تعارضه ولو كانت ظواهرها على غير ذلك

ثم قال ونحن نقدر قوة الروسية حق قدرها وان نكن في ثقة من ان نظام جيشنا لا نظام بعده ولا قوة تعادله ولكن نحن بين قوتين عظيمتين فرنسا والروسية وليس تحالفاً مع الدول الاخرى ليفيدنا شيئاً فاستخدامنا اياها من باب التستر بها ليس الا ولهذا يبذل رجالنا جهودهم في منع الحرب لانها ليست من مصلحتنا ما دامت الروسية غير راضية عنا ونرى انها لن ترضى ابداً بعد ان رأت منا اشد الميل الى اوستريا وقرت ان هذه هفوة عظيمة هفاها رجالنا اذ حسبوا ان الاسكندر الثاني لا يموت وفاتهم قوة العدميين الذين فتكوا به فاتانا اسكندر الثالث الذي يود بطبعه ان لا يكون آلة بيد الناس

بل همه في خدمة الروسية وحدها وان قدر الناس بسمرك قدره 'بازاء غليوم فالامر في الروسية ليس للوزير بل للقيصر وحده وفوزه في سياسة الشرق اكبر برهان

ثم قال وان فوز سياسة الروسية وفرنسا في مسألة الوفاق عظيم جداً ولا صحة لما قيل من ان سفير المانيا عضد انكلترا فان الكتاب الازرق الانكليزي لم يقل عن ذلك شيئاً قلت لم تعد انكلترا بعد تنديد بسمرك في غرنفيل ترتكب هفوة نشر الامور السياسية الدقيقة فتبسم وقال أعلم ان المانيا لم تتدخل اذ لا يوافقها الميل الى دولة أخرى بل بقاء المشكلة افيد لها ولا يعتبر الالمانيون ان حسم مسألة افغانستان قد كان نهائياً فان الروسية لا تدع هذه المسألة ابداً اذ بها تنتم من انكلترا في سياستها باوربا وسواها



وكتب في ١١ اغسطس من لندن عما دخل من التعديل على سياسة انكلترا بعد حرب السبعين وهو عين الحقيقة المشاهدة الى الان

لقد ادخلت على سياسة انكلترا الخارجية تعديلات مهمة بعد حرب السبعين اذ ان فقدان الموازنة السياسية قد اضر بها ضرراً بيناً وفات رجالها مداركة الامور بالحسنى فكان فقد الموازنة عزلة لانكلترا عن سائر الدول فصدق بها قول تيرس ان سقطت فرنسا عزلة لانكلترا وهو ما تحقق في اكثر المسائل فانه بعد ان كانت بريطانيا صاحبة التول المتصل في السياسة العامة والخاصة

اصبحت على عكس ذلك تابعة لما يقوله رجال الشمال ورجل المانيا وهذه السياسة قد اضررت كثيراً بالسياسة الغربية ولحق ضررها بريطانيا اكثر منه بفرنسا لان الثانية كانت قبل سنة السبعين تخدم انكلترا في سياستها اكثر من خدمتها لنفسها فكانت الدولة الانكليزية بذلك جامعة الفوائد التي انصرفت الان الى جهة الشمال وبالتالي الى بسمرك وحده

وبعد ان كانت بريطانيا ركن حرمة المعاهدات اخذت باخترامها والعبث بها ولنا في مسألة قبرص ومصر اكبر شاهد فضلاً عن تنيير سياستها العامة الذي اضاع كثيراً من تقاليدھا المقدسة لدى اعظم رجالها وقد سلكت هذه الدولة بعد احتلالها مصر سياسة ادت الى النفور بينها وبين فرنسا وباعدتها في صلاتها مع العثمانية فاضطرت الى ان تراعي بسمرك وتجري مع رأيه في اعمالها وأدت اليه ثمن ذلك تسهيل مطامعه الاستعمارية فنجح بسمرك نجاحاً حسناً اذ استخدم النفور بين فرنسا وانكلترا سبيلاً لسياسته الاستعمارية ضد مصلحة الدولتين وحصر النائدة في المانيا وحدها ولم يكن داعي نجاحه هذا الا مسألة مصر ولما كانت مملكة بريطانيا دولة بحرية ولا جيش لها لحماية اراضيها من التهجمات وكان امامها في جهة اسيا دولة سائرة على قدم النجاح تراحمها وتهدد هندها كان من مصلحة انكلترا ان تزيد في مشاكل اوربا لتأمن شر تلك الحرب وعلى هذا السبيل رأيناها في الحرب الروسية العثمانية فانها عملت على نشوبها لتضعف بها الروسية ولو كانت ظافرة وكثيراً ما سمعت مؤخراً في مسألة بلغاريا لتدفع القيصر الى الاحلال العسكري فتضطر اوستريا الى معارضتها فينتشب القتال ولا يخفى ما في ذلك من النائدة لها وهي لو علمت ان في الامكان ان توفق بين مصالحها ومصالح الروسية في آسيا لبذلت في سبيل ذلك مصالح

البلغاريين وغيرهم غير آسفة على حماية مثل هذه الشعوب الضعيفة في جانب فوزها بمصالحة الروسية ولنا فيما قاله سالسبري في خطابه اكير برهان حيث قال « ان آسيا واسعة تكفي لان ترضي الدولتين » وليس لذلك معنى سوى تقسيم املاك آسيا بين الدولتين وهو كلام لا ينطبق على وعد بريطانيا بحماية الافغان وشعوبها . ومن هنا يتبين الناظر في رسالتنا هذه كم جرّ فقدان الموازنة السياسية من التعديلات في سياسة انكلترا العمومية ولم تكن نتيجة هذا التعديل خدمة مصلحة بريطانيا بل للدول الشمالية ولا سيما المانيا

ثم ان كل دولة لا تكون لها سياسة خاصة لا يكون لها نجاح بل تعرض نفسها للاخطار والمشاكل فان انكلترا لما كانت حسنة الصلات مع فرنسا لم يكن لها خصم غير الروسية ولكن لما وقع النفور بينها وبين فرنسا زادت الروسية حنقا عليها وأمست فرنسا خصما لها وضعفت علاقتها مع الدولة العلية واضحت تنيل بسمرك ما يطلبه مخافة ان يفشل

ولقد كان الاجدر بها ان تراعي حرمة تقاليدھا اذ بذلك تكون قد وفّت حقوق وظائفها وضمنت مصالحها اجل ضمانة ولا سيما والسياسة تختلف فتخسر في الغد ما تكسبه في اليوم اذ لا موازنة اوربية في السياسة

وكتب من مدريد في ٢٤ اغسطس عن رحلة له الى طليطلة

قصدت مدينة التوليدة وهي محرفة عن طليطلة في العربية وهي تبعد عن مدريد ٧٣ كيلو مترا فمرنا الى المحطة وبينها وبين البلد عشرون دقيقة فركبنا القطار في الساعة الثامنة فبلغنا طليطلة عند الساعة الحادية عشرة لبطء القطار في

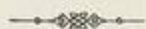
سيره فهو اشبه بقطارات البضاعة في مصر او ابطاً منها ومررنا على عدة محطات
كان يقف القطار في كل منها

ثم خرجنا نتفقد اثار البلدة وهي على اكمة يحيط بها سور غاية في المتانة
التي تدل على اثاره الى الان ويستحيل على العدو الدنو من البلدة من غير
ان تراه حاميتها وقد استولى عرب الغرب على هذه المدينة يوم كانت عاصمة
اسبانيا وكانت مدريد قرية صغيرة وحكموا فيها اربعة قرون وامتدوا منها الى
شمال اسبانيا الا انهم عادوا الى طليطلة واكتفوا بها لتقر الارض وحلها وحصنها
تحصيناً متيناً

وقد ذكرتني تلك المدينة بمجد العرب الذين لم يلبثوا ان خرجوا من
اليمين حتى افتتحوا معظم القارات الثلاث ولم يكتفوا بالحكم بل أسسوا العدل
وبثوا مبادي يجهلها ملوك اوربا والشرق يومئذ وكان حكمهم في اسبانيا ثمانية
قرون تقريباً وكان سقوط غرناطة التي فيها الدار الحمراء المشهورة سنة ٨٩٧
هجرية الموافقة ١٤٩٢ مسيحية وكنت اود ان اجمع في رسائي من هذه الديار
خلاصة فتوحات العرب واسترجاع الاسبانيول اياها لولا ان ضيق الوقت يحول
دون ذلك الا انا نرى ان الاسباب التي قامت بها رفعة العرب استخدمها الاسبانيول
لاسترجاع بلادهم في حين تمسك امراء العرب بالاسباب التي خسر بها الاسبانيول
بلادهم وقد كنت اود ان ازور سائر المدن الاسبانية في الجنوب التي زها بها
مقام العرب وعلا شأنهم في التمدن والعمران لولا ان منعني من ذلك شدة الحر
وبعد الشقة

وقد رأيت في تاريخ حرب غرناطة ان العرب كانوا يستعملون القلعة التي
تنسب لنابليون الاول فاني رأيت في تاريخ حروبهم من اقلام غيرهم انهم كانوا

عند الضيق يقفون على شكل حلقة كالبناء المرصوص فضلاً عما كان لهم من الشجاعة والاقدام مما يسر له قلب العربي الان لولا انه ينغصه ما يراه في هذه الاحوال الحاضرة ولكن لا بدع في الايام دول تدول وحال لا بد ان تحول



وكتب في ٢٨ نوفمبر من الاستانة العلية في شأن اصلاح المالية العثمانية

اصلاح المال اصلاح الاحوال . تلك قاعدة كل حكومة منظمة اهتمت باصلاح شؤونها واخذت باسباب رفعها ولقد قيل ان المال ركن الحرب ولكني اقول انه ركن السلام ايضاً فلا يكون اصلاح سياسي او اداري الا باصلاح المال ومن لا مال له لا قوة له ولا شأن والله من قال في مثل هذا الشأن

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فاذ قد ثبت ذلك وجب ان نرى هل يمكن باصلاح المالية اصلاح الادارة وبالعكس ام لا

وهنا افاض في اثبات جواب هذا السؤال ايجاباً الى ان قال

ان الوصول الى الاصلاح الاداري محتمل بعد الاصلاح المالي والاخير ان لم يكن مستحيلاً فهو شديد الصعوبة بعد الاصلاح الاداري وبرهان ذلك ان الفئة الادارية ولو اهتمت بلم شعنها وتحسين سيرها لا تقوى على التوفيق بين جميع المصالح ما لم يكن لها من المالية عصاً تقرع لها فتنبهها الى واجباتها في الدخل والنفقة ولا ريب ان نظارة الداخلية او غيرها لولا ان الميزانية المقررة لها

لا تسمح لها بزيادة لزادت في موظفيها كثيرين ولا سيما من الصنائع وعلى ذلك فاحتمل اصلاح الشؤون المالية بعد الاصلاح الاداري صعب جداً

اما اصلاح الشؤون الادارية بالاصلاح المالي فممكن سهل ولا سيما اذا دخلناه من بابهِ وهو في اوربا اسهل منه في الشرق لان الفئمة المالية في الشرق ممتزجة كل الامتزاج بالفئمة الادارية حتى يمكن ان يقال انهما واحدة فضلاً عن ان مبادئ الاقتصاد نادرة والنفقة اندر وجوداً ولهذا كان الاصلاح في الشرق عسراً جداً ولكنه غير مستحيل ووجود الرشوة فيه لا يكون دليلاً على استحالة استئصالها بل ارى ان ارشاد الموظفين المرتشين في سبيل العفة والنزاهة اسهل في الشرق منه في الموظف الاوربي المرتشي في بلاده لان المرتشي الشرقي قابل للتثقيف بخلاف الاجنبي الذي تكون فيه الرشوة ملكة الى الممات

قابلت احد رؤساء مصلحة الدين العثماني وهو العضو الفرنسي فتحدثنا في مسألة الاقلام الستة فرأيت ان انقل اقواله في شهادة من اجنبي واقف على حقائق الامور وتحت يده اهم ادارات المملكة العثمانية وذلك تأييداً لما سبق لي قوله بشأن الموظفين واصلاح شأهم وشؤون الادارة تمهيداً للوصول الى الاصلاحات المالية والادارية قال

« اعلم ان ادارة الاقلام الستة واسعة جداً تضطرنا الى مراقبة دخلها في جميع انحاء المملكة من عريش مصر الى حدود العجم واوستريا والمالك البلقانية وقد اضطررنا يوم اتفق اصحاب الديون مع وزارة العثمانية الى ان نأخذ الموظفين الذين كانوا في خدمة هذه الاقلام وبذلك اجتمع عندنا اجناس حجة من المملكة العثمانية وان يكن الجنس التركي اكثر جداً من غيره فبالنا ذلك في بادئ الامر وخنمنا الرشوة وثبت لنا استحالة توظيف غير العثمانيين اذا عزلنا من تظهر لنا

رشوتهم فخذنا نراقب المستخدمين بعد ان سلمناهم الوظائف برواتب تكفل معاشهم
 واشركنا معنا في تلك المراقبة رؤساء ذوي عفة ونزاهة فوجدنا اصلاحاً بيناً ولا
 انكر انا وجدنا عدم الاستقامة ولكن في نفر قليل وهو امر طبيعي في كل
 بلاد ولكن الذين ثبت ارتشاؤهم كانوا قليلين جداً في جانب عدد الموظفين وثبت
 لنا انا نجد في المائة من غير الاتراك خمسة مرتشين ومن الاتراك لا نجد في المائة
 احداً مع ان رواتبهم أقل من غيرهم وهم اقدر على الاعمال واشد غيرة على
 المصلحة من سواهم كأنها لهم . ومن ذلك يتبين لك ان الشرقي قابل الاصلاح
 جداً والموظف متى أمن على وظيفته ووثق بجزء امانته لا يعود يرتشي بل
 يمنع الرشوة ليكون قدوة لغيره ولذلك كنا مسرورين جداً من سير ادارتنا
 ونؤمل زيادة تحسنها كل سنة »

ثم تكلم في جوهر الادارة فقال « لا ارى ضرورة لاصلاح سير الادارة
 على نسق اوربي في حساباتها واعمالها بل ارى البساطة اوفق فانا لما اخذنا
 الاقلام الستة كان دخلها بحسب تقرير وزارة المالية مليوني ورقة وهي عبارة
 عن مائة قرش ولكنها لم تكن تساوي ثلث قيمتها تلك ذهباً بحيث لم يكن
 الدخل الحقيقي اكثر من خمماية الف جنيه اما الان فهو مليوناً جنيه وعلى
 زيادة مستمرة كل سنة من ٦٠ الى ٨٠ الف جنيه . وانا لو قابنا قيمة البقايا
 السنوية من مطلوباتنا لوجدناها من ٣٠ الى ٤٠ الف جنيه لم تتجاوز هذا المقدار
 في سنة من السنين في حين يكون ايراد مليوني جنيه سن واردة اخرى
 للسلطنة لا تنقص متأخراته عن ثلث او ربع مليون جنيه فضلاً عن ان
 القوة الاجرائية في يد الحكومة لا في يدنا وما ننكر مع ذلك انها تساعدنا
 ولكن مساعدتها لنفسها اقوى من مساعدتها لنا بالطبع . كل ذلك يؤيد لك

ان الاصلاح ليس ممكناً فقط بل سهل جداً وانه غير مقصور على الشؤون المالية والادارية بل يتناول الموظفين وهي شهادة عدل اذكرها بالمنة والشكر» ذلك حديث اجني خبير انقله على علاته بعد ان ثبت لي صدقه بما عرفته من الاحوال مدة وجودي هنا سواء موظفي هذه الادارة او موظفي ادارة السلطنة واذا عرفنا سهولة هذا الاصلاح نقول ان الوسيلة له الان ان تتول الحكومة على الاصلاح الجدتي رويداً رويداً وذلك كأن تترك ادارة الجمارك الى ادارة الافلام الستة على اتفاق معها على ان ما يزيد عن الدخل الحالي يكون منه للادارة المذكورة ٢٥ في المئة او نحوه بحسب الاتفاق حتى اذا تم ذلك امكن رجال الحكومة ان يراقبوا سائر النزوع فان وجدوا أملاً باصلاحها عاجلوه. وبهذه الوسيلة ايضاً نكون قد تمكنا من مراقبة قدرة انفسنا على الاصلاح او عجزها عنه وحسن سير الادارة معنا وعدمه هذا وان ادارة الافلام الستة لا تستلزم نفقات مهمة اذ يمكنها بنثر قليل من موظفيها ان تقوم بادارة الجمارك وعند هذا الاصلاح تثبت عفة كثيرين ومطامع غيرهم مما يضطر سائر الموظفين في باقي الادارات الى اصلاح انفسهم خوف الافتضاح عند المقابلة . ولكن لا يجب ان نرهن الايرادات على قرض فانا ننفق القرض ونهدم الدخل وبذلك تسوء الحالة حتى تقف الاعمال

وانه لما كانت الخزينة فارغة والنفقات زائدة فضلاً عن تهديد الحوادث للسلام كنا نحاف ان تضطرنا الاحوال الى رهن اكثر من دخل لاقتراض مبلغ فتكون خسارتنا مزدوجة اذ نفقد الشروط الحسنة الممكن نيلها بغير اضطرار وهي الخسارة الاولى ثم نلجأ الى اتفاق القرض حتى اذا انتهت

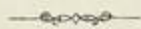
الحرب او اتقضى التهديد بتنا لا نملك شيئاً وهي الخسارة الثانية
وعلى ذلك فاني ارى من الواجب ان ينظر في هذه المسألة اذ لا أمل
بالاصلاح والادارة والمالية على حالهما الحاضرة وسأبين في رسالتي الآتية
استحالة الاصلاح المالي بغير عزم ثابت وادارة نزيهة وابحث في ايرادات
الدولة وموظفيها بحثاً دقيقاً على قدر ما يبلغ اليه النظر الكليل



وكتب من مصر عن التداخل الاجنبي في الشرق ما تنكر افادته على الاعادة
قد بسطت افكاري مراراً في التداخل الاجنبي في اعمال الشرق عامة وفي
كل بلاد على حدتها وبينت الدواعي التي استخدمها الطارىء حتى تمكن منا فاصبح بعد
ان كان يلتمس منا جزءاً وهو قابض على الكل ونحن لا نملك الا الجزء ولست
ادخل هنا في كيفية التداخل او كيفية تعميمه بل في الوسائط الواجبة على كل
شرقي ليكفّ بها تيار ذلك التداخل حتى اذا تم له الامر سهل عليه استرجاع ما
خسرهُ اذا عرف ان يسير بحكمة وحزم يمازجها اللين واللفظ وبذلك نضمن له
استرجاع ما فاتهُ وصيانة مستقبله صيانة فعلية

فاذا كان الاجنبي قد نال منا ما حصل عليه بكياسته وضروبه السياسية شيئاً
فشيئاً على رضى منا وهو مع كل ذلك اشد قوة منا وبأساً افيمكننا ونحن اقل منه
في كلا امريه ان نسترد ما لنا قبله دفعة واحدة ذلك امر بعيد بل منى تكشفنا له
عن هذه المبادئ عمل على معارضتنا ومعاكستنا نخسرنا منه كل ثقة وبذلك يتمكن
ليس فقط من المحافظة على ما في يديه بل من اختتام النرص لاختلاس
ما فاتهُ حتى يكون له الكل

ومثل التداخل الاجنبي في الشرق مثل دخول السل في الجسم فانه
 ينبغي للمصاحب به ان يتداركه وهو في الدرجة الاولى أو قبل تمكن الدرجة
 الثانية مع تعاطي الادوية الناجمة ومثل ذلك يقال في التداخل الاجنبي عند
 الشرقي ودواؤه ان تكون الادارات الوطنية المحضة دستوراً في استقامة
 اعمالها وحسن سيرتها من رئيسها الى آخر عامل فيها فينبذ مستخدميها الاجنبي
 الذي لافائدة منه لقدمنا ولكن بالرفق واللين لا بالملق والغلظة ثم يتقرب
 من الاجنبي الذي برهن على أهليته فيستفيد منه ما يستخدمه في سبيل
 مصلحة بلاده وتأييد حقوقه حتى يصل مع تراخي المدة الى الناية المطلوبة



سنة ١٨٨٩

كتب في ١٩ مارس عن مراكش وتنازع الدول فيها ما لا يزال منطبقاً على الواقع
 الى الآن

قد اصبحت بلاد مراكش اليوم مطمح انظار اكثر الدول الاوروبية
 ان لم نقل كلها وقد ساعد على ذلك ما يراه الاجانب من حسن الوفادة فيها
 من جهة واسباب التداخل من جهة أخرى وقد زاد في تسهيل الامر
 ارسال حضرة سلطان مراكش الوفود الى الدول ولكن قبض لتلك البلاد
 ان تكون في جوار الجزائر ملك فرنسا للدولة العظيمة فحالت بسياستها دون
 اطماع الدول

حاولت اسبانيا ولا تزال تحاول زيادة سطوتها في مراكش واحتلال بعض تقط من ارضها فعارضتها فرنسا وأبانت لها استحالة ماتويه فانصاعت لها وأخذت في استخدام الطرق السياسية فعقدت لجنة دولية في مدريد عاصمتها فلم تنجح ثم سألها التحالف الثلاثي الاشتراك معه وهو يساعدها على تحقيق أمانها في مراكش فقال حزب من احزابها الى ذلك الا ان الاغلبية رفضت تلك المقدمات لاعتمادها ان لاضمانه لحياتها السياسية ان لم تكن فرنسا راضية عنها وقد امتدح الصادقون سياسة اسبانيا هذه

وقد تحركت ايطاليا ايضاً وأرادت ان يكون لها حظ في مراكش فأرأت في فرنسا خصماً عنيداً ونال كريسي من الفشل في سياسته الخارجية والداخلية ما اضطره الى الاعتدال ثم رأينا ألمانيا أخيراً تريد اخذ نقطة في مراكش ولولا تدخل فرنسا لثالت ما تريد ولقد احسن سلطان تلك البلاد برفضه ما طلبته ألمانيا لانه لو فعل ذلك لاضطر لاعطاء سائر الدول فكان كالساعي بنفسه لتفريق بلاده وتمليكها

وقد فاجأنا امس خبر ارسال عمارة انكليزية الى مياه مراكش فأثر فينا ذلك الخبر ولا نظن غاية بريطانيا من هذا التظاهر البحري الا المعارضة لسياسة ألمانيا ومعلوم ان انكترا في يدها جبل طارق فلا يوافق مصلحتها تأيد نفوذ دولة اوربية اخرى في تلك الاصقاع اما ما اضطررتها الحوادث اليه من الانصياع لما يرسمه بسمرك فعن اضطرار وكره ولكنها عاملة بدهائها على معارضة السياسة الالمانية بأية الوسائل لتأمين شر بسمرك في السياسة الاستعمارية التي اجبرتها على تحمل النفقات الطائلة وقد عرفنا من خطاب وزير البحرية الانكليزية عند ما طلب الاعتماد المالي الاخير ان من الواجب

ان توازي قوة انكلترا البحرية قوة دولتين بحريتين ومن ثمَّ تجب زيادة المعدات
فدلنا ذلك على ان القوة الحالية لاتوازي قوة دولتين وهو يؤيد ماذكرناه
في حينه

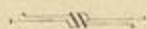
ولقد بسطنا افكارنا في مسألة مراكش وشكرنا سياسة فرنسا التي حالت
دون اطماع الدول في تلك البلاد الا اننا نرى انفسنا الان لدى امرين
لاخلاف فيهما اولهما انه لايجب ان نعتب على هذه الدولة او تلك الحكومة
اذا احبت التداخل في بقعة او بلاد لانه اذا كان ابناؤها يهاجرون الى
اقاصي الارض في طلب المعاش وترويج سوق التجارة فكيف لايهتمون في
استنزاف ثروة بلاد هي على مقربة منهم والثاني وهو الالم مايراد من قصور
الحكام في تلك البلاد واهمالهم في حين هي مطمح الانظار والاطماع فانهم
متقاعدون عن اخذ التحوطات اللازمة لمداركة حقوقهم من الضياع ولهم من
الحوادث الجارية في غير بلادهم اكثر من دليل كان يجب ان يعتبروا به في
اصلاح حالتهم

ونحن في هذا العصر قائمون لدى القوة فلم تعد حقوق أمة او بلاد
لتوقف اطماع احدي الدول لان الحق قد اصبح اليوم للقوة وحدها وما
حفظ بعض الاماكن من اغتيال الاجانب الى الآن الا تباين مصالح الدول
الطامعة وهو امر يجب ان نستخدمه واسطة نهتم معها باصلاح شؤوننا اصلاحاً
مرضياً

ولقد اصبح التيار الاوروبي لاتوقفه العواصف ومن العبث ان نقول عن
شيء انه لا يوافق عادات البلاد وطباع أهاليها في حين نرى القائلين انفسهم
متمسكين هم وابناؤهم بعوائد اوروبا وطباع سكانها وكثيرون منهم لا يعرفون

من الدنيا غير بلادهم ومن بلادهم غير المدينة التي هم قاطنون فيها بل من المدينة غير بيوتهم ونحن نراهم مع ذلك في ملبسهم ومطعمهم وسائر احوالهم أكثر تفرنجاً من الافرنج

تلك هي حالتنا ويسؤنا ان نكون عليها اذ ليس لها من سبب الافساد مبادي التهذيب عندنا وهو امر لو اردنا ان نبث فيه لضاق بنا المجال الا اننا نكتفي من الكلام عنه بقولنا ان عدم اعطاء النساء حقوقهن وعدم قيامهن بمواجهتهن من اعظم الاسباب وأهمها وبذلك كنا نحن الشرقيين على قصور مزدوج اذ لسنا مكفين باختراع امر او ايجاد شيء لا وجود له بل ان مواجبتنا اسهل من مواجب الاوربي الذي علم فعمل وسابقته المرأة في مركزها فأبدت النجاح المشترك ثم ليس علينا الا ان نقندي بسوانا والافتداه سهل المال اذا عرف اصحابه ان يتدبروه



وكتب في ١٣ مايو في مسألة اجازة الضرب من جهة وتعميم المحاكم الاهلية في الوجه القبلي من جهة اخرى ما يصح جعله مثلاً لاسلوبه في محاجة الخصم وتأييد الرأي الصائب

لم تكن تتوقع من حضرات مفتشي الضبط والربط ان يسألوا في تقاريرهم معاقبة المذنب بالضرب ولو في مسائل محدودة وانا قد وقفنا على هذه التقارير منذ أكثر من ثلاثة اشهر وذكرنا مع مكاتبنا المصري خلاصتها وقضينا على مبادئها الا انا أمسكنا عن امر الضرب ولم نكن نقصد بالامسك الا القضاء المبرم على مثل هذه الوساطة لثقتنا باستحالة قبولها لدى الهيئة الحاكمة والفتة المحكومة

ولقد قال اصحاب التقارير بالضرب قصاصاً وقال غيرهم به توصلاً لحمل المجرم على الاقرار وكلا الامرين وان يكن اولهما اخف ظلماً من الثاني ضد كل عدالة ولا سيما وان المصريين جميعهم يعلمون ان الجناب الخديوي ايده الله امر بمنع الضرب من يوم تولى الاريكة الخديوية بل ان ذلك كان باكورة اوامر الشريفة وكلنا يذكر حسنات الوزارة الرياضية الاولى واهتمام دولة رئيسها بانفاذ هذا الامر الكريم فكيف يطلب اصحاب التقارير بعد ذلك امراً قضي عليه التمدن والانسانية وبأي وجه يقابلون سخط الرأي العام عليهم في اوربا عامة وانكادراً خاصة لو اجيبت طلباتهم في حين نرى ان الانكايذ يفتخرون في بارلمانهم وجرائدهم بأنهم منعوا الضرب بتدخلهم مع انه كان ممنوعاً قبل احتلالهم كما يشهد بذلك كتابهم الازرق

ولقد سرنا انهم عرفوا استحالة ذلك في المداولات الاخيرة وان الاعضاء اجمعوا على رفض ما سألوه فضلاً عن ان لنا في سمو الخديوي ودولة وزيره رياض باشا اكبر ضمانة تحول دون هذا الطلب الذي لا يشف عن ذرة عدل بوجه من الوجوه

واذ قد قضي على امر الضرب ولم نأت الا بصدى ما يردده الرأي العام فلنبحث الآن في المسألة الثانية وهي هل الصعيد قابل للمحاكم الاهلية الجديدة ام لا فنقول

لو أردنا ان نبحث في المسألة بحثاً فلسفياً لسهل علينا كل السهولة تفنيد اقوال المعارضين لتعميم المحاكم الاهلية بحجة ان اهالي تلك المديرية لا قابلية لهم لمثل هذه القوانين ولو فخصنا احوال كل بلاد ومدينة وأردنا ان نعرف اصل المؤلفين والعلماء والاغنياء فيها لوجدنا اكثرهم من خارج تلك المدينة

وبالتالي من الارياف وداخلية البلاد ولستأ نبخس العاصمة حقها ولكن لامشاحة
 في ان جل الاعيان من خارجها وأكثر علمائها ومؤلفيها من اريافها ولا سيما
 جهات الصعيد وعليه فاهالي الوجه القبلي ان لم يكونوا اقرب تناولاً وادنى
 قابلية الى فهم القانون فليسوا اقل قابلية من اهالي العاصمة والوجه البحري
 وجميع ثغور القطر ومن ذلك يتبين ان ادعاء اصحاب التقارير في غير محله
 ثم نحن مع اعترافنا بوجوب تعميم المحاكم وقابلية اهالي الصعيد لذلك
 لانزال نسأل ادخال التعديلات اللازمة على بعض البنود التي قضت التجربة
 بوجوب تنقيحها وتعديلها غير ان ذلك لا يستتزم السنين الطوال ومهما تكن
 التعديلات فانه يمكن للجنة اتمامها الى اواخر السنة الجارية او قبل ذلك وعندها
 يجري التعميم فيكون اكل واتم

الا اننا مع ذلك لانرى مانعاً في خلال هذه المدة يحول دون اقامة المحاكم
 الجزئية في الوجه البحري ولا سيما وان المجلس قد وافق عليها باجماع الآراء
 وأرى ان من اهم الامور الواجب اجراؤها ان لاتتمسك الحكومة عن
 النفقات على هذا الدستور بل ان تهتم في اصلاح شؤونه ومراقبة احواله
 توصلاً الى المرغوب

وكتب في ٣ لوليو من كوش بتونس ما نأخذة نموذجاً لرسائله التي من هذا النوع وهي كثيرة جداً
 ليس من غرضي هنا أن أتعرض الى تاريخ تونس وجغرافيتها وان تكن
 لغتنا العربية لم تجمع لها جغرافية مستوفية لولا ان أوقفنا علماء الفرنسيين
 على كثير من خفي أحوالها ولكنني لا ارى بأساً من سرد بعض الشيء عن

ذلك تفكّية للقراء وزيادة في الفائدة اجعلها مقدمة لكلامي عن هذه البلاد
فأقول

ان بلاد تونس أو افريقيا الرومانية محدودة من الشمال والشرق بالبحر
المتوسط ومن الغرب ببلاد الجزائر ومن الجنوب بالصحراء المشهورة ومساحتها
١٠٥٠٠٠ كيلومتر مربع وهي منقسمة كالجزائر الى اربعة اقسام الساحل والتل
وما بينهما والصحراء او الجريد والساحل وما اخصبه تربة وفيه الزيتون
والحبوب وهو اكثر محصولاً من غيره ولا يمضي قليل حتى تم زراعة الكرم
هذه البلاد فان لهذا الصنف ايراداً يفوق سائر الايرادات وقد زرع منه
الى الان شيء كثير واصحاب المال يتسابقون الى زراعته ولا سيما وان الآفة
التي اصابته في فرنسا والجزائر لم تصبه في تونس فضلاً عن ان زارعيه
استخدموا تجارب الجزائر فاستفادوا منها كل الفائدة

واني لاحظ هنا كثيراً على فتور همة الاهالي ولا سيما أصحاب الاملاك
منهم واتباعهم عوائدهم السالفة حتى في زراعة الكرم مع انه كان الاجدر بهم
ان يستفيدوا من الحالة الجديدة ويسابقوا الغريب باستخدام خبرته ومعارفه
في سبيل زراعتهم لانه اذا كان الفرنسي يهاجر من بلاده ويستأجر ارض
التونسي ويشترها ويحمل الحر الشديد والاعتاب الكثيرة ثم يكون له من
ارباحه اكبر تمزية فلم لا يشترك التونسي بذلك اذا قلنا انه يستحيل عليه حصر
الفائدة في نفسه مع انه ابن البلاد وصاحب الاض واني سمعت ان كثيرين
من ابناء هذه البلاد قد حسروا عن ساعد العزم واهتموا في هذه الزراعة
وبودنا ان يقتدي بهم غيرهم الى ان يقوم التونسي بزراعة أرضه خير قيام بما
يكسبه من الاجني من العلم والتفنن

والقسم الثاني وهو التل أكثر جبلاً وودياناً وحياء زراعته الامطار وبالتالي حياة زراعة البلاد كلها لانه في السنة الماضية اذ لم يكن المطر غزيراً حصل فيها بعض الجذب ولولا مساعدة حكومة فرنسا المالية وتوزيعها الكميات الوفيرة من الحبوب لطعام الاهالي وبذارهم حصلت مجاعة بينهم ولذلك رأيتهم يقابلون عناية الحكومة بهم بالشكر والامتنان اما القسم الثالث وهو الواقع ما بين الساحل والتل فارض جذباء لا يستفيع منها الا الماشية برعيها . وأما القسم الرابع وهو الصحراء او بلاد الجريد فاخص محصولاته النخيل وثمره في غاية الجودة يفضل كل نخل افريقيا

وفي هذه البلاد جبال كثيرة منقطعة اعلاها سلسلة تبتدي من شاطئ بحر الاطلانتيك فتجوز مراکش والجزائر الى رأس مدينة عنابة الشهيرة واعظم انهرها مايايتها من الجزائر واكبر بحيراتها بحيرة تونس اما درجة الحرارة هنا فتختلف كثيراً فهي في الساحل في ايام الصيف معتدلة وفي مدينة تونس وسائر البلاد اشبه بها في مصر القاهرة الا انه لا يساعدها العثير الذي يعمي الابصار ولا الرطوبة المضرة كرطوبة الاسكندرية ثم انه يزرع في هذه البلاد أكثر اصناف الاشجار وثمارها لا تخلو من لذة وقد لا يمضي زمن طويل حتى ترى أكثر الاصناف التي تزرع في سواحل فرنسا مزروعة في قسم التل من تونس . اما معادنها فكثيرة ولكن الحكومة لم تبدأ بعد باستخراجها وحيواناتها ايضاً كثيرة بين وحش وطير

اما عدد شعبها فليون ونصف مليون تقريباً وجلهم من المسلمين وعدد الاجانب من الفرنسيين ستة آلاف ومن الايطاليين عشرة آلاف ومن الانكليز تسعة آلاف ومن سائر العناصر نحو الالفين وعدد الاسرائيليين بين

رعايا وحمايا نحو الخمسة والاربعين الف نسمة
 واما نوع الحكومة فيها فمطلق فيما عدا تأييد الامن وادارة المالية وسمو
 الباي صاحب الامر النافذ في اعمالها والملك فيها للراشد من الاسرة المالكة
 ولحضرة الباي وزارة مؤلفة من وزير اعظم ووزراء للقلم والاوقاف
 والمالية وسائر الفروع وفي تونس جوامع كثيرة وزوايا ومدارس شرعية
 كبرى وكنائس لجميع الطوائف وحرية الاديان معروفة فيها من القديم
 وذلك برهان على ان الحكومة الاسلامية كانت واحدة في هذا المعنى مما
 يدل على عدل حكامها وحرية مبادئهم . واشهر مدارسها القديمة مدرسة جامع
 الزيتونة الشهيرة وفيها نحو ٤٥٠ طالباً يتعلمون اللغة العربية والشرع الشريف
 وقد خرج منها افاضل ومؤلفون مشهود لهم بالبراعة والمهارة فضلاً عن انه
 يوجد في تونس نخبة من العلماء المتكئين الراسخين

ثم المدرسة الصادقية اقامها ايهتلو خير الدين باشا ايام كان وزيراً لتونس
 وهي في مقدمة المدارس اتقاناً وقد نبغ فيها تلامذة كثيرون في اللغة العربية
 فضلاً عن اتقانهم اللغة الفرنسية والعلم فيها مجاناً ويتفق عليها من اوقافها الواسعة
 وعددتلاميذها ١٥٠ تلميذاً وقد تجددت في هذه البلاد من يوم دخلها الفرنسيون
 مدارس كثيرة لانقل عن العشرة فيها نحو ألفي تلميذ بين فتيان وفتيات ولا
 تزال الهمة منصرفة الى تميم المدارس وتوسيع نطاق العلوم بعناية حضرة
 الباي العالم الفاضل الذي يعضد هذه المشروعات لعلمه ان حياة الانسان
 بعلمه ثم هو اول امير في اسرته علم ابناءه اللغات الاجنبية وفنونها
 ولقد اقامت نظارة الاشغال العمومية اصلاحات كثيرة من السكك
 والشوارع الجديدة التي تعد كاحسن شوارع اوربا وايصال سكة حديد الجزائر

بحاضرة تونس والاهتمام الآن بمد خط الى مدينة القيروان وخطوط اخرى الى اكثر مدن البلاد واقامة المرافق المتعددة وتنظيم طرق الداخلية الوعرة وهي باذلة جهدها في اتمام ذلك قريباً بالرغم عن الصعوبات المتعددة بين قلة الدراهم ووعورة الجبال الحائلة دون هذه المنظمات

وهذه البلاد كثيرة الصنائع والحرف واخصها صناعة نسج الحرير وعمل الصابون الا انه غير متقن ولا ريب في انه لو اهتم اهلها بانقاذ صناعتهم لاستفادوا منها فوائد جمة فوق ما يستفيدون اذ يكون ذلك مسهلاً لرواج تجارتهم في الخارج ولا سيما في هذه الايام لما بين تونس وفرنسا من التسهيلات فانه بعد ان كان لا يبلغ عدد السفن الداخلة الى تونس الالف في السنة قد تجاوز الآن الاربعة آلاف وبعد ان كانت دخل وارداتها وصادراتها لا يذكر امسى الآن للاولى نحو الثلاثين مليون فرنك وللثانية نحو الخمسة وعشرين مليوناً وهذه الزيادة على استمرار كل سنة

اما الاهالي في اخلاقهم فودعاء لطفاء وهم حسنو الصورة والبيض في المدن اكثر من السمر وهم اذكيا القلوب محبون للنظافة حتى اني لم ار في كل رحلتي في اوربا وغيرها شعباً انظف منهم فان الغريب يشعر بذلك من اول وهلة في نظره الى الثياب سواء كانت جديدة او قديمة . ثم ان نساء المسلمين لا يخرجن من بيوتهن الا في النادر وهن مشهورات بالادب والتعفف والجمال ولا سيما من كانت منهن من سلالة اندلسية فانه لا يزال في مدينة تونس الى الآن حي يسمى حارة الاندلس اختطها مهاجرو تلك البلاد بعد تغلب الاسبان عليهم

سنة ١٨٩٠

كتب في ٣ يناير عن اشتراك مصاحبي فرنسا والروسية وضرورة اتحادها ما حقق التحالف بعد ذلك صدق نظره فيه

اول من افتح السياسة الخارجية بطرس الاكبر بانفاذه مشورة البرنس كوربسكي الى اينان الرابع الملقب بالهائل حيث قال له « حالف من هو بعد الجار ولا تحالف الجار » فاخذ بطرس الاكبر تلك النصيحة قاعدة لسياسته الخارجية اما ملك فرنسا حينئذ فلم يوافق على هذه المبادئ ولكن ما لم ينجح فيه بطرس الاكبر نجحت فيه اليصابات كريمة فقعدت مع فرنسا تحالفاً تغلبت به على فريدريك الاكبر ملك بروسيا فأضرت بعسكرية بروسيا قرناً كاملاً ثم عقدت كاترين الثانية تحالفاً مع لويس السادس عشر الا ان الثورة الفرنسية حالت دون انفاذه ولو لم يقتل القيصر بولس لنجح في مخابراته مع فرنسا ثم ان عمارتي فرنسا والروسية قد خدمتا سياسة واحدة في اكثر من مكان ويستفاد من ملخص هذا التاريخ ان لاجابة للتحالف بين الدولتين كتابة فان مصالحهما قاضية عليهما بذلك ولهذا رأينا القيصر اسكندر الثاني بالرغم عن حسن علاقته مع غليوم الاول قاوم المانيا اشد المقاومة في عام ٩٧ وأندرها بأنه يحاربها اذا حاربت فرنسا

وكتب في جملة مباحثه المستفيضة عن الدخان والغاء زراعته

لا خلاف في اهتمام رجال الانكليز ولا سيما الذين في المالية بزيادة الايرادات وقد وفقوا جميعاً في هذا الشأن والفضل فيه عائد على جناب

السير فنسنت لانه اعلن غايته السياسية وهي منع التحقيق الدولي ايزاو الجو
 للسياسة الانكليزية ولم يبال إلا بتحقيق هذه الغاية كيف كانت الوساطة
 فنجح في زيادة الايرادات كما نجح ابناء جلده في زيادة المصاريف اما
 المصريون فتحملوا ضربات الضرائب ولم يتفهموا من زيادة المصاريف
 شيئاً والالوف من المرفوتين منهم شهود عدول ووند المراقبين بتخفيف
 الضرائب لا يزال في دائرة الوعود التي توودها المصري وصار لا يصدقها
 لتكرارها على غير جدوى

ولقد كان اهم الموارد التي اهتم بها رجال المالية مسألة الدخان والفضل
 في ذلك ليس إلا لفر من تجار هذا الصنف فهم الذين سعوا في هذا المشروع
 لموافقتهم ومصحتهم وعضدهم رجال المالية لاشتراك الخزينة في الفائدة

ومعلوم ما كانت عليه زراعة الدخان البلدي بين تبغ وتبناك وما كان
 يدفعه المزارعون ضريبة عنها ثم لم يقصد من تساهل الحكومة هذا في
 السابق حتى عهد الاحتلال إلا اطراد الاهلين التمتع بزراعة وطنية اهلية
 ورغمما عن المكوس القادحة التي عرفناها في السابق لم تبطل هذه الزراعة
 في حين ان عدد المدخنين اليوم ليس اكثر منه في الماضي فضلاً عن
 وقوف الحال الآن ورواجها في السابق

وقد اهتم السير فنسنت كثيراً في الفاء الزراعة كما لا يخفى على الواقفين على
 دخائل الامور فلم يفلح مطلقاً وغاية ما امكنه نيله ان زاد الضريبة الى ٣٠
 جنيهاً على الفدان بعد ان تحقق ان حاصل الفدان ينيف على ٦٠٠ كيلو اما
 رجال هذا المشروع فلم تضعف عزيمتهم بل زادوا نشاطاً وثباتاً لقاء نجاحهم
 في زيادة الضريبة ولعلمهم ان صاحب الخزم فائز بالطبع ثابروا على اطراد

خطتهم فسأرا تحديد مساحة زراعة الدخان بالف وخمسة فدان وليس ذلك منهم إلا مقدمة للوصول الى الغاء زراعة هذا الصنف حتى لا يكون للمزارعين باب للتديد والافدنة المزرعة دخاناً لاتذكر امام مساحة الارض المزرعة كما استشهد بذلك تقرير المالية الاخير ونعم البرهان ...

فيتضح والحالة هذه ان المهمة التي صرفت الى زيادة الايراد بواسطة الدخان كانت نتيجتها الغاء زراعته من القطر السعيد بحيث حرمانا بذلك اصحاب الارض ارباحاً راهنة وحرمانا ايضاً الذين يزرعون الصنف المذكور ارباحاً واقعية وأما ما جاء في هذا التقرير من ان التجار هم الذين انتفعوا من الارض المزروعة فنحجب عليه بهذا السؤال وهو هل ينتفع غير التجار من الغاء الزراعة اما هذا فواقعي وأما ذاك فشكوك فيه فان كثيرين من المصريين زرعوا الدخان ايضاً ثم ذهب الى ان عدد الطرفين محدود فلاضرار والحالة هذه محدودة كما جاء في التقرير وانا نلاحظ للقراء انه بسبب إلغاء زراعة الدخان وزيادة رسومه الخارجية زادت احتياجات المدخنين من المصريين وهؤلاء ثمة كبيرة العدد للغاية فنكون اذ ذاك قد عملنا على زيادة مصاريف الفلاح مع ان ايراداته في نقصان او على حالها والضرائب في ازدياد كالضريبة المثثة وعوائد الطرق وزيادة تعريف سكة الحديد للركاب والبضائع وغيرها فهل والحالة هذه نعد ما نقرر من الاقتصاد المدوح المنظور فيه الى مصاحبة الاهلين لا الى الخزينة فقط

واذا بحثنا في براهين التقرير المومأ اليه رأينا بينها امراً واحداً يستحق الاعتبار وهو الوعد بتخفيف الضرائب وذلك عند تحقيق زيادة الايرادات ومعرفة ما يجب تخفيفه من تلك الضرائب ونحن وان كنا لانشك بهذا

الوعد نخاف ان تتخلل المدة حوادث نقضي بالعكس فنكون ند حرمانا
 الاهالي فوائد راهنة تحت الامل بنيل فوائد مشكوك فيها
 وللالية حجة مهمة ايضاً وهي ان قسماً عظيماً من الدخان يصدر الى
 الخارج فتكون زيادة التعريفه لاحقة بالخارجيين اي غير المصريين على ان
 الكمية المتصدرة قليلة جداً فهي الان لا تتجاوز الربع مليون كيلو غرام سنوياً
 ولو فرضنا صحة ذلك وفرضنا كساد هذه التجارة من حيث وقوف الحال
 وتمكن تجار الدخان في العثمانية واليونانية من مناظرة تجار هذا الصنف هنا
 والغلبة عليهم فهل يضمن اصحاب المشروع حالئذ امكان زيادة ذلك المال الذي
 يؤملونه الان ثم هب وقع ذلك افلا يكون المصريون انفسهم هم الذين
 قاموا بدفع تلك الزيادة حتى لو انجزت الحكومة وعدها بتخفيف الضرائب
 وعندئذ ليس من فضل لها لان المزارع المدخن هو الذي دفع من يده
 المبنى ما تناوله بيده اليسرى وهذا ليس من الاقتصاد المشكور بشيء

ثم كما ان جعل التعريفه الجمركية عشرين قرشاً في سنة السبعين لم يفض
 الى إلغاء زراعة الدخان البلدي فكذلك تعريفه فرنسا او ايطاليا لا تضطر
 مصر الى التمثل بها فان أوستريا مثلاً جعلت تعريفها اقل جداً من تعريفه
 ايطاليا ثم ان الفرق بين احتياجات المصري والاوروبي وبين ايرادات الطرفين
 يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار ايضاً وإلا كيف نستشهد بما يوافقنا اجراءه
 ونصم آذاننا عن المسائل التي لانود اجراءها

ولقد كان يمكن الحكومة ان تزيد في ضريبة الافدنة المزروعة دخاناً
 الى حد تضمن معه حقوق المزارعين ومصالحتها وهذه الطريقة ولو كانت
 اقل فائدة الا انها اكثر ارضاء للمزارعين واكثر اقتصاداً وتلك هي السياسة

المدوحة فان اوربا بما تحمله من الضرائب لها عذر شرعي وهي زيادة العسكرية لحماية البلاد وصيانة حقوق الوطن كما قرأ في محاضر پارلمانتها وخطب رجالها فضلا عن تتم الاهلين بامتيازات وطنية ولكن اين مصر امثال ذلك وهي لو قال احد رجالها بضم السودان الى مصر قام له من المراقبين من دحض قوله ومنعه من تنفيذه وانا نرى شارع الاسماعيليه مناراً مرشوشاً ونظيفاً وشوارع الداخلية مظلمة قدرة لا نظافة ولا نور وفضلاً عن ذلك فان الضرائب التي تحملها اوربا مع انه مقصود بها زيادة الجيش للدفاع عن الوطن كان لها من النتائج الوخيمة ماجعل حكومات الدول في قلق دائم وما رأيناه من العدميين في الروسية والاشتراكيين في المانيا وأزمة الفعلة في فرنسا وانكلترا انما هو ناشئ عن الفقر وهذا عن زيادة الضرائب اما في الشرق فيتولد اليأس وهذا يفتح للمراقبين باب المداخلة وهناك الطامة الكبرى فتكون البلاد بعد فقرها خسرت حقوقها السياسية والادارية والمالية ونحن نعلم ان الحكومة عند زيادة الضريبة الى ثلاثين جنيهاً اضطرت الى استشارة مجلس شورى القوانين فهل لم يكن واجباً عليها ايضاً استشارة المجلس في المسألة الاخيرة ولو ان الضريبة مستترة تحت رحمة الدخان الاجنبي. تلك مسألة حقوقية تترك امرها لاربابها ولكننا نرى انه لو سئل المجلس عن آرائه لكانت المالية قد جرت خطة محمودة فان اعضاء الشورى اعرف الجميع بحالة الاهلين وكانوا يساعدون الحكومة بمشوراتهم وربما كانت المداولة معهم توجد طريقة اضمن وأفيد للجميع

وقد اجتمعت مع عارف باحوال الدخان وهو من الذين سعوا في الغاء الدخان البلدي ومن ذوي المصلحة في تجارة هذا الصنف فقال ان الوارد

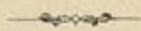
سنوياً كان نحو ثلاثة ملايين وأما حاصلات دخان البلاد فكان متوسطها ستة ملايين كيلو وان البلاد تقطع على الاقل ثمانية ملايين وعند ما قلت زراعة البلدي تضاعف الصادر الى الصعيد من الدخان الاجنبي وهذا برهان على انه بالالفاء المطلق يطلب الاجنبي فيزداد الايراد ثم قال والموجود الان من البلدي مليونان ونصف بما فيه المزروع الان والموجود من الاجنبي نحو ٧/٢ مليون والجميع عشرة ملايين وهو يكاد لا يكتفي لاكثر من سنة واربعة اشهر وهو يرى انه في اوائل السنة القادمة يتبدى ورود الدخان على التعريفة الجديدة

ثم قال ويكاد المتصدر الى الخارج لا يزيد عن ٢٠٠ الف كيلو وقد يزيد ايضاً فيصل الى نصف مليون بعد سنوات على ان هذه المقطوعية لا تذكر لدى مقطوعية البلاد فسأته وكم تظن يقطع الوطنيون من الكمية كلها فقال يقطع الاجانب هنا مليون كيلو بما فيه المتصدر الى الخارج والباقي وهو سبعة او ستة او خمسة ملايين يقطعه الوطنيون قلت وما فائدة ابناء البلاد قال اني اتكلم عن الفائدة للخرينة ثم للتجار أما الاولى فناشئة عن زيادة الايرادات واما الثانية فعن زيادة الوارد تلقاء كثرة المقطوعية منه بسبب إلغاء البلدي واما الاهلون فنمنعتهم قائمة باستخدام الزيادة في تخفيف الضرائب ذلك ما قاله لي هذا الصاحب العزيز ثم اجتمعت على مصري من العارفين باحوال هذا الصنف هنا وفي الارياف فقال

ن اخزينة لاتلام لاهتمامها في زيادة الايرادات ولكن على شرط ان ينال ابن البلاد قسماً هذه الفائدة اما مسألة الدخان فالفائدة فيها محصورة في الخزينة وفي تجار هذا الصنف وقد سارت الحكومة بالغاء الدخان البلدي على

عكس ماشو جار في اوربا فان رجال كل شعب يعملون على زيادة الضرائب على المحصولات الخارجية والتساهل في حاصلات بلادهم فلم لم نقدر بهم ولم نختار الا مسألة الدخان لذلك قلت اولست ترى واسطة لزيادة ايراد الخزينة بدون الالغاء قال نعم ان تكون ضريبة القدان اربعة آلاف قرش مثلا او اكثر او اقل ووضع عشرين قرشاً او ثلاثين على الوارد الخارجي فان مشتري هذا الصنف لا يدخنون البلدي وتكون قد ظلمنا عدداً محدوداً على حين نحن بالالغاء نضطر الوطنيين الى تدخين الدخان الاجنبي بشن اغلى وهم لم يتعودوا عليه

تلك هي افكار كل من الوطني والاجنبي نشرتها على علائها خدمة للقراء اما انا فأقول اننا مهما بحثنا في المسألة رأينا ان الاحسان فيها اقل مما يتصور ولا امل بدفع الاضرار الا اذا خففت الضرائب وأنجزت الوعود والا اضفنا شر هذه المسألة الى غيرها فهي ليست بالأولى وبودنا ان تكون الاخيرة والله مع الصابرين



وقال في ١٥ ديسمبر تحت عنوان الزراعة

ثبت ان غنى مصر وثروتها الزراعة وان أبواب رزق اهاليها في محصولات البلاد ولا انكر ان هناك ابواباً أخرى للتعيش ولا سيما الخدمة في الحكومة ولكنها ضافت وستضيق ونحاف ان تسد في المستقبل ونحن نحصى عجالتنا هذه بالزراعة ومنها نعرف حالتنا معرفتنا مواجب المتفعين منها سواء

كان من الحاكم او المحكوم والله المستعان
 من مواجب الحكومة والشعب زيادة اسباب الثروة وتضاعف واجبات
 الاول في مثل بلاد مصر لانحصار ثروتها في الزراعة ولان شأن الحكومة غير
 شأن الشعب للتباين بين التريقين مما لا يحتاج امره الى دليل ولما كانت
 الزراعة حياة القطر وجب ان ننظر في تحسين حالها اي ان يقوم المزارع
 بالعلم والتجربة ويتفنن في احوال التجارة ويتوسع في شؤونها مما يفيد العلم
 وينيله الاجتهاد والثبات واسوء الحظ نقول ان هذه الفئة لا تزال على
 ما كانت عليه من سنين فلم تتقدم خطوة ولا عبرة في افراد تفننوا في الزراعة
 لان عددهم محصور ولم تنبث روح مبادئهم في العامة فانحصرت الفائدة فيهم
 وصدق من قال ان اجتهاد البعض ضاع في تهاون الكل
 ولا احصر المسؤولية في المزارع فانه معذور لجهله حقوق الزراعة وتجارب
 العلم الجديد وقد نهكته السنون واثقت كاهله الحوادث فوقع تحت وطأة
 اثقال الضرائب كأنني به لا يزرع الا لبني مال طينه وهو يكتفي من الحياة
 بما دون الطفيف ثم لم يقيم من الحكومة دليل على تشجيع المزارعين
 ليتناظروا ويتسابقوا في حبة الزراعة فأين المعارض الزراعية وأين علامات
 الامتياز لجودة هذا المحصول وحسن جنس هذا القطن وتلك الحبوب فكل
 عناية او رعاية يصير توجيهها الى مثل هذه الامور يترتب عليها تجديد الحياة
 الزراعية لان الارض تزداد تباهاً سنة عن سنة ولهذا وجب ان يستعوض
 اربابها عن تعبها بتفنن الزراعة وهذا لا يتم اذا لم تقم الحكومة بمواجبها اولاً
 والمزارعون ثانياً

وهناك ملحوظات اخرى لاتقل اهمية عما ذكرناه. منها تخفيف ضرائب

الاطيان ليتقاسم المزارع والخزينة اثمان محاصيله فيجتهد لانه يكتسب .
ويسرنا ان الحكومة مهتمة بتحقيق هذه الامنية . ومنها مساعدة سباخ الارض
والحكومة بالغاء عوائد الاغنام والماعز وقد عرفت هذه الغاية فشكرناها
وسألنا تعميم امثالها ومنها تسهيل وسائط النقل وهي من اكثر المسائل اهمية
ولكننا لسوء الحظ لم نر من ارباب الامر فيها اهتماماً كلياً

فلقد زدنا الاجرة على المحاصيل فلم تضر التجارة بالزراعة والاخيرة
حياة المصريين وقوتهم وسعيها في زيادة عوائد الجسور لتحفظ زيادة ايراد
سكة الحديد فلم تقصد الا خدمة الخزينة نعم لا ننكر ان مصلحة سكة الحديد
خفت الاثقال ولكن كان ذلك حيث الملاحه لها رقية والا لما كانت التعريفه
من الفيوم اشبه بتعريفه اسيوط والاجرة من الزقازيق اضعاف مثلها من
كفر الزيات وسعد الاخير انه على النيل ونحس الاول ان لانيل عنده
واذا قيل كيف تخفف اثقال احمال الزراعة قلنا بتخفيف الضرائب مع
تخفيف ضربات الدخولية وأجر النقل وعرض كل مشروع من شأنه استخدام
حاصلات البلاد في المصنوعات الاهلية وفي الاخير خدمة مزدوجة للزراعة
والصناعة فان ثروة البلاد لاتضمن ثروة الاهلين والايراد ليرهم بل كلما كان
الاهلون اغنياء كلما كانت البلاد غنية لان ما لهم فيها بعكس الاول

ونرى من اقدس مواجب اولي الامر ان ينظروا في هذه المسألة
ويسألوا مصلحة سكة الحديد درسها درساً مدققاً ليكون ائتمديل عادلا عاماً
ننظر فيه الى خدمة الزراعة كما تقتضيه مصلحة البلاد ونأتي الاقتصاد من
ابوابه الحقة ولا نخترع أمراً جديداً بل نتخذ اوروباً دستوراً في هذه المبادئ
ونجاحها يضمن نجاحنا وتشكيل لجنة لمثل هذه المسألة أهم وأولى من اللجان

المشكلة التي اذا اتت بفائدة كانت محصورة محدودة بعكس مسألة سكة الحديد فيها اجل خدمة للخرينة والاهلين لان الزراعة حياة الجميع

سنة ١٨٩١

كتب في ١٩ يناير رداً على تقرير للمستشار القضائي نقله لما ترتب عليه من موافقة ذوي الامر لآرائه على ما يشاهد اليوم في الدوائر القضائية

رسالتي هذه انجز فيها الوعد ببيان الملاحظات على ماجاء في تقرير حضرة المستر سكوت الذي ضمنت خلاصته في رسالة سابقة فاقول ان النتائج التي استنتجها المستر سكوت في مقدمة تقريره لحقائق لا ينكرها احد ويوم تستوفي المحاكم حقوقها يعرف الجاهلون من الشعب معرفة العقلاء فضل القانون المذكور وحرية مبادئه وعدالة غايته وانا نوافقه بتتقيص عدد قضاة الجلسة ولكننا لانرى عدلاً ان تكون من عضوين فقط بل يجب ان يكون عدد الاعضاء ثلثة سواء في الابتدائي او في الاستئناف

ومن اعدل مطالب المستر سكوت تخفيف الرسوم وهو امر امسى البحث فيه تحصيل حاصل وكلما اسرعت الحكومة في تخفيف الرسوم كلما ايدت الدستور وبرهنت على صيانة الحقوق بتعميم العدالة ومن البت التردد في تخفيف امثال هذه المطالب الآن ولو اجاب اولو الامر الى مارسه الرأي العام في هذه المسألة لما احتيج الى حضور المستر سكوت اولاً وطلب تخفيف

الرسوم ثانياً ولكم من مرة كتبنا في تخفيف الرسوم وشدة وطأتها ولكن
انحصرت الاعمال في المكاتبات الرسمية بين النظارة والنيابة او عهدت الى
تشكيل اللجان ولكن بدون نتيجة وهي خطة من اكبر دواعي انحطاط
الشرق وتأخره

أما تنديده في الامور الجنائية فلا يخلو من الصحة وكان يجب عليه
ان يتوسع بها إلا انه أراد ان يندد ويرضي في وقت واحد وهذا محال
اذا كان لابد من اعلان الحقيقة ولا ريب في انه لو اتفق رجال النيابة
والضبط مع رجال الادارة لكانت الحالة احسن جداً ولم يكن مجال لتنديده
في حين لم يقل امراً بديداً بل ردد صدى الرأي العام

ولاحاجة هنا لسرد تاريخ التداخل الاداري في الاعمال الختوية وهو التداخل
الذي كان من جملة دواعي تأيد تداخل المراقبين كما قلنا ذلك في حينه وما ننكر
انه لو قصد بالتداخل اصلاح الشؤون قلنا نعم الامر ولكن ارادت كل
سلطة ان تخدم نفسها فاضرت بمجموع السلطات وخدمت مراقب الجميع
والنتيجة برهان مدل

ونحن نرى بتعيين قضاة صالح في القرى خدمة جليلة للاهلين اللهم
اذا روقبوا بمد حسن الانتقاء وهذا خير عسير لان المراقبة اكبر مدرسة
لابهل والكسول والمستبد والمرثي وكلما كانت المراقبة شديدة كلما كانت
النتيجة حسنة وكلما نظرنا في الانتقاء الى الالهية كلما خدمنا الدستور وأنفسنا
والإعم التداخل وفقدنا كل امر

ثم نقول قوله على البوليس وذلك ما طالما سألناه خدمة للمصلحة المذكورة
ولا يدم اربابها الرجال اذا اهتموا وأحسنوا الانتقاء وأما ماعرضه بخصوص

المشردين وإعطاء الامتياز للهدد ومراقبة المديرين لم نهي دعائم الامن
ولصيانة الحقوق المتبادلة

ولا ريب ان ما عرضته بخصوص احداث قومسيون لمراقبة القضاة في عمله
ولكن نحن نرى من الواجب تعديل التشكيل المذكور } وعرفنا عن ثقة ان لا بد
من ذلك } وكلما احسنا انتخاب اعضاء هذا القومسيون كلما ابدنا الانراض
الشخصية والمصالح الخصوصية وانفق الجميع على تضد القضاة الذين جمعوا الى
معرفة الحقوق فوائد التجربة مع رضى الرأي العام عن حرية مبادئهم
واستقلال ضميرهم

ولكننا لانواقفه على تعيين منتسب انكليزي ولا سيما وخصائصه كما ذكرناها
فاننا نعتبر ذلك سلطة في السلطة فتضر الواحدة بالثانية وتكون النتيجة زعزعة
الدستور وتقويضه نعم لانأف من المراقبة ولكن لماذا لا يكون المستشار
وحده مراقباً في وقت واحد تحت شروط لا تمس بالدستور بل تؤيده
وتعضده وهذا سهل فان المستشار حالياً هو بصنة منتسب وفي تقريره ومأموريته
ما يؤيد ذلك ويمكنه في هذه الحالة مع خدمة العدالة وأرباب الحقوق تأييد
الدستور كما تقتضيه المصلحة العامة

ولا نوجب اذا وافقه الجميع على ما اشترطه بخصوص تعيين القضاة
في الابتدائي ولكنه أبهم في كلامه على الاستئناف نعم انه قال بوجود صرف
مدة ثلاث سنوات الخ. ولكن يجب ان يكون التعيين في الاستئناف تاباً
لقدمية اعضاء الابتدائي واما شروط النقل والرفق فتبادلة

اما ماسأله من تعيين اثنين من الانكليز في الاستئناف الاهلي فهو ما طالما
خفنا حصوله واستلتمنا ارباب الحكومة الى ملاقاته قبل الوقوع فيه فكانت

النتيجة ماسألهُ سكوت وانا لا انكر على الانكليزي والاوربي عموماً المرنة
والحرية واستقلال الفكر ولكن اني له معرفة اللنة البرية مرنة كافية يمكن
بها من فهم المرافقة ودرس الاوراق ولهذا فاذا كان لابد من المنصر
الاجنبي في المحاكم وجب ان يرخص بالمرافقة بلنة اجنبية ايضاً يفهمها القضاة
سواء كانوا شرقيين او غربيين

ونحن نرتأي اقامة محكمة تميز ترجع جميع الامور اليها وتكلف بمراقبة
اعمال المحاكم اجمع ابتدائية واستئنافية وتؤلف من خمسة هم اربعة اعضاء ورئيس
فان مثل هذه المحكمة ضرورية وما ننكر ان فريقاً يعارض تشكيلها لانها
تزيد في النفقات على المتقاضين ولا سيما وان انتقارنا الى اصحاب الالهية
لاخلاف فيه فاذا نقلنا خمسة الى التميز نكون قد عملنا على تحقيق ضمانه
الاستئناف مع ان الحالة المالية واشغال المحاكم لاتساعد على ذلك ولكننا نرى
من التبذير امسك الدرهم عن المحاكم كما نرى ظمناً عدم تخفيف الرسوم واذا
رفضنا التميز اليوم اضطررنا الحوادث اليه غداً والمستقبل للرأي العام واحوال
اوربا شاهد عدل

أما الرجال فلا يستحيل وجودهم اذا اردنا تفضيل الدستور على الجنسية
ولكن اذا فضلنا الاخيرة اضنا الدستور والجنسية واذا فضلنا الدستور
حفظناها جميعاً وان مارأيناه وراهُ يومياً من الاعمال والمسائل يؤيد هذه
الاقوال ويبرهن على عدالة مبادئنا

واذ قد تقرر ان يعين القضاة من تلامذة الحقوق وجب ان تهدي رئاسة
المدرسة الحقوقية الى رجل جمع الى المدة الحقوقية فوائد التجربة وليكن
ابن القانون وأصيلاً به لادخياً عليه وإلا نحول دون نجاح المدرسة

المذكورة ونضر بالمحاكم اذ يتعذر نيل الموظفين اللازمين لها فيكون الضرر مزدوجاً

واقدم سألنا كثيراً من القاضي ولم نسأل له صيانة مركزه وضمائنه نعم ان بلجنة التأديب بعض الضمانة ولكن نرى من الواجب ان يقرر ان القاضي الذي يقضي مدة ثلاث سنوات مثلاً في الابتدائي وتثبت اهليته ومهارته لا يزل ويكون حكمه حكم اعضاء الاستئناف وهذا مما يشجع العمال على السهر ومراقبة الامور كما يقتضيه القانون والمصلحة العامة



وكتب في ٢ دسمبر من دمشق

لانجب اذا قلنا ان من اوجب الاصلاحات وألزمها تعديل الضرائب في الولاية السورية وبالتالي في جميع ولايات الدولة العلية لان هذا المطالب عام في جميع اوربا حتى في انجلترا ضريبة . والضرائب في هذا القطر السوري قد تكون مجنونة في بعض الجهات الا ان اجحافها اليوم هو من حيث توزيعها على الاراضي ولو قابلنا ضرائب سورية بخرائب مصر لرأينا الثانية اشد وطأة من الاولى واما التوزيع فخالته واحدة وهي لا تخفى على الناقد البصير

ثم انك ترى صاحب هذه الارض يدفع ضعفي ما يدفعه الجار على ارضه ويراد الثانية اعظم لتوفر المياه فيها وهو اجحاف ظاهر وقد فآحت حضرة ملجأ الولاية الذي رأيتهُ مهتماً كل الاهتمام باصلاح هذه المسألة مع حفظ مال الخزينة فعرفت من دولته ان الرحوم صبحي باشا كان باشر

اصلاح ذلك وان دولته فاوز الاستانة وأمله وطيد في تحقيق هذه الامنية
لانه بذلك ينفذ اوامر الجنب الساطاني ولا سيما بخدمة الفقير المزارع الذي
ليس له ما للغني من المعدات توصلاً لتعديل ضرائبه او تخفيفها ولم ار في
الوالي المذكور انتباهاً الى هذا الاصلاح وحده بل الى سواه ايضاً من حاجات
العامة ليتوفر للفقير والمسكين من معدات الراحة والثروة ما انحصر امره
الى الآن في بضعة اشخاص

والممول من دار السادة اجابة مطالب دولته وهو ما لا نشك
بحصوله لمداته ولا سيما وان بتحقيقه صيانة اموال الحكومة وعدم ضياعها
لان تعديل الضرائب لا ينقص من مجموعها وفي عدالة التعديل خدمة اعظم
من نقص مجموعها لان بالاول اشتراكاً للجميع بالفائدة بينما نخاف ان تنحصر
فائدة الثاني في النئة الغنية المدودة التي احتكرت النوائد منذ سنين
قلنا ان وزارة المالية لا ترفض طلب الولاية ولكن العقدة في انتقاء
الاشخاص المعهودة اليهم مساحة تلك الاطيان وتعديل ضرائبها فقد يحتمل ان
لا تمكن العدالة في اجراء الامر الثاني بدون مسح الاطيان فان اوامر الحضرة
السلطانية جميعها عادلة وغايتها شريفة وهي تنظر في رعاية الرعية اكثر من النظر
في مصلحة الخزينة ولكن الاجحاف الذي نراه في توزيع الضرائب وغيره من
آثار الماضي انما ادخله اولئك الموظفون المرتشون الذين لا وطنية لهم وقد
باعوا حقوق الخزينة والاهلين لغايات ساقطة فكان ما كان من الاجحاف
وكثيراً ما ساعد الاهلون اولئك الموظفين على الرشوة رغبة منهم في تخفيف
احمالهم بظلم اخوانهم او لغايات اخرى لاتقل عنها خسة سواء لمشتري وظيفة
او للحصول على منصب فان الراشي والمرتشي مجرمان والذنب واحد ونحن

قد اصبحت واجباتنا الان اقدس مما كانت قبلاً فان لنا مع مقاصة القانون
المجرمين قانوناً اجل تجب علينا رعايته وهو الوطن العزيز فان المراقبين كثيرون
وان وجود الراشي والمرتشي لا يمنع وجود كثيرين من أولي الاستقامة
الذين يخافون دينهم ويحبون وطنهم فيقومون بهذه المهمة خير قيام ولا يستحيل
تلى استقامة عاصم باشا ان يتتري رجالاً من ذوي الاهلية يراقبهم بنفسه
فيسأل مكافأة المستحق منهم وتفاصيل المتصر

واري ان ضرب مال معلوم على الاطيان اولى من مال الشور فيتم
الاصلاح من جميع وجوهه وتتخلص الاطيان من ظلم زارتها الذي ينهكها
ليزيد في الايراد ويسدد الضرائب ويتخلص المالكون من استبداد المشرين
والملتزمين وتطلى لهم القسائم فيعرون ما عليهم وما دفعوه وفي تحقيق
ذلك اكبر خدمة للخزينة والاهلين اما الاولي تستوفى اموالها ولا يكون
من ثم بواق تتجمع من سنة لسنة واما الاهلون فلا يدفعون المال الا مرة
واحدة للخزينة ونعم النتيجة

سنة ١١٩٢

كتب عن سمو الخديوي عباس باشا الثاني على اثر ارتقائه الى الازمنة الخديوية

اعلن الجناب الخديوي ايده الله في خطابه لنواب القطار رعايته
لدستور تلك الهيئة وآماله بمعاودة الامة لها خدمة لمصر والاهلين وهي اقوال
تدلنا صريحاً على شرف مبادئ سموه ونبل غايته فهو في الاول قدر الدستور

قدره' مما يؤمننا وتلك مبادئ سموه ان يسعى في توسيع نطاق ذلك المشروع الجليل وان يشترك نواب الامة مع الحكومة ليس فقط ادبياً بابداء آرائهم بل فعلياً بالمداولة في المشروعات ومبادلة الآراء في اللوائح فيسأندون الهيئة الاجرائية بما يرفونه من احوال البلاد واحتياجاتها

وأما في الثاني اي قول سموه بمماضدة الامة فقد ايد جنباه العالي فضل الدستور وهيئة الشورى واذا قال غيره ' احكم بحكومتى فقد قال هو وبأمتي ونتم المقال مما يبرهن لنا على ان ارادة سموه تعززت بالمعونة المطلوبة بين المدارس والاسفار ففرف مواجب الحاكم معرفته حقوق الامة ومواجبها ولا نجب اذا وفقت اعمال سموه مع ارادته الحازمة ومعرفته الوافية

ولو اتبع رجال شرقنا هذه المبادئ لما فعلت عوامل التداخل الاجنبي فعلها الخاضر ولكن اولئك الرجال كانوا ينبذون نصيحة الوطني استخفافاً ويحترمون اقوال الاجنبي مع ان الاول لم يقصد الا خدمة سيده وبلاده والثاني لم يقصد الا خدمة امته بالنصح لولاة امرها وشتان بين الامرين

ولو بحثنا عن اسباب تلك المعاملة لعرفنا انها ناتجة عن استبداد وجهل اما الاول فيصور الخيلاء والكبر وأما الثاني فالاستخفاف والاحقار وكلاهما يذهبان بصاحبهما الى الضياع ولهذا قابلنا خطاب اميرنا الحازم بناية الامتتان لانه ايد لنا ما نؤمله في سموه من احترام آراء الامة والسعي في خدمة مصالحها والمماضدة لرجالها ولا سيما نوابها المحترمين توصلنا الى تحقيق تلك الاماني الوطنية التي لا يخرج منها عن ان تكون مصر للمصريين

وكتب في ٣ مايو عن الميتر شامبرلن الذي دلاً ذكره الملتزمين اليوم ما نذكره
اشارة الى بعض احوال الرجل

اهم الاخبار الاخيرة خطاب زعيم المتطرفين الميتر شامبرلن الانكليزي
الذي قام بنصرة الشعب وأخذ اليوم بمبارضة حثوته ومضادة العناصر
الضمنية منه وهو بالقول الاخير يتصد مصر لانه 'بدان حارب الاحتلال وندد في
عماله زار مصر وشرب من نيلها فوفى الضيافة حقها ورجع الى انكلترا يخضب
في محافلها ويكتب في جرائدها باستمرار الاحتلال نكساً لما كتبه في السابق
على ان التباين المذكور يكفيننا مؤونة الرد على اقواله

اما خطابه فقد خصه بايرلندا ومستقبلها اذ قال ان سكان ولاية اولستر
الاييرلندية مصحون على رفض الضرائب التي تطلبها دار الندوة الايرلندية
وإنه اي شامبرلن في ثقة من ان سكان المقاطعة المذكورة لا ينيرون
عزمهم هذا

ونحن نرى في هذه البارة تيجتين مهمتين لسياسة انكلترا اما الاولى
فنزاهة ثقة المحافظين وأشياءهم من خذلانهم ونوز الاحرار في الانتخابات
الآتية وهذا هو لسان حال الرأي العام الانكليزي كما نرى في خطاب افراده
وكتابة جرائده وأما النتيجة الثانية فهي استخدام شامبرلن على ندم رضى
المقاطعة ثورة ضد مشروع لايزال في عالم تصور إذ ان بغتار الاحرار
لاتضمن اقامة دار تلك الندوة وشروطها الدموية مع انكلترا والخصوصية
مع ايرلندا نفسها فكأنني به والحالة هذه لا يتصد إلا حصول تلك الثورة
وقد استلنت الرأي العام الانكليزي اليها لمرحلة خطوات الاحرار وزيادة ظلم
ايرلنده لغايات مذهبية

وكتب في ٢٥ يونيو من فينا

فينا عاصمة المملكة النمساوية وهي من اجمل مدن اوروبا وأحسنها رونقاً
وأتمها نظافة وهندسة والمارف لنة اهلها يسر كثيراً فيها ولا سيما لان طرق
المعيشة فيها اسهل من سواها بسبب طبيعة هذه البلاد على ان ساكن المدن
العظيمة في اوروبا يمكنه ان يعيش حسب ارادته ومقدرته بعكس ساكن
المدن الشرقية حيث يتسابق اهلها الى الاقتداء بالمبذرين اكثر مما يتنافسون
في تعميم المبادئ العلمية ونوائد الحرف والصنائع وهذه النقيصة في
مدن الشرق قد اضررت بالهيئة الاجتماعية الشرقية فأمتست الان بين شرقية
وأوربية

ونرى ساكن اوروبا حتى في اعظم مدنها واكثرها سكاناً يهتمون
بتسهيل وسائل استمالة الزريب الى بلدتهم ليأتيها فيصرف فيها الاموال الكثيرة
ولهذا كان لهم من الغرائب ايراد يذكر ولا سيما في مثل فرنسا التي انفردت بحسن
هوائها وبذوقها فكان ايراد البلاد من الاجانب عظيماً جداً يقول الاقتصاديون
عنه إنه من اهم ايرادات البلاد ولهذا اندفع السكان والحكومة الى زيادة
التحسين ليزيد عدد القصاد

وكثيراً ما سألت في رسائي العاصمة ان تتوسع الحكومة في زيادة
اسباب راحة السياح لتكون مصرنا سويسرا الشتوية يقصدها الالوف فيصرفون
الملايين الكثيرة ويستمتع باكثرها ابناء البلاد وهو ايراد بدون رأس مال ولا
يمكن للخزانة ان تضرب عليه ضريبة

سنة ١٨٩٣

كتب في ٨ جبايو عن منشور كولس الشهير ما عقبته الازمة الوزارية المهمة التي
كان لها من الشأن العظيم ما لم ينسه القراء.

لم تكن نود اتخاذ منشور كولس باشا موضوع بحث اليوم ولكم تمنينا
ان تكذب الاعمال ماسبقنا وانذرنا به رجال مصر منذ سنوات ودونناهم الى
مداركتهم قبل الوقوع في اضراره ولكن ابى غرور هذا وجهل ذلك الا
تسهيل اعمال الانكليز واناذ مطامعهم وهكذا كان ولهذا لم نتب على
الانكليزي لانه تداخل في اعمالنا وقبض عليها واستبد بها وتملك ادارات
البلاد فانه لم يحتل بلادنا الا لذلك رغماً عن عبوده واقسامه وتلك سياسته
في جميع الاحيان والبلدان ولكننا نلوم المصريين الذين عملوا على تأييد سياسة
التداخل وهم اكثر ذنباً بضعفهم من الذين سبوا التداخل العسكري عن جهل
لان هؤلاء لم يعرفوا الى اين المصير وأما الاولون فعرفوا ولو لم يكن الا
تنبيهات الاهرام وتهديداته لكنني بها نذيراً لقوم يعقلون

اشتمم الانكليز مرض عطوفتوا مصطفى فهمي باشا وبثوا بالمشور المذكور
الى جميع المديرين والمحافظين ووقع كولس باشا عليه باسم الناظر المريض وهي
حقه لم نعرفها في غير تاريخ الانكليز الذين امسوا بانفاذ مبادئه اصحاب الامر
والنهي في نظارة الداخلية واصبح المديرين مضطرين الى مخاطبتهم بجميع
الاحوال المختصة بمسائل الخبز والمشاخ والضبط والربط مما حصر سلطة ناظر
الداخلية في معاونيها وكتاب اقلامها وامسى حكم الداخلية حكم الاشغال والحربية
والمالية وهذا ما حذرنا منه حكومة مصر واستلتمنا اليه ضعف هذا الناظر

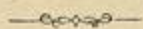
وغرور ذلك الوزير فكان لا حياة لمن ننادي
والآن اذ تأيد هذا الامر فقد وجب الذاة وظائف النظارات وسائر
الاقلام واستخدم ما يدفع لما في سبيل اصلاحات نافعة يستفيد منها الفلاح
المزارع الذي يقوم بتلك الاموال وليس من العدل ان تنقصها في اضافة
حقوق بلاده المقدسة للاجانب عنه جنساً ولاة وعادة وديناً
وكيف جاز لكولس باشا ان يوقع على ذلك المنشور ولا يستشير الناظر
او لماذا لم يوقع وكيل الناظر على المنشور المذكور وكيف يجوز تبديل خصائص
احد الوزراء وحرمان المصري من حقوقه ولم يقرر ذلك مجلس نظار ولم
يصدر به أمر خديوي

ناشدتكم الله ايها الانكايذ المصاحون ولا سيما كباركم كيف استخدمتم
التمس لالان ما تكمنونه ضد اميرنا المحبوب وعباسنا المعظم وقلم من جملة
ادعاءتكم انه يتداخل في اعمال الادارات بدون واسطة رؤسائها ولنفرض
صحة قولكم افليس الخديوي هو امير البلاد وصاحبها اوليست الامة هي عباسها
وهو الامة اولا ترفون ان حقوق الخديوي حقوق القطر والمصريين
وجميعها واحدة قائمة بشخص الجناب العالي

ثم لا تجهلون ايها السادة الانكايذ ان الخديوي برهن في اعماله على انه
اميل الامراء والحكام الى احترام المبادئ الدستورية باجتماعه بنظاره يومياً
ومخاطبة النظارات بواسطتهم مع انتقاده واعتقاد المصريين والاجانب انه لم يقف
منهم على مستتر وقد لمتوه لاضراحتكم واستخدمتم التمس والستاندرد لشفاء
غليلكم ولا نجب اذا عضدتكم كولس باشا وقلم باحقية منشوره لاعتقادكم
ان لا أهلية للمصريين كما كتب ميلتر في كتابه

ولكن الحوادث فندت اقوالكم والاعمال كذبت جرائدكم بما اتاه الجناب الخديوي الذي احى في المصريين تلك النهضة الوطنية ولهذا كنا في ثقة من ان سموه يأمر بالغاء منشور كولس باشا ووضع حد لامثاله بأن يعهد المناصب الى رجال مصريين اشربوا الوطنية في شرايينهم فلا يخضون صاغرين للدخيل كما هي الاحوال اليوم واننا والله نعد اطراد الحالة المذكورة ذنباً سياسياً الا اذا كانت الغاية تأييد التداخل الانكليزي وضياع حقوق البلاد المالية والسياسية ورجال الحكومة يرفون ان ليس من مصري في مصرنا يرضى عن هذه السياسة وقد حان ان نرف ان الرأي العام لنا بالرصاد فاذا لم نتدارك الشر من تلقاء انفسنا قضي علينا وخضنا لاحكام ذلك القضاء المبرم صاغرين فان تضحية مصلحة نرف في سبيل خدمة الوطن العزيز وخديويه المعظم لمن اقدس الواجب واشرفها

تلك هي حالنا ايها الخديوي المحبوب رفمنهاها الى اعتابك السنية لنرى فيها رأيك الصائب بفكرك الثاقب فتمنع انفاذ منشور كولس باشا وتأمراً بالتعديلات والتغييرات اللازمة لندخل مع سنة خديويك الثانية في شأن جديد يترتب عليه حفظ حقوق الوطن وتأييد مصلحته المصرية فتذكرنا بأحسن حسنات اجدادك ويحفظ لك التاريخ ذكراً وطنياً حميداً يتوارثه الابناء عن الآباء وكلهم دعوات خيرية لذاتك المحبوبة



وكتب في ١٨ منه بعد حدوث الازمة المشار اليها آفأ

ان الجناب العباسي حفظه الله ايد باعماله الاخيرة الحازمة الوطنية امرين رئيسيين الاول عزل رئيس النظار او الناظر الذي لا يرضاه والثاني

تعيين الوزير او الرئيس الذي يريد وفي كلا الامرين نظر سدوه الى مصاحبة
الامة والوطن لانه اذا كان النظار على غير رأيه فلا يخدمون الا الانكليز واذا
كان الوزير على غير مبادئ سدوه كان خادم المراقبين الدخلاء وعليه فلم
ينظر الجناب الخديوي عباس باشا المحبوب الى شخصية هذا او ذلك بل نظر
الى المبادئ والاعمال وهي خدم وطنية جديلة قابلا للمصريون بتكرار
الدعوات الكريمة بحفظ حضرة السنية وتزير الامة والوطن السيد تلى يدها
ولنا بتظاهر الامة اليوم بين يديه اكبر برهان

تلك هي خدم سدوه الداخلية ولكنه حفظه الله لم يقنصر على ذلك
بل خدمها خدمة عثمانية اوروية اما اولاً فلما رأيناه من تنازلات الحضرة
السلطانية لسدوه المؤيدة لاعمال خديوتنا الذي قام بما تحوله اياه حقوقه
المقدسة في الترميمات السلطانية واما ثانياً فلان انكثرت نفسها بعد ان رأت
الانفراد بمصر داخلياً وخارجياً اضرت لمخبرة سنراء فرنسا والروسية والمانيا
بلوندره واعترفت بهذه المخبرات ان المسألة اوروية غير انكليزية وهو شأن
من اهم الشؤون في حوادث مصر الداخلية لم نره من سبع سنوات

واخيراً فان الجناب الخديوي باعماله هذه طهر اعمال المصريين السابقة
وكنز عن ضعف هذا وغرور الثاني واهمال الثالث واوجد لمصر نصراً وطنياً
جديداً يجب ان تتفخر به الامة كما تتبر باميرها المحبوب وان يتخذه المصريون
قاعدة لسياستهم ومثالاً لاجراءاتهم فيرون من الوزير الى الساعي انهم خدمة
العباس يزل هذا وينصب ذلك فيما تقتضيه مصلحة وطنه كما قال اليوم تلى
مسمع الالوف « اني وقت نفسي لخدمة أمتي ووطني ولا اسال الموظفين
إلا ان يجروا على هذه المبادئ واسال الامة الدعاء » ونحن نعلم ان الجميع

واحد في خدمة سموه وان اعتقاد المصريين انه الامة والوطن فبخدمة
العباس صيانة مصالح القطر السعيد والامة المصرية

ونحن لايسعنا الا امتداح وطنية الفاضل فخري باشا ولا نوجب اذا
ارانا سمو العباس من الالتمات اليه مايزيد المصريين اخلاصاً لحضرتة العلية
فان فخري باشا لما اشتدت عليه وطأة الازمة استقال لكي لا تكون شخصيته
سبباً للخلاف والتنافر ولو فهم مصطفى باشا ذلك لما اوصلنا الى الحالة الراهنة
قبل مرضه وبعده لايجمل ماكان عليه الرأي العام ضده وقد قضى عليه
بلسان الاهرام وهو لسان حاله ونحن نتظر اعمال الوزارة الجديدة مستبشرين
لاعتقادنا انها تقوم بتعميم مبادئ الجنب العباسي النافعة فان الاهرام صدى
الرأي العام والرأي العام على رأي اميره المحبوب

ولكن لايسعنا إلا ان نستبجح علناً ثورة الموظفين الانكاز في الحكومة
المصرية وهم ينفقون الرواتب النادرة من اموال الازلاخ المسكين فقد كان
يجب الانتظار على الاقل الى ما بعد الوقوف على نتيجة المخبرات حتى لا يفضح
امركم ايها الانكاز المحترمون فلقد عرفنا غايتكم من كثرة التوظيف وانذرنا
بها حكومات مصر وبثورتكم هذه على الامير الخديوي وحكومته ايدهم
ما أتيتموه بسوء سياستكم بتلغراف التمس وكتاب ميلنر ومنشور كولس وتمضيد
مصطفى . وكان يجب ان يكون الجواب على ثورتكم عزلكم دفعة واحدة
حتى لا يقول التمس ان مثل هؤلاء حصون الاريكة الخديوية

ناشدتكم الله اذا كانت تلك اعمالكم ايها الموظفون الملكيون فاذا تؤمل
من ضباطكم في الجيش المصري لإطاعة اللورد كرومر ضد سمو الخديوي
وحكومته وكيف لا يندد بكم المصري ويشتر منكم وكيف يأمتمكم ويصدق لكم

وعوداً فإن تلك الوعود المكررة وأين تلك الاقسام المعظمة وأين وأين
 ولقد عرفتم الآن ايها المصريون فضل عباسكم اميرنا المحبوب ووطنيته
 ومصريته وعرفتم ايضاً سياسة الانكايذ وغايتهم فيكم فكونوا واحداً في خدمة
 العباس وانا الكفيل لكم بصيانة حقوقكم وحفظ امتيازاتكم واستقلال ادارتكم
 ولنكن معكم واحداً بالدعاء للجناب الخديوي المعظم

وكتب في ١١ أكتوبر من طولون عن استقبال الاسطول الروسي

يجز قلم الكاتب عن وصف احوال طولون في هذه الاعياد الفرنسية
 الروسية فهو مشهد قل مثله ونذر نده لامن حيث الترتيب والذوق فهو
 عام في فرنسا وسيكون اعظم في باريس ولكن من حيث العاطفة الوطنية
 الفرنسية وهي حالة تلك الجماهير المتجمهرة في طولون فالبحري والسكري من
 اي المناصب والرتب على اتفاق في التهليل والتجيد مع سائر الشعب وعيد
 طولون عيد عام يحتفل به الفرنسيون في كل مدينة وبندر بل في كل
 بيت وأسرة ولنا بالتنازفات اليومية من جميع الأنحاء الفرنسية ومن
 الفرنسيين الذين خارج بلادهم برهان على ان جميعهم متبالون فرحاً وسروراً
 من اتفاقهم مع الروسية واتحادهم مع قيصرها المحبوب

وماذا عساني اقول عن الازدحام في طولون وقد تصددها اكثر من
 ثلاثمائة الف زائر حتى ضاقت بهم الفنادق والمساكن بل ارباض
 المدينة وسهولها وميادينها حتى اصبح الوف منهم يذهبون للمبيت إما بروسيا
 او نيس بعد ان يقضوا نهارهم وقسماً من ليهم في طولون ويصرفوا ما عن
 عندهم ليتركوا قلباً وقلباً في هذه الاعياد الوطنية

وما كان صباح الجمعة ١٣ الجاري إلا ماجت طولون بعالمها كما يموج
البحر انتظاراً للعمارة الروسية فوصلت عند الظهر وحيث العلم الفرنسي فأجابتها
مدافع فرنسا وصاح الالوف فلتحي الروسية فلتحي فرنسا بهتاف كالرعد
القاصف اسكت اصوات المدافع تقريباً وكرره الحضور عشرات بين صدح
النشيد القيصري والفرنسوي

ثم نزل الاميرال الروسي الى البر فسلم على وزير البحرية الذي حياه
تحية الاخلاص وقال له 'مامناه' « إني سعيد ان أرحب بك ايها الاميرال
الشجاع ففني ماعلينا للروسية ولقيصركم من الجميل لما اتيتوه بزيارة عمارتنا
كرونستاد واني بلسان فرنسا ارحب بك ترحيبنا بالامة الروسية وعظمة
قيصرها المحبوب » فأجابه الاميرال متشكراً ممتناً وختم خطابه بهذه العبارة
قائلاً « اکتني بان اقول انه منقوش على قلب كل روسي هاتان الكلمتان
« فلتحي فرنسا » فقول كلامه باصوات التهليل والسرور وانا اکتني بسرده
دون شرحه فانه فوق كل وصف

ولا اذكر مااتي الاميرال واركان حربه من حسن الوفادة والمآدب
والتشریفات والدعوات والخلع والايالي الزاهرة بل اکتني ان اقول انه
استقبال منرد في بابه اثناً وكرماً وتهليلاً كيف لا ونحو النصف المليون من
الناس يبیدون في بلدة صغيرة عيداً وطنياً يتردد صدها في فرنسا والروسية
فيزيد أبهة ومجداً ووطنية

ولا اذكر الخمسين سفينة من المدرعات الفرنسية التي ينادي لسان
حالمها إني لا اخاف بجرأ ولا بحرية في صيانة حقوقي والدفاع عن مصالح امي
ووطني ولا اذكر تلك العمارة الروسية التي لم تكن تذكر في الحرب الاخيرة

وهي الآن في نجاخ يضمن لها مركزاً بحرياً اشبه بانكيترا وفرنسا في وقت مأم
ولا اذكر العشرات من سفن الذين قصدوا طولون للاحتفال فاني اذا عدت
ذلك ضاق بي الوقت واتسع على نطاق الجريدة و مترجو الاهرام لا يتناولون
على القراء بنشر الالم منها

بل انا اذكر من هذه الزيارة اهميتها السياسية في فرنسا والروسيا واوروبا
ولست منهدداً فيما اقوله فكثيراً ما سمعته من زملائي وغيرهم ونحن الشرقيين
اليوم في زمن يجب ان نرى فيه جميع المسائل الاوروبية ولا سيما
القضية بالموازنة السياسية لما يترتب على ذلك من المصلحة لشرقنا العزيز
ولمصرنا السعيدة

يلوم المرضون فرنسا على عاطفتها الوطنية ويقولون قد باننت في التجارة
والاكرام وانه اذا كان لا بد من الحرب تمتعت الروسية عن مساعدتها والاخذ
بناصرها ولكن نسي هؤلاء ان الفرنسيين بعد ان ذاقوا مر الانكسار سنة
السبعين تهددهم استبداد بسمارك مرة اخرى ولولا الاسكندر الثاني لتنابت
الامان ثانية وكان يستحيل على فرنسا بعد انكسار ثان ان تقوم من ذلك
السقوط القتال ثم نعرف ان فرنسا في جميع هذه السنين الاخيرة قد اضطرت
الى الانزواء لانفرادها يراقبها التحالف الثلاثي وتهدها الاثرة الالمانية ورأينا
في خلال هذه السنين تجديد التحالف الثلاثي وتأيدته واجتماع ملوكه ورجاله
في حفلات رسمية واستعراضات عسكرية بينا كانت فرنسا مهتمة في احوالها
تهدها المسائل الداخلية ولكنها لاتلهمها عن مواجبتها العسكرية والبحرية

وكان القيصر الاسكندر الثالث يناظر دول التحالف الثلاثي ويراقب
احوال فرنسا ويدرسها فأراد باتحاده معها ان يحقق اماني شعبه وكان له

ما أراد وقد قال بزيارة كرونستاد فكان لها صدى ودوي في اقطار الدنيا
 فتهيب تلك الزيارة خصوم الدولتين وتهلّل لها الشعبان وأصدقاء الامتين ورجال
 السلام وكم اهتم اعداء فرنسا بعد زيارة كرونستاد بالقاء النور بين فرنسا
 والروسية ولكن ذهبت مساعيهم عبثاً لان القيصر لم يقل بذلك الاتحاد الا
 بعد اعتقاده بأنه لسان حال الامة الروسية وانه افيد لبلاده من اي تحالف
 فهو وان خدم فرنسا بتقريبه منها فقد قصد قبل كل شيء خدمة الروسية

فهل نعجب بعد هذه الادوار من احتفال فرنسا كلها بالاميرال افيلان
 وقد حضر بعد استعراضات الالزاس وزيارة ولي عهد ايطاليا الى متس وهل
 نعجب من الامة الفرنسية ان تحتفل بالامة الروسية احتفال هذه بفرنسا
 ايام كرونستاد مما يدلنا على ان هذا التحالف يرضي الامتين كيف كانت
 الحكومة ومهما تباينت الاحزاب وقد رأينا في فرنسا الاشتراكي والمتطرف
 والبونابرتي والملكي والجمهوري واحداً في الاحتفال وتأييد ذلك الاتحاد بينا
 لم نَرَ ذلك في التحالف الثلاثي والاشتراكيون الالمانيون ضده وهم حزب
 عظيم ومثلهم قسم عظيم من شعب اوستريا وايطاليا

وان الفرنسيين يقابلون الآن الامة الروسية بأسرها وفي هذه المزية
 من السياسة مالا يجبهه الواقفون على حقائق الامور سواء اتفقت الحكومتان
 على بنود معدودة ووقعتا على تحالف ام لا وكيف لا يذكر الفرنسيون جميل
 القيصر الذي زار سفن فرنسا في مياه الدانرك بينا تحتفل طولون باميراله
 وعمارته بل كيف لاتهلل فرنسا بهذا الاتحاد وهو ترسها الذي يساعدها على
 خصومها وأين شوكة التحالف الثلاثي بعد كرونستاد منها قبلها وأين معاملة
 انكاثرا بعد القطع بانشاء عمارة روسية بالمتوسط منها قبله وكل ذلك قد اضطر

فرنسا ان تيد له اعياداً وطنية ايدت الاتحاد وهو عند الجميع مقدمة ذلك
التحالف المرغوب فيه من الامتين
هذا وان باتفاق الروسية وفرنسا تأيد السلام ولا سيما والقيصر ارغب
الملوك فيه ولا نرى في التحالف الثلاثي عاملاً مثله فضلاً عن ان الدولتين
لاعملان على اعلان القتال ولا على اسبابه ولكنهما لا تخافانه فاذا قال التحالف
الثلاثي به قابلت فرنسا والروسية ذلك بما تقتضيه الواجب الوطنية والمبدات
البرية والبحرية والله اعلم بالعواقب

سنة ١٨٩٤

لما جرت الحادثة الشهيرة بمجادة الحدود كتب فيها هذه المقالة التي دوت بها ارجاء
القطر اياماً في ذلك العهد وهي

تخذتكم درعاً منيعاً لتدفعوا سهام العدى عني فكنتم نصالها
هذه رسالتي ختام كتاباتي السابقة في مسألة الحدود اتكلم فيها عن
سلوك الخديوي كأمير وكقائد وسلوك النظار وخطة كتشنر العسكرية ومبادئ
كرومر السياسية وأقدر بها كلاً قدره كما تقتضيه مواجبتنا الوطنية لا بقصد
التنديد المطلق او التحامل الاعمى وكفى بحرية مبادئنا هذه اكبر برهان على
صدق خدمتنا فانه لم يمنعنا مدح امس عن التنديد اليوم والاشخاص
واحدة لاننا ننظر الى المبادئ وليس الى الشخصيات وهي سياستنا حتى مع
الانكليز فاننا لاندد الا في سياستهم الاحتلالية

ان الجناب الخديوي كامير لني من الاحتفاء والاحتفال ما تعودهُ من
 الاهلين ومن البلاد وقد ايدت سياحته الصيدية ان الامة على رأيه سياسة
 ووطنية ومصرية وقد ردد ابن اصوان ماقاله ابن الاسكندرية والارياف
 نيم لم تكن احتمالات مديرية الحدود لاول وهلة كاحتفال غيرها ولكن لما
 رأوا العباس نسوا أوامر المحتلين وعظمووا اميرهم كما عظمه اهل بقية المديريات
 وقد لني بعد ذلك سموه في جميع نقط الحدود ما لقيه في قنا والقيوم ورجع
 معززا مكرما محبوبا لا يرى المصري بغيره سيدا وأميرا

وأما العباس كقائد فقد استعرض جيشه المصري بين اصوان وكروسكو
 وسرس وحلفا وامتدح الضباط والانفار الا الاورطة الثانية بحلنا فندد بها
 واعترف نفس قومندانها الانكليزي بأحقية التصور وانه من الموسيقى مما
 برهن ان العباس بامتداحه ذلك قدر نظام الجيش وقواده الانكليز تدرهم ولم
 يترق بين السوداني والمصري اذ ان في الحدود اورطا سودانية غير الاورطة
 الثانية وان باعتراف قائد الاورطة تأييدا لتنديد الخديوي الذي بعد انتهاء
 الاستعراض اختلى بكتشنر السردار وكرر مدحه للجيش وللضباط الا للاورطة
 الثانية اذ قال ان نظامها عار على الجيش فأجاب كتشنر مادمت انا مسئولا والامير
 غير راض فأستميل فأجابه الخديوي اي قائد معصوم من الفلظ وانا قلت
 لك مارأيتهُ كمصري وكقائد الجيش اما انت فأردت استخدام القضية لغايات
 سياسية وإلا فلم الاستغناء فلم يكن من كتشنر بعد ذلك الا ان استرد
 استغفائه وانتهت المسألة ولم تقض حكمة سياسة العباس الا انه ابلى حكومته
 ما جرى ونم ما فعل ونحن لا نتكهن ولا نعرف سر سياسته ولكن
 سموه اتى باخبار حكومته احد اميرين اما اعتقاده بوعود كتشنر فأبلى الخسارة

لتكون عارفة بجميع الامور واما ان تكون الحوادث علمته فاخبر نظاره
ليعرفوا الحادث حتى اذا خالف كتشتر وعوده وخبرهم كرومر بالمسألة عرفوا
كيف يجابون . تلك خطة الخديوي الادارية والعسكرية وهل من يقدر على
التنديد بها او على غير تصويبها

اما السردار فبعد ان استرد استغفاه في حلها عاهد الخديوي على
الكتمان المطلق وهو في اصوان وانه لا يود ان يكون للمسألة شأن سياسي
مطلقاً وقد ظهر من ادوار المسألة انه فيما كان يعاهد الخديوي بالكتمان
ابلقها الى اللورد كرومر ولكن لاندرى هل ابلقها لوكيل دولته السياسي
من قبيل وجوب المعرفة بالامر ولا الجهل به كما اتى سموه مع حكومته
ام خالف عهوده ذلك امر هو واللورد كرومر اعرف بخفاياه منا ونحن لا نقصد
برسالتنا الا سرد الحادثة على علامتها

اما اللورد كرومر فابلقها الى حكومته ولا ندري اكان ذلك بطاب
السردار او انه رأى في الحادثة ما ينفيد سياسته فاستناد منها وطبقها على
ما يوافق مبادئه فكان جواب حكومته وجوب اصدار الامر الخديوي تشكراً
لكتشتر ومدحاً للضباط الانكليز وعزل ماهر باشا شر عزلة ومحاكمة الضباط
الانكليز في الجيش المصري بمجلس عسكري انكليزي ولما وصل هذا الجواب
اجتمع اللورد برياض باشا وتكران باشا وابلقهما ذلك وان روزبري يقول
اذا رفضت مصر اجابة المطالب اضطررنا الى اخذ الوسائط النعمالة لوضع
الجيش المصري تحت قيادة قائد جيش الاحتلال وبمعنى اوضح لضم الجيش
المصري الى الجيش الاحتلالي ولنزع القيادة من الحضرة الخديوية واخذهم
تارة بالتهديد وآونة بالوعد والوعيد ثم لعب دهاؤه السياسي ادواره في جرائد

لندن بان اثارها ضد الخديوي وفي جرائده الاحتلاية بمصر بان كبرت
المسألة وعظمتها وتحمات جميعها على الجناب الخديوي وحده كل التحامل
فقلت انه انكر تلى الجيش انه شاهاني وقصدت القاء الشقاق بينه وبين
مختار باشا وأشاعت ان قنصلي فرنسا والروسية الجنرالين ضد الامير وان
الارض زلزات زلزالها واخرجت اطفالها وان لاخلاص من ذلك الا باجابة
مطالب الانكاييز وهي سياسة اكسبت اللورد كرومر معاونة نظارنا هدام
الله فكانوا والانكاييز تلى الامير حتى صدق فيهم قول الشاعر في صدر
هذه الرسالة

افل يمكن يجب تلى اللورد كرومر اذا كان قصده المسألة ان يخاطب
سوا الخديوي وحكومته قبل ابلاغ لندرا وكيف يصدق النظار ممالاة لهم
ومدحه سياستهم ودهاهم بعد ان كبر المسألة وعظمتها وهل هم اليوم خير
اصحاب امس حتى سلقهم جرائده بألسنة حداد ولهذا فان المصريين لا يعذرون
تحامل كرومر بل زادهم نفوراً من الانكاييز وتلقاً بخديويهم
اما الآن فنود الى حضرات النظار الذين اسأوا بان اسروا الخبر في
انفسهم وكان يجب ان يخبروا به كرومر وفي امثال هذه الحوادث يعرف
دهاء السياسيين الذين عليهم قبل كل امر ان يتداركوا الحوادث واذا حدثت
رغمًا عنهم وجب ان يتلافوا اضرارها وقد قصرت الحكومة في هذين
الامرين سامحها الله

وقد عرف النظار مطالب انكائرا وتهديدات سياسة الاحتلال فلماذا
ذلك الخوف وهل من الحكمة ان تقابل الوزارة ضنط الانكاييز عليها بمثله ضد
الخديوي ليضطر الى العودة قبل الوقت المعين وماذا كان ينبغي من الانتظار

الى عودة سموه وهل بعد ان ارتكبت الظلمة الاولى من جهة الوددة وجب ان يذهب من النظار عمدة مخصوصة لمقابلة الخديوي والضغط عليه ليخضع لاحكام الانكليز قبل حضوره . تلك غلظة رابعة

ثم اذا امكن الانكليز ان يضموا جيشنا الى الجيش الاحتلالي امكنهم وضع الحماية على مصر وضمها الى املاكهم وهذا مستحيل حصوله او لا بد من الحرب فيه اذا اتته انكثرا عاجلاً او آجلاً اذ لاحياة لتركيا بعد ذهاب مصر ولا شوكة للروسية في الشرقين الاقصى والادنى وكانت المسألة المصرية اهم من مسألة الاتراس لفرنسا ومن المسألة الشرقية للروسية ومن كل مسألة للدولة العلية فالتهديد والحالة هذه فاسد

وإذا كان النظار رأوا بحكمتهم ان الانكليز اولى من المصريين بحكم بلادهم وان مصالح القطر السياسية والمالية تفضي بحماية انكثرا وان الدول ضد هذه الغاية ولذلك قالوا بهذه السياسة تحقيقاً للحماية الانكليزية لتركوا لهم الذكر الجليل في تاريخ البلاد السياسي رضخنا لاحكامهم وخضعنا لدهائمهم السياسي الذي انفردوا فيه

ولكن يجب علينا اخلاصاً للخدمة ان نقول لهم ما يردده المصريون والاوربيون حتى الانكليز اصحابهم اليوم وهو ان الحكومة قد شعرت بيومها الاخير فاستنادت من الحادثة بان ضمت السلطة الخديوية لتأييد مركزها ولمرفقها ان الخديوي حازم يرفض التصديق تداركت الامر بان قالت وكررت له اننا نحن النظار نخدم سموكم ليس إلا ولو استمئلنا لزادت الحالة صعوبة على سموكم لقاء تحامل الانكليز عليكم ويقول المصريون عن النظار غير ذلك كثيراً مما لا أود نشره احتراماً لمبادئ السياسة والادب وقد قلت

اني لا انظر في المسألة إلا الى المبادئ لا الى الشخصيات
وما اضعف البراهين التي سمعناها بقولهم واين جيوش فرنسا والدولة
العلية والروسية واين واين لكن فاتهم انه لو وجدت تلك الجيوش خرجت
انكثرا من مصر في طرفة عين ولما اتت ماعدتنا اياه من اجرائتها ولم
تكن جيوش الدول المذكورة عند ذلك في حاجة لدهاء رجالنا نعمنا الله بحكمتهم
ولو فرضنا وكان في وسع انكثرا ضم جيشنا لجيشها الاحتلالي فهل بعد
خضوعنا الاخير وخوفنا منه ما يبرق عن ذلك الانضمام وهل يعرف اليوم
الجيش نفره وضابطه بين وطني وانكليزي غير حضرة السردار عسكرياً
وجناب اللورد كرومر مديناً وسياسياً

هذه حوادث المسألة ارفعها الى القراء وهي لسان حال الوطنيين باسرها
الا الذين غفلوا عن الواجب وصموا عن سماع الحقائق واعتمهم النيات فهم
لا يبصرون

اما الجناب الخديوي فلم تخاطبه عمدة النظار الا وقد رأى بذلك الاجماع
ما يعذره لدى الرأي العام المصري والاوربي ولما اخذ الامر العسكري المرفوع
له من حكومته على ما طلبه اللورد كرومر رفض التوقيع عليه الا ببدان
عدله التعديل الحق واشرك الجميع بمدحه الوطنيين والانكليز وهو حفظه
الله لم يأت امراً مخالفاً لما اتاه في اصوان وكروسكو وسرس وحلنا ومدحه
هذا الحاضر لا يحق قصور الاورطة الثانية كائناً من كان نفرها وضابطها ثم
ان سموه رفض كل الرفض تزل ماهر باشا ولا نهجب اذا تعين المذكور
بمنصب مناسب عند وجود الفرصة لاختلاصه ولصدقه حتى لا تكون لسياسة
الانكليز العسكرية حجة ثانية يحركون بها عواملهم السياسية في لندن ومصر

مادام ماغر باشا في وكالة الحربية المصرية وأخيراً رفض سموه قبول محاكمة الضباط الانكليز في الجيش المصري بمجلس عسكري من ضباط جيش الاحتلال وهذا ما كان الى اليوم والله اعلم بما سيكون
 اما نحن فلا نرى بعد الحوادث التي حصلت في الاشهر الاخيرة ولا سيما بعد مسألة الحدود الا واحداً من اثنين اما ان يكون النظار وجميع المصريين منفذين لاوامر الانكليز وهو الاستعباد ابن التملك والاسترقاق ابن الحماية الانكليزية واما ان يوقفوا بين مصالح البلاد ومصالح الانكليز وهو وحده الموافق للبلاد وللجميع والحكومة اعلم منا بحالها وأي الامر يناسب عليها فان كان الاول وجب ان تستميل احتراماً لشرفها وخدمة للعباس وللوطن وان كان الثاني وجب ان تبرهن باعمالها على ما يضمن لنا تلك النتيجة لان البلاد ضمانة عن تحمل وطأة سيد واحد فكيف تحمل سيدين



وكتب في ٢٢ اغسطس من سويسرا

اهم الحوادث الحاضرة حرب الصين واليابان اولاً لشبورها بين دولتين شرقيتين وثانياً لتناظر دولتي روسيا وانكترافيا ولا يسوءنا نحن الشرقيين ارتباك بال الانكليز لانه كما زادت مشاغلهم وبلا بلهم ادركوا شدة احتلال مصر ولهذا لا ترى الانكليزي الان مسروراً باحتلال كسلا ونفوذ فرنسا اكثر من نفوذ حكومته وبحرب كوريا ولا تامل انكترام مع مناظرة روسيا وتباين مصالحها ان تستفيد من الحرب الاسيوية لانه لا شاغل لحكومة القيصر في اوربا وفي الشرق عن الاهتمام بمسألة كوريا ولا يوافقها ان تسود بريطانيا في بحار الصين واليابان كما جرى في المتوسط

والذين تأملوا سياسة القيصر الحالي ادركوا مبعنا سرها وقد بسطنا للقراء في رسائلنا البطرسبرجية ذلك ان روسيا سألت اوربا المحافظة على الحالة الحاضرة في الشرق وحولت عنايتها الى اسيا فاحتلت اكثر اراضيها واستعمرتها حتى تاخمت افغانستان وقد ايدت سلام اوربا واستخدمته في سبيل سياستها الاستعمارية وسرت اوربا بذلك لاهتمامها بامر السلام ولرغبتها في تاييده واذا قيل تلك واسطة للتحالف الثلاثي ينتمى لمصلحته في اوربا والروسيا مضطربة البال في اسيا مشتبكة في القتال تارة مع الصين وتارة مع انكلترا قلنا ان بسدرك طالما اهتم باضرام نيران الحرب بين روسيا والصين ولكنه لم يفلح لان الاولى لها من القوى على تخوم الثانية ما يكفيها لصد حملاتها ولو كان غير ذلك لما اتت روسيا امراً يحول دون ما تريده وترغبه في اوربا اي تاييد السلام

وعليه فلا تؤمل انكلترا خيراً في كوريا سواء اتفقت مع اليابان او مع الصين لما يحول دون دولتها من معارضات روسيا وقد اعلنت هذه سياستها على رؤوس الاشهاد اي انها لا ترضى الا باحترام حقوق كوريا وسوف لا نراها الا ناجحة في سياستها لانه اذا كانت تلك حالها مع اوربا وقد عرفت كيف تتقم من فرنسا بجيادها سنة ٧٠ ومن انكلترا بمناختها لافغانستان لقيام هاتين الدولتين عليها في حرب القريم فقد عرفت ايضاً كيف تتقم من المانيا سنة ٧٥ وقد منعها عن شبر الحرب على فرنسا ونراها اليوم قد تحالفت واتحدت مع هذه الدولة وهو كفارة عن شر اعمال بسمرک في مؤتمر برلين فلا يستحيل عليها ان تنال بهد ذلك مثل هذا الظفر في آسيا مع دولتين شرقيتين وليس لها من يناظرها الا دولة

انكترا وهي لم تد في مثل مركزدا السابق قبل حرب السبعين والاولى
في فرنسا عضد ونصير فلا تستطيع اثنائية ان تستخدم الدول في سبيل مصالحها
الانكيزية

وقد يحتمل ان توصل دول اوروبا (ولا سيما ولا باب الى نجاح دسائس
السياسة الانكيزية) الى التوفيق بين مصلحة الصين واليابان على ما يضمن
مصالح الدول الثانية المناظرة ولا يكون ذلك الا اذا احترم المتحاربون
والمناظرون حقوق كوريا وشعبها وايدوا بالاتفاق وجوب احترام تلك الامتيازات
ولكن اذا تغلبت الاطلاع وقويت شوكة التداخل كانت كوريا لاوروبا
في تلك الاصقاع مصراً ثانياً اي شاغلاً جديداً وحجر ثرة في سبيل تأيد
السلام المرغوب فيه وصدقت حيثئذ الجريدة الالمانية لسان حال خارجية هذه
الدولة في قولها للدول تداركي مسألة كوريا والا كانت مصراً جديدة
اما روسيا فقد عرنت مما تحمات في البلقان انها في غنى عن امثال
هذه الدراقيل واما انكترا فقد ذاتت مرارة اخلال مصر فلا تقدم على
اخلال امرٍ منه وليس ما يضمن لها سكوت الروسية او رضاها عن ذلك
الاخلال

ونحن يسرنا ما نراه في اوروبا من المناظرة التي يجب علينا ان نستخدمها
في سبيل مصالحنا وان نعتبر هذه المناظرة انذاراً مهماً ضد الانكيز في مصر
وان الدول ذوات المصلحة سواها في مصر او في الشرق الاقصى لا يتركن
انكترا وشأنها بل لا بد من ان يطالبها بعودها واحترام دينها ولا سيما
وقد رأت الدول من الشرقيين نهضة سياسية وطنية تستخدم على ما يصون
حقوقهم ويضمن مصالحهم والله ولي التوفيق

وكتب في ١٧ أكتوبر من الاستانة العلية

وصات الى دار السعادة في هذا الاسبوع وهي على ما هي عليه من
الحمد والعضمة تمثل لنا بكلياتها وجزئياتها الدولة العلية من كل وجوها وقد
أخذت مقاماً لي في ترايا على البوسنور لانها من انزه الاماكن للغرب
ولان الحر لا يزال غير مطاق وقد لقيت يوماً ذكرني باشد الخمسين
لم ير الاهلون هنا منله منذ سنين حتى في ميعان فصل الصيف ولا يزال
الصائفون مقيمين في البوسنور وهم لا يودون الى المدينة الا في اواخر الجاري
وأوائل القادم لانه لا ربيع في الاستانة وكاني بنصولها ثلاثة شتاء وصيف
وخريف والاخير ربيعها ولهذا تفضل زيارتها في هذا الاصل زيارتها في نيره
ولا اري مثل البوسنور في جنات الارض بالرغم من محاسن سويدرا
او التيرول الاوستري وكما رأيت قلت انه افضل المواقع والمنزهات باعتراف
ابناء اوروبا ولا اعني بهذا موقه الحربى فقط بل مناظره الطبيعية التي لو
ساعدتها يد الانسان لاصبحت رمزاً الى جنات دار النعيم ذلك بان تزرع
ارضه شجراً وتقام على ضفتيه المنزهات وتسهل المواصلات بخضوط الترامواي
وينار بالكهربائية اذا لحسب الراقي نفسه في جنة السماء لا في جنة الارض
ولا بد من ان يتم ذلك كله فان يد الاصلاح عاملة على تقيم حسنات العلم
والمدينة وقد نشرت رايتهما في ظل حضرة سلطان الامة عبد الحميد خان
فلسنا نياس من المستقبل وقد أرشدنا الى طريق الخير وكل من سار على
الدرب وصل

ولا يسعني هنا الا ان اردد ما يشكو منه الجميع وهو القضاء المبرم

على ادارة البواخر الخيرية في البوسنور ولا ما يعذرهما الا احد امرين اما ان الشرقي لا يحسن ادارة مصلحة او انه مرتشٍ لا يبالي الا بمصلحته ويسئنا ان يظن الاوربي بنا كلا الامرين مع ان اهمالنا هو الدامل على تسوية ادارتنا فان الشرقي اذا آمن على مستقبله في الوظيفة والراتب استقام وأحسن ادارته والشرطان متوفران في الادارة المخصوصة عدا ان ايراداتها تزداد فلم لا نقيم فيها ولا تزال على ما كانت عليه من الاهمال منذ سنوات فهل لم يسافر احد من اعضاءها الى بحيرات سويسرا او الى نهر الرين الالماني او الى الدانوب او الى السين وباريس وير كيف يكون النظام وراحة المسافرين ورضاهم فيشير بالاصلاحات الواجبة والتعديلات اللازمة حتى لاتضر امثال هذه الادارات بسمعة الشرقي ويقضى عليه

نعم لا انكر ان للرشوة يدأً طويلة في مشرقنا ولنها اضرت بادب العمال وبحقوق الامة والوطن ولكنها في اوروبا كما هي عندنا وان تكن اضيق دائرة والنضل في ذلك للعلم المأز بين العنصرين ولكن قد ثبت ان الشرقي متى استوثق من وظيفته نلم يذلل اكراماً لخاطر رئيس او مطاوعة لأرب رقيب وزيد راتبه كلما أثبت اعماله حسن اهليته فاذا التقى بالاوروبي في ادارة واحدة كان اقوم سيراً واحمد خطة لان حاجات مديشته قليلة محدودة ولانه ابعد من غيره عن مخاطر البورص والالعب ولا عبرة بأفراد شرقيين جنحوا عن المبادئ الصادقة فذنوبهم في رقابهم لانهم ابصروا سيئات الزريب فاتخذوها وتعاموا عن حسناته ومحسناته ولا يذنب هؤلاء الى انفسهم فقط بل الى وطنهم وهي ذنوب لاتغفر لانه كان يجب على امثالهم ان يكونوا مثال الصلاح والتفلاح على ما اتاه اليابانيون الذين درسوا في اوروبا وسوا

الى تعميم حسنات علمها ومدنيتها فظهرت اليباب في مظهرها العظيم وهي اليوم (ارادت اوروبا ام لا) دولة من الدول العظام في النوذ والشوكة في عالم اوروبا السياسي والحربي والاقتصادي

سنة ١٨٩٥

٢٧ فبراير

ان احتياج الانكليزي الى التجربة في مصر لاكثر من احتياج المصري الى علومه ومعارفه واعترفنا بفضل علم الانكليزي لايمتنا من الاقرار بفضل علم المصري ولو ان الانكليزي اكثر اقداما منه . ولو كان لنا ثبات الاجنبي واجتهاده وانفاقه لما تمكن الانكليز منا ولو ان القوة من جانبهم لان في وعودهم لنا ولاروبا اكبر حليفاً ضد قوتهم وهم يعلمون انهم لم يدخلوا بلادنا دخول الفاتح وان اوروبا لاتزال تعارض احتلالهم لوادي النيل وهي امور مهمة ادرك الانكليز شدتها فاستخدموا بعض المصريين ضدها لتأييد احتلالهم وقد ساعدتهم الاحوال والرجال لانهم عرفوا ما يريدون وكيف يشتملون ولا لوم على الانكليز وقد جوروا بابتلاع مصر وامتلاكها ودليلنا اعمالهم اولم يقل اللورد كرومر لمحرر الجرنال « ان المصري كسول لايد له من رئيس وهو ميال الى التدخين وشرب القهوة » مما يفهم منه ان ذلك الرئيس هو الانكليزي وان لاهلية للمصري واما اللوم فلي رجالنا الذين عن ضعف منهم او عن اغترار اسعنوا الانكليز وايدوهم فزادوا شوكتهم ونفوذهم وهم لايشعرون

ونحن نكرر ما كتبناه مراراً في هذا الموضوع بان يصرف رجالنا اهتمامهم الى درس المسائل قبل فوات الفرصة لان الارضية التي كانت لهم على المحتلين بالتجربة قد ضعفت كثيراً اذ ان الانكيز لم يدخروا درهماً او وقتاً في سبيل اكتساب فنون التجربة وقد تمكنوا (ولا معارضة لما يرتأون او لما يأمرون) من استخدام جميع قوى البلاد لبلوغ غايتهم مما زاد مواجب رجالنا عن ذي قبل ونحن نعلم ان اهتمام المسيو بوترون في ادارة الدومين لا يمنه من الاعتراف علانية بفضل الاعضاء الوطنيين الذين لولاهم لماتت الارض وزراعتها وهل مراقبة المفتشين في الدائرة السنية تمنع الاقرار بفضل مديرها واجتهادهم وحسن ادارتهم

فلو تسلح رجالنا بمعارفهم وتجاربهم لانتبرهم الانكيز واشركوهم في مشروعاتهم ولم ينسبوا اليهم كما هو شأن السير بالر في مشروع تعديل الضرائب التي بح صوتنا ونحن نسأل تخفيفها من سنة ٨٢ ولكن ابنت الاغراض الاحتلالية الا مما كستها لخدمة حلفائهم الدائنين اما الآن ولا خوف على مصلحة الدائن والمبالغ الاحتياطية متوفرة ولا درهم لتزليل الضرائب مع سوء الحالة الاقتصادية فقد قرر تعديل الضرائب وبوقت به جرائده الاحتلالية ولا نعجب اذا كان ذلك قد حصل وتقرر ولم يرفه رجال الحكومة الا من الجرائد اذ قرأوها او من مداولات الناس فيها وقد زارهم احدكم بل هي سياسة المحتلين وتلك هي احوال رجالنا فلا حول ولا ...

وكيف يهتم نظارنا بتعميم المعارف وقد قال بعضهم ان المعلمين يعيشون من احتراف حرفة آباءهم ولا وظائف في الحكومة اذن وجب تحديد العلم وتخفيف وطأة التمدن قلنا ان ذلك برهان من افسد ما قيل فهل من

وقد رأينا ان الغايات الشخصية كان لها شأن مهم ضد مصلحة مصر
ومكنت الانكليزي منها واني اعرف عظيماً من كبار موظفي الحكومة سأله
اللورد دوفرين عند ماقبله للذرة الاولى ماهي حالة الخديوي وطبائه فأجابته
صديقه الوزير « تهدد تطع لان الخديوي ضعيف ولا حزم عنده » فهل
تؤمل مصر من امثال هذا الرجل خيراً وهل يلام المحتلون اذا عضدوا
هؤلاء الافراد وايدوهم موقفاً ليستروا بهم امام اوروبا والمصريين ويقولوا
للدول اننا نصالح مصر ويحكمها رجالها ويخاطبوا ابناء وادي النيل ان سواسكم
منكم وفيكم فلم عويلكم وممّ تشكون

وهل لم يطرد بعض كبار أولي الامر خطة نصيحة ذلك الكبير لدوفرين
فيلقي لساتته الانكليز مايجلو لهم ضد مواطنيه ورؤسائه وقد سمعنا كثيرين
من نبهاء المصريين يرددون على رؤوس الملاء قولهم « ان اعداءنا رجالنا فهم
الذين اشاعوا التعصب عنا وهم الذين يسلقون شباننا بالسنة حداد وبرهاننا
ماعرفناه من المصادر المختلفة وطنية وأوروبية ولا نلوم اللورد كرومر على
مقالته ضدنا لانه يخدم مصلحة بلاده ولكن ماهو عذر رجالنا المدنيين
بمناصبهم وبروانبهم لمصر ولا ميرها »

وهي احاديث نبهاء المصريين عن اولي الامر منا فاذا صححت الرواية فلا
عجب لان القوم تعودوا وهم في مناصبهم ان يفتنوها ابدية فيذهبون مع
رياح اغراضهم وغاياتهم ولهذا قال احد الظرفاء « قضيتم على الشيوخ والشبان
فن اية صبغة اتم وقد جمتم الامرين فهل نلام اذا قلنا وقد عرفتنا الحوادث
احوال الرجال الماضين لم لا يكون لنا رجال جدد وعصرنا عصر جديد
فاذا احسنوا فيها وإلا فانهم ليسوا باكثر ضرراً من غيرهم امس واليوم »

الواجب حصر العلم والتعليم في بضعة اشخاص من العاصمة والبنادر الكبيرة
 ام يقصد هؤلاء احتكار الوظائف لهم واذا كان ذلك ضرراً فلماذا عمته
 اوروبا وأمريكا وهل تغلبت اليابان على الصين الا به وهل كون بلاد امريكا
 زراعية منعها من نشر المعارف ولولا الاخيرة اقامت تلك الاختراعات المدينة
 بها الدنيا للعالم الامريكى

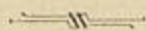
ونحن نسأل تعميم العلم لالزيادة المترشحين للوظائف بل لمحاكمة الموظفين
 برأي عام مدرب معلم نهم نسأل اقامة ألوف من الكتاتيب واصلاح الحالية
 منها طبياً للمبادئ الصحية والتهدئية والاقتصادية وهو اصلاح لايتطلب الا
 عشرة او ١٥ الف جنيه سنوياً اولاً يعلم هؤلاء المعارضون لهذه المشروعات
 الوطنية ان فلاسنة اوروبا وكبارها الاقتصاديين والسياسيين خرجوا من
 قراها وعزبها لالا من مدنها وبنادرها

فنسأل تعميم العلم ليقف ابن المزارع على واجباته نحو نفسه ونحو
 وطنه. نسأل لاصلاح ارضه وتحسين زراعتها وقد وقف من العلم على فوائد
 الاختراعات والتحسينات العلمية والشعب متى تعلم لا يتردد ابناؤه عن الخدمة
 العسكرية وقد ذاقوا لذة الوطنية وتمتعوا بحسناتها وبفوائدها واذا ضاقت به
 بلادهم قصد غيرها فبلاد الله واسمه واستخدم علمه واجتهاده فان العلم يزيده
 اقداماً وثباتاً وبالمهاجرة حياة جديدة للمهاجرين أما الامى المهاجر فاذا افلح
 قنلاحه لنفسه وفوائده محدودة وأما المتعلم فيتميد ببلادهم وأمتهم سواء احتتى بالمال
 او تفنن في علومه ومعارفه

ولا نياسن من اجابة ما نسأله في خدمة الوطن تعميماً للمعارف والمدنية
 ولو عارضنا المختلون ورجالهم المصريون لان تيار العلم أقوى منهم وغاية

ما يفعلون تأخيرهم مدة لا غير اولا نرى ان اكثر ايرادات مصر المتخلفة عن
الدائن والموظف هي نصيب الدخيل الذي ما هجر وطنه إلا محتاجاً ودفعه
الى الاسفار اقدامه واجتهاده وعلمه ام يجب ان يعيش المصري في عرف
اولي الامر منا ذليلاً حقيراً انا لله وانا اليه راجعون

وقد عرف الاقتصادي والسياسي والاداري ان لافائدة من مشروعاتهم
اذا لم يفهمها الشعب ويدرك حسناتها ولن يكون ذلك الا اذا تعمم العلم وقد
قلت لاصحاب مشروع العمدة ان لاضمانة لعدالة المشروع المذكور ولا فائدة
تذكر له ولغيره طالما لاعلم عند العامة ولا معارف عند مجموع الامة فعلى
رجالنا ان يتدبروا هذه الحقيقة وعليهم ان يدرسوها درسها الواجب علمهم
يوفقون الى انفاذها ويكونون قاداتوا حسنة واحدة في تاريخ حياتهم السياسية
وهي تعد مأثرة كبيرة قد تسببنا اكثر اغلاطهم الماضية وتتخذها مقدمة
لسياسة الوطنية والاجتهاد والثبات والاقدام تحت راية اميرنا المحبوب ايده
الله بمنه وكرمه



٩ مارس عن الاستعمار

ما اندفعت الدول الى الاستعمار الا هرباً من الحروب وما ايد السلام
الا مخاوف القتال وقد توازنت قوات اوروبا سواء قبل اتحاد الروسية مع
فرنسا او بعد الاتحاد لان انفصال الاولى عن التحالف الثلاثي واختيارها
للحياد أثبتنا تلك الموازنة ولانها قالت بلسان فقيدها الاسكندر اني سلمي
أحارب الجانبين الى الحرب مما اضطر بسمرق الى الاعتدال فالاعتزال وقد
قضى الاسكندر الروسي على سياسة التهديد والتهويل

ولا خلاف ان مصر كان لها الشأن الاعم في السياسة العامة الاستعمارية ولولاها لما اضطرت انكلترا الى ممالأة التحالف الثلاثي واسترضاء المانيا خصوصاً ولولاها ولولا الازراس لما اتت فرنسا في سياستها أموراً تشيب لها الولدان وقوتها البحرية والبرية هائلتان مخيفتان وهي مع الروسية على اتفاق وفي فواتح صلاتها الحالية مع المانيا ما يزيد تقرب الدولتين تأييداً واتفاقاً والغاية الاستعمارية واحدة هذا فضلاً عن فتوحات فرنسا الاستعمارية التي استنتا الجمهورية بها افتتاحات نابوليون الاول ولويس الرابع عشر وقد اتت بها فرنسا دليلاً على مبادئها السلمية في اوروبا وانذاراً لما اتته انكلترا في مصر وهو أمر ادركه رجال بريطانيا السياسيون وفي مقدمتهم سالسبري ودوفرين ولامر معلوم انه لم يبقَ من افريقيا الا مصر وسودانها وبمعنى اوضح ماهو تحت سلطة الدولة العلية ولولا تلك السلطة لقضي على جميعها وجنوح اوروبا الى الاستعمار برهان على بغضها للحرب ورغبتها في السلام ولهذا يؤمل ان لا يترتب على المشاكل الاستعمارية قتال وكفاح وهو ما عرفناه الى الآن بالرغم عن تهيج الانكليز من احوال الشرق الاقصى والكونتو مع المانيا ومع فرنسا ولهذا لانعجب اذا اتفقت الدولتان فرنسا وانكلترا على مصر ايضا وان يكون الاتفاق الا باحترام الوعود والعهود والا نشبت تلك الحرب التي تهم الدول مجانبها لان الخلاف لا ينحصر في وادي النيل بل يتناول جميع المسائل الشرقية والاوروبية ايضاً وهنالك الحرب العامة الهائلة

وقد وقفت اخيراً على كتاب لسياسي عثماني الى سياسي اوروبي بحث فيه في احوال مصر وارمينيا وهو صدى ما يردده رجال العثمانية في محافل

ولا يفوتنا ان اوروبا تقصد بنهضتها الاستعمارية الى امرين الاول تأييد السلام والثاني ترويج اسواق التجارة لان مسابقة اوروبا ومناظرة ابنائها وتفنن مخترعيها زاد محاصيلها وبضائعها ففزت الاسعار نزولاً لم يعهده احد في الماضي وشكا العملة من قلة العمل كما شكا المليون من قلة المقطوعية فتوالت الازمات وتتابع اعتصاب العمال في اكثر عواصم اوروبا فازداد بذلك نفوذ الاشتراكية وقويت سواعدها حتى هددت معسكرات اوروبا وجيوشها وشاهدنا على ذلك ما حدث في المانيا مما اضطر الامبراطور غيليوم الى سن قانونه الجديد بعد ان كان جانحاً الى المسالمة والاعتدال ودليلنا انه عارض بسمرك لتطرفه في معاملة احزاب الثورة والهياج

واندفاع اوروبا الى الاستعمار اضر جداً بانكلترا وهذا بديهي فان الروسية هددتها في افغانستان والعجم وقد تاخمت الدولتين واهتزت منها عروش امراء الهند وحكامها ولعبت في الحرب الصينية اليابانية اهم الادوار فغلت حرية انكلترا واضطرتها بعد ان نادى وبوقت بخطب رجالها وبجرائدها وهددت اليابانيين بعد ان ظفروا الى ان تعترف بأن القول الفصل لاوروبا ولاحكامها وقد رأينا من تمنع الدول وفي مقدمتها المانيا عن التداخل بين المتحاربين رغمًا عن توسط انكلترا مراراً ان اوروبا ترى غير رأي بريطانيا التي رضخت لاحكام الزمان شأنها عند فشل سياستها

ولا حاجة الى تفصيل ما هو جار في افريقيا ولنا بمناظرة لمانيا وفرنسا لاطاع الانكليز ما ايدوجية اوروبا الاستعمارية واشتراكها بالفائدة وهو مظهر جديد نرجو ان يقضي تلى مشروع الهند الافريقية واضاع جهاد المستر رود ودهاء اللورد كرومر والايام بيننا

الاستانة وغيرها فرأيت ان اشتر خلاصته ليكون ختاماً حسناً لجلنا هذه
وبه تأييد لسياستنا العثمانية المصرية قال

« ان حركات انكثرا في ارمينيا زادت واجباتنا نحو مصر اذ اعتقد
كل عثماني بعد ذلك ان بريطانيا خصم الدولة العثمانية سياسياً بما اتته من
احلال املاكها وملياً بما تخلفه من سياسة التفريق في الجنسيات والنصب
المذهبية حتى اصبح كل عثماني مئيمناً ان بضائع مصر ضياع الحقوق المزدوجة
فيها وفي جميع الشرق ولمعلوم ان فرنسا مهما اعادت مع انكثرا وتجببت
اليها لا ترضى عن الاحلال المصري الا اذا اعاضت عنه باحسن وهو لحسن الحظ
غير متوفر وكذا الدول الاخرى ولا يخفى ان افريقيا تقوسمت الا مصر ويستحيل الاتفاق
على الشرق الاقصى وعليه فالشرق القريب مطمع انكثرا وغيرها »

على ان اعتقادنا نحن العثمانيين بذلك زاد فروضنا لتأييد الحياتين السياسية
والملمة لاستحالة انفصال الواحدة عن الثانية ولنا في مصلحة الدول المتباينة
نصير يشد ازرننا وهذا ماوجه اليه الجنب السلطاني اهتمامه ولا سيما مع
الدولتين فرنسا والمانيا اللتين يعد اتفاقهما مع خصومنا علينا من الامور
العسيرة التصديق والفضل لدهاء جلالة السلطان عبد الحميد »

تلك خلاصة كتاب السباسي العثماني وجوهرها لاعتقاد العثمانيين اليوم
ان مصلحتهم في مصر سياسية وملمة كما هي في كل الممالك العثمانية وغيرها وهو
امضى سلاح ضد خصوم العثمانية التي لها برغائب الدول السلمية وتبين مصالحها
الاستعمارية ووجوب احترام اليهود الدولة مايساعدها على تأييد حقوقها
وصيانة مصالحها اللهم بشرط ان يطرد رجالها سياستها الحميدية في الدولة الالية وان
يطرد رجال وادي النيل السياسة الباسية والله ولي النجاح والتوفيق

وكتب في ٢٠ ابريل منبأ بالجملة التي جردت بعد ذلك على السودان واستعادته
لانكثرا كما سبق فخير والامر يومئذ في علم الغيب

وان تركنا السودان فهو لا يتركنا

كانت قاعدة سياسة الاهرام وجوب المحافظة على السودان لان به
حياة مصر المادية والسياسية وطالما اثبتت لمحات السليم فقيدنا هذه القاعدة
الرئيسية مما لا يزال يرن صده في آذان القراء رضي المحتلون او غضبوا
وقد ندنا اشد تنديد في مشورة جناب السير بارنغ وقتئذ لانه سأل
المغفور له شريف باشا ساخ السودان ولم نجعل على القراء بايراد ما دار بيننا
وبين المتمد الانكليزي في هذا الصدد وقد كانت سياسة ساخ السودان
فاتحة مغالطات السياسة الانكليزية وقاعدة حروبنا الكتابية ضدها ولم يبق
بعدها شك في نيات الانكيز الفاتحة وغاياتهم الاستعمارية ليكون لهم في
افريقيا هند ثاية من منبع النيل الى مصبه

رحم الله الشريف فقيد مصر فقد حادثه في السودان وأحواله فقال
« ان سلخ السودان عن مصر يضرها سياسياً لان من يملك السودان
يملك مصر وحياة هذه نيلها ومنابمه في السودان وهو يضر بنا مادياً اذ
تنقطع الموارد التجارية عن مصر اما وقد غالط الانكيز سياستهم فلا عجب
اذا اضرروا بانفسهم من حيث يريدون الانتفاع لانه يستحيل على اوروبا مع
رغائبها السلمية ان تترك افريقيا لانكثرا بل لا بد من المناظرة والمسابقة

فرنسا والمانيا ولا سيما بعد النور الذي استحکم بين باريس ولندن بسبب المسائل الاستعمارية واستنزت الغيرة الوطنية حزب الاستعمار او بالحري فرنسا باسرها فهضت كرجل واحد مؤيدة سياسة الاستعمار معضدة حكومتها حتى قال سياسي روسي في الكلام على سياسة فرنسا في السنين الاخيرة « ان الامة باسرها هي التباضة على زمام السياسة والقائلة بالفتوحات الاستعمارية والتحالف الروسي الفرنسي »

ولما رأى الانكليز ذلك قالوا بلزوم اعالي النيل لمصر وان المالك للخروطوم يقتل وادي النيل بتحويل مياهه عنها واتانا الاستعماري رود بدهائه بين خطوطه الحديدية واسلاكه البرقية ومعاهداته مع قبائل افريقيا وامراتها ولكن مسألة الكونونو فضحته وحالت دون بنيته وقبضت فرنسا بحزمها على طريقه فحلت دون اغراضه حتى تخوف الانكليز من حملات ابناء فرنسا العلمية والتجارية وقالوا ان النيل مهدد وهو لمصر واعاليه واجبة لها وهي في منطقة نفوذها وصوبت غرفة التباراة في لندن رأي الحكومة وافراد البرلمان وكتاب الجرائد مما اضطر الوزير الفرنسي الحازم المسيو هانوتو الى القاء خطابه فوضع حداً لمزاعم الانكليز وقال ان منطقة مصر لاينهم فيها ومنها نفوذ انكلترا وانه اذا احترمت حقوق السلطنة ومصر اتفقت فرنسا وانكلترا على المسائل الثانية ولكن الوزير هانوتو لم ينكر بمثة مونتيل وسواها والغاية من توغل الفرنسيين في قلب افريقيا

وعليه فلم يكن امام انكلترا الا احد امرين إما تأييد سلخ السودان وانه فوض ملكه الى الذي يقبض عليه واما انه لمصر فتخيرت الثاني لاستحالة فصله عن مصر والمعاهدات صريحة فضلا عن ان رجال فرنسا اقرب الى

وحيث قد تأتي ساعة تضطر فيها انكثرا الى الاعتراف بما انكرته اليوم حتى لا يذهب السودان من وجهة مطامعها الاشعبية فنقول بوجوب ضمه الى مصر بل استرجاعه كما قالت اليوم بسلخه « ثم أردف رحمه الله ذلك بقوله « وعندها يعرف المصريون اني اسنقت لسيدىن الاول ان انكثرا خالفت وعودها والثاني كي لا أعرض وطني للضياع بتمكين الانكايذ من مصر وسودانها »

ونرى اليوم ان الامرين قد تحمقا فقد ثبت ان سلخ السودان لم يقصد منه الا تملكه اذا اضطرت الدول والحوادث بريطانيا لبراح مصر فتغتم فصل السودان ذريعة لوضع يدها عليه بحجة انها لم تمس المعاهدات اذ ان مصر تركت السودان في حين ان التنفقات المنصرفة في وادي حلفا وسواكن كافية لاسترجاع السودان تقريبا لو لم تكن غاية انكثرا امتلاك حكمداريات اخرطوم وتوابعها ثم ان انكثرا لم تقصد من التساهل مع ايطاليا في احتلال مصوع والتوغل في داخلية السودان الا الى تأييد فصله عن مصر وتزكية سياستها ولكن ما كل ما يمتنى المرء يدركه

نعم ان مصر قد لعبت دورا مهما في سياسة اوربا الاستعمارية فنحقق قول الشريف فقيدنا وقد اندفعت فرنسا والروسيا والمانيا وايطاليا الى الاستعمار في القارتين الافريقية والاسيوية اندفاعا اضطرت له انكثرا لانه تهددها في الهند من التونكين وسيام ومن افغانسان وثبت ان رجال فرنسا خصوصا لم يقولوا بتلك السياسة الا بسبب مصر لانها طريق الشرق الاقصى وباب افريقيا ولقد ارتنا الحوادث العجائب والغرائب فشهدنا بالامس الامبراطورية الروسية المطلقة متفقة مع الجمهورية الحرة الفرنسية وهو مقدمة الاتفاق بين

اعالي النيل من رجال انكائرا والآن اما ان تجرد بريطانيا تجريدة انكائزية او مصرية فاذا كانت الاولى وقت في شر ما تخوفته وسبقها فرنسا هذا فضلاً عن ان الرأي العام الانكائزي ضد هذه التجريدات بعساكر انكائزية ومال انكائزي ولهذا قلت بان تكون مصرية وبمال المصري المسكين

وأما التكدببات الرسمية سواء في لندن او هنا فهي من قبيل وعودها بالجلاء وعليه فلا بد من التجريدة المصرية ولا نرى حشد الرديف في طره وتمريناته المتتابعة إلا استعداداً لارسال تلك القوة الى السودان كما ان الاخبار التي اخذناها عن القاديين من وادي حلما تؤيد خبر التجريدة لان الاشغال قائمة على قدم وساق هنالك لانشاء خطين حديدين لتقريب الابعاد

وهذه الغاية وحدها هي التي اوجبت انشاء خط اصوات وقنا واذا قيل وأن المال قلنا ان المتوفر لدى المالية بين المبالغ الاحياطية وغيرها يقوم باكثر من هذه النفقات وماذا يمنع الانكائز من الاستيلاء على اكثر المخصصات الادارية لانفاقها حيث يريدون وفي الطريقة الموافقة لاغراضهم وغاياتهم فيصدق من قال انهم لا يكتفون فقط بامتلاك مصر بل هم يريدون ان يمتلكوا السودان ببناء مصر ايضاً

ثبت والحالة هذه ان انكائرا لم تساخ السودان عن مصر اولاً ولم نقل باسترجاعه ثانياً إلا لخوفها المزدوج من نقض شرفها ومن فرنسا اما الاول فانها وان احبت ابتلاع البلادين الا انها تخاف تبكيت ضميرها ولها من ابنائها كثيرين وهم الاغلبية يحافظون على القيام بعودها ووفاء يهودها

واما الثاني فلاعتقادها أن فرنسا لن تنسى اتفاق انكائرا او الثمانية على

اخراج الفرنسيين من مصر في زمن كانت لا تذكر اهميتها فيه حتى يستحيل اتفاق فرنسا والعثمانية اليوم ضدها ولا سيما في زمن كثرت فيه مسابقة الدول العظيمة وتوازنت القوات بحراً وبراً

ولهذا بتنا ننظر حدوث حوادث في جهات سرس وغيرها تضار المحتملين الى اعلان وجوب الحملة ليقولوا لفرنسا ولغيرها اننا مسيرون غير مخيرين لان من الواجب درء صدمات التعاشي ولقد اسمعتنا الاخبار الاخيرة اكثر من مرة تبمهر الدراويش وما الغاية لاشاعتها إلا تمهيد سبل الحوادث المنتظرة هذا ما تستمد له وتنويه انكثرا في السودان وسنبعث في مواجب الدولة العلية ومصر وفرنسا في جملة ثانية وموعدا قريب ان شاء الله تعالى

وكتب في ١٢ اغسطس من اوستريا ما يحسب الاعتبار به الى الآن

يقول رجال الانكليز لقد عبر علينا حين من الدهر في قطركم وانتم تناوشوننا وتعارضوننا وتارة تستجدون بجلالة السلطان وتارة تستعينون بفرنسا وأواناً تعضدون بروسيا ولا يزيدنا ذلك إلا تأييداً ورسوخ قدم في مصر وقد قبضنا على ادارتها فلا يوظف فيها أحد الا بارادتنا في حين انكم لو امتزجتم معنا واتفتم لاجبرنا فرنسا وأوروبا على توحيد ديونكم وخنفتنا اثقال الضرائب عنكم وخصصنا مبالغ وافرة بالامور الصحية وعممنا فوائد العلم واكثرنا المدارس فيستطيع المصريون مع الزمن ان يشتغلوا بفضل احتلالنا الذي يزيدهم استقلالاً وحرية ويصبحون في بلادهم كاهل كندا يحكمونها ويديرون شؤونها ولنا نحن

بلغاريا ولولانا لما قامت قيامة المسألة الارمنية فان لحكومتنا غير قواتها البحرية
والمالية والتقليدية قوة رابعة هي اليوم القوة الاولى بين قواتنا الا وهي الجرائد
فاذا أردنا امراً قامت قيامة جرائدنا عليه يعضدها جيش جرار من مكاتبها
وطنطننت به وابتقت واعدت وكل من استقرى المسألة الارمنية وتبع حركاتها
اعترف بفضل جرائد لندرا والتبس في مقدمتها

فهل من الحكم يا ايها المصريون ان تقاومونا واتم عاجزون عن القيام
بمهام اموركم دون معاونة غريب حتى لو انجلينا عن بلادكم (وهو مستحيل)
لنات اوروبا ايديكم وقصرت من رداء حريتك واستقلالكم وامتيازاتكم الادارية
لانكم لو كنتم تصاحون للحكم لما كثر دينكم واختلست حكامكم فافلستم
وخفقت راية التوضي فوق ربوعكم وقام رجال الجيش على خديويكم قاستنصر
بنا عليهم ليصون اريكته وامتيازات مصر

تلك خلاصة ما يردده الانكليز وما جوروهم في احاديثهم الرسمية وابواقهم
الاحتلالية فرأيت ان افندها واحدة واحدة حتى لا تنطلي تمويهاتهم هذه على البسطاء
لان عقلاء الامة وفضلاءها عرفوا مثلنا فساد هذه المبادئ وغازيات اصحابها
واضرارها بنا

لم اتأخر عن التنديد بتردد سياسة الباب العالي في ايام الثورة العسكرية
وكثيرا ما عرضت في سياسة الوزير فراسينه ومشورات صديقه دي لسبس وقد
احجمت فرنسا عن الاشتراك مع انكترا واتداد صدى الاهرام تضطرم غيظاً
وغيره على سياسة الدولتين لاني خنت انفراد انكترا وتيقنت سوء غايتها
وانها عاملة على امتلاك مصر وتلك كانت كتاباتي في الاهرام وفي جريدة
الديبا والريبوليك فرانسز وفي البال مال غازيت وغيرها من جرائد انكترا

فقط حق الاعتراض على الاعمال التي تمس نفوذنا المعنوي او تحول دون حقوقنا السياسية في مصر بما انها طريق الهند وأهم المواقع الحربية في البحر المتوسط والبحر الاحمر

ولو كنتم حقيقة من اولئك الاعراب الذين يحبون جنسهم ووطنهم لاتفقتم معنا وكان مستقبل الشرق لكم ونحن اذا كنا أخذنا أهم مناصبكم وقبضنا على كبيرات الوظائف فاننا لم نأت غير ما اتاه فاتحو مصر قبلنا من اعراب وأتراك واذا كنا استخدمنا الدخلاء واسطة بيننا وبينكم فقد فاننا خوفاً منكم واقداءً بالفاحين ولكن اذا اصفيتم لنا الود واخلصتم طردنا من المناصب كل غريب وتولينا معكم كل الوظائف وتشاطرنا ميزانية الادارة

وهل عارضتمونا في شيء ونجح المعارضون وهل نظارتكم تطيع غير المستشار الانكليزي او الوكيل الانكليزي وهل ارتأى بالامر مشروعاً ولم ينتشر على خصومه حتى في اوقافكم المقدسة واعلموا ان وجهتنا في نظارة المعارف هي نشر اللة الانكليزية في مصر وفي الحقاية تسير العدالة على الخطة السائرة عليها في هندا ومتى تم لنا ذلك وهو امر قريب يثتم من معارضتنا ورضيتم باحتلالنا قسراً

ثم هل تساعدكم فرنسا عن حب لكم وهل نسيتم ضربات روسيا السابقة وافضال انكثرا عليكم فكيف تفضلون روسيا اليوم علينا

وقد علم رجال السلطنة انه اذا سهل عليهم ان يعادوا فرنسا او غيرها استحال عليهم ان يناوشوا انكثرا وقد رأوا منها ما رأوه في مشاكلهم الداخلية فنحن الذين حلنا دون دخول تركيا في امر الرومي الشرقية فانضمت الى

ولم ايمم عواصم اوروبا للاجتماع بهذا السياسي وذاك المكاتب إلا لتعميم افكاري
والقول ان من مصلحة اوروبا ان تجلي انكترا عن مصر وقد فأنخي للورد
دوفرين في قصر الزهرة والسير بارنغ لدى وصوله الى مصر معتمداً لدولته
فابدت رأي لها كما نشرته في الاهرام وافتخر اني كنت منذرنا في هذا
الرأي الوطني المصري مخالفاً كل وزير وكل امير بينما كان الانكيز ورجال
مصر ممتزجين قلباً وقالباً وهؤلاء، غير عالمين بسوء نيات المحتلين

والمصريون الرسميون مازجوا الانكيز في اكثر سني الاحتلال تقريباً
وعملوا بجميع مشوراتهم ونصائحهم على زعمهم فقبض الانكيز على كل رخيص
وغال كاني بمصر مستمرة انكيزية ولولا ان قيض الله العباس لتولي الاريكة
الخدوية لما كانت النهضة الوطنية التي استسلمت في السابق عن يأس لا عن
قناعة وهو برهان على ان مصر تموت برجل وتحيا برجل فهل رأى المصريون
بسني الجمالة عملاً واحداً في سبيل تأييد الامتيازات المصرية في كل نظارة
أو كل فرع من فروعها من الحرية الى المعارف فكيف تشكون اليوم من
نور المصري واتم تلته وسببه

ونحن قد استنجدنا بالاستانة واللعنا لان سياسة انكترا في دار السعادة
حبطت وانحلت بعد احتلال مصر وعرف رجال ضفاف البوسنور معرفة
رجال ضفاف النيل ان وقوع مصر في قبضة الانكيز تؤدي الى انحطاط
السلطنة والاضرار بالامة فجمعوا كلمتهم ووقفوا بين آرائهم واذا لم تكن
نتيجة استنجدنا بحضرة امير المؤمنين الا انها حالت دون اغراض المفسدين
فيئسوا من تحقيق أمنيتهم في مصر واميرها الكني بها فائدة تذكر فتشكر
وخصصنا فرنسا دون غيرها من الدول بطلب الاسعاف لما لها من المصلحة

في مصر والشرقين ولاننا نعتقد ان اقدس واجباتنا ان لا نتفق فرنسا مع انكثرا حتى لا تقوى الاخيرة على ارضائها ببديل عن مصر من املاكنا شأنها في سياستها الخارجية معنا ونحن اليوم نستعين بالمانيا وروسيا ولنا ملء الامل ان الدول الثلاث سيتفقن على طلب حياد مصر فلا تمتلكها دولة اجنبية ابداً ولا نعجب اذا كانت مسألة مصر من قواعد التحالف الفرنسي الروسي ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم اننا اتفقنا معكم فأخذتم مناصبنا وامتزجنا بكم فاستلمتم مقاليد أمورنا وجعلتمونا في اعين الشرقيين ضعفاء بعنا ووطننا وفي اعين الغربيين أناساً بلا حمية ولا شرف ولولا تداركنا لاغلاطنا هذه لخسرنا مصر وامتلكتوها غنيمة باردة وانتقم منا الفرنسي فوطىء ارضاً ثانية وناصبنا الروسي ورهط آخرون

ولا يخفى عن الانكليز ان اتفاق اكثر الوزارات الفرنسية معهم على تحويل الموحد وغيره لم يقنع فرنسا مطلقاً فضلاً عن ان مصر لم تستفد من التحويل بل تقاسمه ابناء الانكليز رواتب ونفقات ودلياننا الفرق الفاحش بين ميزانية مصر الادارية قبل الاحتلال واليوم وبين المبالغ التي كان يقبضها المصري وقتئذ والتي يقبضها اليوم ولو رضي المصريون بالاحتلال لما اضروا بمصرهم فقط بل بالسلطنة قاطبة وليعلم المصري من دعاة الاحتلال انه لو تم ذلك لاضر بالوطن والامة من كل جهة فهل يلام صادق في الوطنية اذا عارض الاحتلال (ولو إنه كاه حسنات) فكيف وهو على ما هو عليه سيئات في سيئات حسبنا الله ونعم الوكيل

وقد برهنتم باعمالكم ولا سيما في السياسة العثمانية على انكم تريدون ابتلاع

مصر وسودانها والتفريق بين مصر والاستانة وبين العربي والتركي وبين
 الخديوي والسلطان وبمعنى اوضح ظهرت في مظهر خصم للدولة مالياً وسياسياً
 فهل يتبعكم وتلك مبادئكم إلا الذين وطنيتهم درهمهم ومصريتهم منصبهم نعم
 ايدتم ارادتكم في مصر والامر امركم واستسلم النظار طائعين ولم يعارضكم
 احد ولكن ذلك التأيد لا يزيدكم الا كراهية في مصر كما يزيد اوروبا ثورة
 عليكم وبرهاننا حرب جرائد فرنسا وسواها ولا ننكر قوة انكارترا في الجرائد
 وهي الآلة السماء في يد الخارجية الانكليزية ولكن ثبت لاوروبا اليوم ان
 اختلاف جرائد لندن ومغالطها يما دلان عظم انتشارها واتساعها او يزيدان
 ولنا فيما اختلقته على مصر في الحوادث الاخيرة وما كان من احاديثها الملققة
 بعد مسألة البامير وما رددته في هذه الايام على مقدونية وبلغاريا وفيما لا تزال
 تنفثه من السموم في المسألة الارمنية شاهد عدل على ما نقول

وسوف تضع مصر حداً لجميع هذه الامور التي فضحها الاحتلال فانكم
 تطاولتم على اميرنا ورجاله وسلبتم حقوقنا الادارية والمالية وهددتم السودان
 وفرقتم بين عناصر السلطنة ومستم مصالح جميع الدول ومصر طريق الشرق
 الاقصى لاوروبا وأهم نقط البحر المتوسط الحربية ونحن العثمانيين لانند روسيا
 خصماً لنا لاننا لو جاملناها كما جاملنا بريطانيا وحاربنا هذه لمصلحة القيصر
 كما حاربناه لمصلحة انكارترا لكات النتيجة لنا احسن جداً ولهذا لا يجب
 الانكليز من تحالف الدولة العلية مع روسيا اذا لم تقم انكارترا بعود الجلاء
 ونحن في هذه السياسة نفتدي بفرنسا ونفق مع الدولتين على مصر
 وعلى غيرها

ولست في حاجة الى ذكر ما كان من الانكليز ضد النهضة العلمية المصرية

و ضد الحقانية مما يظهر للمصري ان المجاملة استعباد والملاينة استرقاق فانه لو فرضنا المستحيل وقلنا ان اوروبا لم تتداخل في مصر وملكت انكثرا هذه البلاد لكانت النتيجة واحدة جامانها او عارضياها ولكن المجاملة حطة و عار والمعارضة شرف وافتخار

وهب صدق الانكيز وقصرت اوروبا من حرية المصريين بعد الجلاء فلا يكون هنالك ما يخيفنا على استقلالنا الاداري المنصوص عنه في الزمانات بل تحفظ حقوق السلطنة وتؤيد امتيازات معه ويكون للمصري ميدان واسع يسابق فيه وينظر ابن اوروبا ليقندي به علماً ومدنية وحرية واستقلالاً ولا تتحصر الفائدة عند ذلك في مصر والمصريين بل تمتد الى الدولة العلية والشرق باسره

ولا نياس من الانتظار وحرب السبعين قد مضى عليها ٢٥ سنة ولم تزد فرنسا الا رفة وقوة والخلاف بين انكثرا وفرنسا على الارض الجديدة ومسائل افريقية قد عبر عليه سنون ولكن لم تياس الدولتان لامن اتفاق سيحدث ولا من المعارضات المتبادلة ثم هل انفضت الى الآن مشاكل انكثرا وروسيا في البامير وغيرها فلماذا نياس نحن واوربا ذات المصلحة مثلنا وصاحبة القوة ساهرة يقظة لاتسالنا إلا متابة خطتنا الوطنية بمعارضة الاحتلال وطلب الجلاء والسلام

سنة ١٨٩٦

قال في الاستقلال وأساسه نشر المعارف

الاستقلال من لوازم الحياة السياسية وهو إما طبيعي فطري كما هو استقلال أكثر القبائل الرحل المتوغلة في مجاهل افريقيا وغيرها وإما اكتسابي وهو ما توصل اليه اصحابه بفضل الاجتهاد والعلم كاستقلال شعوب اوروبا التي ينقسم استقلالها الى قسمين الاول ان يكون الشعب مستقلاً حراً ولكنه خاضع خضوعاً تاماً لارادة ملكه المطلق والثاني ان تكون الامة مشتركة مع حكامها في فوائد الاستقلال كما هي الحال في فرنسا وانكلترا بنضل آداب شعبيهما ومدنيتها وعلمهما

ولا وجود سياسي بنير الاستقلال ولن يكون هذا بغير العلم ولا سيما في الشعوب التي تعودت الانقياد لحكامها وللدخلاء ولهذا كانت واجبات المصري بالقياس لنيره من ابناء الشرق كثيرة لانه بخسرانه الاستقلال الاداري خسر الفوائد الثانية الاقتصادية وغيرها فاستلم زمام سياسته الاجنبي وتولى مهام ادارته الدخيل وأدار شؤون ماليته الرقيب كأني به عبد لسواه من كل الوجوه وهي حال تضطرننا الى مداركة اضرارها وملافاة شرها قبل استفحال أمرها بتوسيع نطاق المعارف وتنظيم مصالحها وتديم فوائدها ويذكر قراؤنا الكرام اننا كتبنا مرات عديدة في هذا الموضوع المهم واستلقتنا انظار أولي الامر الى ذلك وسألنا الموسرين منا ان يشتركوا مع الحكومة في اقامة المدارس في كل صوب لانه اذا كان المصري جاهلاً

واجباته نحو نفسه فكيف يدرك فروضه نحو غيره وكيف يسعى الى تحسين احواله الشخصية باصلاح احوال منزله وتهذيب اخلاق اولاده وتعليمهم المبادئ الوطنية والاقتصادية وهو خاضع لارادة غيره وطوع اشارة سواه وقد سألت مراراً بعض افاضل المصريين ان يكتبوا في هذه المواضيع ويتمنوا في الكلام على تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول بأن ينهوا ابناء مصر الى اصلاح ما اخلل وتقوم ما اعطل يذكرن محاسن الاجنبي للاقتداء بها ويوردون فنون الاوروبيين في المبادئ الاقتصادية وغيرها حائنين على اتخاذها انموذجاً ومثلاً حتى اذا لم نحل دون اطاعتهم فينا اشركنا وإياهم في فوائد الارتزاق والاكتساب

وأرى الاستاذ المتكاسل والعالم المتجاهل والفاضل المتناقل من ابناء مصر عن هذه الواجبات اكبر ذنباً وأشد جريمة من اخوانهم الذين لهم عذر بجهلهم وقد صدق احد السياسيين اذ قال في حديث دار بيننا على هذا الموضوع « ان هؤلاء الافاضل لاشد عداً لمصر وبنيتها من الخئلين »

ولا يخفى انه كلما زادت معارف الامة زاد عدد النباء والافاضل فيها فتنبهوا الى فروضهم وطلبوا بحقوقهم وساعفوا الهيئة الحاكمة اذا اخلصت سعياً الى معارضة الرقيب وقضوا عليها اذا استماتت من جراء ضعفها وقنوطها لان الامة الحية لانعدم الحياة في كثير من ابناءها يتولون أمورها ويصلحون شؤونها او لا ترى اليوم في فرنسا ان الشعب هو صاحب القول الفصل في اعماله الداخلية والخارجية سواء نبع بين رجالها مثل تييرس ام لم يكن عندها سياسي عظيم واداري لبيب في حين نرى الامة التي لاعلم فيها طوع ارادة فردٍ من افرادها وظالما اضر بها وبثمنه

نعم قد وفقت مصر الى ان رأت في سمو العباس المحبوب رجلاً غيوراً
على مصالحها ميلاً الى توسيع نطاق المعارف فيها متمصماً بجبل المبادئ
الوطنية والجنسية عن علم ومعرفة مما يسمف كثيراً على الوصول الى تحقيق
أمني سموه الوطنية ولا سيما اذا قام مجموع الامة وأفرادها قيام سموه بذلك
الواجب المقدس ويسؤنا ان لا نرى ذلك من لثيفنا اما عن بأس او عن
جهل وكلاهما نتيجة اهلنا تهذيب اخلاقنا وتثقيف عقولنا وبالتالي جهلنا
لواجباتنا نحو نفوسنا ونحو غيرنا فاستعبدنا النير وكان ما كان من استماتتنا
امامه والاستقامة لارادته وشارته

ونحن لانجهل اليوم بعد الحوادث الاخيرة ان للمصريين عصرًا مجيداً
طاله جلاء الانكيز عن بلادهم ولكن ذلك لا يكون اذا اهلنا فروضنا ولم
ير النصرء والمسعفون اننا قادرون على ان نحكم انفسنا بأنفسنا ولا يجهل
المصري انه متميز بموقعه الجغرافي عن سواه فان غيره اذا أراد ان يستقل
وجب ان يشغل وحده دون ان يساعده احد اما مصر فلها من الدول حتى
من الانكيز انفسهم عضد ونصير

نعم ان الانكيز قبلوا بسياستهم السلطة الاهلية ليحولوا دون الجلاء
ولكن حزم العباس فضح سياستهم وقد ساعدته حوادث آسيا وأفريقية
ففرقت اوروبا اختلاقات السياسة البريطانية في مصر كما عرقها في الترنسفال
واليابان والبوسنور

فعلى أولي الامر والاعنياء والنجباء من الامة ان يعقدوا النية ويكونوا
يداً واحدة في نشر لواء العلم واكثار المدارس في البلاد وتنويع علومها
الادارية والاقتصادية لينبغ منها الاداريون والمجربون والاقتصاديون العارفون

والسياسيون المحنكون ولنعلم ان مصر اذا رجعت الى حالتها قبل الاحتلال
 خدمت الشعوب المشرقية اجمع وتمتع الافريقيون المستقلون بوجودهم السياسي
 ولا عذر لنا اذا عارض المحتلون زيادة ميزانية المعارف او حال رجال
 هذه النظارة دون بعيتنا الجليلة فانهم يعملون لمصالحهم فلنسع نحن ايضاً في
 مصلحتنا وذلك بأن لانأسف لبذل الدرهم في سبيل وجودنا السياسي وان
 نقصي اليأس من نفوسنا وقد ثبت ان لاياس في الحياة السياسية
 وان مارايتاه في هذه الآونة الاخيرة من مبادئ النهضة الاقتصادية
 والعلية في مصر يبشرنا بنمو تلك المبادئ وكما هذ النهضة ومتى تعممت
 وانتشرت عرفنا مالنا وما علينا فطالبنا بحقوقنا الادارية والاقتصادية توصلا
 الى الحقوق السياسية وتمتعنا بامتيازاتنا على ما يقتضيه وجودنا السياسي وحياتنا
 القومية والله ولي التوفيق

وكتب في ١٨ مارس عن حملة السودان الاخيرة

إما ان تكون الحملة السودانية لخدمة مصر او لخدمة انكلترا فاذا كان
 الاول وجب عضدها بالمال وبالرجال واذا كان الثاني وجب رفضها وإلإعدادنا
 المصريين القائلين بها خداماً لاغراض انكلترا لالمصر ووطنهم
 ويذكر القراء يوم اوعز اللورد كرومر بسليخ السودان الى المرحوم
 الشريف اننا قلنا ان الغاية من سياسة انكلترا ان تكون السودان او افريقيا
 هندا انكليزية. نعم ان هذه الامنية لم تتحقق بعد ولكن ايدت الحوادث ما

قلناه قبل كل أحد سوانا وعرفنا ايضاً ان انكايز مصر عاملون ولا سيما بعد اتفاق المستر رود واللورد كرومر على وجوب فتح السودان الامر الذي اهتم به السردار كتشنر باشا كل سنة زار لندرا فيها ولكن السياسة الاوروبية العامة حالت دون مرام السياسة الاحتلالية التي لم تأسف في مخابراتها على الدرهم وغيره لاستمالة القبائل المتذبذبة تسهيلاً للحملة المنوية يوم توافق انكايزا عليها مدفوعة من مصلحتها الخصوصية تحت ستار خدمة المدينة ضد الهمجية كما ذكر المستر كرزون أمس

وقد ثبت الآن ان مصر مسيرة في الحملة الاخيرة لان الامر صدر من لندرا وتقرر اولا بين حضرات اللورد كرومر والسردار وقائد جيش الاحتلال والسير الوين بلر وعضدت هذه السياسة معارف سلاطين باشا وخبرته باحوال السودان وبعد الاتفاق النهائي ابلغت حكومة مصر الامر لاتفاذه

وعليه فقد كان من الواجب على كبار ورجال الحكومة المصرية ان يبحثوا بحثاً مدققاً في الغاية من هذه الحملة فاذا كانت لخدمة غير مصر وجب ان لا يصدقوا على تجريدتها واذا قيل ان مصر لا قوة لها على ذلك قلنا ان لها القوة الشرعية التي مزقت بها الدولة العلية شمل اغراض الانكايز في مسألة ارمينيا واذا قيل ان انكايزا قدر ان تنادي بحمايتها على مصر من ان تقوى على اقل تعديل في قواعد مصر الاساسية التي تنص عنها فرمانات السلطانية وتؤيدها اوروبا وقد عرفنا ان الاول مستحيل وهو امر لا تجهله انكايزا ورجالها هنا ورجالنا اذن كان ما نخاف منه في الامر الثاني اكثر استحالة وقد اذكرتني مخاوف رجالنا في هذه المرة مخاوفهم في مسألة الحدود وقد

قالوا لو رفضنا مطالب كرومر لقبض الانكاييز على جيشنا بجيشهم الاحتلالي
 وقتلوا الشوكة المصرية فقولوا لنا أيها المرددون اليوم للاقوال الماضية هل حالت
 طاعتكم العمياء وخضوعكم في مسألة الحدود دون قتل النفوذ المصري في الجيش
 المصري الاسمي

ناشدتكم الله ايها القابضون على زمام هذا القطار السعيد المنادون بذكر
 هذه المخاوف كل يوم عن ضعف او عن غايات في النفس والخاضعون للمحتلين
 بسببها ها قد جربتم ذلك مرارا ولم تزدادوا الا خذلانا وخدمتم الاحتلال
 وايدتموه فبالله الا ماجرتهم الرفض مرة واحدة على شرط ان لا تقبلوا ابداً
 لا ان ترفضوا لتقبلوا وعندها تعرفون ان المسألة دولية اوروبية وانه اذا كانت
 اوروبا قد حالت دون اغراض انكلترا في الشرقين حتى في الترنسفال فهل
 تتردد عن وضع حد لاطامها الاشعبية في مصر واقول انه لو وثق الانكاييز
 باننا حازمون ثابتون لما عادوا كراتهم علينا حتى قتلونا واماتونا

ونرجع الى راي اوروبا والقول انه يحتمل ان تكون المانيا موافقة للحملة
 لخدمة حليفها ايطاليا فاین اثره انكلترا وانها لا تطيع اشارة برلين
 وامبراطورها الشاب ام قصدت ان تستميله اليها على حساب مصر
 المنكودة الحظ

والذي نعمتده هو انه وان تكن الحملة بتصديق المانيا فلا يؤثر ذلك في
 في حقوق مصر السياسية لان غيليوم الثاني يعرف انه اذا تمادى في هذه
 السياسة اغضب فرنسا وروسيا ولا مصلحة له في ذلك بهد ان ذاق مرارة
 التحجب الانكاييزي والجرح لايزال جديدا داميا على انه وان ثبت هذا الراي
 فلا يزيدنا إلا ثباتاً في معارضة الحملة وكيف لا نعارضها وغايتها خدمة غير

مصر وغير المصربين بتضحية اموالها ورجالها على مذابح انراض المحتلين
 ونحن متيقنون ان روسيا وفرنسا لا ترضيان مطلقا بامثال هذه الاعمال
 وقد عرفت اوروبا ان القول الفصل للتحالف الثنائي المذكور بما كان من
 سياسة المانيا في جميع الحوادث الاخيرة مما يضمن لنا عدم الخوف والقلق
 على مستقبلنا ولا تهمل فرنسا خصوصا انها اذا تساهلت خسرت جميع ما اكتسبته
 في السنين الاخيرة من اميال الشرقيين عموماً وكانت بتصديقها لمقدمات بريطانيا
 الاخيرة عاملة على تحقيق اقوال السياسي الالماني الشهير الذي قال
 (ان المانيا مع مسألتي الالزاس واللورين اسلم عاقبة لفرنسا من انكاثرا
 المازجة مقدمات تمويها بتقريرات جرائدها وخطب رجالها)



وكتب في ١٤ يونيو من باريس عن الفيلسوف جول سيمون وكان من مريديه

الله والوطن والحرية

احتفلت باريس بل فرنسا باسرها بل الفلسفة والعلم والادب والحضارة
 النربية والمدنية الاوروبية بمشهد جنازة الفيلسوف الالامة السياسي الوطني
 الفرنسي المرحوم جول سيمون الذي مات وعمره ٨٢ سنة قضاها في خدمة
 بلاده ونصرة التقير والبأس وعنوان حياته الله والوطن والحرية

واني لا اوفي في عجائتي هذه حقوق هذا الرجل الذي يحق لفرنسا ان
 تفتخر به وبامثاله اولئك النوابغ والفضائل الذين شادوا صروح علمها ومعالم مجدها
 وعزها وايدوا مبادي حريتها وخدموا الضعيف والمسكين فيها وقد ضحى المرحوم
 جول سيمون مصلحته الشخصية في خدمة مبادئه الشريفة ومقاصد النبيلة وذلك

مات فقير الحال . ولكنه خلف ذكراً مجيداً ينفي عن كل مال . وترك صيتاً حميداً يتناقله الابناء عن الاباء مدى القرون والاجيال وقد جماعه رحمه الله موضوع رسالي هذه شهادة بفضلته وبفضل امته وبلاده اتي لا يضيع فيها احسان واجمال . وتنوياً بان الامة الفرنسية كثيرها من امم اوربا تقدر هؤلاء الرجال قدرهم ولذلك امتازت هذه الشعوب عن غيرها وفاقت نبي سواها واعتزت وكان الامر امرها في مشرق الارض ومنزها

افتتح جول سيمون حيوته الكريمة بخدمة العلم والحرية ندافع عن هذه دفاع الابطال في عصر نابوليون الثالث ولم تمنه حرته هذه الشريفة من التنديد بعمال الجمهورية ايام ارادوا مصادرة هذه الحرية في سياستهم وتعاليمهم لانه حسب ضالته الحرية واحدة في تصور الامبراطورية والجمهورية والملكية وانه فوق المصلحة الحزبية والغايات الشخصية ولم يتخذها كغيره سلاحاً ضد الاستبداد وضد اخوانه ايضاً وقد دحر الاستبداد وذويه بل خدم الحرية نفسها قاصدا ان يتمتع بها الجمهوري في عهد الامبراطورية وعهد الملكية كتمتع ابناء هانين الحكومتين بها في عصر الجمهورية الحاضر

وهذه الحرية التي خدمها انما خصصها لخدمة وطنه العزيز بما وضعه من المؤلفات الضخمة والمصنفات الجزلة وبما نشره في المجالات العلمية والجرائد السيارة من المقالات المبينة والاتصوالمفيدة وبما القاه في البرلمان وسواه من الخطب الرنانة التي كانت لها رنين ودوي في فرنسا وفي خارجها واذا كان لم يوفق الى منع حرب السبعين فانه ساعد تيرس مؤسس الجمهورية على تأييد هذه الحكومة وسلم فرنسا لاختوته ابناء هذه المملكة دولة عزيزة الشأن عليا المقام والجناب يتهيها الخصوم وتنو لذكرها الرقاب

وهذه الوطنية وتلك الحرية قد وفقهما ايضاً على خدمة الحق سبحانه وتعالى فلم تؤثر فيه تلك الفلسفة المبلبلة الثرثارة المنكرة كل وجود سام غير مدرك ولا منظور بل حاربها وهدد شمل كتابها وتذكرني رصانة هذا العلامة الفاضل وزكاة فكره طيش بعض ابناء المشرق الذين يجزئون بمطالعة كتاب هذا المادي ومؤلف ذلك الكافر الملحد وتصفح فصول داروين العالم الطبيعي ثم يروحون يتخذلقون ويتشدقون براء غيرهم ويفتخرون باذاعة تعاليم سوامهم وهم قوم لا رأي لهم للاتباع ولا فكر ينافس بابداع بل يباهون بانهم ماديون عن فلاسفة اخريات هذه الايام ونحن نرى جول سيمون العالم المحقق والنياسوف المدقق يعبد الحق عز وجل ويخدمه ويفتخر بايمانه وبمعتقده ولم تمنه اعماله السياسية ولا واجباته العلمية والعائلية من احترام المبادي الدينية وتجميلها واعلانها في خطبه وفي كتيبه ومقالاته فكان بالحقيقة الفيلسوف الصانع والوطني الحر المخلص لدولته وبني قومه ونم الرجل هو

ثم ان هذا الرجل ابن اجتهاده وصنعة اقدامه وثباته وقد دللتنا مؤلفاته وخطبه على انه عضد الفقير وسند العامل والمخترف وغوث المهروف ونصير كل سبروت ضعيف وقد حرك بلسانه وبنانه جميع الحكومات والشعوب الاوروبية لمساعدة العملة على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ولا سيما القاصرين والعاجزين منهم وذلك بزيادة اجورهم واقلال ساعات عملهم وتخفيف احمال عنائهم ومشقتهم وأن تقام لهم الملاجىء والمساكن بأجور متدلة ليتسنى لهم بعض الراحة والهناء في هذه الحياة الدنيا ويكون لهم وجه شبه بالاغنياء والعظماء وهو قد فاز في هذه الحروب القلبية والمعارك الادبية فوزاً مبيناً ولقبه العملة اباهم ونصيرهم وهو شرف ما يبدده شرف وغاية مجد ما يبددها غاية

وكثيرون من قرائنا يتذكرون ما لقيه هذا الفيلسوف المحب للانسانية من صنوف التجارة والتكريم في مؤتمر برلين الذي دعاه الى حضوره الامبراطور غليوم الثاني للمفاوضة بشأن اصلاح احوال العملة مما ساعف كثيراً على تأييد تلك المبادئ كما عادت ايضاً على تحسين صلات فرنسا والمانيا منذ ذلك الحين

وكان جول سيييون كلما كبر في السن كبر في العلم والمعرفة وزاد فلسفة وأدباً ومحبة للانسانية واعتصاماً بمبادئه الدينية وتصبناً في الاعتقاد بوجود الله خالقه وكان كلما علا منصبه وتلألاً جاهه وقوض صروح الاستبداد والظلم زاد هياماً وكلفاً بالحرية وأراد ان تكون له كما لخصومه اذ الحرية لا تتجزأ ولا تتنوع وجول سيييون سواء في عبادة الحق جل جلاله او في تأييد الحرية وتعميم نوائدها وبركاتها كانت وجوبته خدمة وطنه العزيز فهكذا الرجال وهكذا الاعمال

فلا بدع إذا بعد ذلك اذا رأينا فرنسا كالسنة البال حزينة لتقد رجلها وخادمها الامين وجعات حكومتها تفقات مشهده على خزانة الدولة وأمرت بان يكون الاحتفال به رسمياً يسير فيه الوزراء والامراء والنواب ورجال العلم والادب وكبراء باريس وعظماؤها وقد ابته كثيرون بابدع بيان. فذكروا فضله ونبله وتددوا مآثرة وافعاله الحسنات. وبكاه جميع الذين عرفوه كما بكاه الفقراء والايتام والارامل الذين صار في كوؤوس معاشهم المرة بهض حلاوة وطيب مذاق بفضل هذا الخادم للانسانية المخلص والفيلسوف الوطني الحر الذي اسلم روحه كما بدأ حياته بتكرار هذه الكلمات الشريفة « الله والوطن والحرية »

وكتب أيضاً في ذلك التاريخ من باريس

شهدنا في هذا اليوم الازهر . سباق باريس الاكبر الابر . وقد غشيه نحو مايون نسمة فكان زحاماً غريباً يندر مثله في هذه المدينة الزاهرة ومشهداً درة تاجه حضرة رئيس الجمهورية الذي استقبل بالاحتفال الواجب والتكريم اللائق وقد علت ضوضاء المتراهنين وبلت ارباح هذا اليوم ونفقته ٥ ملايين من الفرنكات تقاسم الاهلون اكثرها ولهذا لم نتجب من ان بلدية باريس اخرت ذاك السباق اسبوعاً بتصد خدمة المدينة وقد اضطر المتسابقون والزوار الى البقاء ريثما يشهدون السباق المذكور كما ان رجال الحكومة لم يأسنوا على بذل الدرهم بسخاء وكرم في سبيل زيادة راحة السياح والاجانب من كل الوجوه لما يترتب على رضى هؤلاء من زيادة موارد باريس ومكاسبها ورواج متاجرها وعمالها وهذا يؤيد ما طالما التمسناه مصر وهو وجوب زيادة العناية بأمر النزلاء والسياح ولا سيما وقد اشتهرت مصر بانها سويسرا الشتاء لكل مريض وغريب وسائح وناهيك ما بذلك من خدمة اقطار المصري مادياً بما يفتق الغرباء من المال وأدياً اذ يقف هذا السياسي وذلك النائب او الكاتب على حقائق البلاد فيملدون اوروبا بأحوالنا ويصنون لها شؤوننا وشجوننا ويبثون لاهلها وساستها شكاياتنا فلا تضع حقوقنا في طي مخالطة السياسة الانكليزية وسباب اذيب جرائد لندن وترهاتها

ولا يسعني ان اختتم هذه المجالة قبل ان اذكر نضل البوليس الباريسي وائني على العامة من الشعب وهنيئاً لمثل هذه البلاد وسقياً ورعياً لمثل هذه الامة الرفيعة المقام

وكتب من باريس عن كريت في ٢١ لوليو .

ماضرنا لو رضينا بمطالب الكريتين مباشرة وأنقذنا من انفسنا وعودنا لهم مادمننا بعد الاحوال الاخيرة نرضى اليوم بما رفضناه امس ونقبل نداءً معارضنا بشانه اليوم وناهيك ما يترتب على مثل هذه السياسة الخرقاء من الاضرار بنا من جميع الوجوه فاننا ايدنا تداخل اوروبا في اعمالنا وبرهنا على ضعفنا بعدم ثباتنا على رفضنا وهجنا خواطر الرعية وساعدنا الحوادث على التوسع والامتداد في ولايات اوروبا وآسيا وكابدنا النفقات الطائلة ثم اوقفنا حركة التجارة في الداخلية وجففنا موارد البلاد وولدنا الياس في قلوب الرعايا وهنالك الطامة الكبرى

ولا خسارة من كريت اذا متناها بدستور اشبه بقانون لبنان فانه مادمننا لا أمل لنا منها بجمند ولا بضرائب وجب علينا على الاقل ان نتخلص من الخسائر الناجمة عنها في المال والرجال وقد عرفنا ان الدول متنفقات على عقد الصلح بين الكريتين والحكومة لانه هو الحل الاوفى لها وهي لازيد الحرب ولا ضعفة المملكة العثمانية طبق ما يريده سياسة الانكاز مما ينهم منه ان اوروبا خصمنا وصدقنا لا تسمح لنا عند حدوث ثورة بغير مسالة الثائرين كاننا حراس اغراض اوروبا وبوليس سياستها

ولا يخفى ان اطراد هذه الحالة في السلطنة يحول دون الاصلاحات الداخلية فضلا عما فيها من مس خواطر المسلمين وهم يرون ان الثورة من النصرارى تقابل بالحسنات الادارية والمالية والاقتصادية وانهم هم هم القائمون باداء المال والرجال وهم مع ذلك محرومون من الاصلاح المطلوب وهذه الامور

لا يجب ان نتجاهل انها سلاح خصومنا ضدنا وانه متى ظهرت استحال منعها
ومتى حصلت قامت قيامة الانتقام على قدم وساق لان العامة عمياء لاتعرف
جدالاً ولا برهاناً ولا كلمة للافراد في الدولة وهم لم يكونوا الى الآن الا ائلة
الخراب وسبب الدمار وباللعمار

فهل من مصلحة الامة السياسية او القومية ان تثور تلك الخواطر
الثورية وتفور في جميع انحاء البلاد كل مذهب يحارب الثاني وكل عنصر
يناصب الآخر وما نتيجة ذلك الا تداخل اوربا القملي ومقاسمة القوائد
بين تلك الدول او لا نرى ان الشوب البلقانية مننقات متحدات على انقاذ
ماربها وهل اليونانية لاتنتظر تلك الساعة بنافذ الصبر والجلد وهل دولة غير
روسيا حائلة اليوم دون اندفاع تلك الامارات والممالك الصغيرة ضدنا إذن
فلماذا يا قوم تتجاهل المخاطر المحدقة بنا وتتغاضى عن واجباتنا الوطنية المقدسة
وفروضنا نحو الامة والبلاد

ويعلم الله ان المسلم لاشد افتقاراً الى الاصلاح المطلوب من
المسيحي والاول هو الذي يستفيد منه اكثر من الثاني لانه السواد الاعظم
في البلاد التي لاتزال ارضها ملكه والعثمانية بلاد زراعية فاذا انتشر فيها علم
الاصلاح وتأييد المدالة والراحة ووشيت اعراق الحضارة والعمران اُرى
اصحاب الاملاك وأخذت الخزانة نصيبها من تلك الفائدة وتمكنت عندها
من ادخار الذخائر والمعدات وتحصين القلاع وتبوات المملكة مقاماً علياً وحق
لرجالها حينئذ ان يكرروا قول الملك الفرنسي والفاتح الشهير هنري الرابع
القائل « حصنت مدني واكثر ذخائري وملأت خزائني مالا فمن أخاف »
ولا خلاف في ان الحالة الحاضرة في تركيا مجلبة لاعظم الاضرار على

مصر وسودانها ومسلمي افريقية قاطبة لانه فضلا عن اهتمام اوروبا بتلك الحوادث قصد التوسل الى حلها حتى لاتشب حرب دولية فهي اي اوروبا حائرة لاتدري كيف تتفق على انكثرا وقد يلد لنا الغد ولياليه الحبالى حوادث مهمة في ولايات ثانية نقضي على اوروبا المترددة في اعمالها ان تضرب صفحاً عن مبادئها الاولى وتكون مصر نصيب انكثرا وتحقق هذه امانها فينا وفي الاسلام ويصدق قول احد رجالها بان حلفاء سياسة انكثرا وانصارها على ضياع السلطنة العثمانية هم رجال هذه الدولة وعمال هذه الامة «

ونحن لانياس من الاصلاح ياس خصومنا بشرط ان نبدأ به وان لا يكون كما نراه من تعين بعض العمال في الولايات والالوية او من اعمال هؤلاء العمال ثم كيف تقوم قائمة سياستنا واكثر سنرائنا لاإرادة لهم ولا وطنية عندهم فهم من زملائهم ووزراء الممالك الثانية محقرين غير محترمين

على انه مادامت الامة حية فالاهلية موجودة على شرط ان لانستعمل ابنا. الاستانة على الولايات بل ان نتخب الموظفين من الذين لم يتطرق اليهم فساد المبادئ ولم يتلوثوا بادران الاغراض والغايات وهؤلاء كثير عديدهم ولا يجب ان نميز بين عنصر وآخر ومذهب وثان بل فلتكن المزية هي الاهلية المؤيدة بالاخلاص فاننا نرى وكثيرون من المسلمين يرون رأينا هذا ان المرحوم رستم باشا سنير الدولة السابق في لندن يساوي باهليته وباخلاصه عشرات من ولاة سورية وغيرها

ولسنا نرى مايراه البعض من ان حياة السلطنة بالدستور بل نرى ان به خرابها وضياعها اذا كان دعاة ذلك الدستور امثال غلمان تركيا الفتاة بل الذي نسأله كما سألته مكاتبونا السوريون الافاضل مراراً هو توزيع السلطة وذلك

بأن لا يضطر ابن العراق لاقامة دعواه الى ان يتجشم مشاق الاسفار ويتحمل النفقات ليذهب الى الاستانة ولا ان تسند مهام حوران مثلا الى ابناء دار السعادة وهم يجهلون احوال البلاد وعاداتها ولغتها بل ان نحسن انتخاب الوالي ونفرض على مجلس الادارة ان يراقبه ويكون هو والمجلس المسأولين عن انفاذ القانون وكيفية انتخاب العمال وليس المقام فسيحاً فأتوسع في الكلام عن هذا الموضوع بل ارجو من مكاتب الاهرام اللبناني الفاضل ان يبدي رأيه فيه كما تعودناه من مبادئه الصادقة وآرائه الصائبة

وليعلم العثمانيون قاطبة انه مهما عظمت مصائبنا فأقل الاصلاح يعيظنا اضعاف ما خسرناه ونحول به دون اغراض خصومنا وأعدائنا في الخارج وفي الداخل ولا يجب البتة ان نياس مادامت لنا ارادة وما دمنا نهتم في مستقبلنا فان الانكسار في الحروب لا يشين المنكسر ابداً أو لم نر روسيا بعد ان كانت صاحبة القول الفصل في اوروبا في ايام القيصرين اسكندر ونقولا من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٥٤ سقطت سقوطاً انسى اوروبا انها حية لان روسيا لم تهتم بعد حرب القريم الا في أمور داخلية ولم تأت سنة ٧٠ حتى نهضت نهضة الاسد الضرغام واضطرت فرنسا وانكارتا خصميهما في سنة ١٨٥٤ الى ان ترضيا مع اوروبا بمطالبها اي بمحو شروط عهدة ٥٦ الحائلة دون مرور سفنها في البحر الاسود وقد تم ذلك في عاصمة انكارتا ثم تابعت الدولة الروسية الجري على خطتها حتى استعادت مقامها الذي كان لها قبل سنة ١٨٥٤ وهي اليوم الدولة التي لا تحصد شوكتها النافذة ولا تقلم اظفارها

الخادشة

وقصارى القول ان المجتهد الساهر على مصالحه لا يأس ولا يقنط وان

الحروب العظيمة لا تقتل الشعب ولا تميمت الامة الحية بل قد قال الاميرال الانكليزي الذي انتصر في معركة وترو « ابتعدوا عن الحروب الصنيرة » وهو الرجل الذي لم يكن يخاف الحروب العظيمة فاننا نخاف ان هذه الحروب الصنيرة كحوادث كريت وغيرها تقتلنا وتميتنا بينا حروبنا المتعددة مع روسيا زادتنا مجداً وعظمة

سنة ١٨٩٧

وكتب في ١٢ أكتوبر من عين صوفر بلبنان

ما أدركت قطُّ وجوب اصلاح شؤون حكامنا وبلادنا مثل اليوم بعد وقوفي على اشياء هذه البلاد وأشخاصها ولو اني كثيراً ما طالبت بذلك الاصلاح بلجاجة وإلحاح. غير انه لم يكن ليخطر ببالي ابداً اننا في مثل هذا الاحتياج اليه بعد معرفتنا اننا قريبون من اوروبا يهددنا خصومنا فيها ايما تهديد وانني لأراه أمراً محزناً ان اسأل ارباب الامر ان يتشبهوا بمثل دولة اليابان البعيدة عنا ونحن لاهون متغافلون. ولم أرَ فئة احوج الى الاصلاح من فئة الموظفين الموكول اليهم امر حماية الارزاق والاعراض والاعناق. وأغرب من ذلك كله اعتقاد بعض المذورين بمناصبهم ان الحياة السياسية القومية يصح بقاؤها مع هذه الحال ومع ما نحن عليه نشجع المرثي ونحمي الظالم ونحن للحائدين عن جادة الصدق انصار وأشباع

نعم لا أنكر ان لبنان لا يخلو من القصور والاهمال ولكن قد يعجب
القراء اذا قلنا لهم انه مع افتقاره الى متمات الاصلاح ومع فقر أهله
وبلاده لاحسن جداً من الولايات حتى صدق القائلون بان الفرق بينه وبينها
كالفرق بينه وبين اوربا

على انه اذا كان في ذلك دليل على ان الشرقي قادر على حكم بلاده
وانفاذ قانونه غير انه يحزننا ان يكون ذلك مخصوصاً بلبنان لا يتناول انحاء
السلطنة العثمانية مع خصب تربتها وغنى بلادها واقدام اهله ولذلك اقول مع
العثمانيين عموماً والمسلمين منهم خصوصاً ان تعميم الاصلاح امر واجب
وضربة لازب حفظاً لحقوق البلاد المقدسة وصوناً لمصالحها القومية والسياسية
ونحن اذا شكونا من اكثر الموظفين فاننا نسال قبل كل امر سن
قانون عادل لهم يضمن حقوقهم وأن تزداد رواتبهم الزيادة السكافة بجوانح
معيشتهم حتى لا يبقى لهم عذر اذا ظلموا وتلوثوا باوضار الرشوة بل حوكموا
حينئذ ونالوا قصاص ما جنت ايديهم والا فكيف يعدل او يتمدل القاضي
وراتبه لا يكفي لنفقة خادم وحاجاته تستلزم اضعاف ذلك الراتب هذا اذا
لم يكن سكيراً او مولعاً بالقمار او منغمساً في رذائل اخرى

ويسوءني ان اقول ان عدد هؤلاء كثير ولذلك عم الفساد وكان الضرر
ادبياً ومادياً وساءت الحال مصيراً

ثم كيف يصح ان نمتذر بقولنا ان خصومنا سواء الانكليز او غيرهم
يحولون دون اصلاحنا لانهم يسألون تحسين احوال هذه الولاية او تلك
الولاية لان عدد المسيحيين كثير فيها ونحن نرى المسلمين اشد افتقاراً الى
الاصلاحات والتحسينات ام كيف نجمل وتجاهل ان اصلاح ولاية دمشق

وغيرها يفيد المسلم أكثر مما ينفع المسيحي بكثير لان هذا لا يملك شيئاً فيها بل الارض وما عليها للمسلمين في معظم ارجاء تلك الولاية
 نعم اننا لانجهد نية الخصوم فينا ولكن هل نجهد ان الرعية شاعرة كل الشعور بوجوب ذلك الاصلاح بل ماذا يكون عذرنا اذا طالبتنا به كما طلبته اوروبا هل نلومها حينئذ على هذه المطالبة ام هل نقدر ان نعتذر بقولنا ان للأمة غايات ضد مصالحها اشبه بغاية خصومنا الانكيز وغيرهم ألا قل ان لا عذر لنا بتهّ وانا باهملنا وتهاوننا ألد أعداء من اعدائنا وخصومنا وانا عاملون على ضياع وطننا بأيدينا

ويفاخر العثماني بانه اقل الناس رسوماً ومكوساً وهذه حقيقة لامراء فيها ولكنه يدفع اضعافها من طريق الرشوة والمغارم مما يفوق طاقته ويتعدى قدرته ولهذا زاد الفقر وعمّ البلاء وأخذ الناس يهاجرون مئات وألوفاً يأتين قانطين ولو لم يفلحوا في اغترابهم وأسفارهم وعليه فالخزانه لا تستفيد من تلك المغارم درهماً والمستفيد منها نفر نصفهم من الموظفين والنصف الثاني من الملتزمين

وفوق ذلك فان رجال هذين الفريقين المنتفعين هم الذين اذا حادثهم شكوا سوء الحال وهم الذين يوصلون اخبار المظالم والمغارم الى خصومنا وهم هم الذين اضرروا بالبلاد في الداخل والخارج والبلاد في قبضة ايديهم وضمية اغراضهم وغاياتهم

لذلك قلّ المحترف او الفلاح او التاجر او المسكين الذي اذا سألته عن موظف قال انه مستقيم وأحسن كلام سمعته في حق موظف قولهم انه يرتشي ولكنه حازم ولا يرتشي ليضر بأخر بل لاعطاء كل ذي حق حقه

وهذه الحال غير خافية عن وكلاء الدول وكتاب جرائد اوروبا والاجانب المقيمين في داخلية البلاد والسياح الذين يجوسون خلال الديار ولكن قد يفيد اخفاؤها اكثرهم اما لغايات سياسية او شخصية واذا نطق بها واحد اسكنه سكوت عشرين والضرر محصور بنا والوبال واقع على رؤوسنا والله الامر

ونحن نعترف انه يستحيل تعميم الاصلاح دفعة واحدة فالظفرة في الطبيعة محال ولكن يشترط علينا ان نبدأ به فملاً لا قولاً وانفاذاً لا كتابة فالقوانين متوفرة لدينا والرجال موجودون فلنوجد الاولى لكثرتها ولما تاضة بعضها البعض ولنحسن انتقاء الموظفين ولنقم محكمة عالية لمقاصد المخالفين منهم وليقف الوالي والمتصرف باسفاره في ولايته ومتصرفيته على احوال كل قرية ودسكرة وليدرس احوالها المدرس المدقق وليحدث اهلهما بلنتهم وتطلق للجرائد حرية الانتقاد على المأمورين فان الامة العثمانية التي يستطيع رجالها ان يباروا رجال اوروبا بالاقدام والاقتصاد (كما نراه في بيروت ودمشق حيث لا يجد الاوروبي ما يرتزق منه لانحصار الاشغال التجارية في ايدي ابناء البلاد) يمكنهم ايضاً متى وثقوا من عدالة حكاهم ان يجاروا الاوروبي في عمله وأدبه وفنون حضارته وعمرانه فتتوفر معدات النجاح عندنا ونأمن على مستقبلنا ويكون لنا بهذا الخليف الصادق اي الاصلاح اعظم ضمان لحقوقنا السياسية ومصالحنا القومية

وكتب في ١٨ أكتوبر من القدس الشريف

لم اقصد بزيارة هذه المدينة اطلاع حضرات القراء على تاريخها فهو
اشهر من ناري على علم . ولا تعريفهم آثارها ومعالمها التي سال بوصفها كل
قرطاس وقلم . وكفى وصفاً لها انها لدى جميع الملل والنحل حرم يحج اليه
المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون من جميع الامصار والبلدان ولذلك
تهافت رؤساء الاديان المسيحية على امتلاك اراضيه ورحابه فاصبحت لا ترى
مكاناً ينتسب الى السيد المسيح او الرسل الكرام والاولياء العظام الا وقد
بنيت فيه الكنائس العظيمة وأقيمت عليه المقامات الرحبية هذا لللاتين وذاك
للأرثوذكس والآخر للارمن وهكذا قد تسابق المحسنون وأرباب البر في
العطاء تسابق ارباب الدين في الاخذ فبعضهم يهب للمعابد وآخر للمدارس
والمستشفيات وترى القدس الشريف حافلاً بالبعيد والقريب والوطني والغريب .
واعظم مقام فيه للمسيحيين كنيسة القيامة حيث قبر السيد المسيح وعود الصليب
وقد تقاسمت المذاهب المسيحية هذه الكنيسة واختصت باكثرها
الطاقتان اللاتينية والارثوذكسية ولا اعدد هنا ما يدعو الى الخلاف والشقاق
بين ارباب هذه المقامات المقدسة فذلك لا يجبهه احد كما لا يجهل ان
صلة التوفيق بين هذه الطوائف كلها عدالة الحكومة العثمانية المحافظة على
تلك الحقوق المشتركة بما فيه تأييد الامن وتوفير الراحة للقصاد والزوار
والحجاج والسياح وهي مأثرة جليلة للحكومة العثمانية والسلطنة السنية
وان ما يجمعه رؤساء الديانات المسيحية ويتبرع به الزوار في الاراضي
المقدسة لمبالغ وافرة يستطيع اولئك الذين يستولون عليها ان يأتوا بمشروعات

افيد جداً من المدارس الابتدائية الحاضرة وذلك بان تقام مدارس كلية
 وصناعية يدرس فيها ابناء فلسطين وسورية لا ان تحصر المناقشة الذهبية في
 زيادة عدد الكنائس والاكثر من بناء الصوامع والاديرة حتى لا تخطو خطوة
 الا وترى معبداً او ديراً او مقاماً ولا عذرة لحضرات الرؤساء المشار
 اليهم في ان لا يقوموا بتلك المشروعات النافعة بعد امتزاجهم واختلاطهم
 بالالوف من الزوار الاجانب الذين لم يمنعهم علمهم من زيادة التمسك بدينهم
 وقد هاجر الى هذه المدينة عدد عظيم من الاسرائيليين فأصبح السواد
 الاعظم من سكانها منهم وهم لا ينقصون عن الخمسة والعشرين الى الثلاثين
 الف نفس في حين ان عدد المسلمين والمسيحيين وسائر الطوائف لا يزيد
 على العشرين الف نفس

ولو لم تصدر الارادة السنية بمنع تملك الاسرائيليين لاشترىوا اكثر
 اراضي القدس وفلسطين لانهم قوم لديهم المال متوفر وكل منهم يفضل
 السكنى في ارض الميعاد على كل ارض سواها . اما ذلك المنع فقد حدث
 على اثر تشكي الاهلين والاسباب اقتصادية سياسية كما لا يخفى

ومع كل ما هو مشدد في القدس من التنافس بين المذاهب المسيحية
 لاختلاف المذاهب فيها اختلافاً كان له في العالم السياسي اهمية عظيمة مما
 خول فرنسا حماية الكاثوليك في الشرق كما خول روسيا حماية المذهب
 الارثوذكسي فان الخلاف والتنافس منحصران بين خدمة الدين فقط اما
 اهل الطوائف فلي غاية الامتزاج مما يدلنا على ان فلسطين غير سوريا في
 هذه المبادئ الحسنة العثمانية فلا تكون فيها الا جامعة واحدة سياسية عثمانية
 ومن معالم القدس الشهيرة الحرم الاقصى وهو ثلث الحرمين والحق

يقال انه من ابداع آثار هذه المدينة واجملها واتمها نظاماً ولم ار مثل هذا الجامع في اتساعه وجمال صنه وبداعة نقشه وهندسته فاذا وقف ابن البلاد امامه تذكر مفاخر الاجداد وماثر السلف الصالح في مظاهرهم العامية والمدينة والخلصة انه جامع لا تذكر في جنبه جوامع مصر وسوريا وغيرها ولكن حينذا لو التفتت اليه وزارة الاوقاف فأمرت بتخصيص النفقات اللازمة لترشه وتنظيمه من الداخل اذ لا يدخل زائر او سائح هذه المدينة دون ان يزور هذا المقام الشريف

والغريب مع ذلك ان عدد من يحج اليه من المسلمين قليل جداً مع انه قائم في مكان متوسط من بلاد الدولة العلية وجميع البلاد الاسلامية فضلاً عن ازدياد التسهيلات في ايماننا هذه ولا سيما بعد مد الخط الحديدي بين يافا والقدس فقد نفع الزوار واهل البلاد نفعاً عظيماً خصوصاً وان رؤساء ادارته ومديرها الحالي امناء في خدمتهم موصوفون بحسن معاملة الركاب ومجاملتهم والتساهل مع اهالي البلاد والمنابة بالفقراء منهم واتقاء جميع الموظفين من ابناء هذه الناحية وهي شركة فرنساوية ليس فيها الا فرنسويان اثنان المدير ووكيله واما الباقون فمن ابناء البلاد ولا احب ان اتعدى الكلام عن المسجد الاقصى قبل ان اسدي واجب الشكر والثناء لحضرة مفتي القدس العلامة محمد طاهر افندي لما بذل من الهمة في خدمة هذا المسجد والاوقاف عامة ايام كان مديراً لها وللمعارف

وفي هذا المقام نوجه الانظار الى انشاء مدرسة اسلامية في الجامع المذكور اشبه بالجامع الازهر في القاهرة اذ بهذه المدرسة يسترد هذا المقام

بعض مجده الاول ويصبح مجمعاً للدين والعلم وليس ذلك بعزيز على مكارم
صاحب الخلافة العظمى اعزه الله

وقد زرت بيت لحم وغيرها من الترى المشهورة وسرني ما رأيته فيها
من انتظام طرق العجلات مما تضارع به لبنان في قرب الابعاد وسهولة
المواصلات ولم ار اسهل من طرقها وانظم في ولايات سورية مما يشهد بمفضل
الحكام والاهلين ولكن عسى ان لا يكون ذلك بقصد استزادة عدد
السياح والزوار فقط بل بغية الاصلاح ايضاً

اما الامن فضارب اطنابه في جميع جهات فلسطين حتى يندر ان يسمع
بسارق او قاتل وهو دليل على ان الاهلين ميالون الى احترام السلطة واستشعار
هيئة الاحكام ولهذا كان الزائر لهذه المتصرفية يحسب ان اهله من مذهب
واحد ومنصر واحد مع انها مجتمع المنافسات المذهبية والمشاحنات الدينية
قفلسطين والقدس في مقدمتها مختصة بهذه الصفة اللازمة لها فلا خلاف
مذهبي او جنسي بين سكانها بل الجميع عثمانيون يدعون للسلطان بالز والتأييد
ويتمتتون بمدالة القانون وهم ممتازون بهذه المبادئ الشريفة عن كل بلاد
عثمانية واذا كانت الرشوة فاشية بين بعض صغار الموظفين فان هنالك
كثيرين يحسبون مثال النزاهة والاستقامة وفي طليعتهم سعادة المتصرف
النزيه العادل الذي بحبه الجميع ويلهج بمدحه كل لسان

وان الالفة السائدة بين هذه الاقوام المديدة والاجناس المختلفة لقدوة
حسنة ومثالا لسائر العثمانيين فعسى ان يقدوا بها في اعمالهم وسائر
شؤونهم المعاشية والمادية لان البلاد واحدة والقوانين واحدة وحسن
انتقاء الرؤساء ساعد على تعزيز هذه المبادئ مما يدلنا على ان الشرق ليس

بمقتدر الى قوانين جديدة بل الى حسن انتقاء الرجال الامناء وانتخاب العمال الصادقين
 وهم كثيرون مع توزيع السلطة على المستحقين وذوي الكفاية والقاء المسؤولية
 على عواتقهم حتى اذا احسنوا كوفئوا بالحسنى واذا اساءوا عوقبوا وجوزوا
 بما يستحقون وضمان مستقبل الموظف وتأمينه على راتبه ورتبته فلا يعزل
 بسبب وشاية ولا يوقف فدى لغرض وغاية وأول ما يجب اصلاحه مسألة
 الاعشار والمحاكم الختوية ثم يتدرج الاصلاح الى غير ذلك من الشؤون
 والاحوال

هذا وقد رأيت من اهتمام حضرات الافاضل عزتوا الحاج سليم افندي
 الحسيني زاده رئيس البلدية وفضيلة نائب الشرع الشريف رافعي زاده وعزتوا
 اسمعيل بك الحسيني زاده مدير المعارف وعزتوا مصباح افندي محرم رئيس
 محكمة الجزاء وبشارة افندي حبيب ترجمان المتصرفية في انفاذ القوانين
 بالعدل والانصاف واصلاح شؤون البلدة ما ينطبق على خطة سعادة المتصرف
 واكرم بها خطة شريفة قوية ادت الى تأليف قلوب الاهلين وتوثيق صلات
 الحب والوداد بينهم وحملهم على احترام حقوق بعضهم البعض وان بلدة
 فيها مثل الاسرة الحسينية الشريفة التي عميدها رجل فاضل نبيه مثل عزتوا
 سليم افندي رئيس بلدية القدس والمشهورة باخلاصها وولائها الصادق لعرش
 الخلافة الحميدية والمعروفة بوطنيتهما النزهة لا بدع اذا تأيدت فيها الجامعة
 العثمانية وتصانفت القلوب وتخادنت الارواح والالباب وامتزجت الاهالي بعضها
 ببعض مثل هذا الامتزاج الذي اعتده من اعظم اسباب الاصلاح وأعوان
 الوسائل على نهضة الامة وترقيتها ورتوعها في بحاج الغبطة والنعم
 واني أودع هذه المدينة الشريفة وفي النية العود اليها كلما سنحت فرص

الزمان شاكرًا مالفينه فيها من مكارم اخلاق حكامها وأعيانها وعلمائها حافظًا
لحضراتهم في طي التواؤاد ذكرًا جميلًا مضمخًا بعير الشكر وطيب الثناء.

وكتب في ٤ دسمبر بحثًا في الاسلام

قال لي احد افاضل المسلمين ترانا اليوم على عكس ما كان عليه اجدادنا
في صدر الاسلام وقد دوخوا أكثر بلاد الدنيا ونشروا رأيهم في كل صقع
ولم تفتهم بلاد او جزيرة بينا ترانا اليوم مستسلمين للحوادث تقضي لبانتها
منا ويحكمنا الغريب ونحن صاغرون ولا يخفى ان المسلم في اية بلاد وأرض
على مبادئ واحدة مع اخوانه المسلمين وتلك قوة سياسية قومية وقل
ايضا مذهبية لاتعدلها قوة غيرها وهي مسألة طالما سهرت الليالي في درسها
لاستكشاف حقائقها بمعرفة اسبابها وعللها وولي متى توصلت الى ذلك اكتب
الابحاث الطويلة في هذا الموضوع المهم ويكون للافاضل قراء جريدتكم
الوطنية ميدان للمسابقة فيه ولست اخفي عنكم اني ادرس كتابات اعدائنا
قبل اصدقائنا لان اولئك وان تحاملوا علينا قد ندرك بواسطتهم مواضع
الخلل فنصلحه لاننا نحن والصديق لانعرف عن انفسنا ما يعرفه اعداؤنا من
مواضع الضعف والخلل فينا

تلك خلاصة حديث هذا الوطني الفاضل وهو في مقدمة الذين لا يختلف
اشان في وطنيتهم ومعارفهم الاقتصادية والسياسية ولهذا لاندم من اصحاب
الاقلام رأيهم في هذه الابحاث المهمة التي لاتحصر فائدتها في المسلم فقط

بل تتناول كل الشعوب المشرقية التي تحكمها اوروبا مباشرة او التي لها عليها
سيطرة ادية

اما نحن فانا سردنا لحضرة الفاضل ما يذكره بعض الكتاب الاجانب
علة لهذا الامر اذ يقولون ان تقدم المسلمين في صدر الاسلام اولاً وفي
صدر خلافة بني عثمان ثانياً لم يكن الا لان المسلمين كانوا في ذلك الحين
اعظم مدينة من الشعوب الاخرى ولانهم في ذلك الحين ايضاً صرفوا اهتمامهم
الى الفتوحات مؤيدين اعمالهم بالعدل واحترام الحقوق فتمكنوا من التوز
فانتشرت راية الهلال في كل بلاد ولكن هؤلاء الضافرين المنتصرين ما لبثوا
ان استسلموا الى ما وصلوا اليه فرضوا به واقاموا على حالتهم تلك فأغفلوا
اكثر المبادئ الحسنة وتطبعوا بطباع المغلوبين في اكثر الاحيان وتغلبت
تقاليد المغلوبين عليهم فلم يستفيدوا حيث ملكوا الا السلطة الدينية غالباً
والسياسية احياناً وحلوا محل اولئك في الاخلاق والكسل والاهمال والاستسلام
وعلى هذا القياس يقول هؤلاء الكتاب ان الاسلام ضد كل صلاح
وان المسلمين غير قابلين للاصلاحات المطلوبة. نعم ان نهضة اوروبا مدينة
وعاماً واقتصاداً قد ملكتها رقاب شعوب الارض طراً مباشرة بامتلاك
اكثر الاراضي او مادياً بدفع الرسوم التجارية حتى انحصرت الارباح في
شعوب هذه القارة ليومنا هذا وكان بدء طالع نجاح اوروبا بفصلها السلطة
السياسية عن الدينية جرياً على المبادئ العصرية

ولما لم يتبته امير شرقي لاصلاح شؤونه والتمثل بما تأتته اوروبا لم يكن
لنا ان نقضي بعدم قابلية المسلمين او ان الاسلام عدو الاصلاحات العصرية
فان اتخاذ اكثر عادات اوروبا في بعض الهيئة الاجتماعية الشرقية واستخدام

بعض قوانينها في الهيئة السياسية لبرهاناً سديداً على قابليتنا للإصلاحات
ولهذا وجب ان تكون ضالتنا في اعمالنا كلها نشر المعارف والفنون
الاقتصادية بدرس تواريخ اجدادنا والوقوف على الاحوال المصرية واستخدام
المثيذة لنا في سبيل مصلحتنا وأن لانستسلم في اعمالنا لليأس والقنوط فنموت
احياءً وغيرنا يرزقون

ولولا قيام بعض الآحاد في فرنسا وغيرها من دول اوروبا اكانت
تلك الامم قد تقدمت وهل منع استبداد ملوكها من اطراد زعماء تلك المبادئ
خطتهم الشريفة ومالنا ولاوروبا فلنأخذ مثلاً لنا اليونانية التي استمرت السنين
الطوال تنازع حكماها في استقلالها فكم مات وقتل من بنينا

ومع ذلك رأيناهم مطردين خطتهم طلباً للاستقلال الذي لا شك في
انهم لم ينالوه الا بمساعدة اوروبا ولكن لو لم تجد اوروبا في ذلك الشعب
قابلية الاستقلال لما جهرت بمساعدتها اياه بل لو لم يطلبه اليوناني لما ناله
بعد ان فقده قروناً وهكذا القول عن شعوب البلقان اجمع

اما نحن فاننا نسأل كثيراً ولا نعمل شيئاً فاذا كتب احدنا عارضه
ألوف واذا صبر يوماً يئس عاماً حتى رأينا ان اقرب الدول مساعدة لنا
ولسنا نقول حياً بنا بل لامتزاج مصلحتها بمصلحتنا قد يئست منا
واني اذكر قول سياسي من اعظم ساسة عصرنا قاله لي في حديث

جرى لي معه على الاحوال الشرقية وهو بحروفه

« ان الملايين من المسلمين المنتشرين على سطح الكرة الارضية لا قوة
تذكر لهم وكنا لانشر بوجودهم لولا الخلافة العثمانية مما يدلك على ان
القوة ليست في كثرة العدد بل هي في ان يشعر الشعب انه موجود

ويعمل على وجوده وهل انتفعت سلطنتكم من مسلمي الهند مع كثرة عددهم
 فيها واني لا اسأل اذا كانت قد انتفعت بارسال الهنود عساكر او ذخائر لها
 بل باجبار انكثرا ادبياً على احترام حقوق دولتكم العلية»
 فاذا اردنا ان نبحث في كلام هذا السياسي عرفنا ياسه منا لضعفنا واذا
 نظرنا في اقوال كتاب اوروبا عرفنا ان تاخرنا مسبب عن اننا لم نعمل عمل
 الدول المتقدمة بالتمثل بها في احوالها الخارجية والداخلية
 نعم ان لنا في جيشنا العثماني درعاً منية ضد خصومنا الا ان ذلك
 وحده غير كاف مادام المال يوزن والديون تكتنفنا ولسنا نجد الى المال
 سبيلا الا اذا اصلحنا شؤوننا الداخلية وهذا لا يتم الا اذا سرنا على المبادئ
 العصرية وهو سهل علينا لاننا نعتقد ان الاسلام من اعظم دعائم الاصلاحات
 وان المسلمين يميلون اليها ميل غيرهم من الشعوب
 هذا هو رايانا ولسنا نضن بنشر ما يكتبه حضرات الافاضل في هذا
 الموضوع وما غايتنا الا خدمة الامة والوطن والله ولي التوفيق

سنة ١٨٩٨

كتب في ٢٧ مارس بحثاً تاريخياً موجزاً في السياسة الاوروبية

لولا حوادث القريم لما نشبت حربا ٦٦ و٧٠ ولولا فقد الموازنة الاوروبية
 بتغلب المانيا في الحربين المذكورتين لما نشبت الحرب الاخيرة بين العثمانية
 وروسيا وطرات الحوادث التي تلتها في جميع القارات

ولسنا نلوم دولة دون اخرى على الحوادث السابقة والحروب المذكورة لانها لم تكن الا نتائج فساد سياسة بعض الافراد واطماع بعض الامراء فانكثرت لم تقصد باثارة الحرب بين العثمانية وروسيا الا لمنع اتحاد فرنسا معها واضعاف العثمانية وروسيا معاً

اما نابليون الثالث فوافق على تلك الحرب منوراً من الانكايير سعيّاً وراء الوحدة الايطالية وانتقاماً عن مبادئه البولونية فكان ما كان من حياد روسيا في عامي ٦٦ و٧٠ ومن الحروب بعد ذلك التاريخ في جهات آسيا واوروبا الى ان انتهت من خصومها ولو انها نجت عن ذلك ثمناً غالياً وكل من الدول النالبة والمغلوبة نالت نصيبها من المصائب والكوارث والمشاكل سواء في سياستها العامة او في سياستها الخاصة الا انه لم يكن بدءاً من النتيجة الحالية وهي قيام التحالفين الثلاثي والثنائي لما هنالك من شدة المناظرة بين الدول المذكورة فضلاً عن ان شعوب اوروبا اليوم اميل الى السلم منها الى الحرب ولذا كان التحالفان المذكوران ضروريين للموازنة السياسية توصلاً لحل المشاكل التي لا بد من حدوثها لما هنالك من المصالح المخالفة المتباينة للدول المذكورة

وقد كان اهم الحوادث في الشرقين الادنى والاقصى وسنفردي للاول غداً مقالة خاصة اما مقالة اليوم فموضوعها الشرق الاقصى لانه مع حوادثه لا يزال شاغلاً اوروبا في مناظرتها ومزاجتها ولانه سيكون في المستقبل القطب الذي تدور عليه السياسة الدولية مادامت اوروبا مسيرة في اشغالها على المبادئ الاقتصادية يزاحم بعضها بعضاً وتشاطر الواحدة الأخرى حتى حمل ذلك احد السياسيين على القول انه قد كانت مصالح الزراع والمحترف

والمالي تحول دون انشباب القتال واعلان الحروب رغماً عن اميال الامراء
 واطماع الملوك فصرنا نخاف ان تكون اغراض اصحاب هذه المصالح داعية
 الى الحروب وهم ذوو الرأي العام في بلادهم وأصحاب الكرامة النافذة والمشورة
 المسموعة لدى ملوكهم وحكامهم الا ان الخوف من مصائب الحرب لا يزال
 الضمان الوحيد لتأييد السلم وحفظ راحة العالم

ولم تصبح سياسة الاستعمار وجهة اوروبا عموماً الا بعد حرب السبعين
 لان بسرك رأى ان لا ثبات لوحده الجرمانية مادامت فرنسا وروسيا
 تهددان تخوم بلاده وانه مهما حل دون اتفاق الدولتين وتحالفهما فالحوادث
 ستحقق هذا الامر بالرغم عنه وهكذا حصل وأيدته المانيا في مسألة اليابان
 مما اضر جداً بنفوذ انكلترا وسياستها الاستعمارية

اما انكلترا فأتمت منفردة ولكن في مناظرتها لاوروبا بعد ان كانت
 منفردة بفوائد السياسة الاستعمارية متممة باستنزاف ثروة شوب المشارق
 والمغرب تحمل الى هؤلاء التجارة الشرقية وتستوفي من الشرقيين ارباح
 الحاصلات والواردات فأتمت هذه السياسة ضالة اوروبا اليوم بعد ان كانت
 ضالة انكلترا في السابق وذلك ان مصالحها التجارية رائد اعمالها الخارجية
 والاستعمارية والداخلية ايضاً وحات أهمية هذه المسألة محل كل أهمية سابقة
 حزبية او غيرها لان روح العمل قائمة في الثروة وهذه لا تكون الا بالاستعمار
 وانكلترا لم تكن فقط مكاسة الشرق بل مكاسة اوروبا ايضاً اذ كانت
 تقاضي المكوس والرسوم من كل شعب ومملكة ولم تستقل اوروبا اولاً حتى
 ثارت عاطفة الاستقلال في نفس مستعمرات انكلترا فاستقلت امريكا استقلالاً
 تاماً ثم استقلت اوستراليا وغيرها استقلالاً اقتصادياً وادارياً وأخيراً ناظرتها

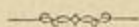
اليابان وزاحتها ثم قامت اوروبا عليها سياسياً واقتصادياً فانفردت باعترافها بعد ان عومت بأثرها مبادئها الاستعمارية والاقتصادية

ولا يهمننا اليوم سواء انجلت اليابان عن الاراضي التي تحتلها في الصين او تقاسمت دول اوروبا منافع تجارة تلك البلاد في وارداتها وحاصلاتها لاعتقادنا ان مانالته المانيا اولاً وروسيا اخيراً وما ستناله فرنسا قريباً دون شك متفق عليه تماماً بين الدول الثلاث سواء صدقت عليه انكثرا او انكرته فانه مما لا شك فيه ايضاً انها سترضى به رضاها بنيره من المسائل الثانية وهي لم تعارض فيه لمنع حصوله بل للاستعاضة ببعض الفائدة وعملا بقولهم بعض الشر اهن من بعض

ولا نعلم ان كان اتفاق المانيا وفرنسا وروسيا سيضطر اليابان الى الجلاء عن مرافئ الصين ام تهتم الدول المذكورة باستمالة هذا الشعب اليها فلا يتحد مع انكثرا ضدها اذا قاومتها الدول الثلاث واذا كان الاول كان للصينيين انفسهم في خطة اليابان ما يضمن لهم مستقبلاً حسناً اكثر مما لو اتحدت انكثرا مع اليابان لان دخول روسيا في الصين وتمكنها من اراضيها مع مالديها من القوة العظيمة في البر قد يضر بالصين وباليابان اذا مالتا الى انكثرا دون الدول الثلاث

واكن لا بدع في ان يكون شأن اليابان في الشرق الاقصى شأن انكثرا في الشرق الادنى اي استخدام خلاف الدول في سبيل مصالحها لان لها بقربها من الصين مزية مهمة على الدول الثانية ولولا روسيا لما كانت اليابان تخاف اتفاق اوروبا عليها في شرقها وقد لا يبعد ان يكون عدم ثقتها بسياسة بريطانيا وكوت هذه الدولة رقيقة عليها ومزاحمة لها في الاعمال

الاقتصادية والسياسية حاملين لها على تفضيل الاتفاق مع الدول الثلاث على اتفاقها مع انكلترا والحياد لان مصلحة اليابانيين هي ان يكونوا هم اصحاب السيطرة الاولى في الشرق الاقصى فاذا رأوا من اخوانهم الصينيين انهم سائررون في طريق الاصلاح عضدوهم ليكونوا واحداً ضد الغرباء والاجانب ولكن اذا ثبت لهم ان الصينيين خاسرون لاحتمال اتفاق اليابانيين والامامون على تمزيق الشعب الصيني ومقاسمة اراضيهم وأملاكه ولكن مهما تكن الفائدة من الخطوة الثانية فهي مواتة قد تكون مقدمة ضباع الياباني بينا في نجاح الاولى تناب الشرقي وظهور العصر الآتي بمظهر جديد قد تترتب عليه انقلابات عظيمة سياسية واقتصادية وقومية والله اعلم



وكتب في ٢٩ مارس انماماً للبحث السابق

اوردنا في مقالة امس نتائج حربي ٦٦ و٧٠ في الشرق الاقصى ونحن في مقالة اليوم باحثون عن تاثيرات فقدان تلك الموازنة في اوروبا عموماً والشرق الاقصى خصوصاً فيعلم القراء ان غلبة المانيا اضرت بنا مثل اضرار انكلترا في الزمن السابق او اكثر لان انكلترا ارادت ان تحول بنا دون تقدم الروس وان تضعف قوانا في وقت معاً اما المانيا فحلت محل انكلترا سياسياً وتجاوزتها اقتصادياً اذ وضعت ايديها في كل جوة من داخلتنا وهي في الوقت نفسه لاتعارض روسيا بل تجاملها وتحاسنها

والذي لاخلاف فيه ان فاتحة نتائج حرب السبعين كانت محاربتنا لروسيا
وبعد ان كنا واياها وجهاً بزاء وجه وأوستريا بين بين صرنا اليوم بزاء
روسيا مباشرة تحف بنا شعوب البلقان من كل جهة وأوستريا اهد عنا من
ذي قبل لانها رأت ان مقاومة روسيا امر مستحيل فسعت في الماضي
بواسطة المانيا ومباشرة الآن الى التوفيق بين مصالح الامتين وكانت باكورة
خسائرنا من تنوع هذه السياسة فقد البوسنة والهرسك بنير حرب وقاتل
ولو اردنا ان نعدد المسائل الثانية لضاق بنا المقام وهي حوادث واقعة حسية
لايختلف عثمانيان في حقائقها والله اعلم هل كانت المانيا تشير بمحاربة اليونان
لولا ديون رعاياها ام هل كانت تشير الدول الباقية لو عارضتنا وضغطت
علينا إلا بانفاذ مطالبها ورغائبها ولهذا قلنا ان من اضرب الامور بنا ان
نستخدم تباين مصالح الدول وخلافهن في سبيل مصالحنا القومية السياسية
فانه قد ثبت اليوم ان تلك الحرب الاخيرة قد دلت العالم بأسره مع عدم
احتياج جيشنا الى أدلة جديدة على ان الجيش العثماني من اشجع الجيوش
وأبسلا ومع ذلك ساء انتصارنا شوباً ونصصاً أمماً ولولا مدينة مصرنا الحالي
لفاز المتعصبون من الانكليز بأمنيتهم ضدنا واتفقت أكثر الدول علينا وأشاروا
بإعلان حروب حروب القرون الوسطى الدينية

ولا ننكر انه يجب علينا ان نستفيد من خلاف الدول ولكن على
شرط ان نتبادل مع بعضها الفائدة الاقتصادية والسياسية وذلك غير مستحيل
علينا اذا عرفنا ان تخير أخاص هذه الدول ولاء لنا فاذا قيل ان المانيا
اخلفنا قلنا ولماذا لا نتجر بمساعدتنا في مسألة مصر ولا تعدد الى تأييد
مطالب السلطنة بشأنها مع ما نرى من شدة منافستها لانكارتا ومقاومتها لاعمال

هذه الدولة الاقتصادية ولكن مصلحة المانيا قائمة بأن لا تحل مشكلة مصر
 حرصاً على بقاء النصارى مستحكماً بين فرنسا وانكلترا وبين هذه والعثمانية جرياً
 على مبادئ سياسة بسمرك نابنة المانيا السياسي الذي ما اختلق تلك المشكلة
 الا ليأمن في اوروبا كل حادث يمس بالوحدة الالمانية ونفوذ الدولة الجرمانية
 ولو كانت روسيا منفردة او متحالفة مع المانيا لقلنا ان عدم التقرب
 منها والاتحاد معها اولى ولكن تحالف فرنسا معها ضمان لنا جميل لان
 ما عرفناه من التقاليد الفرنسية الى الآن هو ان هذه الدولة عودت للجميع
 ان تعطي اكثر مما تأخذ وأعظم دليل على ذلك اننا عند ما ضاعت موازنة
 اوروبا بعد حرب السبعين كنا نحن اخسر الخاسرين ثم انه لو لم يكن
 لدينا من الادلة والبراهين على اخلاص فرنسا معنا سوى ما كابدته في سنة
 السبعين لكفى به حجة ودليلاً لانه لولا مساعدتها لنا في حرب القريم ضد
 روسيا لما نشبت تلك الحرب السبعينية لان المانيا كانت واثقة من ان
 روسيا لا تدخل في غمارها بقصد ان تتقم من فرنسا كما انتقم من اوستريا
 في سنة ٦٦ وبمحاربتنا اخيراً كانت خاتمة الانتقام لها

واذا بحثنا في امتيازات صلات فرنسا عندها حصرناها في حماية
 المسيحيين الادبية وذلك بما تنفقه من الاموال الطائلة في انشاء المدارس
 ونشر العلوم التي استفاد منها المسلمون ايضاً فسبقتنا في بلادنا الى اهم واجباتنا
 مما جعلنا نتشبه بها ونهدي هديها وقد عرفنا حق المرنة ان تلك البلاد
 المنتشرة فيها مدارس فرنسا اكثر عثمانية من البلاد التي لا مدارس لها فيها
 او التي النموذ فيها لغيرها

وقد علمنا ايضاً ان فرنسا وحدها هي التي عضدتنا في المسألة المصرية

في حين كان يسهل عليها جداً ان تتفق مع انكثرا وتمتاض عن مصر بامصار
 وأقدار ولكنها ابت ذلك من قبل ولا تزال تأتي بملاة انكثرا حتى الآن
 وفي المستقبل الا اذا كنا نحن الجائين على انفسنا باهمال واجباتنا فاننا
 نضطرها حينئذ الى مالا ترضاه ويخالف تقاليدھا المألوفة وعاداتها المعروفة
 ونكون نحن الخاسرين دون سوانا

فقد بان مما تقدم ان المانيا لاتفيدنا الا كما اذنتنا انكثرا من قبل
 لانه إما ان تعمل متفقة مع بريطانيا وروسيا اولا وسواء كان الاول او
 الثاني فان الخسارة واحدة لاتفاق الجميع على الاشتراك بالفائدة واقتسام
 الارباح الصادرة عنا لانه اذا بقيت المانيا جارية على خطها الحالية معنا
 وحصرت الفائدة فيها استاءت منا روسيا وانكثرا وناصبنا كتابها الهداء
 واستحال على فرنسا ان تساعدنا بل خشينا ان تتفق مع الدول المذكورة
 فيكون حينئذ ذلك الاجماع الدولي الذي طالما اندرنا رجالنا به لانه اذا
 تم ادى الى عرقلة اشغالنا ولا سيما وأن لا خوف من خلاف الدول في
 الصين لاتفاقهم على تقاسم الفائدة هنالك فاذا ناصبنا الاتفاق الحالي في
 الصين خفنا وخامة عواقبه علينا في حين يجب علينا ان نخذ انذاراً لنا
 وذكرى ان كنا ممن يعقلون

على اننا اذا نسينا حوادث عصرنا الحالي بين حروبهِ وكوارثهِ وخسائرهِ
 من المال والرجال ولم ننظر إلا الى حوادث السنة الغابرة رأينا اننا اليوم
 على ما كنا عليه قبل الحرب الاخيرة بل في موقف اخرج لما انتابنا من
 الخسائر المالية وقد وقف دولاب اعمالنا التجارية ولانه يستحيل علينا ان
 نأتي أمراً دون استشارة اوروبا والعمل برأيها ولهذا طلبنا في مقالاتنا

السابقة تحقيق مبادئ سياستنا التي لا تخرج عن دائرة رغائب الجناب السلطاني
اي الاصلاح في الداخل والتحالف في الخارج

وكتب في ١٨ لوليو من الاستانة العلية

وعدتكم في رسالة سابقة بأن البحث في هذه المقالة عن حليفنا الداخلي
اي الاصلاح فاقول انه نوعان اداري ومالي اما الاول فلا نرى الى اقامته
سبيلاً إلا اذا وُزعت السلطة اي ان تعهد أمور كل ولاية الى وال مستقيم
عادل يكون هو المسئول عن اعمال ولايته ورجالها وأن يكون لمجلس
ادارة الولاية شأن في الاتفاق مع ذلك الوالي على اصلاح شؤون الموظفين
والعمال ويكون توزيع هذه السلطة في كل ولاية جارياً على قاعدة واحدة
لتكون الوحدة العثمانية في الوحدة الادارية وأما الامر الاهم فهو انتخاب
الرجال وهذه مسألة يجب ان يوكل امرها الى لجنة مؤلفة من افضل
افاضل المملكة علماً وخبرة ووطنية وان يكون في كل ولاية لجنة تأديبية
للموظفين الذين يقصرون او يرتشون وان تستقل المحاكم القضائية وتفصل
عن السلطة الادارية كالجارى في اوروبا المتقدمة وبمضى اوضح ان تسير
الادارة والقضاء عندنا سيرتهما في اوروبا مع تطبيق قوانينهما على
عادات الاهلين واحوال البلاد لان الطفرة محال وذلك يستلزم سن قانون
واف يضمن احترام القوانين ومصالحة الموظفين ايضاً فلا يعزل محمد وينصب
علي الا لقصور الاول وأهلية الثاني وان تعين خصائص كل عامل وراتب

كل منصب فلا تكون تلك الانضمامات المحلّة بموازنة المالية والحالّة دون
كل اصلاح

واما النوع الثاني من الاصلاح فهو موازنة المالية وهذه تقوم بان تمنع
عجز الدخل عن الخرج وذلك بتحديد النفقات على اختلاف انواعها وضروبها
هذا امر سهل ممتنع . سهل اذا اخلمنا الخدمة وممتنع اذا لم نخالص وقد
عرفنا من تاريخ احوالنا الماضية والحاضرة انه بالرغم عن وعودنا لم نقم بهذا
الواجب لان العجز يزيد سنة عن سنة ويستحيل ان يمتنع العجز والنقص مادامت
الوظائف بلا روابط والرواتب بلا قواعد وضاوابط . ولكن اذا حددنا ذلك
وقيدناه سهل علينا اجراء الاصلاح الذي لاحياة سياسية بدونه ولا نجاح بنيره
وقد علمت بعد اجتماعي بكثيرين من رجال الاستانة انهم يتقدمون
هذا الاعتقاد وانه اذا لم تسع الدولة من تلقاء نفسها الى تحقيقه في الاقرب
العاجل عرضنا انفسنا لخطرين لا مهرب من احدهما وذلك اما ان
تتدخل الدول لاقامة مراقبة مالية اوروبية كما فعلت بادىء بدء في مصر
واما ان تقاسم نفوذها في بلادنا كما فعلت في الصين وهذا التقاسم يضر
بوجودنا السياسي فيجب ان نتداركه واما الاول اي التداخل واقامة السيطرة
المالية فقد يفيدنا ويضرنا اما فائدته فاصلاح ماليتنا واما ضرره فتوطيد
دعائم التداخل الاجنبي في شؤوننا وهو كداء السل الرئوي قد ينتهي بنا
الى الموت السياسي ولهذا لانرى الا دواء واحداً لهذا الداء وهو ان نراقب
اعمالنا بانفسنا مع استخدامنا من الاجانب رجالا ماليين نخدمهم اساندة
لنا ونحسن السلوك معهم لتعاونهم على اداء هذه المهمة ونستنصر بهم معنوياً
على منع التداخل الاوروبي القليل

وغير خاف أنه يستحيل اجراء الاصلاحين الاداري والمالي بنير احد امرين اما ان يكون ذلك بأمر الحضرة الساطانية مباشرة وإما يتدخل اوروبا وقد اوضحنا ماينجم عن هذا التدخل من الاضرار والشروع واني اکتفي بما يقوله الاتراك والاجانب عن الاول فأقول

نحن نعلم ان من الدول من لا تريد اصلاح شؤوننا بل هي تساعدنا على زيادة الانحطاط والتأخر لتأخذنا غنيمة باردة كما نعلم انه من مصلحة أكثر الدول ان نصلح انفسنا فنوطد بذلك دعائم الموازنة الاوروبية السياسية في الشرق الأدنى وتكون حاجزاً دون اطماع دول ثاية وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان وقد كانت في الزمن السابق ضالة سياسة علي ورشيد وفؤاد ولا يزال رجال اليوم يجرون على آثارها ويحتذون مثلها ولكن لسوء الحظ لم يجر شيء من ذلك الاصلاح المطلوب والا لما انقلبت سياسة اوروبا علينا فرأينا أكثرها ضدنا بهد ان كانت معنا ثم مالت كلها عنا وجهرت بمطالبها الاجماعية وبتنا لانحادث صديقاً قديماً او جديداً الا يكون كلامه بمنى واحد وهو ان اوروبا لا ثقة لها بنا واننا لا نريد الاصلاح وأن لا قابلية للامة لذلك الاصلاح مادامت صامته راضية مما زاد رجال الفساد غطرسة وجوراً فأتوا ما أتوه من تخفيف معين ثروة البلاد فسادت المسكنة وخيم الفقر على البلاد وكان الناظر الغالب أكثر أولئك العمال جوراً وظلماً واستبداداً هذا ماقله ويقوله اصحاب المناصب عندنا امس واليوم وغداً وهو مايتناقله الاجانب عنا فهل وتلك حالتنا لا يحق لنا الخوف من ان ذلك الاصلاح لاينفذ ويجري إلا اذا اكرهنا عليه اكرهاً وكنا مسوقين اليه بسابق اهمالنا وقصورنا

والتريب اننا نرى هؤلاء الرجال مع اعتقادهم بسوء الحالة واستحالة
 البقاء عليها منخدين بحوادث اوروبا فهم يننون العلالي والقصور على زيارة
 غيلوم الثاني ويصنفون طرباً لنشوب الحرب الاميركية الاسبانية وحوادث
 الصين لانها تحول دون تداخل اوروبا مدة من الزمن ينعم هؤلاء الموظفون
 في خلالها مايلو لهم من خيرات البلاد ويقضون ماربهم عجلاً
 ويسوءني وايم الحق ان أسطر مثل هذه الحقائق والامور لاني وقفت
 في هذه المرة على اشياء ماكنت لأصدقها وانا بعيد عن هذه العاصمة واني
 لاعلم واللييب خبير ان نشر الحقيقة يصب وقعته في النفوس ويثقل على
 الاسماع غير اني لانشراً جديداً تجمله اوروبا لانها تعلمه اكثر مني
 فرادي إذا ان تعرفه الرعية حتى لاتؤخذ على غرة والفرصة الحاضرة قد
 تكون الفرصة الاخيرة لنا لئلا نلهون بالحاضر عن المستقبل ولا نعمدن الى
 التسويف والتأجيل. والله الهادي الى سواء السبيل

وكتب في ٢٩ اغسطس من ستوتكارت بالمانيا

رأيت قبل الذهاب الى سويسرة ان اعرج على بعض مدن المانيا
 عواصم الممالك الثانوية في الوحدة الجرمانية للوقوف على سياسة هذه الدولة
 ومعرفة الفرق بين احوالها اليوم اي بعد قيام الوحدة الالمانية وبين ماكانت
 عليه في الزمن السابق

وقد اخترت هذه المدينة عملاً بقولهم ترفون اسرارهم من صغارهم

وهذا امر طبيعي فان الاخباري اذا أم برلين فلا يعرف فيها ما يعرفه بزيارة
عاصمة بافاريا او مملكة الساكس او مملكة ورتمبرج كما ان سياسة الدول
تعرف في عاصمة مثل بروكسل اكثر مما تعرف في قسبة مثل باريس
او لندرا

واني لا أقول شيئاً عن نظام هذه المدينة وترتيب حكومتها فان اكثر
مدن اوربا متشابهة في النظام وترتيب الاحكام وتوفر اسباب الراحة
للمسافرين بقدر تشابه مدن الشرق في التأخر والانحطاط وقد اجتمعت اتفاقاً
بكثيرين من اصحاب الجرائد ورجال السياسة فعرفت منهم أموراً كثيرة أرى
في نشر أهمها فائدة عظيمة لقراء الاهرام لما للمسائل العامة اليوم من
الاتصال بمصالحنا الشرقية العمومية والمصرية الخصوصية

فالذي لاختلاف فيه ان ابناء هذه المملكة مهتلون فرحون مناخرون
بالوحدة الالمانية معترفون بفضل بسمرك وغازيوم الاول خصوصاً وقد اتفق
قدومي الى هذه المدينة بعد موت بسمرك بأيام فأراد محدثي ان يشرح لي
دهاء هذا الرجل وفضل سيده الامبراطور فقال

« اما بسمرك فتأبنة عصره في السياسة ولم يقيم في اوربا رجل مثله
الا الكردينال ريشليه الفرنسي ومن حسن حظ بسمرك انه كان المانياً
اذ لو ولد فرنسويّاً لكان يستحيل عليه ان يأتي في فرنسا مثل ما أتاه في
المانيا والذي زاده توفيقاً انه وجد في عصر غازيوم الاول الذي عرفه وأيد
مكانته وعضده بالرغم عن قيام جميع الاحزاب ضده وهذا هو فضل غازيوم
الاول وأما بسمرك فبعد ان قرر مشروعه عرضه على مولاه فرضي به
واتفقا معاً على اعلان حروب ثلاث الاولى ضد الدانرك والثانية ضد اوستريا

والثالثة ضد فرنسا وبعبارة اخرى ان بسمرك تذرع الى انشاء الوحدة
الامانية بالحرب وسنك الدماء اذ كان يستحيل عليه انشاؤها بغير الحرب
والقتال ثم عمد الى تأييدها بالسلم اي بالحاماة الثلاثية التي هو ابوها
ومنشئها ايضاً

وبعد ان قرر بسمرك مشروع الوحدة مع سيده الامبراطور سيجي الى
استمالة روسيا اليه ووثق صلته مع غوراشاكوف واسكندر الثاني ثم باح
لها بسر مشروعه فأيداه فيه على شرطين الاول ان تبقى المانيا وأوستريا
معتزلتين في الحرب الشرقية والثاني نسخ اكثر بنود معاهدة براين لتنتقم
روسيا عن حرب القريم من العثمانية وفرنسا ولما قضى وطره السياسي من
روسيا عمل على انفاذ مشروعه تدريجاً وهو امر قد ترونه الجميع فلا حاجة
الى تفصيله

وعليه فانه كان يستحيل على غير بسمرك انفاذ ذلك المشروع ولكن
كان يشك في نجاحه لو لم يعضده غليوم الاول . اما الممالك الثانية المتحددة
مع بروسيا اليوم فراضية كل الرضى عن الوحدة الالمانية وقد تتساهل كثيراً
في بعض امتيازاتها الخصوصية فدى لهذه الوحدة على شرط ان لا يندفع
رجال برلين كثيراً ويستأثروا بكل المنافع والارباح ولهذا لا ترى غليوم الثاني
محبوباً منا كثيراً وخواطر ابناء بافاريا والساكس وغيرها نكواطرنا في هذا
المعنى الامر الذي ادركه الامبراطور الحالي فبتنا نتوقع منه ان يغير خطته
حتى لا يخسر بأعماله ماسعى جده الى تحقيقه من تأييد الوحدة الجرمانية
والاحوال الداخلية صعبة المراس لما هنالك من الاختلاف بين ما يريد
ابن برلين ويحافظ عليه ابناء الممالك الثانية ولا سيما في القوانين العسكرية

والامتيازات الحقوقية والادارية والاقتصادية ولا ننكر ان لسياسة الوحدة
الجرمانية فضلاً عظيماً في الامور الاقتصادية لاشتراكنا جميعاً بحسناتها وفوائدها
فان الامبراطور الحالي قد برهن بأعماله السلمية على انه لا يجب الحرب
وتوفق بشانه الى انشاء العمارة البحرية لتعزيد مشروعنا الاقتصادية وغاية
ما نرجوه منه الآن ان يحترم حقوقنا الداخلية تدرعاً الى تأييد تلك الوحدة
القومية

أما سياسة المانيا الخارجية فقاعدتها محاسنة روسيا لتأمين شرها واضرار
عداوتها واني لأعلم يقيناً بان غيليوم الاول اوصى حفيده غيليوم الثاني وهو
على فراش الموت بان يحترم جوار روسيا وأن يهتم بان يكون حسن
الصلات معها اذا استحال عليه ان يحالفها ولا ارى امبراطورنا الا عاملاً
لتحقيق هذه السياسة التي ايدها الحوادث الاخيرة فعلاً وقولاً
وهنا مسألة لا بأس من الالماع اليها ذلك ان بسمرك كان يقول انه
لو بقي في منصة الاحكام لما قام التحالف الثنائي وبرهانه انه مع وجود
التحالف الثلاثي كان بين المانيا وروسيا تحالف خصوصي ولهذا يبالغ انصار
بسمرك في وصف دهائه ويطعنون على امبراطورنا الحالي على ان المقربين
الى جلالة الامبراطور ينكرون كل الانكار ويقولون ان روسيا ما حالت
فرنسا الا للانتقام مما فعله بسمرك مع كورتشاكوف في مؤتمر برلين
اولاً ومما اتاه مع اسكندر الثالث من عدم الاخلاص ثانياً وذلك امر مشهور
بين الجميع وقد فضحته مقابلة القيصر لبسمرك في برلين وعليه فالتحالف الثنائي
قد حصل بسبب بسمرك لاسبب سقوطه من منصة الاحكام
واني أوافق على ما نقوله من ان الذي دفع روسيا الى محالة فرنسا

اتفاق مصلحة الدولتين ووجوب الموازنة السياسية والعسكرية في أوروبا وان
هذا التحالف ليس الا نتيجة مظهر المانيا الجديد بعد حربي ٦٦ و٧٠
وهي مجاورة لتخوم روسيا

اما تلك المعاهدة التي كانت بين المانيا وروسيا بالرغم عن وجود
التحالف الثلاثي فقد كان النرض منها استمالة روسيا وتصافي الدولتين بعد
التجاني الذي وقع بينهما بسبب مؤتمر برلين ولهذا صفا الجؤ لروسيا في
شبه جزيرة البلقان بعد احترام الحالة الحاضرة فيها ومنحت الحرية المطلقة في
جهات آسية سواه في افغانستان والصين نتقدمت كثيراً هنالك في
حين ان انكترا مهتمة بالقاء بذور الشقاق في الشرق الادنى بدون نتيجة
تذكر لوقوف المانيا لها بالرصاد

ولا أرى السلام إلا وطيداً راسخ الدعائم بالرغم عن جعجة جرائد
انكترا بسبب مسألة الصين فان روسيا لا ترجع البتة عن انقاذ مشروعها
هنالك ولا مناص للانكيز عن قبول ما تريده روسيا ليكون لها في الصين
هند جديدة اسهل مهاساً من الهند الانكليزية وأوسع ثروة وأعظم ارباحاً
وسترى صدق قولي فاننا نتودنا سماع مثل تلك اللهجة من جرائد انكترا
وبعض خطباء هذه الدولة كما نتودنا ان تكون نتيجتها لها فشلاً فوق فشل
وتيجتها لروسيا ظفراً فوق ظفر. وفي فرصة ثانية أحادثكم ملياً عن صلاتنا
مع فرنسا وسياسة بسمرك الحربية اولا والسلمية ثانياً واجتماعه بالمرحوم
جول فري وموعدنا قريب

سنة ١٨٩٩

كتب تبوءاً بأزمة الشركات والمضاربات في مصر منذ بدئها

لامراء في ان وفرة المال من لوازم رواج الاشغال التجارية والصناعية والزراعية اذ تقام الشركات وتعمم المشروعات النافعة وتخفف فوائد المال عن عواتق ارباب الاعمال عموماً والزراع منهم خصوصاً غير انه يشترط لنيل هذه الفائدة شروط اقتصادية وادارية كثيرة والا كانت اضرار وفرة المال أشد من خسارة قلته وهي في الاول حكمها حكم ذلك الشاب الذي ورث الملايين عن ابيه فبذرها تبذيراً ظناً منه انه غني مثير وأما في الثاني فحكمها حكم ذلك الشاب المجتهد الذي دفعه احتياجه الى العمل فاجتهد وجداً ووجد ولا يخفى ان احوال القطر المصري الزراعية وغيرها تقضي مشروعات عظيمة تقام بأموال طائلة واذا كان المال موجوداً عندنا فان الاقتصاديين بيننا قلائل ولهذا انحصرت الاشغال في ايدي الاجانب فقط على انه ليس من الحكمة والحالة هذه ان نسلمهم أموالنا ليستأثروا باكثر ارباحها فقد كنا انما نخدم اراضينا لدفع ضرائبها الفادحة بين فوائد لسنداتهم ورواتب للموظفين اخوانهم فلا يجوز بعد ذلك ان يذهب مانوفره غنيمة لاصحاب الشركات والمشروعات ولهذا وجب استكمالاً للفائدة المقصودة اذا اشركنا بالشركات والمشروعات الجديدة ان لا تكون الشركة قسمة ضئلي بل ان يدفع الاجانب النصف من رؤوس المال وان يشركونا بالتأسيس والادارة

لنتف على حريته اعمالهم قولاً وعملاً كما فصّلنا ذلك تفصيلاً في جميع اجناسنا
الاقتصادية

ولم نشترط هذا الشرط الأولي الا لنحول دون تهور البعض لغايات
ذرية وأغراض شخصية اذ يظنون هذا المشروع ويؤيدون الثاني ويبارضون
الثالث على ما تقتضيه أهواؤهم وأمياهم وحتى لا تنحصر ايضاً تلك الاعمال في
افراد معدودين من السماسرة وأرباب المشروعات العظيمة وحتى لا تكون
غزارة اموال الاجانب سبباً في اندفاع بعض الوطنيين الى المضاربات البورصية
لما يترتب عليها من ضياع المال وغيره فان حكم هؤلاء المضاربين حكم الابناء
المبذرين المسرفين الذين ورثوا الاموال الطائلة فبددوها واضاعوها

ولهذا وجب على الحكومة ان تراعي في الشركات التي تتألف ان
المصري مبتدئ في هذه الاشغال وان تجعل نفسها ازاءه كالأثم الحنون
فيجب عليها ان تتخذ جميع التحوطات التشريعية حتى لا تكون الاشغال المشار
اليها سبباً في ضياع حقوق المصري ويتعين على الاغنياء من المصريين ان
يزاحموا الاجانب في تأليف الشركات لينفاسوا التوائد معهم وليحولوا ايضاً
دون المضاربات البورصية مادام يستحيل علينا لاسباب عديدة ان نستغل
بشركاتنا مالا ونكتسب فنون الادارة لقلة الاول وندورة وجود الاقتصاديين
بيننا ولا يجب ان ننتر مطلقاً بما تستنيده العامة من كثرة المشروعات فان
ما تربحه البلاد في سنة يخسره المضاربون في شهر كما ثبت ذلك من
مضاربات الاشهر الاخيرة للذين اندفعوا الى الاشغال البورصية في القطن
والبذرة والاسهم والسندات

على اننا واثقون بان الحكومة لاتهتم بهذا الواجب المقدس وان اغنياءنا

لا يكثرثون بخدمة اخوانهم لجهلهم المبادئ الاقتصادية الحقة وان المضاربين سيثابرون على اتباع خطتهم الحاضرة اما عن غرور قد دفعهم اليه ربح قليل وإما عن أمل باسترجاع ما خسروه كما يطرد اصحاب المشروعات اعمالهم لاستفراق الاموال الموفرة عندنا الى ان يذوق المضاربون مرارة الخسارة فتحدث تلك الازمة التي نخافها وهناك الطامة الكبرى اذ يقف دولاب الاشغال والاعمال وتنهال الخسائر لاعلى المتعاملين والمتجرين فقط بل على الزراع ايضاً وفي مقدمتهم الاغنياء والموسرون لانه اذا استفاد من الرواج افراد فان الازمات المالية تسبب خسائر عامة تتناول جميع طبقات الاهالي وتساوي بين الاواخر والاولي

وكتب في ٢٣ اغسطس عن الصناعة في اوروبا

لاخلاف في ان التجارة كانت العامل الاول في اتساع نطاق الاعمال وتسابق ارباب الاختراع والاجتهاد حتى كان ماكان من انتشار تلك الحركة التجارية اولاً والصناعية ثانياً في العالمين القديم والجديد ثم في سائر انحاء الكرة الارضية ولا يستبعد ان تحدث الكهرباء في القرن العشرين انقلاباً اعظم وأهم في عالم الاعمال والاشغال ولربما اخترع ابناء ذلك القرن اختراعاً آخر يفوق كل اختراع سابق والله في خلقه شؤون

وقد أثبت الاقتصاديون المحققون ان للصناعة اليد الطولى في رواج التجارة واتساعها سواء كثرت معادن الذهب او قلت لان الذهب هو العامل

الثاني بعد الصناعة واذا قابلنا بين ما استخرج من الذهب والنضة في سنة ٩٨ وقيمته ملياران من الفرنكات منها نصف مليار فضة وبين ما استخرج من معادن الحديد والقصدير والفحم والبتروول وغيره مما بلغت اثمانه في سنة ٩٨ اضعاف ثمن الذهب والنضة وجدنا ان العامل الاول في رواج الاشغال هي الصناعة والعامل الثاني هي المناجم الذهبية والنضية على ان الثاني لا يفيد شيئاً اذا لم يستوعبه الاول ولكن الاول يفيد ولو نقص معدل استخراج الذهب لان الحركة الصناعية التجارية قد تستغني عن الذهب والفضة ولكنها لا تستغني عن الفحم والحديد والقصدير والنحاس وسائر المعادن. ثم لاختلاف ايضاً في ان وفرة المال لم تؤثر في اثمان المعادن بل ان هذه زادت اثمانها لرواج سوقها كما هي اليوم حال الحديد وغيره مما يؤيد اقوال الاقتصاديين المحققين بان الصناعة حياة الاشغال وروح المعاملات

وقد قلنا في مقالة سابقة ان كل دولة من دول اوروبا صرفت ثنائيتها بعد استقلالها السياسي الى ان تنال استقلالها الاقتصادي اي ان تتخلص من مكوس واردات البلاد الثانية وهكذا حصل اذ كانت نتيجة المناظرة في اوروبا تحقيق هذه الأمنية تقريباً الى سنة السبعين اذ رفعت عن عاتقها النير الانكليزي الاقتصادي الذي كان يجبي من اوروبا عموماً اموال شعوبها ونيل اوروبا هذه الحرية قد دفعها الى المناظرة الصناعية في اوروبا وخارجها وهو ما قامت به المانيا بعد حرب السبعين في طليمة دول اوروبا الشمالية والمتوسطة ونجحت نجاحاً غريباً تهددت به انكلترا ليس في البلاد المستقلة عنها فقط بل في جميع مستعمراتها ايضاً وفي لندرا نفسها وبقية جزرها حتى كان ما كان من ثورة الرأي العام الانكليزي في جرائده وخطب زعمائه

وتقارير معتمديه في كل جوة ومكان مما جعل ساسة اليوم يتقدمون انه
يستحيل الاتفاق بين المانيا وانكلترا بسبب مزاحمة البلادين الصناعية ومنافستهما
الاقتصادية

وقد افندت فرنسا اخيراً بالمانيا ولكن ببطء ولا غنى لها عن اطراد
هذه الخطة مادامت الصناعة قاعدة اوروبا في اشغالها وأعمالها والذي يدنا
على ذلك ليس فقط اهتمام الشركات بمناجمها بل سفر الالوف من المالين
والمهندسين الى التونكين واسبانيا ومدغسقر وخصوصاً الى روسيا للاشتغال
بالصناعة وتوسيع نطاقها

وما نراه في فرنسا نراه ايضاً في ايطاليا حتى في اسبانيا بالرغم عما
خسرته في الحرب الاخيرة ولا نسي ايضاً بلجيكا تلك الامة الصغيرة التي
نافست اعظم أمم الارض وكان لها في الصناعة والتجارة والاقتصاد شأن
يذكر فانها سبقت المانيا وغيرها وناظرت ولا تزال تناظر انكلترا وأميركا
واذا قابلنا بين نتيجة حركة تجارتها وحركة اعظم دولة تجارية كانت هي
النائزة بالنظر الى عدد شعبها القليل وعدد الشعوب الثانية الكثير

اما الدولة العظيمة انكلترا فلا تزال الى الآن في مقدمة دول العالم
القديم صناعة واقتصاداً لان انكلترا هي التي ترسل الى قسم عظيم من الدنيا
النعم الحجري وهي التي حصرت الصناعة القطنية في معاملها وهي التي
بسنمها التجارية العديدة تستورد وتشحن ما تحتاج اليه وتبيعه وتحمل الى الدول
الثانية ايضاً أكثر صادراتها ووارداتها ولا تزال مع مزاحمة اوروبا لها اخيراً
في طليعة الدول الاقتصادية لان ماخسرته في اوروبا قد استعاضت عنه في
مستعمراتها الواسعة وهذا مادعاها الى الجري على سياستها الحاضرة في جهات

الصين ومصر والسودان واكثر انحاء افريقيا لوضع يدها على تلك الاراضي
الشاسعة تعزيزاً لتجارتها وصناعتها. على انها لا تجهل ما يمكنه لنا المستقبل من
مزاحمة روسيا وهنا عقدة المسألة

ولا نذكر سكة حديد روسيا الممتدة الى الصين ونعني بها سكة حديد
سيبيريا ولا مشروعها السياسي الذي اشار به الاسكندر الثالث وأيده نقولا
الثاني وهو انشاء خليج من بحر البلطيك الى المحيط الاطلنطيكي فالبحر المتوسط
وبه تقرب الابعاد بين داخلية بلادها والبحر الاسود فتصبح الاولى في
الشرق الادنى بخليجها كما ستكون الاولى في الشرق الاقصى بسككها الحديدية
بل نذكر تقدمها الاقتصادي في الصناعة والتجارة فقد ثبت ان هذه الدولة
قد خفت كثيراً وطأة الصادرات الاجنبية وانها تقدمت في الربع الاخير من
هذا القرن تقدم غيرها في قرن كامل واذا بقيت سالكة خطها الحالية تمكنت
في ربع قرن ثانٍ ليس فقط من نيل الاستقلال الصناعي بل من مزاحمة
انكارترا المزاحمة القوية في الشرقين الادنى والافصى فتسمي حينئذ الخضم الالذ
للنصر السكسوني في السياسة وفي الاقتصاد

هذا ما اردنا تعليقه اليوم على حركة اوربا الصناعية وسنبعث قريباً في
حركة اميركا التي فاقت الاوائل والاواخر وانما يسؤنا ان لا نذكر عن احوالنا
الشرقية الا الاستسلام من حكمانا والاستماتة من شعوبنا ولا سيما في زمن قد
حملت فيه الاجانب الى بلادنا وعمدوا الى مناصبتنا في السياسة والاقتصاد مما
اصبح معه الاستسلام جرماً سياسياً والاستماتة ذنباً وطنياً

وكتب في ٣٠ اغسطس عن الصناعة في امريكا

بجنا في مقالة سابقة في احوال اوروبا الاقتصادية وروج اسواق
التجارة والصناعة فيها ووعدنا بنشر مقالة خاصة عن امريكا ونحن من زون
اليوم ما وعدنا به فنقول

ان نوع حكومة هذه البلاد جعل كل فرد من ابنائها يهتم بأعماله
كأنه هو الأمة كلها وصاحب تلك القارة بأسرها ولهذا تسابق الاميريكيون
الى الاكتشاف والاختراع واستخراج المعادن وبث هذا الاجتهاد في صدر
كل فرد روح المنافسة والمناظرة فتنافس في البداية سكان كل ولاية على
حدة ثم اخذت الولايات تزاخم بعضها بعضاً ثم كان من تلك الولايات المتحدة
انها اتحدت على مزاحمة اوروبا ودارت رحى الحرب التجارية والصناعية بين
العالم الجديد والعالم القديم

وقد جاهد الاميريكي ولا جهاد الابطال حتى توصل بصبره وثباته
وعلمه واختراعه الى نيل اكثر حاجاته الخاصة والعامة من ارضه وبلاده
ولهذا امتازت امريكا على سائر الدول بكون صادراتها تزيد عن وارداتها
وزاحمت اوروبا في آسيا اولاً وفي القارة الاوروبية ثانياً ولم تحل دون
واردات اوروبا الا لانها باختراعاتها الحديثة خفضت اثمان البضائع والصنائع
وجعلت تباعها في اوروبا نفسها بشئ أقل من اثمان المعامل الاوروبية وهو
امر لم تسبقها اليه دولة الا انكلترا ولكن ايام لم تكن اوروبا مهتمة
بالصناعة اما امريكا فقد فعلت ذلك ودول اوروبا تزاخمها واحداها تناظر
الآخرى

وقد تمكنت اميركا بما اخترعته من آلاتها ان تستخرج ١٢ مليون طن من القصدير والحديد بعد ان كانت تستخرج ستة ملايين طن ويقدر ان ما تستخرجه في هذه السنة يبلغ نحو ٢٠ مليوناً ثم انها كانت تستورد من الخارج سبعة اضعاف ما تستورده انكثرا فأمست الآن تصدر مليوناً زائداً وبعد ان كانت انكثرا تصدر اربعة ملايين صارت لاتصدر الا ثلاثة ارباع المليون وبذلك ضربت مزاحمة اميركا تجارة انكثرا ضربتين شديتين الاولى ان انكثرا اصبحت محتاجة الى واردات خارجية والثانية ان صادراتها امست تصادف مزاحمة في الاسواق الاجنبية وكانت انكثرا تستخرج نحو ٢٠٠ مليون طن من الفحم الحجري فأخذت اميركا تستخرج الآن ١٨٠ مليوناً منه وبذا لانتلبث ان تزاومها في صادراتها كلها مما جعل اوبرت هيل الاقتصادي الاميركي يقول

« اننا نحن الاميريكيين انفسنا متعجبون من هذا النجاح والتلاح ولو انهما ثمرة اهتمامنا واجتهادنا اعواماً طويلاً قامت الامة في خلالها كرجل واحد وكان كل فرد منها كأنه الامة بأسرها يسعى الى رفع شأن الشعب وتعزيز جانبه والله اعلم بما ستكون نتيجة ذلك في السنين الآتية مادامت الكهربائية والديناميت يساعدان رجالنا على التنزه في الاختراع والابداع ولذلك فنحن واثقون بالتغلب على خصومنا وتذليل كل عقبة سياسية او اقتصادية »

وكنى بمثل اقوال هذا الاقتصادي برهاناً على همة الاميريكيين واقدامهم وحدث ولا حرج عن شركاتهم الحالية فان رأسمال اصنرها يبدل ثروة شركات دولة اوروبية وقد اضطرهم اتساع نطاق الصناعة الى توسيع نطاق

الشركات وتكثير اموالها فساءدها ذلك على تقابل النفقات واستطاعت ان تستخرج المعادن برجالها ومالها وان تنقلها على مركباتها وسككها وتصنعها في معاملها ثم تشحنها الى اوروبا على سفنها فكيف بعد ذلك لا تقوى على مزاحمة الصناعة الاوروبية عموماً والانكليزية خصوصاً ليس فقط في السودان حيث بنت كبري العطبرة بل في انكارتا نفسها

ولا ننكر ان تلك الشركات يعتمود بعضها الخلل الذي يؤدي الى ضياع اكثر اموالها كما جرى في اوروبا واميركا منذ عشرين سنة مما حمل المالبين على استثمار اموالهم بشراء سندات الحكومة وغيرها من القراطيس ذات الايراد الثابت ولو كان قليلاً ولكن رواج الصناعة الحالي يقضي بالمضاربة واندفاع الناس الى المضاربة لا يخلو من الخطر الا انه خطر لا يذكر بازاء الارباح العظيمة التي يربحها المؤسسون والمساهمون والخزانه

اولا نرى ان الشعب الاميركي قد وضع نحو ٥٠٠ مليون جنيهه في البنوك الاقتصادية وان ريع السكك الحديدية والسفن النقلة في البحار والانهار قد زاد كما زاد ريع سائر المشروعات النافعة ولولا اعتقاد اووربا بان اراضي امريكا تسع ستة اضعاف سكانها الحاليين فتزداد حاجات معاشها اضعافا خافت كثيراً شراً مزاحمة اميركا ومناظرتها

وقد علمنا ان كثرة الشركات المالية حصلت بسبب اتساع نطاق الصناعة ولهذا باع المالبين سندات الحكومة املا منهم بزيادة الارباح فنزلت اثمان الرانت الفرنسية وغيرها ذات الايراد الثابت كما علمنا ان استخراج كمية من الذهب ثمنها مليار فرنك لا يفي وحده بحاجات الصناعة مادام ثمن الحديد وحده ملياراً اي بقدر ثمن الذهب فضلاً عن المعادن

الثانية التي يبلغ ثمن مجموعها السنوي بضعة عشر ملياراً مما ايد ماقاله أحد
الاقتصاديين من ان العامل الاول في رواج الاعمال هو رواج الصناعة
والمعادن الذهبية هي العامل الثاني

اما رواج الاسواق الصناعية مع كثرة الاختراعات الحديثة فلم يضر
بالعامل والصانع على الاطلاق بل ان حالته اليوم احسن مما كانت عليه
في السنين الغابرة وقد قال الاقتصادي الاميركي فلانت في هذا المعنى مامؤداه
« لقد حلت قوة الرجل العضوية محل القوة الآلية فامسى يشتغل بعقله

وجسمه وهو يزداد همة واجتهاداً يوماً عن يوم ولهذا زادت حريته وراح
يتمتع بفوائد العصر الجديد تتمماً لم يعرفه السابقون الذين كانوا ينامون في
سراديب تحت الارض لا منفذ للهواء اليها ولا يرون النار في البرد القارص
ولا يذوقون اللحم مرتين في الشهر. اما عامل اليوم فيعيش عيشة اعيان القرون
الماضية ويمتاز عنهم بالحرية والفضل في ذلك لكبار العقول وفضائل الرجال
كفولتون وفرانكلن وغيرهما من نوابغ هذا العصر »

اما نحن فلم نقصد بما ذكرناه عن احوال التجارة والصناعة في اوروبا
واميركا وعمما بلفته الأهم الغربية من النجاح والتقدم الا استنباض همم
ابناء الشرق لالى مسابقة اوروبا ومزاحمة اميركا في اختراعاتها بل الى
التشبه بها في العلم والمدنية لتعرف كيف نستفيد من تلك الاختراعات
ونشترك مع ابنائها في فوائد علومها وفنونها وبعد ذلك يسهل علينا ان نزاحمها
في ارضنا وان نناظرها في البلاد الثانية لان المصري احق بمكاسب السودان
من سواه وأولى من غيره بخيرات بلاده وبركات قطره

سنة ١٩٠٠

كتب في ١٣ مارس عن اتحاد العناصر العثمانية على اختلافها وهي أمية كل محب
للشرق

رضينا بما ارتآد بعض الكتاب الشرقيين من تأليف القلوب بين جميع
العناصر العثمانية وامتدحنا تلك النهضة الادبية من الكتاب المسلمين الذين
قاموا أخيراً يناقشون الأمة وحكامها الحساب لاننا رأينا في هذه النتيجة
تعزية خصوصية لنا بعد ان ناديناهم وأنذرناهم اعواماً طوالاً في صفحات
الاهرام وزاد سرورنا تعزيدهم لمبادئنا وتأييدهم لسياستنا اي وجوب توسيع
نطاق المعارف وتعميم العلوم المصرية وهي خطة شريفة ومبادئ وطنية نبيلة
نرجو من اصحابها ان يثابروا عليها ويشبتوا فيها وأن لا يأسوا اذا لم يروا تلك
النتيجة التي يؤملونها في وقت قصير فان الظفرة محال وهم يعلمون اننا
صبرنا ربع قرن ولم نياس بالرغم مما لاقيناه من المعارضات الرسمية واستسلام
رجالنا ولا يخفى ان النهضة العلمية الحالية ليست سوى مقدمة نتائج مفيدة
للبلاد سواء في الاقتصاد والادارة والسياسة ولنا بما اتاه اعيان المنوفية
من تشييد المدارس ما يبرهن على ان المصري شعر بواجبه الوطني نحو
أتمه وبلاده

على ان هذا الشعور لا يجب ان يضلنا عن الطريق المثلث الواجب اتباعها
والسير عليها مندفعين بنزق الشباب ودعوى المعرفة ضد الاجنبي عن بلادهم

والغريب عن عاداتنا مع اعتقادنا اننا لولاه لاستحال علينا ان نجبر برأي
ونفاخر بعرفان فهو اذا أضر باليمين أفاد باليسار فالواجب علينا ان نصطفي
الحسن من اخلاقه وعاداته وتنشبه به في اجتهاده وثباته لا ان نفوقه في فنون
العباب الورق وشرب الخمر وسائر ما يخالف الدين والمصاحبة ولا نتعلم منه
كيف يقتصد ويكتسب او كيف يجتهد ويتعلم وأين ترددنا من حزمه او
اين ثباته من ضعفنا وأين تألف قلوب الاجانب من تفرق قلوبنا وتشتت
كلتنا

لماذا نلوم هذه الدولة او تلك الامة لانها تجرد جيوشها لفتح بلاد
ثاية واستعمارها واستثمار اراضيها . هل كانت اسباب الفتوحات في السابق
عند العرب والجم والترك والرومان واليونان غير اسبابها اليوم . هل تمكن
الوهم منا الا لضيف عزيمتنا . ألم يقل سعيد باشا الصدر الاسبق يوم ضمت
بلغاريا الرومي الشرقية اليها بوجوب الفارة على تلك الامارة وتأديتها عبء
لها ولسواها فماذا كانت نتيجة حزمه . كانت ابعاده عن منصبة الاحكام ولزومه
منزله كأنه اذنب الى وطنه والى أمته بل نقول انه لولا بعض دول اوروبا
لما أقدمنا على محاربة اليونانية مع ان قوادنا جهروا بأنهم يقدرون على سحق
اليونانية في مدة قريبة ولكن استسلام الامة واستمانه كبار رجالها واشتغال
اكثرهم بمصالحهم الخصوصية أمور مكنت الاجنبي منا وكان هو صاحب الامر
المطلق في حركاتنا وسكناتنا فاللوم إذاً يجب ان يقع علينا لانه هو يشتغل
لمصلحته اما نحن فنعاكس مصالحنا بانفسنا

ثم اننا نذم انتشار الاشربة الروحية الواردة من اوروبا وحكامنا يجتهدون
ان يسهلوا ورودها لتزيد إيرادات الخزينة وينكرون علينا هذا الاجتهاد واذا

قصدنا اية مدينة شرقية لا يسكنها اجنبي رأينا كثيراً من اصناف المسكرات
يستعملها الاهالي ولا يعرفها الاجنبي فمن اوجد العرقى في دمشق ومن
اوجد الحشيش في مصر والافيون في الهند

لايد للاجنبي في ذلك كله ولا لوم على اوروبا لانها هي نفسها تشكو
استفحال أمر المسكرات في بلادها ولكن هو التيار العام لا تقف في وجهه
قوة ولا يحول دونه حاجز وعليه وجب ان تتخذ المبادئ الدينية والصحية
سلاحاً لمحاربة هذا الداء وقطع دابرهِ كما تحارب اوروبا

وبعد فلنرض اننا نحن الشرقيين 'خلقنا من طينة غير طينة الاوروبي
اي لا نقيصة عندنا وان ذلك الاجنبي دخل بلادنا بمساوئهِ ومحاسنه فلماذا
لانبذ مساوئهِ وتقتبس محاسنه في حين اننا نفعل عكس ذلك بل نحن نرى
ان اكثر الذين تعلموا في اوروبا من ابناء الشرق هم الذين تصيهم آفات
الغرب وهم الذين ينقلون مساوئهِ اليها فهل يجب ان نقضي على الاجانب
لاننا نعلمنا منهم رذائل فريق منهم وعميما عن حسنات مجموعهم مع انتقادنا
بانهم اغنى منا وأعلم وان دولهم وحكوماتهم هي صاحبة الامر المطلق في
بلادها والكفاءة المسووعة في بلادنا

لهذا نرى ان الحكمة وصواب الرأي يقضيان علينا بأن ندعو اغنياء
الامة الى اقامة المدارس وانشاء الشركات الاقتصادية النافعة وان نقتبس احسن
صفات الاجنبي ومناقبه وتعلم منه مبادئ الاقدام والحزم والثبات والائتلاف
وان يكن عدواً لنا وخصماً نحن ضد سياسة انكسار التي احتلت مصر
لتبتلعها مع السودان ولكن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بفضل بعض الافراد
من ابناءها وكم مرة رأينا الواحد منهم عرف في ادارته بهد ان استلم زمامها

شهرآ مالم يعرفه ناظر او مدير بعد قضاء العمر فيها على انهم لو رأوا فينا
 مثل اجتهادهم و ثباتهم لمالأونا وحاسنونا كما يفعلون مع اهل كندا و استراليا
 ولكن لو كانت تلك صفاتنا لما احتلوا بلادنا و تداخلوا في أمورنا
 و قبضوا على أزيمة ادارتنا و حلوا بسلاطتهم محل سلطتنا
 على اننا مع اعترافنا بهذا الامر، لاننا من المستقبل ولكن على شرط
 ان نعمل عملهم و نقندي بآثارهم و نتخذ صفاتهم لنعمل لمصالحتنا كما يعملون
 لمصالحتهم لانهم وان كانوا اصحاب القوة و الامر إلا ان أمامهم من الحوادث
 الاستعمارية و المشاكل الاوروبية ماقد يساعدنا على تحقيق امانينا و صيانة
 حقوقنا والله ولي التوفيق

وكتب في ١٥ لوليو من باريس عن انكلترا و المسألة الصينية

كانت افريقيا ولم تزل حجر عثرة في طريق سياسة انكلترا وقد ايدت
 حوادث الصين الاخيرة هذا القول كل التأييد و اليك البيان
 عرف القراء ان احتلال انكلترا لمصر و نكثها لعهودها و وعودها نفر
 منها الشرق و شعوبه و أبعد دولتنا العلمية عنها و قربها من خصوم الانكيز القدماء
 و غلّ يدي انكلترا في جميع المسائل الاوروبية و أمست دولة من الدول بعد
 ان كانت بمثابة اوروبا كلها تقول و تفعل ما تشاء فلولا مصر لما حالفت
 فرنسا روسيا و أنت اعلم بما ترتب على هذا التحالف من الانقلاب السياسي
 الذي أيد روسيا في سياستها المخالفة لسياسة انكلترا في الشرق الاقصى بل

في سائر جهات آسيا وحمل المانيا نفسها على ان تفضل ممالأة روسيا على ممالأة انكلترا وهي حقائق يعترف بها اقطاب الدولة الانكليزية وان تكن جارحة ولكنهم يقولون ان ذلك كان لابد منه فيجب علينا ان نرضى بأفريقيا ملكاً لنا وهو عذر الضعيف ولو ان تتيجته مضره بنا نحن العثمانيين عموماً والمصريين خصوصاً

ولما ظهرت المسألة الصينية في مظهرها الجديد المخيف رأينا انكلترا مغولة اليدين تمنعها حربها الظلمة في الترانسفال من الظهور في تلك الانحاء بالمظاهر التي تتطلبها مصلحتها السياسية ومرافقها المالية. نعم ان انتصارها على الترانسفال كان منتظراً ولها في تلك الجمهورية من العساكر جيش يزيد عدده على عدد سكان الترانسفال الضعيفة ولكن ذلك النصر لا يعتبر الآن نهائياً لان البوير لا يرضون بالذل كثيرهم ولا يحنون رقابهم للنير الانكليزي بل ان انكلترا مضطرة ان تخصص جيشاً عظيماً لحفظ الامن في تلك البلاد التي قد تهب للاخذ بالثار في اول حرب تقع بين انكلترا وبين دولة اوروبية عظيمة ولا يخفى ان الصيني والياباني والهندي لم يكونوا يعرفون في حياتهم السياسية سوى الانكليزي الى ان تعابت اليابان على الصين وكان ما كان من اتفاق روسيا والمانيا وفرنسا على صد مطامع اليابان ومعاكسة سياسة انكلترا فعرف أولئك الشرقيون ان في العالم الاوروبي دولاً ثانية مما اضعف نفوذ انكلترا وان يكن هذا الضعف ناشئاً عن تحالف دول ثلاث ضدها وقد عرفنا ما ترتب على تداخل هذه الدول من فتح ابواب الصين وتحديد مناطق نفوذ كل منها في بعض املاك مملكة ابن السماء وقد رضيت به انكلترا صاغرة منقاداً

وقد ارادت انكلترا الآن ان تستخدم المسألة الصينية وسيلة لارجاع
 نفوذها الاول الى تلك الاصتماع فسألت اميركا ان تتفق معها ومع اليابان
 على تأديب الصين فأبت الانفراد وسألت الاشتراك مع سائر الدول ذات
 المصاحبة هنالك فلم يضيف ذلك عزم انكلترا بل اقترحت تأييد اليابان
 وطلبت من المانيا ان تقنع روسيا بذلك وحجتها ان قرب اليابان من الصين
 يمكنها من قمع الثورة الصينية وحدها دون معونة اوروبا في اقرب وقت
 ولكنها فشلت في طلبها لان المانيا اجابها بخطاب عنيف التهجة وهو الخطاب
 الذي لمظه الامبراطور غيلوم وأبرق فيه وأرعد على الصين وصب عليها
 صواعق الغضب والسخط وقد أبت المانيا ايضاً ان تشير على روسيا بقبول
 طلب انكلترا اولاً لاعتقادها ان روسيا ترفض الطلب وثانياً لان المانيا
 لا يروق لها ان يأخذ بشار سفيرها ياباني او انكليزي ولهذا قالت جرائد
 المانيا الشبهية بالرسمية ان غيلوم الثاني قال بسياسته هذه حتى لا يكون
 آلة لانفاذ اغراض الانكليز وكانت نتيجة المناويزات الدولية اشتراك اكثر
 الدول في مقاتلة الصين وأن تسمح لليابان بان تشاركها كاحدى الدول ليس
 إلا وهكذا كان وكانت انكلترا في المسألة لا تختلف عن فرنسا واليابان وغيرها
 وبمعنى اوضح ان ذلك المجتمع الاوروبي صاحب الكلمة النافذة والقول
 الفصل في اوروبا هو صاحب الكلمة والقول الفصل في الشرق الاقصى
 ايضاً وتلك نتيجة اضرت جداً بنفوذ انكلترا السياسي في الشرق الاقصى
 لانها مع قربها منه في الهند وأفريقيا لا تقدر على ارسال قسم من عساكرها
 الى تلك الأنحاء ولهذا اكدت بارسال عدد قليل من حامية الهند ولكن
 لولا حرب الترانسفال لما احجمت عن ارسال قوات عظيمة ولو اشتركت

معها اوروبا حتى لاتراها شعوب الشرق بالعين التي تنظر بها الى المانيا
وغيرها وحتى لا تكون اقل نفوذاً من روسيا

وأنا لا أقول ذلك تحاملاً على سياسة الانكليز بل هي الحقيقة التي
لا ينكرها على رجالهم انفسهم ولا بحث مع انكليزي الا وهو يرى هذا الرأي
ايضاً ولو عارضه من بعض الوجوه ليبر سياسة بلاده

واوروبا اليوم في مسألة الصين لاترى لها خصماً سوى البوكسر س سواء
اشتركت الحكومة الشرعية في الثورة اولا لانها بذلك تتوصل الى إخماد
الثورة بطريقة اسهل وهذا لا يمنعها حينما يود الامن ان تطالب تلك
الحكومة الشرعية بانفاذ مطالبها واجراء رغائبها ليس فقط فيما يتعلق بمعاملة
الاجانب على اختلاف مللهم ونحلهم بل باجراء الاصلاحات الواجبة في الولايات
الصينية ولا سيما مد خطوط الحديدية والاسلاك التلغرافية تقريباً للامداد
حتى يسهل على كل دولة اوروبية ان تسير جيشاً تقمع كل ثورة تشب
نارها في جوار منطقة توذها لان اوروبا ستضع في تلك الجهات قوات
كافية تداركاً لمثل هذه الثورة والتجارب خير واعظ ومؤدب

والذي نستنتجه من حوادث الشرق انها تقصي كل حرب عن اوروبا
وبين دول اوروبا وانها توحد كلمتها وتؤيد اتفاقها في المسائل الاستعمارية
عموماً وفي مسائل الشرق خصوصاً وان انكثرا بد ان كانت منفردة طلبة
اليدن خارج اوروبا أمست واحدة من المجموع الدولي وهي أمور مهمة
سنعود الى البحث فيها قريباً

وكتب في ٢٢ يوليو من لندن عن تأثير زيارة الجناب الخديوي لتلك العاصمة

تكلمت جرائد مصر على سفر الجناب الخديوي ونتأجه قبل ان غادر
سموه مصر وبعد ان زار جلالة ملكة انكلترا وتكلمت بعض الجرائد الانكليزية
في الموضوع نفسه وأجمعت على أن خديوي مصر جاء الى انكلترا واعترف
بفضل الاحتلال وانه رأى بعد التردد تارة والمعارضة تارة أخرى ان يخلص
الاتفاق مع رجال الاحتلال لتعميم الاصلاح في القطرين المصري والسوداني
ذلك منزى اقول جرائد انكلترا وأما اقوال جرائد مصر فقد عرفها
القراء ولهذا انحصر كلامي في هذه الرسالة في ايراد ما يقوله رجال الانكليز
هنا عن هذه الزيارة وعن تأثيرها في المحافل السياسية غير الانكليزية
ان الانكليز الذين يستمدون رأيهم من جرائدهم يتقدمون بان زيارة
سموه عبارة عن اعترافه بفضل الاحتلال وانه ما حضر الى لندرا إلا
ليبرهن لحكامها على انه ليس ذلك الرجل المعارض لهم الذي لا يود ان يسير
وياهم على وفاق واتحاد

وأما محافل لندرا الرسمية فتقول ان الجناب الخديوي ما زار لندرا إلا
مجااملة لجلالة الملكة وانه قرر زيارتها في زمن كانت فيه احوال انكلترا في
الترانسفال بالغة حد الاضطراب وانه من مصلحة انكلترا ان تهتم باستمالة
خديوي مصر اليها وما دامت الزيارة قد تقررت وجب ان يقابل سموه
المقابلة الرسمية الواجبة بقطع النظر عن وجود احتلال انكليزي في مصر
وتقرر ايضاً حفظاً لحقوق السلطنة العثمانية ان يشهد الاحتفال حضرة سفير

الدولة العلية في لندرا وهكذا كان فان الجناب الخديوي قوبل بمقابلة الملوك
 وحضر جميع الاحتفالات التي اقيمت له سفير الدولة العثمانية وودع سموه كما قوبل
 ومن المعلوم ان الحكومة الانكليزية لا يمكنها ان تسأل الجناب الخديوي
 أمراً سياسياً لان مصر جزء من السلطنة ولان لاوروبا مصالح مهمة فيها
 ولكن حوادث الترنسفال الاخيرة وما انتاب انكثرا من حوادث تخوم الهند
 ومعرفة الانكليز ان المصريين والسودانيين غير راضين عن الاحتلال
 الانكليزي مهما كانت حسناته وطموح اوروبا الى الاستعمار ومزاحمتها لانكثرا
 في ميدان السياسة والتجارة كل ذلك يضطرها الى مسالمة خديوي مصر
 لانه اذا كان راضياً ولو في الظاهر قلل نفور الامة المصرية من الانكليز
 وقد رأوا ان سموه أيد في حوادث الخراطوم الاخيرة سلامة نيته وصفاء
 سريرته وإلا لما وقف الامر عند الحد الذي وقف عنده سواء كانت تلك
 الحادثة صحيحة او من عنديات الانكليز انفسهم

ومعلوم ايضاً ان الانكليز ادركوا مبلغ الخسارة التي خسروها في بلاد
 الدولة العلية بسبب احتلالهم لمصر وأيقنوا انهم اذا استمالوا سمو الخديوي
 اليهم فقد يمكنهم ان يستخدموا ميله في سبيل اغراضهم في الاستانة ولهذا
 أرادوا هذه الزيارة وعملوا لتحقيقها لان السياسة الانكليزية ترمي الى بعيد
 والوقت حليفها فلا تياس من الانتظار والانكليز اذا فازوا بذلك حسنوا
 علائق المصريين معهم وكان لهم بمصر ما يزيد نفوذهم في الاستانة كيفما أرادوا
 ان يصوبوا سهام سياستهم على ما تقتضيه اغراضهم وما ربههم

أجل هذه هي الغاية التي يسعى الانكليز الى تحقيقها ولكن الجناب
 الخديوي بزيارته لجلالة الملكة ومقابلته لرجال حكومتها برهن على انه ليس

ذلك الرجل الذي يرميه بعض الانكيزر بأستهم الحداد وقد أثبت بالخطابين
 اللذين ألقاهما في قاعة جلدهول بلندرا انه مصري وسياسي مع ان حضرة
 المحافظ ضمن خطابه تلميحات سياسية وتصريحات لا يخفى معناها على الفطن
 اللبيب ولكن الجناب الخديوي أجابه جواباً بسيطاً ولكنه سياسي اما بساطته
 فلأنه لم يذكر فيه تلميحات المحافظ بكلمة وأما كونه سياسياً فلأنه تكلم
 فيه عن بلاده كأنها مستقلة يود تقدمها ونجاحها بازدياد الصلات التجارية
 بينها وبين انكلترا. هذا ما كان من مخاطبة الخديوي الرسمية وأما زيارته
 للورد سالسبري فاننا وان كنا لم نحضرها غير اننا لانستغرب ان يكون سموه
 قد قال له تلميحاً « ها قد عرفتموني الآن وأنا عالم ماقاله ضدي بعض
 رجالكم وبعض رجالي المصريين وهو كلام سهل تفسيده فانكم لا يمكنكم ان
 تقولوا انكم تحبون مصر وخير مصر اكثر مني فاذا كانت مشاريعكم لفائدتنا
 فاننا اول معضد لها وإلا كنت مصيباً في معارضتها ولدي براهين عديدة
 على صحة قولي هذا وهو ان كثيراً من تلك المشاريع التي انفذتموها
 رغماً عن قولي لرجالكم انها غير مفيدة قد اضطررتم تجربتها الى الفناء
 بعد ان تحمل الاهالي ضررها » هذا دون شك كان مغزى حديث
 الخديوي ولو لم نسمعه ولو لم يصرح سموه به ولكن اللورد سالسبري
 واخوانه فهموه وأدركوه فاذا كان ذلك املنا ان يتسدل رجال الاحتلال
 في معاملتهم للمصريين ولا سباً في المشاريع التي لها علاقة بالشرعية الفراء كما
 قال سموه للسير جون سكوت عند ما تشرف بمقابله في لنديرا
 وعليه فلا يجب ان نصدق ما اشاعه بعض الانكيزر من ان الخديوي
 ورجاله الذين كانوا اشد خصوم الاحتلال اصبحوا بعد هذه الزيارة من

انصاره ومريديه لانه اذا كان سموه قد قال بوجوب توثيق عمري العلائق التجارية بين البلدين فهو قد اراد منع سوء التفاهم الذي كان حاصلًا قبلاً بسبب وشايات خصوم مصر واعداؤها وفضلاً عن ذلك فان الجناب الخديوي يقدر حقوق السلطنة حتى قدرها وهو قد سعى اكثر من كل خديوي قبله الى تأييدها وسيحضر احتفال العيد القضي السلطاني لهذه الغاية وهو لا يجمل ايضاً بالاوروبا من المصلحة في مصر والسودان وانه وان اخلص له الانكاز فليس من مصاحته ومن مصلحة الامة الاسلامية عموماً ان يبعد عنه الجناب السلطاني واوروبا اذ لولاها لقضي على مصر من زمان طويل وقد تعين عليه ايضاً مع محافظته على مصر ان يمنع صيرورتها سبباً لخسارة غيرها من بلاد الشرق لان الدول لا تترك مصر لانكازها دون عوض

واما المحافل السياسية غير الانكليزية فقد اُثرت فيها زيارة الجناب الخديوي تأثيراً حسناً لانه لم يقل في كلامه الرسمي الا ما عرف عنه فهو بذلك ايد حقوق مصر وحقوق السلطنة وحقوق الدول وما دامت تلك مبادئه فلن ينال الانكاز منه تحقيق رغائبهم سواء في مصر او في الاستانة وبالتالي فانه ليس من الحكمة ان تترك مصر كل امل في نفسها وفي سلطانها وفي اوروبا وتلقي بنفسها بين مخالب الاسد الانكليزي فيفتريها

هذا ما استطعت ان اعرفه عن تأثير هذه الزيارة وسوف يكشف لنا المستقبل حقيقتها . على اننا نكرر اليوم ما قلناه مراراً وهو انه من مصلحة الانكاز ان لا يعبثوا بمصلحة مصر وان يوجهوا عنايتهم الى استماله الامة المصرية واميرها اليهم وذلك لا يكون الا اذا اعتدلوا في سياستهم واحترموا حقوق الحضرة الخديوية وراعوا مصالح الامة المصرية

وكتب في ٧ نوفمبر تحت عنوان المسألة الصينية

اذا تذكر قراؤنا الكرام ما كتبناه عن هذه المسألة ونحن بين لندرا
وباريز عرفوا ان ما قلناه نقلاً عن الثقات كان الحقيقة التي لم تغيرها الحوادث
الاخيرة مطلقاً رغمًا عما كان من منشورات روسيا والمانيا وفرنسا واتفاق انكرا
والمانيا اخيراً ونحن نعيد في مقالة اليوم خلاصة ذلك ثم نستوفي البحث
قلنا انه مهما تبانت اغراض الدول واختلفت مقاصدهن فلا خوف من
حدوث خلاف بينهما اولاً لان الاتفاق وان كان قليل الفائدة فنتيجته اضمن
للمستقبل من نتيجة الخلاف ولو كان طفيفاً ثم ان المسألة الصينية جاءت
مؤيدة لما سبقنا فقلناه وهو ان اوروبا اقرب الى الاتفاق منها الى الاختلاف
في كل مشكلة سياسية تحدث خارجاً عن اوروبا وعن البلاد المتحدة لان
جميع الدول على اتفاق في وجوب تأييد السلام في ربوعها ثم قلنا ان هذا
الاتفاق قد لا يشوبه خلاف ابداً حتى في المسائل الاستعمارية مازال في امكان
الدول ان يقبضن اثمان ذلك من جيوب الشعوب الاخرى وهذا قد يطرد
امره الى ان تتآخم الدول بعضها بعضاً في كل جهة وصوب وعند ذلك فاما
ان يكون الخلاف كما كان في السابق بين دول اوروبا في اوروبا او ان
تغلب المدنية على الهمجية وتتآخى الشعوب في مستعمراتها وأملاكها الشاسعة
الخارجية تأخينا اليوم في اوروبا بفضل المدنية والعلم والمعارف
والذي يحملنا على ترديد هذه المقدمة هو خدمة حكام المشرق عموماً
الذين أرادوا ان يروا في مسألة الصين حاجزاً دون اغراض خصومنا فينا

معترين بذلك اغترارهم السابق في خلاف الدول فيهملون الاصلاحات التي هي وحدها السور الحائل دون مطامع خصومنا وأعدائنا ونحن اليوم نذكرهم بتلك الافعال وقد رأوا من اتفاق الدول ما ايد افعالنا وبدد شمل غرورهم لعلهم يستفيدون

ولنرجع الى المسألة الصينية فترى ان منشور فرنسا هو الذي نال اتفاق الدول جمعاء وكان لمدوبي الدول في بكين عاصمة الصين المحور الدائرة عليه المفاوضات مع مندوبي حكومة الصين ويسرنا ذلك لانه ايد اتفاق اوروبا وبهذا الاتفاق خدمة السلام ولانه كان انداراً كافياً لحكومة الصين التي رأت ان لامناص لها من قبول ما قررته اوروبا اي دفع النرامة اللازمة ومعاينة المجرمين ومنع ارسال الاسلحة الى الصين والذخائر واقامة حرس دولي لامبراطور الصين في عاصمة بلاده وفتح اكثر من مدينة وولاية لتجارة اوروبا واللاجانب وهذه الشروط وان تكن ضربة عنيفة على الصين الا اننا نراها ضربة اخف ويلاً وضرراً مما لو اصرت ورفضت مطالب اوروبا لانه مهما كان من تساهل الصين فهو لا يضر باستقلالها ضرره بلاد ثاية يسهل على اوروبا احتلالها في اكثر من جهة اما الصين فيمكنها مع هذه المطالب القادحة ان تنهض من سقطتها اذا قام رجالها بواجبهم الوطنية خير قيام واقتدوا بجمارتهم اليابان علماء ومدنية وهو ما نتظره من نهاء هذه الامة الذين اشاروا اليوم على امبراطورهم بقبول هذه الشروط ولهذا نقول ان لنا ملء الثقة بحل المشكلة الصينية حلا سلمياً مهما اختلفت غايات الدول وتباينت اغراضها

اما الاتفاق الانكليزي الالماني الذي طنطنت به جرائد انكلترا وتخوفت منه بعض جرائد اوروبا فهو ظفر بين لسياسة غليوم الثاني اذ اضطر

انكثرت الى ان تعترف لالمانيا بحقوق كانت هي منزودة بها في منطقة
 نفوذها الصينية وما ذلك إلا نتيجة حرب الترنسفال
 اما هذا الاتفاق فانه لم يمس مطلقاً مصالح الدول الاخرى بل لانعجب
 اذا وافقنا عليه لانه لا يخرج في جوهره عما اشارت به روسيا في منشورها
 وعما قالت به فرنسا في كتابها الاخير الذي امسى القاعدة الرئيسية للمفاوضات
 الدولية مع الصين
 وكل ما تمناه ان تحل المشكلة الصينية قريباً فيتأيد السلام وتروج الاعمال
 التجارية وتقاوم الشعوب حسنات السلام والله الموفق

سنة ١٩٠١

كتب في ١٦ مارس بعنوان نظارة الزراعة

كثيراً ما كتبنا في مقالات سابقة عن ضرورة انشاء نظارة زراعية في
 قطرنا وايدنا قولنا بالبراهين السديدة والحجج الدامنة وقد اتفقت جرائد
 البلاد على تأييد هذا المطلب الوطني اتفاقها على التنديد بتردد الحكومة
 وإحجام مستشاريها ولا نرى الان وقد دارت رحى المضاربات في أنحاء البلاد
 الا ان نعيد الكرة لعلنا ننال هذه المرة ما لم نلّه في الماضي فنقول
 ان البلاد زراعية وحياتها الزراعة وروح زراعتها النيل المبارك نعم انا
 لانكر على مصلحة الري اهتمامها بمياه النيل وبمعدلة توزيعها وزيادة الاعناء

بمحافظة سواء باقامة السدود او بانشاء الخزانات ولكن ذلك غير كاف لخدمة البلاد وقد انحصرت اكثر اشغال المتعاملين والمتجرين بالقطن المصري متاجرة او مضاربة

ومعلوم ان تلك الفائدة التي استفادتها مصر من تحسينات الري لا توازي الملايين الكثيرة التي ذهبت خسارة لامن جيوب المضاربين فقط بل من جيوب المزارعين ايضاً لعدم وقوفهم على حقيقة اخبار المحصول القطني في البلاد او لتناقض اخبار الاشغال واختلاف مصادرها حتى شك الجميع وكانوا مصيبين في ما يشكون باعتراف رؤساء نظارة الاشغال انفسهم

فالاهتمام بمياه النيل وحدها اذاً غير واف بالنرض المقصود بل علينا ان نهتم بشؤون الزراعة سواء كان بتحسين ما نزرعه او بادخال زروع جديدة مع الاهتمام بتحسين حالة الاطيان تحسيناً يستعيب معه الزارع عما ينفقه علاوة على نفقته مضطراً الى مخالفة السنة الزراعية حتى رايانه يزرع نصف ارضه فاكثر قطناً ومن زرع ثلثها فقط فقليل عددهم او هم نادرون

ومن المواد الحيوية للزراعة ان يكون هنالك قلم احصائي يعتمد عليه في تقاريره وتفاصيله وهذا القلم كان في اوروبا ولا يزال قاعدة كل اصلاح ولا سيما في الامور الزراعية ولهذا كانت اميركا وفرنسا الصقعين الزراعيين وقس عليهما غيرهما من كل بلاد زراعية

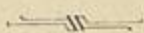
وفوائد القلم الاحصائي كفوائد التحسينات الزراعية لاجود لها في بلادنا لدم اهتمام أولي الامر بهذا الشأن الخطير مع انه اهم الامور وبه حياة البلاد وقوامها المالي والاقتصادي والسياسي معاً ولا يعذر المصلحون بقولهم انه لا مال لديهم وهم يتصرفون بأموال الخزانة تصرف المالك المطلق

مع انهم يعتقدون اعتقادنا ان النظارة الزراعية ليست فقط اهم ما يجب انشاؤه
 لخدمة الزراعة والبلاد بل هي النظارة الوحيدة الضرورية دون سواها على ما
 يعرفه مستشاروهم من احوال النظارات الاخرى التي اشغالها في ايديهم
 فاذا كانت اهمية وجود هيئة نظار مصريين محصورة في وجود هيئة
 وطنية لاعمل لها ولا رأي لاربابها وهذا ما يطلق على كثيرين من كبار
 الموظفين في امثال هذه النظارات فالعدل يقضي والحالة هذه باقتصاد المبالغ
 اللازمة لانشاء وزارة زراعية من رواتب اولئك العمال الذين لا عمل
 لهم بل وهم من اموالهم في غنى عن كل راتب ولعلمهم اذا كانوا
 احراراً دون تقييد بخدمة ينفعون البلاد من ابواب اخرى ويفيدون
 ويستفيدون واذا كان بقاء هؤلاء العمال لازماً ثم قيل انه لادرهم لدينا فلماذا
 لانطلب من صندوق الدين اعطاء الدراهم اللازمة للنظارة الزراعية مع ما في
 ذلك من خدمة البلاد واصحاب الديون معاً

ومعلوم انه لولا جمعية المحاصيل في الاسكندرية التي قامت بفضل تجار
 الثمر ولولا الجمعية الزراعية العمومية في القاهرة التي لم تقم إلا بفضل بعض
 الافراد لما عرف عن زراعتنا شيء البتة مع ان خدم هذين القلمين
 محدودة لا يختلف فيها اثنان ومن الخرق في الراي ان نكل الشؤون الزراعية
 والتجارية اليهما

وعليه فلا مندوحة للبلاد عن انشاء نظارة زراعية يكون مرجع المزارعين
 والمتجرين اليها في صدق اخبارها وتحسين احوالنا الزراعية وذلك بأن تنتخب الاكفاء
 العارفين الخبيرين للقيام بهذه المهمة فنتال هذه الغاية وقد طالما قلنا ان اهم
 الاصلاحات اثنان انشاء بنك زراعي يستدين منه المزارع الكبير والصغير

وهذا ما قام به البنك الاهلي بما اتاه من تسليف الفلاحين والثاني نظارة
 زراعية وهو ما لا تمل من طلبه وهذان الاصلاحان اذا أنفذا كما يجب خدما
 البلاد اشرف خدمة وحق للمصلحين ان يفتخروا بهما فيعترف لهم بالفضل
 الوطنيون عن بكرة ابيهم وتتقدم البلاد تقدماً بيناً من جميع الوجوه والله
 يوفق الى تحقيق امانينا هذه بمنه وكرمه



وكتب في ٤ ابريل عن سياسة الدول

عرف القراء الكرام من مقالاتنا السابقة ان الدول الاوروبية مهما
 تباينت غاياتها واختلفت مقاصدها فهي آمنة شبوب الحرب بينها واذا كانت
 حرب فقد تكون منها جميعها او من بعضها ضد الشعوب الاخرى. ولا نقول
 هذا القول مجازفة وضرباً بالظن بل عن اعتقاد وخبرة ومعرفة وبرهاتنا ان
 اكبر الدول مصلحة في اوروبا وهي المانيا واكثر الدول مصلحة في توسيع
 نطاقها الاستعماري وهي الروسية لا ترضيان بحرب اوروية لانها تكون ضد
 مصالحها الحيوية ولهذا اتفقت الروسية وأستراليا على حفظ الحالة الحاضرة في
 البلقان كاتفاق الروسية والمانيا على عدم مساس الحالة الاوروبية الحاضرة
 واشترطت الروسية ان المانيا لاتعارضها في اعمالها الاستعمارية مطلقاً ولا سيما
 في الشرق الاقصى

ومعلوم ان جميع الحوادث التي حدثت في الشرقين الاقصى والادنى
 منذ بضع سنين حتى اليوم قد أيدت هذه المبادئ بالرغم عن الحركات

البلقانية ودسائس الجمعيات فرأينا أوستريا وهي حليفة ألمانيا والروسية وهي حليفة فرنسا منفقتين على احترام ما اتفق عليه قيصر روسيا وإمبراطور أوستريا في شبه جزيرة البلقان كما رأينا أن أوروبا قد تداخلت في الحرب اليونانية للحيلولة دون انقراض الدولة اليونانية لالمساعدتها وهذا أيضاً يؤيد قولنا أن ضالة أوروبا هي مصالحها السياسية بقطع النظر عن المبادئ المذهبية والعنصرية

ومعلوم أيضاً أن حوادث الشرق الأقصى لم تغير من اتفاق أوروبا على تأييد السلام في أنحاء تلك القارة فلم يتفق بعضها دون البعض أيام الحرب اليابانية ولم تتفق كلها أيام الحوادث الصينية إلا عملاً بما قرره من تأييد السلام بين الدول الأوروبية مع المحافظة على حقوقها في الخارج إما متفقة أو منفردة وكل هذه حقائق راهنة لا يختلف فيها أثنان

ولكن هذه السياسة الجديدة كما يعلم القراء لم ترض أكثرها مطلقاً لأن هذه الدولة تحب الحرب ولا لأنها مستعدة لمحاربة دولة قوية ولكن لأنها الدولة التي راجت سلعتها وعظمت كلمتها بسبب تحارب الدول وطحن بعضها بعضاً بينما تكون أكثرها هي النائمة الفائرة بلا حرب ولا قتال والتاريخ اصدق شاهد على هذا القول وقد كانت أكثر حوادث القرن الثامن عشر وحروبها في سبيل خدمتها وهو مادعا أوروبا إلى تغيير سياسة التناهي الأولى بالاتفاق على تأييد السلام

ولا ننكر أن الفضل في تمكين هذه السياسة للروسية وألمانيا لأن أكثرها أرادت أن تلعب ألمانيا دور فرنسا في المدة الأخيرة بأن تنهت بأوروبا عن كل سياسة خارجية نخاب ظنها ولما إست من ألمانيا بعد أن انفصلت عن

فرنسا وجوت همتها الى استمالة اميركا فلم تفجح ايضاً فلم يبق امامها الا الدولة اليابانية بعد ان خابت ظنونها في الصين

ومعلوم ان انكثرتا كانت قد املت غلبة الصين على اليابان فمالت مع الاولى ضد الثانية ولما رأت العكس وأرادت ان تكون مع اليابان قامت في وجهها فرنسا والروسية والمانيا فخرت في الامرين وتعضمت احوالها وأخذت ترقب فرصة حدوث خلاف مع دولة واحدة من الدول البحرية لاطهار بطشها واستعاضة ما خسرت من نفوذها فلم توفق الى مرغوبها لان الدول ادركت مانوتها السياسية البريطانية الى ان بدت مسألة الترنسفال وكان ما كان من فضيحة النظام العسكري الانكليزي باعتراف القائد العام واكابر القواد والكتاب الحريين وجدال البرلمان الاخير برهان دامغ وحجة راهنة ولو خالف المكابرون

ولما عرفت انكثرتا ان لا مقدرة لها على معارضة السياسة الاوروبية الجديدة حاولت ان تتفق مع بعض الدول لتعارض البض الآخر لأنه لا يخلو لها ان تتقاسم الدول مرافق السياسة الاستعمارية وقد ذقت هي وحدها حلاوة فوائدها ولكنها لم تفجح مع المانيا ولم تفجح ايضاً مع اميركا وقد علمت ان الدولة العالمية كانت اول دولة رفضت مقدماتها هذه فلم يكن امامها الا اليابان لتستخدمها في سبيل اغراضها في الشرق الاقصى استخداماً الدولة العثمانية في سابق العهد في الشرق الاذن ولهذا نرى ما تراه من ضوضاء الجرائد الانكليزية وجمجمة كتابها ولو اصنى القارىء اليها لقال ان الحرب على الابواب ولكن من عرف الغاية من هذه الحرب القلمية لم ييبأ بأنوالها الا الذين لا يرون بنير العين الانكليزية وهؤلاء معذورون لانهم مسيرون غير مخيرين

والعالم السياسي لا يعتقد ان حكومة اليابان مهما عظمت مصالحتها في الشرق الاقصى لا مصلحة لها من محاربة روسيا مادام بوسع الدولتين ان تتفقا في المسائل الصينية اتفاهما في المسألة الكريدية ولا يفوت اليابان انه مهما كان من انكترا وسياسنها حتى ولو اتفقت معها ضد الروسية فكل هذا لا يزيد الاخيرة الا تفوذاً في الصين وتحقيقاً لامانها في منشوريا ولهذا لا يكون حظ انكترا من دفع اليابان الى معاداة الروسية إلا حظها من المانيا وأميركا والدول الاخرى وبمعنى اوضح فشل السياسة الانكليزية وفوز الروسية

وكتب في ١٥ مايو عن الدول البلقانية وهي آخر مقالة له

ان حركات الجمعيات البلغارية وسياسة جميع الشعوب البلقانية وماآرب بعض الدول الكبيرة لا تخرج واحدة منها عن مرابي طمع خصومنا فينا واتفاهم على التهام حقوقنا ولو اختلفوا بينهم واسطة وسياسة وهي حقيقة عرفها رجال السلطنة كل المعرفة فقاموا بواجب الدفاع عن حقوق البلاد امثالاً لامر الجناب السلطاني الساهر على مصلحة أمتة ووطنه والذي توصل بدهائه السياسي الى حمل بعض الدول على مناهضة اطماع الشعوب البلقانية ولهذا اتفقت الروسية وأوستريا على احترام الحالة الحاضرة في الانحاء البلقانية فساعد ذلك الروسية على زيادة الاهتمام بمسائل الصين واليابان فكانت الخدم والحالة هذه متبادلة بين العثمانية والروسية

ولكن انكثرت لم ترض عن ذلك الاتفاق الاوستري الروسي لما ترتب عليه من مزاحمة الروسية لها في الشرق الاقصى وحرب الترنسفال قد غلت ايديها وحالت دون اغراضها وأشغلتها عن كل شاغل غيرها

وقد هاجت المسألة الصينية بمظاهرها الاخيرة خواطر الانكليز فأثروا ما أتوه في المسألة المنشورية من معارضة الروسية وأملوا ان تميل المانيا اليهم ضد جارتها فلم يفلحوا في مساعيهم هذه فحولوا انظارهم الى المسائل البلقانية لعرفانهم ما هنالك من تباين الاغراض والمصالح سواء كان بين الشعوب البلقانية او بين الروسية وأوستريا

فظهرت بالرغم عن اتحاد اوستريا والروسية وعن استعداد الدولة العثمانية لدرء كل طارئ بلقاني وبالرغم عن مشورات ونصائح امبراطور الروسية لحكومة بلغار المسألة البلغارية في المظهر الذي أرادته الانكليز وكان ما كان من اعمال تلك الجمعيات في مكدونيا وغيرها من بلاد الدولة العلية مما ساعد انكثرتا على انفاذ مآربها اذ اتجهت اميال الروماني واليوناني ضد البلغاري وما عرف ذلك حتى نشرت التيمس ان الروسية عقدت مع سربيا اتفاقاً عسكرياً ولم تقصد من اشاعة ذلك إلا ايفار صدر حكومة أوستريا ضد الروسية مع ان الخبر كذب لاصحة له وقد ساعدتها الظروف على ارجوفتها عقب موت الملك ميلان وتظاهر سربيا بالميل الى الروسية وكانت كأنها امارة اوسترية

ولم تقف سياسة انكثرتا عند هذا الحد بل شجعت اليونان والفلاخ والبلغدان ايضاً كأنها تقول ان باتفاق هذين الشعبين ما يحول دون اطماع البلغاريين والسربيين ايضاً ولو لم تنل من هذه السياسة الا تمزيق الاتفاق

الاستري الروسي واشغال الروسية في البلقان عن الشرق الاقصى لكني
ثم ان انكترا لا تجبل ان اعتمام الدولتين اوستريا وروسيا في البلقان
يضطر العثمانية الى ان تكون مع انكترا ايضاً فتزيد مصائب الروسية في
الشرق القريب

ومعلوم ان هذا الاتفاق اذا افلحت به انكترا واستمات اوستريا اليها
اشترطت النمسا تحقيق امانها من املاكنا في سالونيك وغيرها ونيل اوستريا
ذلك يساعد انكترا على تعضيد اغراض المانيا في اوستريا الالمانية
هذا ما تسمى اليه انكترا وتعمل على اتقاده وتحقيقه ولهذا اجتمع ملك
اليونان بملك رومانيا ووقف سفير انكترا واوستريا على دخائل ذلك الاجتماع
والبحانه

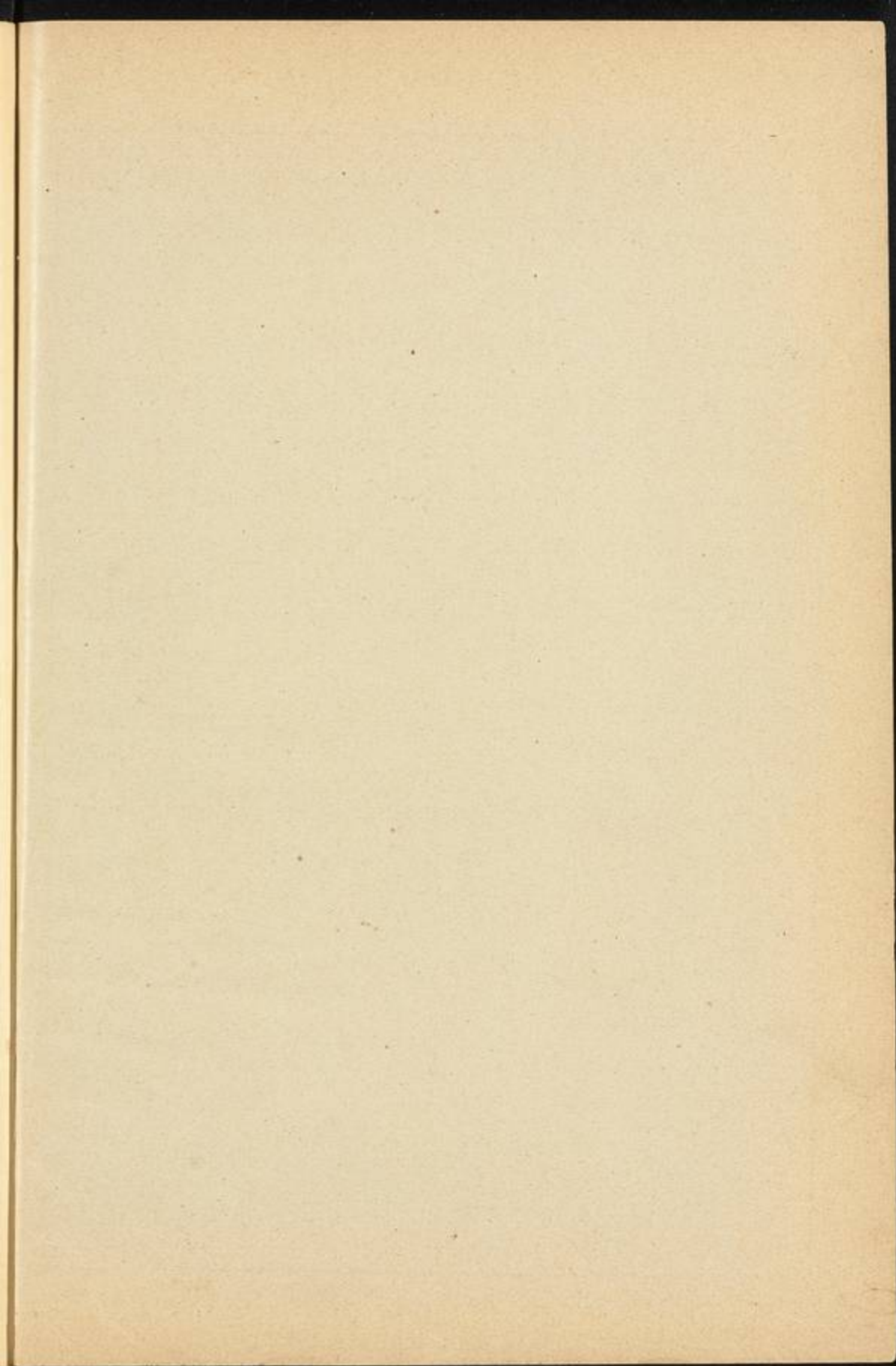
وقد فصلنا في هذه المقالة غايات انكترا من سياستها البلقانية لا يقصد
النحامل على هذه الدواة بل للاخبار بانها لو لم تكن لها مثل هذه المصالح
لما قالت بهذه السياسة فهي بائناقها مع اوستريا تريد الاضرار بالدولة العثمانية
بحملها اياها على تعضيد اوستريا كما انها لا تريد من جهة اخرى تعضيد امان
اليونان والنلاخ والبنديان بل معارضة الروسية ولو اضر ذلك بالدولة
العلية

قلنا هذا لنبرهن على ان لا مصلحة للعثمانية ان تميل مع دولة دون
اخرى بل ان تلزم الحياد مباشرة بنفسها حماية حقوقها والذود عن
مصالحها وقد ارتنا الحوادث في الماضي انه مهما تباينت مشارب الدول
خصوصا كان اتناقن ضدنا اقرب من اختلافن ولا سيما بعد حوادث
سنة السبعين وعليه فلا مصلحة لتركيا بالاتحاد مع اوستريا او انكترا ضد

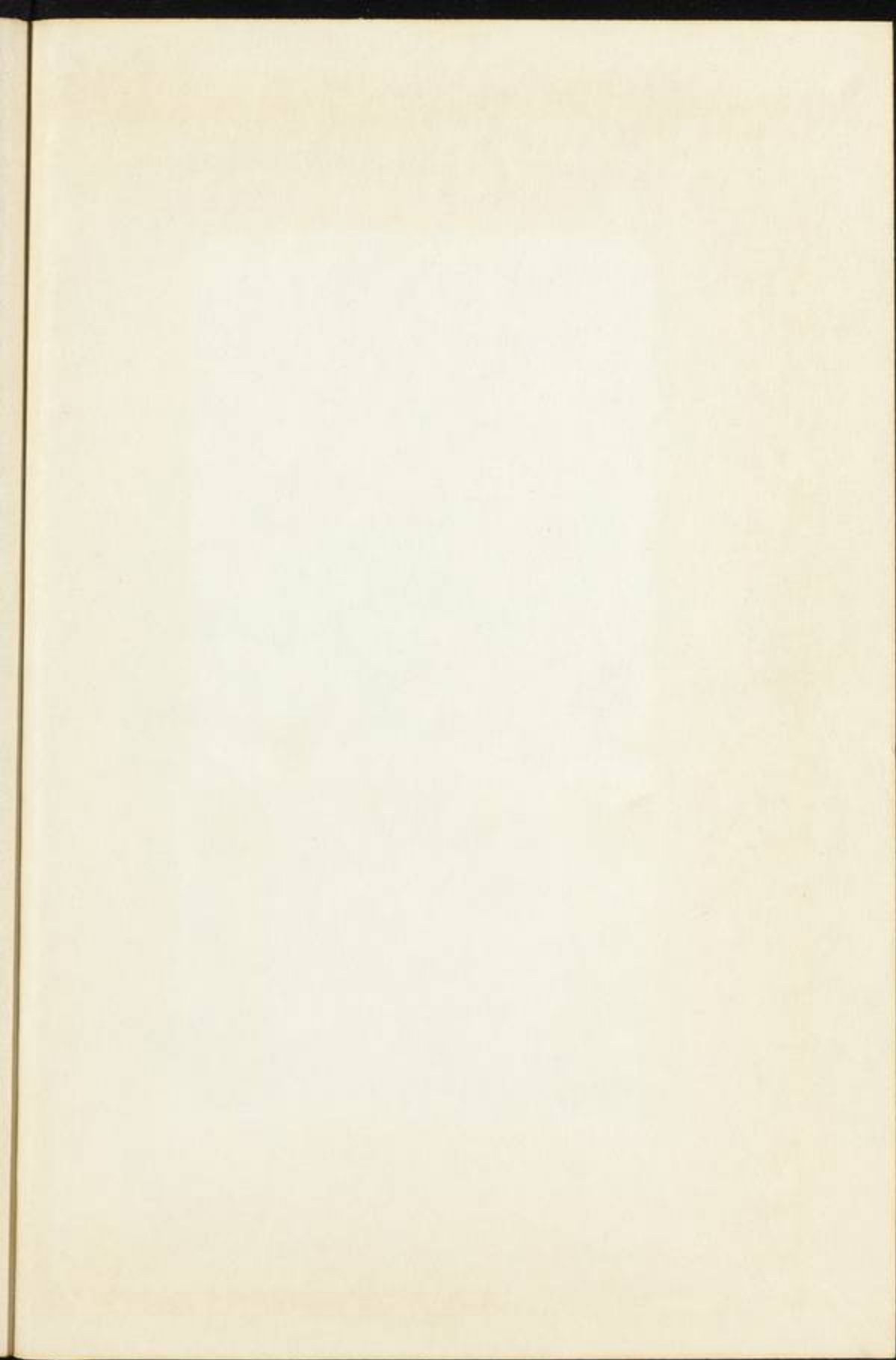
الروسية ولا نخاف القول ان اتفاقنا مع الروسية ربما كان اقل ضرراً بنا من معادتها لها
بعد التجارب التي جربناها في العصر الماضي سواء كنا منزدين او مضدين
من دول اخرى

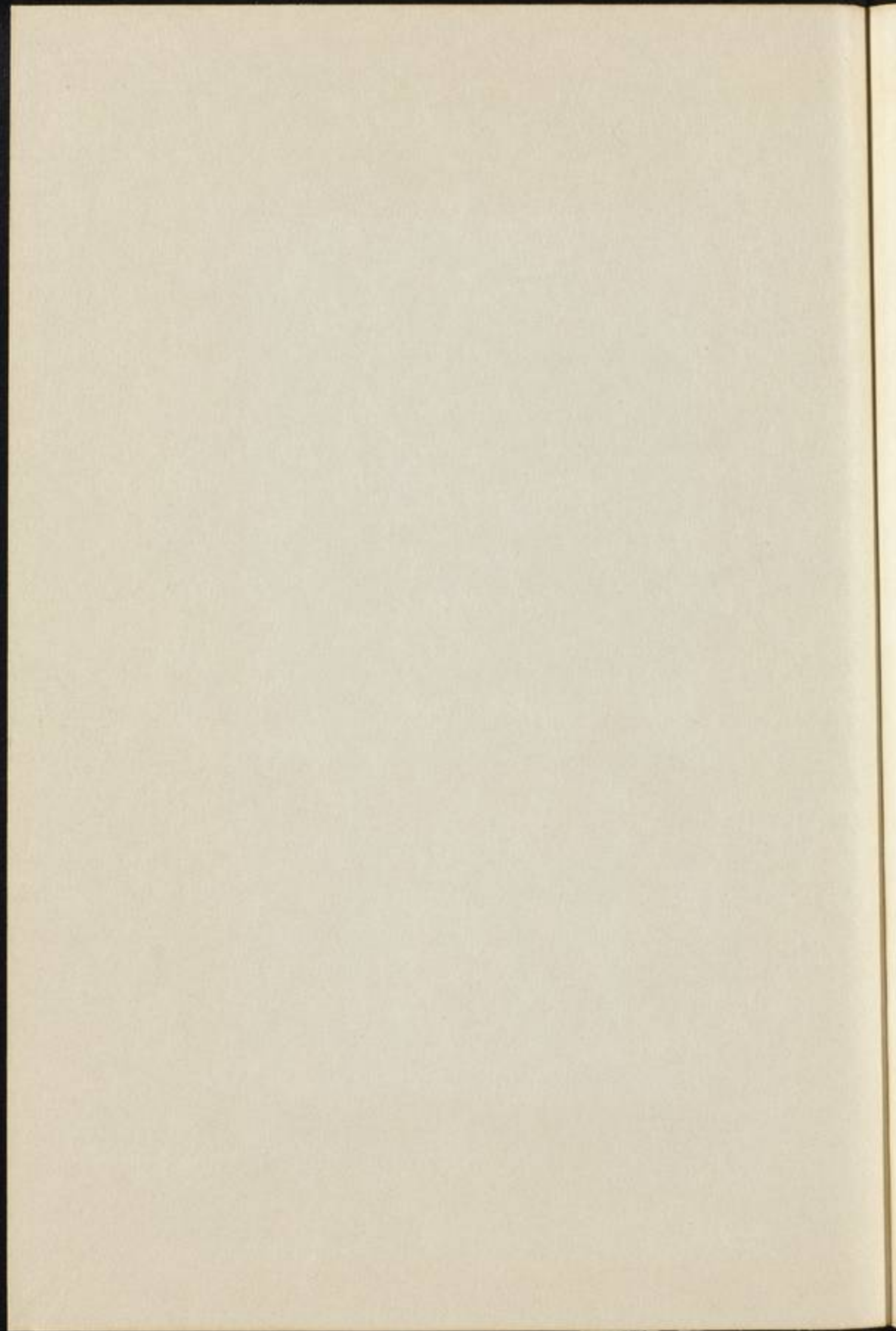
ومعلوم ان الروسية لا تجبل غايات انكلترا ولهذا ايدت مركزها العسكري
في منشوريا واتفقت مع فرنسا على السياسة العمومية والخصوصية في الشرقين
وفي اوروبا الامر الذي لا تجبله المانيا ولا اوستريا ايضاً وقد لانتظر طويلاً
حتى نسمع كيف تمزق الروسية شمل سياسة انكلترا في البلقان بتأييد اتفاقها
مع اوستريا على احترام الحالة الحاضرة في تلك الانحاء. فتخرج انكلترا فشلة
ويزداد الخلاف بينها وبين الروسية في الشرق الاقصى وانكلترا لا تجبل اية
الدولتين تكون الظافرة هناك هي ام الروسية

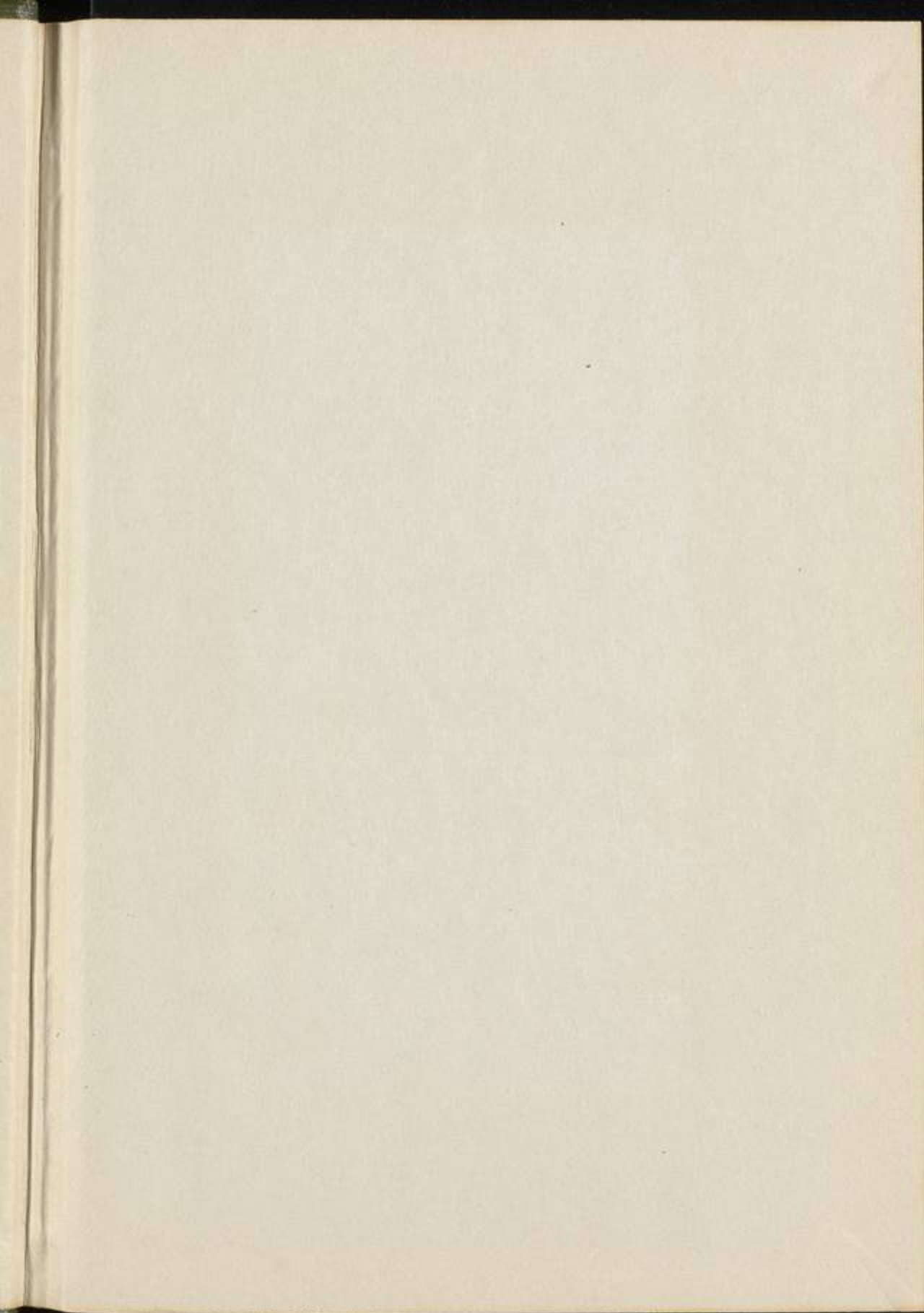
اما نحن فغاية ما نتمناه ان لاتمس حقوقنا الثمانية اخلت الروسية
واوستريا واتفقتا واننا في ثقة من تحقيق اماننا هذه لاعتقادنا ان الجناح
السلطاني ساهر على مصالح الامة وحقوق الدولة واعظم برهان لدينا هو
ما نراه من حشد الجنود واقامة المعاقل وتعيين الذخائر لدرء كل ملامة وتمزيق
شمل كل مناجيء حفظه الله يعنايته وايدده برعايته انه السميع المجيب











COLUMBIA UNIVERSITY



0026812240

962
T169

OCT 23 1964

